

أوجاع ما بعد العاصفة الجزء الأول

للكاتبة / برد المشاعر

تجميع :فيتامين سي

شبكة روايتي الثقافية

~~~~~

أوجاع ما بعد العاصفة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سأترك المقدمات هذه المرة لكني أريد التنويه

عن أمرين قبل بداية الرواية

أولا : أشكر شكرا كبيرا الأخت العزيزة الغالية ( تفاحة فواحة)

لما قدمته لي من عون في السابق وأعتذر منها لأنني لم

أكتب هذا الشكر في ختام روايتي السابقة ( منازل القمر)

لنسياني هذا الأمر بسبب استعجالي في وضع الفصل

الأخير مخافة أن لا أدرك تنزيله

فشكرا لك غاليتنا التفاحة ولكل مجهودك معي

ثانيا : هذه الرواية الفصول فيها مقسمة لثلاث جزئيات

كل جزئية بقصة مستقلة لكن ثمة تداخل سيكون في الأحداث

لأن الأبطال تجمعهم نفس المدينة والأمكنة بدون أي صلة قرابة

التقسيم كان فقط من أجل السلاسة والسهولة في الأحداث

وكي لا يضيع القارئ بينهم

والآن أترككم مع الفصل

الفصل الأول

كم حملنا من جراح حملنا الغير إثم وجودها على وجه الأرض

وهم لا يعلمون أنها خرجت من عمق أوجاعنا

\*

\*

فَتَحْتُ الباب بهدوء ونظرت نظرة حب وحزن ورحمة

للجسد المختبئ تحت طيات اللحاف ليخفي وجهاً وقلباً أشد

منه حزناً وبرودة وعذاب ، ابتسمت بألم ثم قلت

"وسن هل أنتي نائمة"

خرج لي صوتها المتحشرج يحكي ما تخبئه في

عتمة سريرها قائلة " لا ... سأنام الآن"

زاد صوت صرير الباب دالاً على تحركي قليلاً للأمام

لتوقفني كلماتها الهادئة " أنا بخير أريد النوم فقط"

تنهدت بضيق ألين في قلبي ما آلت له شقيقتي بل ما آل له

حالتها جميعاً ثم قلت بهدوء " وسن لا تقتلي نفسك بما تفعله

أخرجني للسهر معي ووالدتي ، لما تفعلين بنفسك

هكذا كلما عدت من هناك"

لم تجبني ولم أنتظر منها جواباً لتراجع خطواتي خارجه

وكل مناي أن لا أسمع منها تلك العبارة التي تقتل بها قلبي كلما

قالتها في مثل هذا الموقف ، خرجت هرباً من أحرف ليس إلا

لكنها تفعل ما يفعله السيف حين ينزل على عنق أحدهم بقوة

حاولت الهرب مسرعه ولكن تلك الحروف سبقنتني للباب

لترتمي في أدنى بصوت شقيقتي الوحيدة وهي تقول من

بين حزنها وتعبها وهمومها " ليثني أموت يا فرح "

أغمضت عيناى بحزن أكنم ألمى وقلت بثبات " لو كل من

طلب الموت أدركه لما بقى على وجه الأرض أحد يا وسن "

وقفت بعدها عند الباب وقلت بتوجس وخوف من

الجواب " هل تحدثتِ معه مجدداً ؟ "

أجابت هامسة باختصار " لا "

قلت وأنا أغلق الباب بهدوء

" جيد يبدووا لي تقدمتِ خطوة للأمام "

\*

\*

" كيف هي الآن ، أأن تخرج "

جلست بجوار والدتي وقلت ببؤس " لا بالتأكيد فكما تعلمي

لن تفارق سريرها قبل الصباح ، تلك عاداتها كلما زارتهم

لا أفهم لما لا يختفي ذاك الرجل من الخليقة حين

يعلم أنها ذاهبة هناك"

اكتفت بالتهند في حزن فتابعت بحرقة " لا أعلم لما لا

يرحمها من رؤيته مادام غروره لن يفارقه ولن يتفهم

أسبابها ، كم صرت أكرهه وأتمنى من الله أنـ" ....

قاطعتني بحدة " فرح اصمتي ولا تدعي على أحد

لا ينقصنا مصائب يكفيننا ما نحن فيه"

قلت بتذمر " وما الذي لم يحدث لنا لنخشاه .. ماذا يا

أمي؟! فمئذ تلك السنة التي فقدنا فيها والدي وشقيقي في

نفس اليوم فترملت أنتي وفقدت ابنك الوحيد وفقدت أنا

شقيقي ووالدي وتيتمت وسن لتصبح بلا أب ولا أم ، بل

من قبل ذاك اليوم حين أصبح والدي مديوناً ومهدداً

بالسجن وتقهقر حال كل واحد فينا وأولنا وسن التي

بدأت خساراتها تتوالى منذ ذاك الحين ، أخبريني ما

سنخسر أيضا قللي يا أمي"

قالت وهي تغادر " استغفر الله اللهم لا تؤاخذنا

إن نسينا أو أخطأنا"

وقفت أتأفف متجهة لغرفتي ليغير مجرى سير خطواتي

رنين الهاتف ، اقتربت ونظرت للرقم في شاشته لأجد من

سيكون متنفساً لغضبي وما أكبته من حسرة ، جلست بجوار

الطاولة ورفعت السماعة وقلت من فوري " لا مرحباً بكم

من عائلة ، أخبرني متى سيموت شقيقك ذاك أو يسجن

أو يقوم رئيس الدولة بنفيه من البلاد"

جاءني صوته مصدوماً " فرح حبيبتني كم مرة ستحمليني

إثم غيري ما ذنبي أنا إن كانت أكثر مشاكل البشرية تعقيداً

بين شقيقي وابنة خالتي وما ذنبي إن أحببت شقيقتها من

بين كل البشر وخطبتها وكنت ساموت إن لم أتزوجها"

قلت بضيق " ذنبك أنك شقيقه ، ذاك المغرور المتحجر

الذي ثبرت منه الإنسانية ، متى سترأفون بحال شقيقتي أي

عائلة خالة أنتم أقسم أن لكم نزعة عرق في اليهود"

تنهد وقال " وهل بيدي شيء ولم أفعله ، لا تلقي بكل اللوم

عليه فلم أنسى يوماً حين قال لي بوجع ( ليثها فقط أخبرتني

كنت حرثت الأرض بأظفاري وأخرجت المال وما تركتها

تهورت وفعلت ما فعلته ( هوا موجوع أكثر منها وأنـ" ....

قاطعته بحدة " موجوع !! ليثه يموت بأوجاعه لا بارك

الله في اليوم الذي عاد فيه"

قاطعني بضيق " فرح .. نواس شقيقي في كل الأحوال

ولا تنسي ما فعل ويفعل من أجل الجميع"

قلت بغضب " نعم منّ علينا بأفضاله فهو المنقذ

الحامي الذي انتشلنا من ديوننا ولولاه لضعنا

ولمتنا جوعاً أبو الشهامة"

قال بغضب مماثل " فرح كم مرة سنكون في

مشكلة بسبب أمر لا يد لنا فيه"

نزلت دموعي تحكي عجزى وعجزه الذي أعلمه

أكثر منه وقلت بعبرة مخنوقة " شقيقتي يا جواد إنها

تضيع منا لما لا تشعر بي ، متى سيرحمها ذاك الجلود

ويترك المنزل على الأقل حين يعلم بذهابها لخالتها"

تنهد وقال " لا أعلم لما يفعل ذلك هل ليعذب نفسه أم

ليعاقبها هي أم لينتقم منهما معاً ، حتى أنه لا يغادر

مكانه حتى تغادر هي أولاً"

قلت بحزن " ما الذي حدث هذه المرة"

قال بهدوء " لا شيء ولا جديد"

سألته من فوري " قالت لم تتكلم معه هل صحيح حدث ذلك"

قال من فوره " نعم لم يتحدثنا مطلقاً بل لم تنبس شفثاه

بحرف لا معها ولا مع غيرها وبعد مغادرتها وقف من

فوره ألقى علينا قبلته وغادر لمزرعته"

قلت بحيرة " قنبلة ماذا " !!

تنفس بقوة حتى كاد نفسه يخرج لي من ثقب السماعه

ثم قال " قال سيخطب قريبة صديقه"

ألقى عليا الخبر كالقذيفة لترتجف يدي وتسقط سماعه

الهاتف مني وأنا أهمس بشفاه ترتعش

"يا ويل قلبي عليك يا وسن"

\*

\*

سمعت الطرقات المتتالية على باب غرفتي لأتوجه له

فزعة فانا اعلم أن هذه التقوس لا تحمل إلا النكبات

فتحتة انظر لابنتي بتوجس وهي تلطم خذاها في صمت

وتكنم صرخاتها من الخروج فأمسكت معصمها وجررتها

معي لداخل غرفتي وأغلقت الباب خلفها ناهرة لها

"توقفي عن لطم وجهك أي مصيبة تحملين معك"

أطلقت حينها العنان لصراخها ودموعها المكبوتة لتصرخ

بوجع " سيتزوج يا أمي سيدمرها نهائيا جهزي كفنأ أبيض

جديد لنلبسه لجة أخرى من بقايا عائلتنا المتبقية"

لتتابع وهي تضرب صدرها بكفها

"شيع الجثمان يا أمي وسيكون من المعزين فيه"

كتمت صرخاتها بكفي وقلت " لا بارك الله في

أخبارك السوداء أخفضي صوتك لا تسمعك"

أبعدت كفي عنها وقالت ببكاء " ستعلم إن اليوم أو

في الغد وإن منا أو من غيرنا فعن ماذا سنتستر"

ضربت كف بالآخر وقلت بحسرة " لا سامح الله ذاك المتجبر

خالد ولا اليوم الذي عرفناه فيه ، كيف يتحول حالها من

عروس لنواس تكاد تزف إليه لتيمة تبكي ماضيها"

ثم تابعت بحزن وأنا أجلس على السرير

"ما الذي يريد الوصول إليه بما يفعل .... ماذا؟" !

عقت فرح بغيض " ينتقم منها ويحرق قلبها أحرق

الله قلبه حتى يتحول لرماد"

قاطعتها بغضب " فرح لا بارك الله في لسانك ما

ستجنيه إن استجاب الله لك ، لا ليس نواس من ينتقم ويكسر

القلوب لن يكون هوا ليس لمن غمرنا بفضل له لليوم أن يفعل هذا"

قالت معاتبه بلوم " أمي توقفي عن رفع أفضاله فوق رأسك

كم مرة ستذكريننا بأنه صاحب المن والفضل"

قلت بحدة " اعترفتِ بذلك أم نكرته فهي الحقيقة فحتى

الخبز الذي نأكله هوا من يدفع ثمنه علم من علم وجهل

من جهل واعترفتِ أو لا تلك هي الحقيقة فلولا بعد الله

لكننا الآن في الشارع نتسول على الطرقات وترمينا الناس

بأقدامها من تحت أحديثهم ولكانت شقيقتك في السجن"

جلست بجانبني وقالت بحزن " وها هوا يسترجع الدين يا

أمي ، ها هوا يأخذ ثمن أفضاله علينا"

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

إن وجدت حلا لهذه كيف سأخرج من تلك ولو طلبوا إحضاره  
من أين سأجد واحدا ، لما يحدث معي كل هذا وكيف سأصرف  
وماذا إن وجدوني ، خالة عفراء كم أحتاجك الآن كله بسببه

"سما"

أيقضني الصوت الذي يردده صدى المكان الواسع

فقلت بتوتر " نعم آنسة"

صرخت بأمر " لمكتب المصلحة حالا"

وقفت بهدوء بين تمتات وضحكات زميلاتي المنخفضة

وقلت بحزن وعياني على طاولة مقدي

"فقط هذه المرة آنسة لن أسرح في الحصة مجددا أقسم لك"

ضربت بمقدمة قدمها على الأرض تنظر لي بنفاذ صبر فخرجت

من مقدي ومن فصلي متوجهة لمكتب المصلحة الاجتماعية

المكتب الذي بت أحفظ معالمه كاسمي من كثرة ما زرته ، كنت

أسير بحزن لا أرى سوى الأرض تحتي وخطواتي عليها

طرفت الباب ودخلت ورأسي أرضا لتتحدث تلك من فورها

"هذه أنتي مجددا ، إن كنتي ستتكلمين اجلسي أو

غادري لغرفة المدير حالا"

نظرت لها وقلت برجاء " إلا مكتب المدير آنسة أرجوك"

تنهدت وقالت بهدوء " سما أنا أريد مساعدتك فإن كانت لديك

مشكلة فتحدثي أو سأقدم طلبا بولي أمرك ليحظر"

قلت فزعة " لا آنسة خديجة إلا ولي أمري"

تأففت وقالت " ولما لا هل سنعيد دائما نفس الاسطوانة"

يا إلهي كيف سأخرج من هذه المصيبة كيف سأصرف يا رب

ساعدي ، ضربت على طاولتها بقلمها مستاءة وقالت

"لمكتب المدير يا سما أو الاستدعاء ولك أن تختاري"

خرجت من هناك وأموري اليوم لا تزدد إلا تعقيدا

تنهدت بحزن فلا خيار أمامي عليا الذهاب إليه

كي لا تستدعي المصلحة الاجتماعية ولي أمري

فوحدها يحق لها استدعاءه في هذه الحالة

تنفست عند الباب بقوة ثم طرقت ودخلت

\*

\*

نظر لي بنصف عين وقال " ها كما اتفقنا لا تترك لي

المنهج في نصف الفصل الدراسي يا نزار "

ابتسمت بعفوية وقلت " وهل تعرفني من متقلبي المزاج

أنا أحتاجها مؤقتا وأنت تعرف ظروفي وإلا ما كنت اخترت

التدريس وخصوصا فتيات الثانوية ولا تخف فتحت

كل الظروف سأتهي معك العام "

قال بابتسامة " إذا على بركة الله وفصلاك جاهزان

أعانك الله على الأطفال الكبار "

ضحكت وأنا أقف قائلا " مررت بهذه المرحلة

وأعلم جيدا عقول من هم فيها "

قال من فوره " أين ستذهب ابق قليلا سأخرج معك "

عدت لجلستي على صوت طرقات خفيفة على الباب

نظرنا كلينا هناك حيث فتاة بعينين زرقاء واسعة وملامح

هادئة وحزينة وشعر كستنائي اللون مجموع كله للخلف

نظرت للأرض في صمت فقال " أدخلي يا سما"

هذا ليس وقت الفسحة ولا بين الحصص ، نظرت له

وهمست " وها هي المشاكل سأحضر معك إحداها"

ضحك دون تعليق ثم نظر ناحيتها وقال " ما المشكلة يا سما"

قالت بشبه همس " الآنسة ليلى أخرجتني من الحصّة"

قال مباشرة " و السبب"

رفعت نظرها إليه ثم لي ثم أعادته أرضا وقالت

"المصلحة الاجتماعية أرسلتني إليك"

تنهد وقال " سما أنتي تعلمي كم وصلت مكتب

المصلحة شكاوى بسبب سرحانك في الحصص

وكم طلب وصلني منها بشأنك"

هزت رأسها بنعم دون كلام فقال " إن كان ثمة مشكلة

لديك فأخبريها لتساعدك هي امرأة مثلك وأنتي تعلمي

جيذا أنها إن قدمت لي طلبا باستدعاء ولي أمرك

ستحضرينه أو فصلناك من المدرسة"

رفعت رأسها إليه بعينان تمتلنان دموعا وقالت

"لا لن يتكرر الأمر أقسم لك"

قال بحدة " لا أعلم كيف يكونان والداك مهملان هكذا

لا أحد منهم يُقيم مستوى ابنته أو يزورنا ، صديقة

والدتك لا أعرف قريبتها أو من تكون من يوم سجلتك

لدينا لم تزرنا سوى مرة واحدة وقالت أن والداك

مسافران ، هذه مدرسة خاصة لها قوانينها وإن

استدعى الأمر إحضار أحدهما فعليك جلبه

أو قريبتك تلك مفهوم"

نظرت للأرض لتسقط دمعها على الأرضية الرخامية

وقالت بصوت مخنوق " مفهوم"

تنفس بقوة مهدئاً نفسه وقال " عودي لفصلك الآن"

غادرت من فورها وقال بضيق " مهما حاولت

أن لا تقسوا على الطالبات يخرجنك من طورك"

قلت مبتسما " اخترت أن تكون مديرا لأسوأ مكان"

وقف وقال " إذا أبشرك تلك إحدى طالباتك"

ضحكت وقلت وأنا أشاركه السير خارجا

"يالها من بشرى هذه أول الطلبة الفاشلين إذا"

قال بضحكة " لا فهي متفوقة فوق ما تتصور

فقط مشكلتها أن لها أمرا لا تفصح عنه"

كنت سأقول شيئا حين رن هاتفني ونظرت للمتصل وأجبت

ونحن نستقل سيارتنا " مرحبا جابر أين أنت يا رجل"

تأفف وقال " زوجتي أنت ولا أعلم"

ضحكت وقلت وأنا أشغل سيارتي " مهلك عليا

قليل ما الجديد لديكم"

تأفف مجددا وقال " أتركنا من ذلك سنلتقي اليوم حسنا"

انطلقت خلف السيد منصور قائلا

" عند الخامسة مناسب لأنه عليا الذهاب للمنزل

بعد قليل كي لا أتأخر عن علاج والدتي"

قال " جيد وأنا أيضا عليا المغادرة قليلا لمدينتي

نلتقي عند الخامسة لو تأخرت سأقتلع عيناك"

ضحكت وقلت " رحم الله من يقع تحت يديك"

قال " نلتقي فيما بعد وداعا"

أنهيت الاتصال منه على رنين هاتفي نظرت للمتصل

وأجبت من فوري قائلا " نعم يا دعاء"

قالت بهدوء " خرجت للتو من المستشفى وأسمر بها"

أدرت المقود لألف يسارا وقلت " لا داعي لذلك

سأعود للمنزل الآن وأكون معها شكرا لك"

قالت من فورها " لا تشكرني على واجبي وسأكون

معها في غيابك الأيام القادمة .... وداعا"

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

سلكت الطريق مسرعة ، عليا اللحاق بهما قبل أن  
يغلقوا الباب ويتركوهما في الشارع .. آه ياله من يوم

"أرجوان انتظري"

التفتت للخلف حيث الراكضة نحوي بسرعة وقلت

"عليا الذهاب لإحضار الطفلين سأتأخر عنهما"

وصلت عندي تلهث قائلة " اتصلت بي ماجدة الآن وقالت

أن الحافلة أقلت الأطفال لأن العطل تم إصلاحه"

وقفت أتلقف أنفاسي مثلها فقالت " يالها من مسئولية التي

تحمليها عليك أن تتزوجي هذا الوضع صعب عليك وحدك"

قلت ونحن نتابع سيرنا " من سيتزوج بفتاة معها إخوتها

الثلاثة الصغار وقد سافر بها العمر"

قالت بضيق " آه بربك أرجوان كلها أربع وعشرون عاما

كيف سافر بك العمر ثم أنتي من كنت ترفضين الزواج لأجلهم

وكل ما أخشاه أن تبقي يوما وحيدة وتندمي على عمرك هذا"

سلكننا الطريق وقلت بأسى " كم أخشى من اليوم الذي

يكبرون فيه ويتزوجوا وأفقدهم"

ضحكت وقالت " أرجوان يالا أفكارك ، أمجد أكبرهم في

الثامنة كم من السنين تحتاجين ليحدث ذلك"

تنهدت وقلت " لا شيء أسرع من ركض السنين"

وقفت وشهقت ثم قالت بدهشة " غبية ... الآن انتبهت

لكلامك ما قصدك أن يتزوجوا وتبقي وحيدة"

وصلت عند باب المنزل وقفت أمامه وقلت

" أعني لن أغير رأيي أخوتي هم أبنائي وزوجي وكل حياتي"

هزت رأسها بياس وتابعت طريقها وتركتني

وضعت المفتاح في الباب فسمعت صوتها خلفي فقلت بفرع

"سوسن يا حمقاء أفرعتني ألم تغادري الآن"

ضحكت وقالت " نسيت أمرا كنت سأخبرك عنه"

نظرت لها بحيرة فقالت " هناك رجل سأل عنك اليوم"

نظرت لها باستفهام وقلت " رجل سأل عني أنا" !!

ضربتني على كتفي وقالت " لا عني أنا"

ثم نفخت بشفتيها قائلة " أووف لو رأيته يا

أرجوان له شخصية مدمرة من أين تعرفين هذا

الصف الهجين من الرجال"

قلت باستغراب " من يكون ؟" !

قالت مغادرة " لا أعلم قال سيعود في الغد

كان سيدركك لولا خروجك راكضة من أجل أخوتك"

تجاهلت كل ما قالت ودخلت المنزل وما أن فتحت الباب

حتى شهقت بصدمة وقلت " بيسان ما هذا في يدك"

نزلت بجسدها تحييني ثم قالت

"مرحبا بالإمبراطورة أرجوان"

ثم دارت حول نفسها وقالت " انظري ماما ما

رأيك بما أحضر أمجد"

اقتربت منها أخذته من يدها وقلت " من أين

أحضره ومن أعطاه إياه"

قالت بعبوس " إمبراطورا كيف تتكلمين هكذا هل

نسييتي أنك سيدة المكان ، ماذا سيقول عنك الخدم"

ابتسمت رغما عني ، يالا هذه الطفلة الحاملة هذا هوا

عالمها الذي يستحيل أن يخرجها أحد منه أعاني الله

عليها ، نظرت حولي وقلت " أين هي ترف وشقيقك"

رفعت فستانها الطويل وقالت وهي تدور حولي

"كونتييسة ترف تستحم ولم تخرج

دوق أمجد مختبئ عنك كي لا يستحم"

قلت مبتسما وأنا أتبعها بعيناي " والأميرة

بيسان هل استحمت"

حضنتني وقالت " نعم ماما شمي رائحتي"

لمست شعرها وقلت " ولم تغسلي شعرك"

ابتعدت عني وقالت " نعم"

وقفت وقلت " حسننا هيا اذهبي لغرفة الطعام سأصعد

لهاذين الشقيين وأعود إليك فيبدو أنا وأنتي فقط

سنتناول الطعام معا"

ركضت مرحة وصعدت أنا السلالم ، إخوتي أصبحوا

كل عالمي منذ ذاك اليوم الذي جاءتني فيه تلك السيدة

وأحضرتهم لي وهي تصارع المرض لتخبرني أنهم أبنائها

من والدي مع أوراق تثبت ذلك ورسالة منه لي كتبها قبل

وفاته وكانت حينها ترف أصغرهم عمرها لم تتعدى

الشهور ، بيسان عامان وأمجد ثلاث سنوات فقط

خمس أعوام مرت منذ ذاك اليوم الذي وجدت فيه نفسي

مسئولة عن ثلاث أطفال وعمرى لم يتجاوز التاسعة عشرة

تركت دراستي وعملت لأوفر لهم سبيلا للعيش بعد وفاة

والدي معيلي الوحيد وأهلي وكل من لي في الحياة

رغم أنه كان مسافرا للخارج لكنه كان يعيلني ويرسل لي

النقود من مكانه لتأتيني المفاجئة منه من هناك زوجة وأبناء

تركتهم في عهدي ، وصلت الغرفة ودخلت الحمام وكما

توقعت المياه تملأ المكان والأنسة ترف تلعب في حوض

الاستحمام، وقفت واضعة يداي وسط جسدي وقلت

"كم مرة نبهتك وكلما تأخرت كررت نفس الخطأ"

خرجت من الحوض راكضة نحوي وحضنت ساقي

بمياها فلم أستطع سوى الابتسامة لهذه العينان البريئتان

رفعتها من ذراعيها وخرجت بها لفتها في المنشفة وقلت

"أمامك عشر دقائق ترتدي ثيابك وتنزلي للأسفل"

لنتناول غداك وتنامي بعدها هيا بسرعة"

غادرت من عندها وخرجت لغرفة أمجد دخلت ولم أجد

أحدا ، أعرف جيدا أين سيكون وقفت عند الخزانة

وطرقت بابها قائلة " تخرج أو أخرجك بنفسني "

خرج صوته من الداخل يردده صدى الخزانة

"استحممت ماما لا تحميني مجددا"

ابتسمت وقلت " أخرج لنرى "

فتح الباب وخرج منها وفتح ذراعيه وقال

" هه شمي رائحتي فراولة "

ابتسمت وحضنته قائلة " رائع كبرت يا رجل هيا

لتناول الغداء لتنام ثم نرى دروسك اليوم "

نزلت وهوا خلفي يحكي ما حدث معه اليوم

مفصلا دون توقف حتى وصلنا طاولة الطعام

\*

\*

وصلت القصر سريعا ودخلت لأجد الجالسة على كرسيها

الوثير تصدر أخشابه صريرا وهي تتحرك به للأمام والخلف

بنظراتها الباردة التي لم نعرف غيرها في حياتنا بشفاه لم

تبتسم يوما وشخصية صلبة ربت جيلا من الصلابة

والقسوة ، وصلت عندها قبلت يدها وجلست بجانبها

فقال من فورها " لم أرك أحضرتهم "

نظرت للأرض وقلت بجديّة " ذهبت ولم أجدّها "

قالت بذات صلابتها وبرودها " هل يلزمك مشاورتها على

ذلك ، لن تكون ابني الذي ربيته وأنت تراعي مشاعر النساء "

رفعت رأسي ومررت أبهامي على جبيني محاولا تبديد إرهابي

وقلت بهدوء " أنا لا أراعي مشاعرها وأنتي تعرفيني جيدا

لكن لكل شيء أصوله فعليها أن تعرف أولا "

قالت بسخرية " لا أعرف كيف تكون جابر الذي يخافه

أعتا المجرمين وتلعب بك النساء بسهولة "

وقفت وقلت " أمي هل سنعود دائما لذات السيرة "

وقفت وقالت مغادرة " إن لم تحضرهم معك المرة

القادمة لن تكون أقل من ذلك "

تأففت وفتحت ربطة العنق لأتنفس بأريحية ورفعت هاتفني

وأنا أصعد السلالم وقلت " جهزوه للتحقيق معه مجددا

أقل من ساعة وسأعود إليكم "

قال " لكن سيدي " ...

وصلت الغرفة دخلتها وقلت صارخا

"من دون لكن ما قلته تفعله ، دقائق وسأغادر من هنا

عائدا له وأخبر الفريق ليقوموا بزيارة موقع المصنع حالا

للتحقيق في الأمر عمار وقيس ويختارا واحدا فقط معهما

البقية لقسم التحقيق حالا أجدهم هناك عند وصولي مفهوم"

قال من فوره " مفهوم"

أغلقت الهاتف ورميته على السرير ورميت السترة وربطة

العنق وغادرت الغرفة والجناح للغرفة منها طرقت الباب

عدة طرقات ولم يجب فضربته بقبضة يدي بقوة وقلت

"معتصم تفتح الباب أو كسرتة تفهم"

لم يأتي الرد أيضا فقلت صارخا بغضب " حركات الفتيات

هذه أضنك أكبر منها فدعنا نتحدث بلين أفضل لك"

فتح الباب ودخل يردد بغضب " لا أحد منكم له سلطة

علي حتى متى سأعيش على هواكم قلت لن أدخل ذاك

القسم يعني لن أدخل ولن أترك تلك الشلة ولا تلك

المزرعة ، حياتي وأنا حر فيها"

أدرته ناحيتي وأمسكته من قميصه وقلت بحدة

"تحترمني أولاً أنا أكبر منك وما قالته أُمي تنفذه

فلم تفني عمرها في تربيتنا لنخالفها"

أبعد يدي وقال بسخرية " يكفيها أنت وشقيقتك

صنعت منكما ما تريد أنا لا يتحكم أحد بي"

قلت صارخا بغضب " لم أقطع كل هذه المسافة

لأسمع منك اسطوانتك المعتادة هذه"

قال بغضب " وأنا لم أفتح لك الباب لتسمعي موشحك ذاته

والدتي ووالدتي وربتنا ، على ماذا ربتكم يا رجل لم تخطئ

حسناً يوم هربت بأبنائها من جبروتكم ولا فؤاد الذي

رمى ابنتكم وفر بجلده هاربا من كل البلاد ، بالله

عليكم عائلة أنتم أم وحوش"

تنفست بقوة وقلت من بين أسناني " معتصم ضع عقلك في

رأسك لا أريد أن أفقد أعصابي وأنت تعرفني جيدا "

قال بصراخ " لن يخيفني تهديدك لي لا يا ابن والدتك "

أمسكته بقوة أكبر وقلت من بين أسناني " ابنها مثلك يا صعا" ....

قطعت كلمتي فأبعد يدي وقال بحدة " نعم قلها صلوك لأنني

اخترت أن أدرس ما أريد وأرافق من أريد وأعيش حيث

أريد نعم هكذا هم الصعاليك أما الجبابرة مثلكم هم الفخر والمجد "

ثم قال مغادرا الغرفة " ستروا من اليوم وصاعدا ما سيصنع

الصلوك ولم تروه بعد لأنه سيظهر الآن "

\*

\*

"بتول تعالي وأمسكي شقيقك عني "

قلت بصوت رقيق متذمر " لا أريد تعبت

تعبت من أبناءك أف "

قالت بغضب " لا تنفعين لشيء سوى التذمر ولكن

الذنب ذنب والدك الذي ذلك"

رميت الهاتف من يدي وقلت بضيق " مدللة وسيئة

ولا تنفع لشيء ، أبنائك كسروا لي ظهري ولا

أعجبك لم نعد نريد أبناء يكفي"

قالت بقلة صبر " تعالي وخذيه بعيدا أفضل لك ولي يا بتول"

تأففت واقتربت منه وقلت " مقرز أنظري إليه كم مرة

أخبرتني أنني لا أحب الأطفال المصابين بالزكام"

عطس حينها ليخرج مخاط أنفه فقلت بقرف

"يع امسحها بسرعة يا أمي"

نظرت للسقف وقالت " أعانني الله عليك بل أعان

من سيتزوجك على أطباعك من يراك لا يصدق

أنت ابنة السادسة عشرة"

قلت بصوت باكي دون دموع

"أمي لما تحبين إهانتني ؟ لما والدي ليس مثلك"

نظرت لي وقالت بحدة " لأنه لا يعاني من تدليله لك

غادري الآن لقصر عمك واجلبي أوراق والدك

من جابر بسرعة قبل أن يغادر"

ضربت بقدمي الأرض وقلت

"لا أريد سأجد ابنهم طويل اللسان ذاك لن أذهب أبدا"

قالت بضيق " لا نفع من هذه الفتاة ستصيني بالجنون

لما تهربين منه دائما أخبريني"

قلت بغضب " أكرهه أُمي لا أريد الذهاب"

قالت ببرود " إذا تعالي وامسكي شقيقك وامسحي أنف

مصعب وستصل حافلة عمر قريبا لتأخذه للمدرسة

فغيري له ملابسه وجهزي له فطوره"

قلت بتذمر مغادرة " تعرفين كيف تجبريني على الذهاب

إن وجدته هناك فلن أذهب لهم ثانيًا ما حبيت"

خرجت من باب المنزل الخارجي أتأفف بتذمر

وأعدل وشاحي ودخلت باب قصرهم وكل مناي أن لا

أجد الكارثة المسماة معتصم هنا ويا لا حظي السعيد  
كان يقف في الحديقة مستندا على سيارته ويتحدث في  
الهاتف بغضب ويبدوا مستاءً ، حمدا لله لن يجد مزاجا  
ليسخر مني ، تخطيته مسرعة على إنهائه للمكالمة  
فوصلني صوته قائلا " هيه انتظري "  
نظرت له بكبرياء وتجاهلته وتابعت سيرتي فقال  
" هيه نخلة انتظري قلت لك "  
وقفت والتفتت له وقلت باستياء  
"نخلة أنت وأمثالك وأشباهك يا متعجرف"  
ابتعد عن سيارته وقال " حسننا لا تغضبي  
فسيلة النخلة أفضل "  
ارتفعت الدماء في رأسي لو هناك من سيجعلني  
أكره اسمي فسيكون هذا المتعجرف ، لا بارك الله في  
اليوم الذي سموني فيه بتول ، قلت بحق

"اسمي بتول وليس نخلة تفهم"

وضع يديه في جيوبه وقال ببرود " كلاهما اسمك"

أخرجت له لساني وغادرت وتركته فأوقفني صوته

قائلا " هيه فسيلة"

تأففت والتفتت له وقلت باستياء مفعم بالغنج

"ستري إن لم أخبر والدي"

قال مقلدا لي وراميا بيده في الهواء " ستري إن لم أخبر والدي"

امتألت عيناى بالدموع وقلت " ستري يا معتصم"

ضحك وقال " حسننا لا تبكي يا قطعة العلكة الممضوغة"

قلت وأنا أغادر من أمامه ودموعي عبرت خدائي

"أقسم أن أشتكك لوالدي وستري"

وصلني صوته صارخا " علكة وبالفراولة أيضا"

ثم غادر ضاحكا ودخلت أنا القصر ككل مرة

كارهة لنفسى بسببه

## نهاية الفصل الأول

أتمنى أن يكون حاز على رضاكم وإعجابكم

الفصل كان قصيرا لكنكم موعودين بفصول طويلة إن شاء الله

هذا كان مجرد تعريف للشخصيات الأساسية في الرواية فثمة

أحداث وشخصيات كثيرة لم تظهر بعد وستكون شخصيات

محورية في القصص ومفاجأة مخبئة لكم ضمن فصول الرواية

ستكتشفونها مع الأحداث إن شاء الله

وكما سبق وقلت من لم يعجبه الفصل فلا يحكم على

الرواية من الفصل الأول لأن الأحداث لم تبدأ بعد

ودمتم في حفظ الله ورعايته

الفصل الثاني

كيف نكون السبب في وجع أحدهم وقلوبنا تنبض بالأوجاع

\*

\*

لو تحكي الوسائد والأسيرة والأغطية السميكة ما يحدث

وما يقال في حضنها لبكى البشر على أوجاع غيرهم

ونسي كل واحد منهم وجعه فكم يحمل هذا السرير

من أسرار أرسلته إليه في دمعاتها اليتيمة وعبراتها

المكتومة التي لا تملك غيرها ولا أحد غيره يحتويها

(لما أحكام البشر ظالمه)

هذه كانت أول بعثره لحروفها تحت سواد هذا اللحاف

بعد يوم مرهق للمشاعر والقلوب وبعد جرح نازف

انفتح من جديد

\* \* \*

للفت نفسي في اللحاف أكثر وكأنه سيخفي عن قلبي

وجع روحي وعن روحي أوجاع أحشائي ، تمسكت بطرفه

بقوة ولازالت كلماته عند اللقاء ما قبل الأخير بيننا في منزل

والدته تحفر مخيلتي وقلبي وهوا يكمل جلده لي بكلماته مغادرا

"لا أحد يحزن على الماضي فلا شيء فيه يستحق العودة"

لتزداد عبراتي فوق هذه الوسادة كلما استرجعت تلك الكلمات

من سرق مني تلك السعادة من؟! والدي أم قدره أم قدرتي

هل هي رحمتي بأبي أم بعائلتي؟ من هو القاضي ومن

الجلاد ومن المحكوم عليه فكيف أكون جلاداً حكم عليه

بالجلد! كيف أكون مجرماً ارتكبوا في حقه أبشع الجرائم

ليث الغفران صفة ليست لله وحده خص بها نفسه وأكرم

من تمتع بها فقط، ليثها كانت فرضاً على البشر لكان

نواس أول من تمسك بها ولو كرهت نفسه ولكنك

وجدت عنده العذر لأنني أعرفه جيداً حينما يتعلق

الأمر بكلمة... الله فرض هذا

من سيرجع لي ما سرقته الحياة من!!

حضنت الوسادة بقوة أكتم فيها دموعي وعبراتي

حتى نمت على وجع أحشائي المعتاد

\*

\*

تساندت بمرفقي على السرير لأعدل من جلستي بمساعدة

المرمضة المرافقة لي طوال الوقت ثم تنهدت بألم وقلت

" هل عاد نواس "

ليجيب الجالس بالمقربة مني يقلب الجريدة الصباحية

" لا .. اتصل بي وقال لن يأتي هذا الأسبوع لقد غادر

بالأمس فقط يا أمي آن لك أن تشتاقي إليه "

ابتسمت بحب وقلت " ومتى تتوقف الأم عن الاشتياق "

ثم تابعت " ها .. ما الأخبار لديك فأنت

تقرأ بانسجام منذ وقت "

رمى بالجريدة على الطاولة وقال بضجر

" هل تصدقي إن قلت لك لم أقرأ منها شيئاً "

ضحكت بتعب وقلت " ماذا كنت تفعل إذا ، هل تشاهد

صور النساء ؟؟ أين أنتي يا فرح لتريه "

تأفف وهز رأسه يمينا ويسارا وقال

"كادت تحرقني البارحة بنيران غضبها ما ذنبي أنا

فيما يحدث بين شقيقتها ونواس ، حتى متى

سنبقى نناقش تلك القضية"

تنهدت بحزن وقلت " لو أعلم لما قرر هذا القرار المجنون

أقسم وهو ابني أنه يتنفسها في الهواء الذي يدخل رئتيه

رغم جرحه الغائر منها ، لكن أن يتزوج بأخرى هذا ما

لم أجد له تفسيراً طوال ليلة البارحة ولم أتم بسببه"

قال بغضب " جنون ليس إلا فما من شيء يجبره على الزواج"

اكتفيت بالتنهد بحزن أرثي حال ابني المكسور وحال ابنة

شقيقتي المتوفاة ، أين كان المال عن نواس منذ عامان

لما لم يتساقط عليه كأوراق الشجر إلا بعد تلك الصفحة

العنيفة التي تلقاها يوم اكتشاف أن خطيبته وحبيبته خبر

خطبتها من غيره يملأ الصحف والمجلات وبدون علمه

لما كانت وسن ضحية لتهور والدها ولما كان نواس ثمنا

لتضحيتها ، أخرجني من شرودي الحزين صوت ابني  
وهو يقول " على ابنك أن يقتنع برأيي ، أنا من سيتكفل  
بعائلتهم وحاجياتها ، لقد أصبحت زوج ابنتهم وهو ابن

خالة وسن ليس إلا فأنا الأولى بهم منه"

قلت ببرود وأنا أعدل وشاح كتفائي

"لا تدخل في مشاكل مع شقيقك تعلم رأيه جيدا في

الأمر ويوم تصوير فرح في منزلك تكفل بها وحدها"

لوح بيده بضيق " ولما أنا كالطفل أمامه وأمامهم ولا

نفع مني سوى في إيصالهما للجامعة ، حتى حاجاتهم

اليومية كلف بها من يوصلها إليهم وفي النهاية سيتزوج

بغيرها ... يد ترحم ويد تصفع في ذات الجسد"

قاطعته بضيق " جواد تعلم كما أعلم جيدا قوانين البلاد وأن

نواس ولي وسن بحكم القانون وبحكم أنها بلا زوج ولا والد

ولا شقيق ولا عم ولا خال ولا رجل تربطها به القرابة غيركما

وهوا الأكبر فسيبقى وليها وكفيلها حتى تتزوج وبموافقته طبعاً

تأفف وعقب " هذه فهمناها .. فرح ووالدتها ما علاقته بهم"

تمت بضيق " ما هذا اليوم الجالب للتعب فوق

تعبى ومنذ الصباح"

قال بضيق وحنق " أمي على هذه المهزلة أن تتوقف

فلا أريد أن يصل الأمر بي وبه للخصومة"

وضعت يدي على رأسي وقلت بضيق

"سوزي ناوليني حبوب الضغط"

\*

\*

اقتربت من غرفة شقيقتي أمسك هاتفى في يدي

بعدما جهزته على رقم جواد لأتصل به لنجدتنا سريعاً

لا أريد أن أكون من ينقل لها كهذا الخبر ولكن هذا

أرحم عندها من أن تسمعه من غيرنا فيكفينا شماتة في

حالتها ، فتحت الباب ببطء وابتسمت للجالسة على سريرها

تحاول لملمة شعرها الحالك السواد وجمعه بمشبك

الشعر وقلت بهدوء " صباح الخير "

أجابتي بابتسامة حب

"صباح النور ما كل هذا النشاط في يوم الإجازة"

اقتربت وجلست بجوارها أتأمل ملامحها الجميلة التي

تنهار ليلا لتعود وتبتسم لنا في الصباح ، قوية رغم حزنها

كما عرفتھا دائماً ، ابتسمت وأنا أتأمل الابتسامة اليتيمة

الشاردة للبعيد ثم لوحت بيدها أمام وجهها وقالت

"وسن أين رحلتي بابتسامتك"

ابتسمت بحزن وشروود وقالت " هي من

رحلت بي وليس أنا"

ثم نظرت لوجهي بتفحص واستفسار " لديك كلام

في جعبتك أليس كذلك ؟ " !

ابتسمت بألم وقلت " ليثه كان كلاماً"

نظرت لي بحيرة فتابعت بحزن " وسن إن كان لدي

غرض عندك ومننت به عليك وقلت أنك لا تستحقينه

واسترجعته منك ما سيكون رد فعلك"

قالت بابتسامة صغيرة " أقول بكل بساطة

خذييه يمكنني العيش من دونه"

ابتسمت وقلت " وحب نواس كذلك أعطاه لك يوماً

ومن ثم استرجعه وفي نظره أنك لا تستحقينه فقولي

بكل بساطة ليأخذه يمكنني العيش بدونه"

قالت بابتسامة متألّمة والدموع تترقرق في سواد عينيها

الواسعة " لم تخبريني أن ذاك الغرض يخرج مع الروح"

تنهدت بحزن وصمت لتتابع " لا عليك يا فرح لكل

محنة فترة ولكل علاج مضاعفات"

عقت عليها بحسرة " عامان يا وسن ولا شفاء ولا

انتهاء لتلك المحنة لما لا تكوني مثله"

نظرت لي بتوجس وقالت " ما لديك يا فرح ... ماذا حدث؟ " !

تنهدت باستسلام فهي تقرأ بسهولة كل موضوع يخصه  
في عينا كل من يريد التحدث عنه ثم قلت هاربة من مواجهة  
عينها " سیتزوج یا وسن قرر قتلك بأخرى فلا تفرحیه فیک"  
ساد صمتٌ مخيف فرفعت عيناى أبحث في الأرض عن  
جسد شقيقتي المغمى عليها من وقع الخبر فلم أجدها هناك  
رفعت نظري لها فكانت جامدة كالتمثال ، هل هي الصدمة  
هل هي الأمبالاة بالتأكيد ليست الثانية ، وسن حبيبتي  
تحدثي اصرخي باكية انهاري افعلي أي شيء ، مددت يدي  
لها ببطء وهزت كتفها وقلت بتوجس " وسن هل أنتي بخير"  
لا رد ولا شيء ولا همهمات أو آنين ولا حتى دمعة متدرجة  
أمسكت ذراعها وبدأت بهزها بقوة " وسن ما بك وسن"

أجابت بجمود " كنت أعلم ذلك"

أبعدت يداي عنها وقلت بصدمة

"تعلمين كيف وهو لم يتحدث معك !! هل أخبرك؟" !

أجابت بذات الجمود وعيناها في الفراغ

"نعم أخبرني ولكن ليس بلسانه"

لتتابع وقد سقطت الدمعة الأولى من عينيها

"لم يسألني حتى عن دراستي ككل مرة ، لم يسألني

عنك ووالدتك وإن كان ينقصنا شيء ، لم يرفع نظره

عن التحف الموجودة على الطاولة أمامه أبداً ، قالها

يا فرح نعم قرأتها في ملامحه ... أصبحت لأخرى "

لينهار حينها الجسد الثابت معانقاً الأرض ولأصرخ

مستجدة بوالدتي وسط تخبط أصابعي لأمسك هاتفني بتوتر

وخوف وأتصل بالرقم الثاني في قائمة الأسماء بدل الأول

\*

\*

يقف عند نافذة غرفة مكتبه الواسعة وتراقب عيناها العسلتان

كل حركة تصدر في الخارج ولا يغيب عن ناظره مما

يفعلون شيئاً فماضيه علمه أن لا يثق في العمال ، صفقة

الخيل السابقة كانت مربحة لقد خدمه ذاك الرجل خدمة  
العمر رغم تأخرها ليقلب له حاله منذ عامان وكأنه خرج  
له من عمق انهياره تلك اللحظة ، كان كقبس من نور  
أضاء وسط ظلام ليلته تلك ، الليلة التي سرقت منه حبيبته  
الليلة التي نظر فيها لنفسه للمرة الأولى نظرة ازدراء  
وأنه أقل من غيره ورأى فيها نفسه لأول مرة منذ عودته  
من تلك البلاد أنه يرتدي ملابس العمال ، لأول مرة يشعر  
أنه في نظر الجميع لا يستحق تلك الحبيبة ... الحبيبة التي  
يوم أنجبها والدتها عتبت قدماه أول يوم له في الثانوية  
العامة ، الحبيبة التي حين سافر كانت طفلة في الرابعة  
ليرجع ويجدها تحولت لصبية بل شابة سبقت جيلها وعمرها  
ومن هم في سنها ليجد غزالا بشعر أسود يراه بالمصادفة  
عند والدته ، هي كانت أول ما رآته عيناه يوم عودته دون  
علم الجميع ، الابن الغائب المنتظر الذي لا تصلهم منه  
سوى الرسائل والنقود التي يجنيها من عمله هناك ، يوم

ضحى بكل شيء وحتى دراسته كي لا تحتاج والدته وتمد

يدها للناس بعد وفاة زوجها ولكي يدرس شقيقه ويتعلم

وينال شهادته التي حلم بها ولا ينول لما آل هوا إليه

يدخل بهدوء ليفاجئ والدته بقدومه فتسقط عيناه على الريم

الشارد هناك على عيان لا ينافسها فيهم إلا الغزلان فيقف

متسمرا مخاطبا نفسه بذهول ( من هذه الضيفة التي تأخذ

من الحرية هنا أن تدخل غرف النوم وبدون حجاب ، لمن هذه

الابتسامة الرقيقة والوجه الدائري لمن أنتي وأقسم أن تكوني

لي ) غرق ذاك اليوم في حب من لم يعلم أنها الطفلة التي سماها

هوا بنفسه واختار اسمها مشتقا من حروف اسمه وكأنها قطعة

منه وستؤول إليه ، من ركض بساقيه لمحل والدها ليخبره أن

خالته ستلد وعليه أخذها للمستشفى ، من لعبت أصابعه بأناملها

الصغيرة وهي جالسة على فخذة ابنة العامان ، كيف كبرت هكذا

وتحولت لفتاة بل لأنثى تموت النساء عند أعتاب عينيها ، ليعيش

منذ ذاك اليوم يهيم بها ويزورهم لحاجة ولدونها ليراها ولو  
عند الباب وليقرأ في عينيها وابتسامتها استجابتها لمشاعره  
المتدفقة دون رادع ، يراها الأعمى قبل البصير تتدفق في  
عينية وكلماته ، كل ذلك قبل أن تسلب تلك الليلة السوداء أحلامه  
وتسرق غزاليته منه ليس لأنه لا يستحقها ولكن لأنه ليس كما  
هو اليوم ، بل لأنه فقط لا يملك سوى حبه لها ، شيء بالنسبة  
له لا يقدر بالمال وبالنسبة لهم لا يأتي بالمال الذي ستجلبه هي  
كسلعة تباع في السوق ، ابتسم بسخرية وغادر بنظرة للسماء  
كعادته حين يحاول الهرب من أفكاره فهوا عكس البشر في كل  
شيء حتى في سفرهم بأعينهم للسماء حين تستهويهم الأفكار  
ويريدون السفر إليها وليس الهرب منها

\* \* \*

أخرجني من شرودي ذاك الصوت الهادئ العميق  
"سينهي اليوم عمال البناء من الإسطبلات الجديدة

وستكون جاهزة بعد الغد لكننا سنواجه مشكلة"

قلت ببحة لا أعلم من أين دخت على صوتي اليوم ونظري

لازال عند تلك الغيمة السوداء " أي مشكلة؟ " !

سكت لفترة قصيرة ثم قال " إحدى الخيول الجديدة جامحة

وغير مروضة لا يمكننا ضمها مع غيرها في الإسطبل حتى

ننهي الإسطبلات الجديدة ولا حل سوى عزلها لوحدها ومع

هذا الجو الغائم لن نتمكن من وضعها في ساحة التدريب

ولا مكان شاغر سوى " .....

قاطعته بصرامة " إسطبل الوسن لن توضع

فيه أي واحدة أخرى "

عقب برجاء " سوف تسبب لنا مشكلة وذاك الإسطبل

شاغر حتى تعود الفرس إليه فلما " ...

صرخت بغضب وأنا الذي لا أغضب إلا نادرا

" إن دخلت ذاك الإسطبل سجنتك معها فيه تفهم "

قال بهدوء " نواس هي فرس ليست إلا "

قلت بأسى وقد عدت لهدوئي " اتركوا لي ولو الفرس

لا يشاركني أحد في شيء يخصها"

تنهد وقال " كما تريد ، أعلم أن ليلتنا ستكون سيئة بسبب

تلك الفرس ، سأقضي الليلة هناك وإن اطر الأمر

سنخدرها ولو لساعتين"

فتحت شفتاي لأتحدث فقاطعني صوت رنين هاتفي

نظرت للمتصل ففاجئني الاسم الظاهر على الشاشة

غريب فرح قد تستخدم حتى رقم الطوارئ عند أشد

حالاتها ولن تفكر أن تلجأ للاتصال بي ، أجبت فوراً

بتوجس وصمت لتصرخ تلك ما أن فتحت لها الخط

"جواد الحق وسن إحقنا بسرعة يا جواد لقد

قتلها .... شقيقك قتلها"

تحركت دون شعور وأنا أصرخ راكضاً

"لا تغب عينك عن العمال هنا يا وليد حتى ارجع"

لحق بي يجاري خطواتي وهو يقول " أخبرتك أنني

لا أستطيع ترك الإسطبلات الليلة وقد تتأخر"  
ركبت وقلت ضارباً لباب سيارتي

"ضع الفرس في الإسطبل الشاغر إذا"

وغادرت مسرعا وعيناه تتبعاني بذهول واستغراب

مؤكد سيستغرب من أن أسمح لفرس أخرى أن تعتب

حوافرها إسطبل الوسن وهو يعلم أنه لن يشغلي عن

تلك الفرس إلا سميئها بالتأكيد

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

نظر بحب لملامحها المتماسكة رغم تعبها من كثرة

حركتها اليوم ، والدته التي كسر ظهره قلة حيلته لدفع

تكاليف عملية ستسترجع بها ثلثي عافيتها وتسير على

قدميها بثبات ومن جديد ، مبلغ عجز عن جمع أكثر من

ربعه حتى الآن رغم كل هذه السنين ، ناصف الرابعة

والثلاثين من العمر وأضاع فرصة سفره لإكمال دراسته  
لأنه وحيد والدته ولأن من اعتمد عليها ذاك الحين لترفعها  
معه تركته من أجل آخر في أوج احتياجه لها

\* \* \*

قربت أناملها من وجهي وقالت بحنان  
"نزار بني غادر ستتأخر عن حصتك في أول يوم لك"  
تنهدت وأمسكت يدها قبلتها وقلت  
"للجحيم كل الحصص لن أذهب وأنتي لست  
بخير ، كم مرة نبهتك عن مغادرة السرير"  
اتكأت على الوسائد خلفها وقالت  
"أنا بخير لا تقلق علي اذهب هيا لا تضع صديقك  
في موقف محرج مع عمه الذي وظفك في مدرسته"  
وقفت لأنني أعلم عنادها إن تعلق الأمر بتركي  
لشيء من أجل البقاء بجانبها ، قبلت رأسها وقلت  
"اتصلي بي إن تعبت أكثر ، اتفقت و دعاء بأن

تتكفل منذ اليوم برعايتك حتى أعود"

قالت بعتب " ولما تفعل ذلك هي ممرضة وتلتزم

بعملها كيف ستغادر المستشفى وتأتي"

وقفت عند الباب وقلت " هي من عرضت المساعدة

وأصرت أيضا ، إن لم يعجبها الوضع ستعتذر وسنتفهمها

اقترح عليا عوني أن تأتي زوجته لك وقت ذهابي ولكنها

أم لأبناء سيتعبونك ويتعبونها"

تنهدت وقالت بأسى " سبحان الله كيف يموت الشباب

الأصحاء ويطول عمر المعلولين المتعبين"

التفتت لها وقلت بضيق

"أمي لما تقولين ذلك ، من لي ترحلي وتتركيني"

قالت بلامبالاة " في رعاية الله يا نزار أعلم أنك

تحبني لأنني أمك لكني كرهت كوني عبأً عليك"

تنهدت وخرجت لأنني أعلم أنه لا جدوى من مناقشتي لها في

هذا الأمر ، ركبت سيارتي وغادرت متجها لعملي الجديد لأوفر  
قدر أكبر من المال ، أعلم أنني لا أستطيع تقديم شيء لوالدتي  
كوني رجل وهي امرأة ولن تساعدني إلا واحدة مثلها ولكن كيف

أتزوج وأضيف حملا جديدا سيحتاج للمال أكثر ، أبناء  
وعائلة وزوجة لن تتوقف عن الطلبات ، ثم نفسي عافت  
الارتباط منذ سنين ، وإن كنت سأفعلها من أجل والدتي  
فقط فلن أحلم بإجراء عملية لها ما حييت

وصلت المدرسة مثقل بهمومي وبالي مع والدتي المتعبة  
اليوم ، عبرت الممرات حتى وصلت للفصل المطلوب  
نظرت للفتاة ( أول علمي أ )

رائع نهاية لم أحلم بها مدرس لفتيات الثانوية بشهادة هندسة  
بامتياز وتوسط من صديق لي عند عمه صاحب المدرسة

الخاصة لأدرس فيها مع وظيفة أخرى مضحكة أكثر من  
كونها مقنعة أو مربحة ، تنهدت بهدوء وطرقت الباب

طرقتين ودخلت ، ألقى التحية وجلت بنظري بين

الطالبات وأنا أدخل لتقع عيناى من فورهما على الفتاة

الجالسة بئانى مقعد جهة النوافذ ، الطالبة التى صادفتها

بالأمس فى مكتب المدير ، كان الفصل مكون من ثلاث

صفوف للمقاعد الفردية وكل صف به ثلاث مقاعد أى

تسع طالبات ، أفضل ما فى المدارس الخاصة أن عدد

طالباتها قليل ، توجهت من فوري للطاولة المخصصة

لى وضعت مذكرة التحضير عليها وسحبت

الكرسى وجلست

\*

\*

كانت الطالبات اليوم فى حوار سخيف لم ينتهى أبدا

عن كيف سيكون مدرسنا الجديد ... شاب عجوز وسيم

بارد عصبى مغازل ، ولم يتوقف حديثهم الكريه إلا

بطرفتين خفيفتين على الباب ودخوله لأفتح عيناى على

اتساعهما من الصدمة ، لا يا إلهى ليس ذاك الشاب

الذي كان في مكتب المدير وسخر من قدومي لمكتبه  
وأضحكه مني وشهد على كل ذاك التوبيخ والمسرحية  
المؤسفة أي انطباع أخذه عني حينها مؤكدا طالبة مستهترة  
وتسرح في الحصى ، نظر لنا نظرة شاملة وسط تمتعات  
زميلاتي المبهورات به بطوله وأكتافه العريض وشعره  
الأسود الناعم المسرح بإتقان ، شارب ولحية خفيفة وعينان  
رماديتان واسعتان ، وقع نظره علي للحظات فسافرت  
بنظري للأرض ألعن الحظ الذي لم يبتسم لي يوما  
مؤكد عرفني فالأمر لم يكن إلا بالأمس ، أخفضت  
رأسي أكثر ولم أسمع سوى صرير الكرسي وهو يحركه  
ليجلس عليه ثم وصلنا صوته العميق الذي غزى سكون  
الفصل قائلا بجدية " مؤكدا تعلمون أني من سيدرسكم مادة  
الهندسة التحليلية .... اسمي نزار وسألتزم معكم باقي هذا  
العام حتى نهايته لذلك سنتفاهم على أمور تكون ركيزة كي

لا تعرفوا وجهي الحقيقي لأنني سأتعامل معكم بغيره"  
كنت أسمع صوته فقط وعيناي على الطاولة تحتي ولم  
أتجرأ أن أرفعهما ، لقد عشت كل حياتي والدي يسجننا  
في قوقعة يخاف علينا من كل شيء بحكم أننا عشنا في  
الهند فلم أعرف غير الخدم أراهم من بعيد وأصدقاء  
والدي الذين لم أتحدث أو أحتك بأحدهم لأجد نفسي في  
دوامة هنا وأول رجل أكتشفه في حياتي كان زوج الخالة  
عفراء الذي أسكنني الرعب من ماذا لا أعلم ولا أفهم  
سوى تحذيرها لي أنه خطر وعلياً أن لا أتركه يقترب  
مني خصوصاً في الليل وهو يهدي ويغني ولا أعلم لما  
لم يُعلمني والداي كيف أعيش في عالم الرجال أو من هم  
وما وظيفتهم في الحياة وأي علاقة يجب أن تربطني بهم  
عشت كل حياتي وكأني لازلت في رحم والدتي ولم  
أخرج للحياة بعد ، كل ما بث أعلمه أن علياً أن لا أثق  
بهم وأن أهرب من كل من يريد معرفة سري ويقترب

مني أكثر من متر واحد ، هذا فقط ما شرحته لي تلك  
السيدة عفراء التي عشت معها أشهر قليلة قبل أن تطلب  
مني الهرب من منزلها لأي مكان لا يمد له بصلة وأن لا  
أعود إليه أبدا ، أعادني من شرودي صوته قائلا  
"لذلك عليكم أن تعلموا جيدا أن أبغض ما لدي الهمس  
والوشوشة كما حدث عند دخولي ، كلام دون إذني لا أريد  
حتى كلمة عفوا يا أستاذ ستعاقبون عليها ، تتركونني  
حتى أنتهي وألتفت إليكم ، والأهم سرحان في  
الحصاة يعني نزار لم تعرفوه بعد"  
رفعت نظري له من فوري ووجدته ينظر لي ليؤكد  
لي أنني المعنية بذلك وأني سألقى منه مالا أحب  
وقف بعدها وأمسك القلم وتوجه للسبورة قسمها لنصفين  
بحكم أنها صغيرة تكاد تكون مربعة الشكل ثم كتب معادلة  
عليها وعاد مكانه وقال " من تبرهن لي هذه بالخطوة"

لم أرفع يدي حسب القوانين الصارمة التي تضعانها  
المتجبرتان هنا ، إما نحن نجيب أو لا أحد ... رفعت إحداهما  
يدها فأشار لها بالقلم فوقفت وأخذته منه وبدأت بحل المعادلة  
حتى ملئت نصف السبورة ثم وقفت عند نقطة ولم تتقدم  
بقيت تنظر لها بحيرة وتعود وتراجع خطواتها حتى

قال " أجلسي "

جلست في مقعدها فنظر باتجاهنا وقال  
" ما رأيكم في هذا هل توجد خطوة خاطئة أوقفت الاستنتاج "

بقينا جميعنا نحدق فيه بصمت لأنه إن قالت إحدانا أنها

أخطأت تعلم ما مصيرها وستكون تهمة بالطبع تُطرد

فيها من المدرسة ، نظرت تلك البغيضة لي مباشرة

وكأنها تحذرنني أنا تحديداً ، جال بنظره بيننا وتبث نظره

عليها وهي تنظر لي ثم نظر للطاولة أمامه وطرق عليها

بالقلم عدة طرقات ثم قال دون أن يرفع نظره

"سما"

ارتجف كل جسدي من وقع اسمي على أذناي خارجا  
من شفتيه ، لم أتصور أن يكون حفظه من الأمس ولما  
أنا تحديدا من اختارها هل فهم ما عنته نظرات

وجدان لي أم ماذا!!

نظر جهة السبورة دون أن ينظر لي وتابع

" هل هناك خطأ في هذه الخطوات "

تنفست بقوة ثم قلت بصوت منخفض " نعم "

نظر لي ليزيد ارتجافي وخوفي وقال " أين "

قلت بارتباك " ف في المعادلة التكاملية الثالثة "

أشار لي بالقلم أن آخذه منه ونظره على السبورة

فوقفت ببطء وتوجهت نحوه أمسكت منه القلم فنظر

لي فارتجفت يدي ووقع مني على الأرض فالتقطته

منها بسرعة وتوجهت ناحيتها وقلت ووجهي ملتصق

بها " هل أمسح وأعيد أم أوضح الخطأ أولا "

وصلني صوته قائلا " حدي الخطأ بدائرة حوله لتعرفه  
زميلاتك وأعيدي استنتاجها في النصف الآخر من اللوحة"  
وضعت علامة دائرية على الخطأ في المعادلة دون تعليق  
منه ، لما يبدوا واثقا أنني لن أخطئ أيضا ! كل ما أخشاه أن  
يسخر مني نهاية الأمر لأن استنتاجي سيكون خاطئ مثلها  
ومنذ البداية ، تقدمت بخطوتين نحو الجزء الآخر من اللوح  
وبدأت بفك رموز المبرهنة حتى أنهيتها دون توقف أو التفاتة  
ناحيته أو تعليق منه ، تنفست بعدها براحة حتى كدت احتضن  
السيبورة حين وصلت في النهاية للاستنتاج النهائي وهي  
معادلة مطابقة للمعادلة الأصلية التي كتبها  
ابتعدت حينها عن اللوح ونظري لازال أرضا فوقف  
واقترب مني فابتعدت خطوتين وأنا أرى خطواته تقترب  
وبقيت أتراجع حتى وصلت نهاية لوح السبورة ثم وقف  
رفعت نظري إليه فوجدت يده ممدودة لي فنظرت لها  
باستغراب ثم لعينيه فأشار بإصبع يده للقلم في يدي

آه يالي من حمقاء من ارتباكي نسيت أنه يريد القلم مني

ونسيت أنه في يدي ، مددته له وما أن مد يده وأمسكه

حتى هربت بيدي تاركه إياه فنظر ليدي باستغراب ثم

لعيناي فسافرت بنظري للأرض وتراجعت خطوة أخرى

لا إراديا ، التفت حينها للسبورة وقال " ممتاز ... أجلسي"

توجهت لمقعدني بخطوات شبه راكضة من سرعتي

لأصل إليه وشرح هوا لنا المبرهنة وسط صمت الجميع

وهوا يحدد بالقلم على استنتاجي ويقول بين كل حين

والآخر ( كما كتبت زميلتكم هنا)

وبعد أن انتهى منها عاد لكرسيه وقال ونظره

على الأوراق أمامه " لتقف واحدة من الصف

الأمامي وتمسح اللوح"

كن الجالسات في الأمام طبعا ثلاثي الشر وجدان وشريكته

ومعاونتهم وهن طبعا يترفعن عن مسح اللوح والمهمة مكلفة

وحدي بها من وجدان فهي تبغضني ولا تريد من يتفوق عليها

رغم أن نصف من الفصل مستواهم أفضل منها بكثير

بقوا جالسات مكانهم ينظرون لبعض باستغراب فوقفت من

فوري بنظرة من إحداهن لأنني لا أريد خسارة دراستي

يكفيني ما خسرت ، اقتربت من اللوح فرفع رأسه

ونظر جهتي وقال " قلت من الأمام ما أخرجك أنتي "

نظرت له بصمت فقال بحدة " لما غادرت مقعدك "

قالت بصوت مخنوق " لأن ... لأنني " ...

قال بضيق " لأنك ماذا تكلمي "

نظرت للأرض وقلت " لأنني أنا من تمسح اللوح "

قلتها وليحدث ما يحدث وجدان أرحم لي منه ومن حدته

نظر لي مطولا باستغراب وصمت ثم قال

" عودي لمقعدك "

عدت من فوري لمقعدي وسمعت صوته يقول

" أنتي امسحي اللوح "

التفتت للخلف فكانت وجدان واقفة ومن صدمتي كدت

ابتسم أو أضحك عليها كما تفعل بي ، مؤكد لم يفعل

ذلك قصدا ولا يعلم ما تفعله لكنه انتقم لي منها ولو

لمرة وبالخطأ ، مرت باقي الحصة شرح لنا فيها بعض

المفاهيم الهندسية بإيجاز وتبسيط وطلب منا نقلها معه

وفي كل مرة كانت وجدان طبعا من تمسح اللوح ، لا

أحب الأساتذة الذين يكلفون الطلبة بمسح اللوح وفتح

الباب لأنها أعمالهم ويترفعون عن القيام بها لكني

اليوم لم أشعر إلا ببهجة الانتصار

ضرب جرس نهاية الحصة فتوجه للطاولة يجمع

أوراقه في مذكرته وهو يقول " في كل حصة سيكون

هناك سؤال في بدايتها كالיום فلا أريد استهتار ، الواجب

علي الشرح وعلكم الفهم والإجابة"

ثم نظر لنا وقال " هذا وقت الفسحة أليس كذلك"

أجابت سلمى " نعم "

وضع مذكرته على الطاولة من جديد وقال

"يمكنكم المغادرة باستثناء .... سما"

تبيست حينها في مكاني وأنا أهم بالوقوف لأغادر

مع البقية ، ما يريد مني بعد؟! وكيف أكون أنا وهو

وحدنا في الفصل! وزاد الأمر سوءاً جملته التي قالها

لآخر طالبة تخرج " أغلقي الباب خلفك "

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

"بيسان هيا لا تتعيني معك ستأتي الحافلة قريباً"

قالت وهي تلف خصلات من إحدى جديلتها بأناملها

الصغيرة في محاولة للفها " ماما لما لا تصبح ملفوفة

مثل الكونتيسات لقد تعبت يداي "

اقتربت منها أبعدت يديها من جديلتها وقبلت خدها وقلت

ونظري على عينيها في المرأة " لأن شعرك حريري

وذاك الزمان كانوا يضعون شعرا اصطناعيا فيستحيل

للشعر الطبيعي أن يكون بتلك اللفافات المتناسقة"

التفتت ونظرت لي وقالت بعبوس

"أريد واحدة مثلهم إذا"

ابتسمت وقلت وأنا أرفعها من الكرسي

وأوقفها" طلبك لا وجود له في الأسواق

هيا بسرعة انزلي لتتناولي فطورك"

خرجت من الغرفة متضايقة تنفض فستانها الطويل

كم تتعبنى هذه الصغيرة بحالميتها حتى أنها سببت

لي مشكلة كبيرة مع مديرة مدرستها ليسمحوا لها بارتداء

فساتينها هذه في المدرسة تحت الزي المدرسي ولم

أقنعهم إلا بصعوبة ، نزلت للأسفل بعدما مشطت لأمجد

شعره ككل يوم وجهزت ترف لأخذها في طريقي لروضة

الأطفال لأن حافلتهم تأتي متأخرة بعد ذهابي ، وصلت

طاولة الطعام ورفعت ترف لأجلسها على الكرسي

رغم أنها في الخامسة طولها لا يزداد أبدا

جلست على صوت أمجد وهو يقول

"ماما انظري كيف تأكل المربي"

نظرت لها وقلت بضيق " ترف كم مرة سنشرح

أنها مربي للأكل وليست ملمع شفاه"

قالت وهي تدير إصبعها الصغير المليء بالمربي

على شفتيها الممدودة " سأأكله ماما أحسه من شفتي"

وقفت وتوجهت نحوها أبعدت يدها ومسحت شفاهها

بالمنديل وقلت بحدة " ترف لا تطريني لضربك

على يدك هذه المرة ، اليوم لن تأخذي حصتك

من الحلوى عقاب لك"

رفعت نظرها لي وقالت بعبوس " لا الحلوى لا"

قلت وأنا أعود مكاني " انتهى الموضوع

وأعيديها مرة أخرى وسأضربك"

نظرت للجالسة بصمت تقطع حتى الخبز بالشوكة

والسكين ثم قلت بابتسامة " تعلمي من الكونتيسة

بيسان كيف تأكل بلباقة"

نظرت لي بابتسامة واسعة وقالت " نعم لا ألمس الطعام

بيدي وأمسح فمي بالمنديل بعد الانتهاء مثلهم تماما"

ابتسمت وقلت " جيد ولكن الخبز لا بأس

تمسكيه بيدك لقد عذبتة"

هزت رأسها بالرفض دون كلام على صوت منبه

حافلة مدرستهم فوقفت قائلة " هيا بسرعة لتخرجوا

للحافلة لقد وضعت لكم الطعام في حقائبكم

في حال لم تعجبكم وجبة المدرسة"

ثم قلت وأنا أعدل لهما ملابسهما " أمجد اهتم

بشقيقتك ولا تغب عن ناظريك في الفسحة حسنا"

حضني وقبل خدي وقال " أجل ماما حفظتها"

ابتسمت له على شعوري بشفاه بيسان وهي تقبلي

برفق وتقول " وداعا إمبراطورة "

ابتسمت وعدلت لها جدائلها الذهبية وأنا أقول

"وداعا يا ملكة الإمبراطورية اعنتي بنفسك حبيبتي"

خرجا من المنزل وقد أوصلتهما حتى صعدا الحافلة ثم

عدت للداخل ورفعت الصغيرة المشاغبة من الكرسي

لأنها لن تغادر الطاولة قبل أن تعبت بكل الأطباق

أخذتها معي للأعلى لأغير لها ثيابها من جديد وخرجت

أنا وهي من المنزل على صوتها الطفولي وهي تتحدث

عن كل ما نمر به في الطريق ونراه حتى أوصلتها

لداخل الروضة وغادرت لعملي

\*

\*

"نعم سيدي كل شيء جاهز"

نظرت للمكان نظرة تفحصيه ثم قلت " لا تسمحوا لأحد

بالاقتراب وخذوا صور للموقع من جميع جهاته ، على هذه

المهزلة أن تنتهي ونجد المسئول عن كل هذا"

"سيد جابر مكالمة من مدير قسم الشرطة"

أخذت منه الهاتف دون أن أنظر اتجاهه وأجبت

من فوري " نعم يا أسعد"

قال بهدوء " هل وصل الفريق للموقع"

قلت بجدية " منذ نصف ساعة ولحقت بهم وأنا

معهم هناك هل من جديد لديك"

قال من فوره " الشرطيان اللذان كانا يراقبان المكان

حددوا خمس أشخاص دخلوا هناك ونحن في طريقنا

للقبض عليهم وسنحيلهم لك للتحقيق"

قلت بضيق " شريكهم السابق لم ينطق حتى الآن وهؤلاء

فلن يكونوا أيسر منه ، سأعرف بطريقتي من سيكون منهم

ولن يرحمه مني هذه المرة إلا الموت .... وداعا"

أعطيت جهاز ألاسلكي للواقف بجواري وأخرجت هاتفني

واتصلت من فوري بنزار ، هذه المرة سيحدد لي من منهم

وسأنهي هذه المسرحية الدموية ، اتصلت به مرارا ولكنه لم

يجيب ، آه كيف نسيت اليوم بدأ دوامه في المدرسة

أرسلت له رسالة لنتقابل وغادرت المكان قائلا

"لا تغادروا المبنى حتى أعود إن وجدتم شيئا اتصلوا بي"

خرجت من هناك متوجها للمصنع الذي تعمل به تلك الفتاة

عليا أن انهي هذا الأمر سريعا وأريح دماغي من إصرار

والدتي ، أتمنى أن لا تنفخ لي تلك الفتاة رأسي بنحيبها

وبكائها وتطرنني لاستخدام أسلوب لن يعجبني ولن يعجبها

وصلت المبنى ودخلت بخطوات ثابتة وتوجهت من فوري

لمكتب مديرهم الذي استقبلني بترحاب عكس الأمس وهمس

لي مجددا " سيدي إن كان للفتاة سوابق أو جرائم

أخبرني لأصرفها من العمل "

ضربت بيدي على الطاولة وقلت بحزم " أخبرتك بالأمس

أن ملفها نظيف فلا تقطع رزقها لأقطع لسانك "

ارتبك بشدة ثم قال " آسف ويمكنك مقابلتها هي تعمل

في قسم التطريز ، القسم الذي زرته بالأمس "

وضعت ساق على الأخرى وقلت

" أطلبها للمكتب هنا واتركنا وحدنا "

بلع ريقه ثم وقف وخرج دون تعليق

\*

\*

كنت منشغلة بما في يدي حين همست لي سوسن

قائلة " مدير المصنع متجه نحونا كالصاروخ

لا يبدوا الأمر مبشرا بالخير "

قلت بلامبالاة ونظري على القطعة في يدي

"هل فعلتي شيئاً تخافين منه"

قالت من فورها " لا ولكنه لا يزور إلا ليبشر بالشر"

دخل ويداه وسط جسده وقال بنبرته المتعجرفة

"آنسة أرجوان هلا لحقت بي لمكتبي"

نظرت له باستغراب بل باستنكار فقال بغرور

"لا يشطح بك خيالك بعيدا لا حاجة لي للانفراد

بك ، أحدهم يريد مقابلتك"

نظرت لسوسن ثم له بصدمة وقلت

"مقابلتني أنا وفي مكتبك" !!

قال مغادرا " نعم رئيس الشرطة الجنائية فانظري

لنفسك ما فعلته ليأتيك هنا وبِنفسه"

وقعت قطعة القماش من يدي وأنا أنظر لمكان مغادرته

بصدمة ثم نظرت جهة سوسن التي قالت بحيرة

"لابد وأنه الذي زارني بالأمس يسأل عنك هنا

علمت أنه لن يكون شخصاً عادياً ولم أتخيل حياتي

أن أتحدث معه وجها لوجه ، ما الجريمة التي ارتكبتها"

قلت بضيق " آه بربك سوسن هل تعرفيني مجرمة قبلا"

ثم تابعت بخوف " ولكن ما الذي يريد مني

أنا وبالتحديد ومن أين يعرفني"

ضحكت وقالت " يبدو أنك شهدت على

جريمة ما وسيحقق معك"

وقفت وقلت ببرود " لكان استدعائي لمكتبه

لما يتنازل ويأتيني بنفسه"

ضحكت وقالت " سلمي لي عليه وأخبريه أن لي

زوجا شرطيا متواضعا لعله يرقيه"

هزرت رأسي بيأس وغادرت متجهة للمكان الأبعد عنا

وهوا مكتب مدير المصنع وكل الظنون والهواجس

زارتني حينها ولعبت بي ، طرقت الباب طرقات خفيفة

ودخلت لأجد رجل بل شيء مخيف يجلس مستندا

بمرفقيه على ركبتيه ورأسه للأسفل ، يرتدي بنظالا

وقميص وربطة عنق دون سترة وأكمامه مثنية حتى

ما يقارب مرفقيه و عضلات جسده تكاد تمزق

القميص من عليه وحتى أصابع يديه مشدودة بقوة كأنه

ملاكم وليس ضابط تحقيقات ، بلعت ريقى واقتربت منه

وهوا على حاله لم يرفع رأسه ولم أرى وجهه حتى

قلت بارتباك " سيد سيدي هل " ....

رفع رأسه ونظر لي بعينان سوداء ثاقبة حتى كدت

أهرب من الجدار ، كانت له ملامح وسيمة لكنها حادة بشكل

مخيف غلب على وسامتها ، بلعت ريقى للمرة ما يقارب

العاشرة فعدل جلسته وقال " أغلقي الباب واجلسي "

بقيت أنظر له بتوجم فقال بحدة " هل سأكرر كلامي مرتين "

تبتت نفسي قدر الإمكان وقلت بجدية " لا يا حضرة

الضابط هذه ليست مهزلة ، ما تعني بأغلقي الباب

واجلسي هل نحن في فيلم بوليسي "

قبض على يده بقوة لتبرز عروقها أكثر وقال بابتسامة

غيض " لا رومانسي أفضل "

نظرت له بعينان تكادان تخرجان من الصدمة فقال ببرود

" لا تطريني للقسوة معك سأعاملك بلين كامرأة ولأول

مرة في حياتي فتعاملي معي باحترام وافعلي ما قلت "

هزرت رأسي وقلت " لا يا سيد من الاحترام أن لا ينغلق

باب عليا أنا ورجل لا أعرفه ، هلا أريتني ورقة الأمر

بالقبض علي أو إحالتي للتحقيق "

ضحك ضحكة ساخرة وقال " هل تريدي أن

أكتب ورقة للقبض عليك وأحيلك للتحقيق "

قلت بخوف داخلي وجمود ظاهري لا أعلم إن كان يراه

أم يرى خوفي " أخبرني ما تريد والباب مفتوح

وأنا واقفة هنا مكاني "

ضرب بيديه على ركبتيه ووقف ليظهر طول المخبف

وتوجه للباب مارا بجواري وأغلقه بقوة ثم سحبني من  
معصم يدي ورغم مقاومتي الشديدة له لم أربك ولا حتى  
أبسط حركاته ، كان يمسك معصمي بقوة حتى أجلسني على  
الكرسي وترك يدي وجلس مكانه مقابلا لي فقلت وأنا أفرك

معصمي مكان قبضته " لم أعرف أن رجال القانون  
لا يحترمون الـ" .....

صرخ في وجهي مسكتا لي " لا تفقديني أعصابي  
يا آنسة فلست بمزاج لك تفهمي"

بيست مكاني أرمش ونظري على عينيه فتأفف وأخذ  
أوراقا من أمامه ورماها أمامي وقال بضيق

"ألقي نظرة على هذه واقربي الأسماء فيها بصوت مرتفع  
لنرى وبدون كثرة كلام ودموع وحركات أفلام النساء"

بقيت أنظر له بتوجم فلم أستوعب أو أفهم مما قال  
شيئا فقال بحدة " ارفعيها"

نظرت للأوراق أمامي ثم رفعتها وكانت مجموعة أوراق

نظرت للأولى ثم نظرت له بصدمة فقال

"عقد زواج وموثق أليس كذلك"

هزرت رأسي بنعم دون كلام فقال " اقرئي الأسماء"

بلعت ريقى وقرأت " جابر سيد حلمي و حسناء خليل أحمد"

مد لي ببطاقة أخرجها من جيبه فأخذتها منه فكان فيها

صورته والاسم تحتها ذات الاسم في العقد فقال بجدية

"انظري للأخرى"

قلبت الورقة تحت الأخريات ووقفت مفجوعه ما أن

قرأت الاسم فيها ثم نظرت له بصدمة فقال

"أضنك قرئت جيدا الاسم ( أمجد جابر سيد حلمي)

والتي تحتها ستكون ( بيسان جابر سيد حلمي)

والتالية ( ترف جابر سيد حلمي" )

من صدمتي وقعت جالسة على الكرسي دون حراك

نهاية الفصل الثاني

## الفصل الثالث

يسمحون لأوجاعهم أن تبكي ويتهموننا بها

ولا يحق لنا نحن أن نتوجع

\*

\*

لم يكن يوماً لأتخيل موتها أو مرضها أو ألمها

أي شيء إلا هي أي أحد إلا تلك

أنا ... نعم حتى أنا أما هي فلا ، نزلت ركضاً

بعدما وصلت في وقت قياسي بسبب سرعتي الجنونية

وصعدت السلالم وطرقت باب تلك الشقة بعنف ونسي

عقلي أن يخبرني أنني أملك المفتاح ، فتحت لي أول

المفاجئين بقدومي أنا تحديداً وفي هذا الوقت بالذات

لتقول بصدمة " نواس " !!

اجتزتها وكأنني أدفعها دفعاً من أمامي وتوجت من

فوري لغرفتها وفتحت الباب بقوة ليهالني منظرها متكورة

على الأرض تنن بألم ممسكة لمعدتها وشقيقتها تحاول التحدث

معها وفهم ما بها وأنا لا أستمع سوى لأنينها المتألم المختلط

بالبكاء المكتوم ، نظرت لي فرح بصدمة وكان هذا الرجل

مكانه في هذا المنزل أمر مستحيل فألجمتها الصدمة وأنستها

سيل الشتائم التي كانت تتوعدني به ما أن تراني

دخلت دون أي تردد أو تراجع ودون أن تتحول عيناى عنها

ولا برمشه صغيرة ، توجهت نحوها لأمارس حق المسئول

عنها ، لم أتحدث معها ولم أحاول سؤالها ما بك أجيبى !؟

بما تشعرين !! هل آخذك للمستشفى

كل ما فعلته تلك اللحظة أن حملتها من الأرض بين

ذراعي كما حملتها طفلة في ذاك اليوم وهي مريضة بالحمى

لأوصلها لداكان والدها ليأخذها للمستشفى ، لم أكن أحمل

لها ذاك الوقت أي مشاعر غير مولودة لخالتي بين يداي

وها قد أعاد التاريخ نفسه وحملتها اليوم ليس كحملي

لها ذاك اليوم وليس بمشاعر كمشاعري تلك اللحظات

حتى خوفي عليها كان مختلفا ، يقولون أنه بقدر الحب

يكون الجرح فهل بقدر الجرح يزيد الحب ! هل تصح

هذه المعادلة الآن أم هي المسئولية على عاتقي ليس إلا

نزلت بها للسيارة وضعتها في الكرسي بجانبى وغادرت

بها كما جئت بأقصى ما أستطيع من سرعة ونظري عليها

أكثر من الطريق وهي تحضن خصرها بشدة وتتكى على

زجاج النافذة عند أبعد نقطة لها عني لتحاول كتم أنينها

وإخفاء دموعها التي بقيت وحدها تعبر عن كل ذلك الألم

لم أحاول التحدث معها سوى مرة واحدة حين ناديتها

باسمها ولم تجيب فلذت بالصمت فأنا أكثر من يقرأ

صمتها قبل حروفها ، كانت المرة الأولى التي أناديتها

باسمها ولا تجيبني فعلمت حينها أن أول الخيوط

الرفيعة بدأ ينقطع ( هنيئا لك أيها القدر المرير)

كانت تلك أولى الجمل التي حدثتني بها نفسي حينها

وأنا موقن أنها لن تكون التهنئة الأخيرة له

وصلت بها للمستشفى وجلست أنتظر في صمتي

وهدوني المعتاد ولا يعلم ما يحدث في داخلي من

ضجيج غير قلبي، آخر ما كنت أتصوره أن تمرض

وسن يوم مرض الوسن ، أن تمرض الفرس وفارستها

في ذات الوقت ، أن يضرباني بخنجرين في ذات اليوم

وذات المكان ، بعد لحظات دخل جواد وفرح ووالدتها

مسرعين نحوي لأتذكر حينها فقط أنني تركت عائلتها

خلفي ولم أفكر حتى في جلبهم معي

\*

\*

كنت أتصور أن يؤثر وقع الخبر على وسن

لكني لم أتخيل أن يكون هكذا ، تصورت أن يغمي

عليها أن تصرخ وتبكي بهستيرية على غير عاداتها

لكن ما حدث معها صعقتني وفتت قلبي وأنا أراها تتلوى

على الأرض من الألم ، سحقا لهذا الشيء البغيض

المسمى حب ، وصل ذاك المغرور وأخذها من بيننا

دون حتى أن يسأل إن كنا نريد الذهاب معه

متهكم يضمنها ستبقى دائما شيء يخصه هوا ويتحكم به

ويعجز عن مجرد فهم أسبابها وتفهم ما كانت تمر به

وكأنه يستمتع بتعذيبها وهي ترتجي منه الصبح والغفران

لكني أعرف شقيقتي جيدا ما أن يخرج وحش القوة من

داخلها ستنسفه وتنسف مشاعرها معه وأتمنى أن يكون ذلك

قريبا ، كم تمنيت أن قطعت إصبعي الذي اتصل به بالخطأ

بدلا عن جواد ، لكن ليس الآن لن أقطعه لأنني سأشير به

لوجهه يوما وأنا أخبره بأنه هوا من أضاعها منه ولا يبحث

عنها مجددا ، اتصلت بجواد فجاء بسرعة لأخذنا حيث طار

بها ذاك المغرور ، وصلنا عنده وكل واحد منا يلقي سؤاله

بصيغة مختلفة وفي نفس وقت فقال بضيق

"لا تتحدثوا جميعكم لم أفهم منكم شيئاً"

تمت حينها بكره " مغرور ولن تتغير أبداً"

نظر لي من فوره وكأنه قرأ همسي أو فهمه

فأشاحت بنظري عنه وقلت ببرود

"ماذا قال الطبيب عن نتائج أفعالك بها"

كنت أعلم أن رجلاً كنواس ما كانت لتستفزه كلمات

من فتاة في نظره مجرد مراهقة في ثوب امرأة فهذا

رأيه بي دائماً ، نظر جهة والدتي وقال بجدية

"ماذا حدث؟! كيف مرضت وهل هي المرة الأولى"

نظرت لي من فورها فاستلمت مهمة الإجابة عنها

قائلة " ليس من مصلحة أحد وأولهم وسن

أن تعلم كيف ولما مرضت"

نظر لي بجمود وبدون تعليق لأنه فهم الجواب فأنا

من غبائي قدمته له جاهزاً ، عاد بنظره لوالدتي وقال

"هل هي المرة الأولى"

ما أن فتحت فمها لتتحدث حتى قفز واقفا لأنه يرى

ما يحدث خلف ظهورنا وهو خروج الطبيب من

غرفتها نظرنا جميعنا باتجاهه فقال بهدوء

"من ولي الفتاة والمسئول عنها"

قال نواس من فوره " أنا"

قال مبتعدا بخطواته " اتبعني من فضلك"

سار خلفه ولحقنا به جميعنا ودخل معه لغرفة الطبيب

وبقينا نحن في الخارج وكأنه وحده الأحق بمعرفة ما بها

\*

\*

جلست أمامه محاولا اختراق عينيه وفهم ما يجري

لما لم يقل مجرد ألم بسيط وأعطيناها مهدئ وستغادر

معكم ، لما لم يقل سوء تغذية أو إرهاق بسيط أو حتى

انهيار عصبي بدلا من الاختلاء بي هكذا هل سيصفني

هو أيضا على قلبي كما فعل بي الطبيب البيطري اليوم

وهوا يخبرني أنه علينا نقل الوسن للعيادة ، قلت بتردد

"ماذا هناك أيها الطبيب"

تههد وقال " ما صلة قرابتك بها ؟ هل أنت زوجها"

ابتسمت بألم وقلت " لا ولكني وليها القانوني وأنا ابن خالتها"

قال من فوره " أريد من يجيبني عن بعض الأسئلة

أعني شخص يعيش معها"

وقفت في صمت وخرجت لهم وقلت ناظرا لزوجا

والدها " هلا دخلتي معي يا خالة"

نظرت لابنتها ثم لي وقالت " بالتأكيد"

دخلت وهي تتبعني وجلسنا أمام الطبيب الذي قال من

فوره " هل عانت من هذه التقلصات والآلام سابقا"

قالت بعد صمت " أمامي لم يحدث"

قال " هل تشتكي من معدتها دائما"

قالت " لا"

قال مباشرة " هل تتقيأ دائما هل تلازمها

نوبات إسهال هل ؟ لاحظتم شيئا"

قالت بحيرة " لا أعلم"

قال بنفاذ صبر " ومن سيعلم ألسن تعيشين معها

أحضروا لي من يملك أجوبة لو سمحتم"

قالت من فورها " لا أحد يملك جواب ما تريد لأن

وسن لم تشتكي حياتها من شيء إن شعرت بالألم

أو الحزن سجننت نفسها في سريرها ولا شيء

ولا حتى بكاء ولا كلام فمن سيجيبك"

تنهد وقال " كما توقعت إذا"

خرجت من صمتي وقلت " كما توقعت

ماذا؟! أخبرني ما بها"

نظر جهة زوجة والداها وقال

"ما ملاحظتك على طعامها"

صمتت لبرهة تفكر ثم قالت

"أحياننا ترفض الطعام"

قال " هل ترفض أكله نهائيا أم تجلس

على الطاولة ثم تغادر"

أجابت من فورها " لا ترفضه نهائيا"

كتب شيئا في الورقة أمامه ثم نظر لها وقال

"أخبرتني أنها تنزوي على نفسها عند الحزن

فكم يطول ذاك معها وكم يتكرر"

نظرت جهتي ثم قالت " ليلة كاملة"

قال من فوره " كيف تعبر عن انفعالاتها أحياننا"

هزت رأسها وقالت " بلا شيء فقط تقول أنها تريد النوم

لم يسبق حتى أن اشتكت في حياتها مما يضايقها وعند

الصباح تبتسم وتتحدث وكأن شيء لم يكن"

حك حاجبه بقلمه وقال " متى يحدث ذلك"

تنهدت وقالت " العام الماضي كان بكثرة

هذا العام نهاية كل أسبوع"

قالت جملتها الأخيرة ونظرها علي فأنا من يعلم

كما تعلم هي أن ذلك اليوم موعد زيارتها لخالتها

المريضة التي تكون والدتي ، تنهد الطبيب

وقال " هي القرحة النفسية إذا"

نظرت له بصدمة وقلت " قرحة ماذا" !!

قال بهدوء " أتمنى أن لا تكون وصلت لمرحلة التقرحات

وسنفهم ذلك منها وحدها مادام لا أحد يملك الأجوبة"

نظرت للجالسة أمامي بصدمة لا تقل عن صدمتها ثم نظرت

للطبيب وقلت " كيف نفسية لم أعلم أن للقرحة أنواع"

قال " هذه إحدى الأمراض النفسجسدية وهي تعرف

بهذا الاسم لارتباطها بالحالة النفسية وهي المسبب

الأساسي لها وتكون نتيجة للكبت النفسي"

بقيت أنظر له بصدمة فتابع " الضغوطات النفسية

المصحوبة بالكبت النفسي تؤثر على المنطقة الدماغية

المسئولة عن التوتر والانفعال وبالتالي تؤدي للزيادة في

حركة اضطراب وظائف الجهاز الهضمي بإفراز هرمونات

عصبية تؤدي للتقلصات والآلام وتتطور للتقرح وكل هذه

الأعراض نفسية لا تجدي معها الأدوية ولا الكشوفات

تزداد بالإطراب النفسي نتيجة للكبت ولا تخف إلا

بتخفيف تلك الضغوط"

كانت عيناى تتنقل بين عيني الطبيب بذهول محاولا

استيعاب ما أسمع ثم قلت " ماذا تعني بلا تجدي

معها الأدوية والكشوفات"

تنهد تنهيدة طويلة وأجاب " أعني أنه ثمة أمراض

مرتبطة بالحالة النفسية تصيب القلب، الأمعاء

،المعدة ، الدماغ وحتى الجلد وتكون مسبباتها

الكبت عند المريض يتوهم أنها لأسباب عضوية

فيبحث عن الأدوية ويجوب المستشفيات والعيادات

وبلا فائدة وفي النهاية يكون الجواب أنت لا تشكي

من شيء والحقيقة أنها نفسية فقط"

قال بحيرة " وكيف شخصت ذلك قد يكون

مجرد مرض عضوي"

هز رأسه وقال " يمكنك السفر بها حيث تريد و ستعود

إلياً هنا فمئذ رأيتها للوهلة الأولى علمت أنه أعراض

تلك الأمراض التي تسببها تلك المنطقة في الدماغ"

كتب شيئاً جديداً في ورقته وتابع " رسالتي التخصصية

في أمريكا كانت عن هذه الأمراض تحديداً وأعرف

المريض بها من النظر لعينه ولا أنصحك بأن تدمر

صحتها بنقلها لطبيب آخر كي لا تصل لمرحلة

اضطراب البلع النفسي"

قلت بصدمة " وما يكون ذلك"

نظر لنا ثم قال " في المرحلة المتقدمة من توهان

المريض في هذه الحالة بين الأدوية والمستشفيات

تتشكل لديه حالة نفسية جديدة وهي أنه لا يمكنه

بلع الطعام وتسمى باضطراب البلع النفسي

ويتوقف عن الأكل نهائياً"

قلت بضياح " والحل"

رفع كتفيه وقال " لدى الأطباء النفسيين

وليس العضويين"

قلت بضيق " بما تهدي لن آخذها لطبيب نفسي أبدا"

ابتسم بسخرية وقال " متى سنتحرر من معتقد أن

الطبيب النفسي لا يذهب له إلا المجانين"

قلت بجمود " أعلم أنه ليس المجانين من يذهبون له

لأنه هوا من يذهب لهم في مستشفياتهم"

ابتسم وقال " يعجبني ذكائك فلما اعترضت إذا"

قلت بضيق " لأنهم يزيدون الأمور سوءاً في أغلب

الأحيان ويوهمون المريض بما ليس فيه"

قال بذات ابتسامته " هل جربت أحدهم يوما"

قلت من فوري " لا طبعا ولكن لي صديق

عانى من أحدهم حتى كاد يفقده عقله"

تنهد وقال " أنا نصحتك وأنت حر سأكتب لها بعض

المسكنات تأخذها عند الحاجة ولن ننفعها بشيء غيره

ولازلت أكرر وأقول لا تضيعها بين الأطباء والمستشفيات

وستلاحظ بنفسك أنها حالة نفسية تظهر عند الضغوط

النفسية المكبوتة وستصدق كلامي"

ناولني وصفة العلاج وهو يقول " يمكنكم إخراجها

ما أن تستفيق وتنتهي قارورة المغذي ، حمدا

لله على سلامتها"

أخذت الورقة منه ووقفت من فوري وخرجت

وزوجة والدها تتبعني ، نظرت لجواد وقلت

" عد بهم للمنزل سأعيدها بنفسي ما أن تستفيق"

قالت فرح بضيق " لا سنبقى هنا ونأخذها معنا"

قلت بأمر " قلت أرجعهم للمنزل يا جواد"

نظر لها وقال " هيا لنغادر ليس وقت مشاحناتكما"

نظرت له وقالت بغضب " زوجي أنت أم هوا"

ثم قالت مغادرة " كان يفترض بي أن

تزوجته هوا وليس أنت"

نظر لي نظرة أفهم مغزاها جيدا ثم نظر لوالدتها وقال

" هيا يا خالتي نلحق بها قبل أن تتهور بفعل جنوني"

ثم غادر وهي تتبعه ، إن كان ثمة من ستنزح الأخوة

بيني وبين جواد فستكون ناقصة العقل تلك

تنهدت بضيق وعدت جهة غرفتها وفتحت الباب بهدوء

ودخلت كانت نائمة وتتنفس بهدوء ، اقتربت منها وجلست

أمام سريرها ومددت أصابعي ليدها ثم أعدهم بسرعة

وأشحت بنظري جانبا أمنع نفسي لست أعلم مما ، من

النظر لها أو من التعاطف معها ، ما الذي أوصلنا إلى

هنا يا وسن ، لما فعلتي ذلك بي هل أنا طفل في نظرك

لهذه الدرجة لتصيري خطيبة غيري وزواجنا قريب

دون أن تعلميني قبلها وكأني نكره وكأني شيء وجوده

كعدمه ، لما لم تفكري بي حين جاءني الأعراب يخبرونني

عن خطبتك لغيري ويا لا السخرية أخبروني وأنا في السوق

أشتري أثاث غرفة النوم ، كنت كالمهرج أمامهم بل كان

مظهري مضحكا أكثر منه وأنا أنكر ذلك وأقول

لهم أنتم تكذبون وأن ذلك لم يحدث ، بعد وقت

فتحت عيناها ببطء وجالت بهما في الغرفة حتى

وقعتا علي فقلت بهدوء " الطيب طم" ....

توقفت عن الكلام مصدوما حين جلست من فورها

ونزعت إبرة المغذي من يدها ورمتها بطول يدها ووقفت

خارج السرير فوقفت أيضا وقلت " وسن هل جنت "

صرخت بغضب " أخرج من هنا هيا "

بقيت أنظر لها بصدمة فأمسكت أوراق الكشوفات

ورمتني بهم وقالت بصراخ " أخرج من حياتي يا نواس "

بقيت أنظر لها بصدمة فمرت من أمامي وخرجت من

باب الحجرة وأنا أسير خلفها بسرعة في الممر أناديها

أمرها بالتوقف ودون جدوى وكأني أتحدث مع الجدار

أدركتها أخيرا وأمسكتها من يدها وأنا أقول

"وسن توقي عن هذا"

رمت بيدي عنها في صمت دون أي حرف ودون أن

تنظر إلي وتابعت سيرها متجاهلة إياي تماما

وصلت لخارج المستشفى فركضت خلفها وأمسكت يدها

بقوة وسحبتهما جهة السيارة فتحت الباب وأجبرتها على

الصعود وهي تقاومني في صمت وكأنها بكماء ، أدخلتها

لها بالقوة وأغلقت الباب وركبت وخرجت بها من المستشفى

وأنا أكتفي بالتأفف وضرب المقود حتى كدت أحطمه وهي

تحاول فتح الباب والسيارة تسير فخرجت من صمتي

وقلت بغضب " مجنونة أنتي يا وسن ما الذي قلب حالك هكذا"

كانت تهز الباب وتضربه بقدمها دون كلام ثم اتكأت على

زجاج نافذته بيدها وانخرطت في نوبة بكاء شديدة

حاولت التحدث معها ودون فائدة وكأني أرى أمامي

وسن أخرى بل فتاة لم أعرفها من قبل ، انحنت بعدها

تمسك خصرها بقوة فقلت بغضب " أيعجبك هذا

كل ما أنتي فيه الآن من ألم بسببك أنتي"

وصلت عندها للصيدلية نزلت بسرعة بعدما أغلقت

باب السيارة واشترت المسكن الذي وصفه لها الطبيب ثم

عدت لها وأخذتها للمنزل ، وصلنا ففتحت لها الباب وناولتها

كيس الدواء فأخذته مني ثم نزلت من السيارة ورمته بطول

يدها في الشارع ودخلت باب عمارتهم وصعدت للأعلى

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

كنت واقفة أنظر له بصدمة ، كيف يخرجن جميعهن

وأبقى وحدي معه ! كيف يغلقون الباب خلفهم ويتركوني

هنا ، ما يريد مني هذا !! لما الرجال يعشقون غلق الأبواب

علي معهم ، هل سيفعل كما فعل زوج الخالة عفراء حين

أغلق الباب علي وبدأ يسحبني من ساقي ولا أعلم لما وهي

تصرخ به من الخارج وتطلب مني أن اهرب منه ، ما

يريدون مني ماذا؟؟ جلس على الكرسي ونظر لي وقال

"لما لم ترفعي يدك لتجيبني"

كنت أنظر للباب وكأن عقلي يقول لي أهرب فوراً

نظرت له ثم نظرت للطاولة تحتي وقلت بتوتر

"كنت خائفة من أن تكون الإجابة خاطئة"

قال بعد صمت " لا تكذبي في الجواب عن السؤال

الثاني ، لما أنتي من يمسخ اللوح دائماً"

نظرت له وقلت بعينان تمتلئ بالدموع

"أستاذ لا أريد خسارة دراستي أرجوك"

نظر لي مطولا بحيرة ثم قال " ولما ستخسرينها "

أخفضت رأسي وقلت " أوقفني لأجيب كلما أردت "

وسأمسح اللوح دائما ولا تسألني لما أرجوك "

تنهد بقوة وقال " سما ارفعي رأسك وانظري إلي "

رفعت رأسي ونظرت له فقال " الفتاة في الأمام "

في المقعد الأوسط هي السبب أليس كذلك "

لذت بالصمت فقال " ستجيبين على سؤالي أو "

لن نخرج من هنا إلا لمكتب المدير "

هزرت رأسي بلا دون كلام فقال " إذا تكلمي "

قلت بدمعة نزلت من عيني " ولن أخسر دراستي "

نظر للطاولة تحته وقال " لن تخسري شيئا فلا تبكي "

مسحت دموعي وقلت " هي والطالبتان في "

الأمام يمنعون غيرهن من الإجابة "

رفع رأسه ونظر لي وقال " في جميع الحصص "

قلت " نعم "

هز رأسه وقال " أي جنون هذا وكيف تسكتون لهم"

قلت من فوري " من تعترض يلفقون لها تهمة

ضد القوانين وتطرد من المدرسة ، أرجوك لا

تتحدث معهم في الأمر ، جميع مدرسي المواد باتوا

يعلمون بمستوى الطالبات من أوراق الامتحان"

وقف وقال " أنا لا يعجبني هذا الوضع"

وصل عند الباب فقلت " أستاذ لا" ...

قال دون أن يلتفت إلي " لا تقلقي لن يعلموا شيئاً"

ثم خرج وتهاويت أنا على المقعد ، يا إلهي أي كارثة

هذا من أول حصة له معنا حدث كل هذا فما سيبقي لباقي

العام، حمدا لله على الأقل لم يسحبني من ساقاي فلن أجد

الخالة عفراء هنا لتضربه على رأسه كما فعلت مع

زوجها اتكأت على طاولة المقعد مسنده لرأسي بذراعي

فدخلت وجدان ورفيقتها ووقفت عند رأسي وقالت

واضعة يديها وسطها " ماذا كان يريد منك الأستاذ

نزار ولما أغلق الباب عليكما"

عدلت جلستي وقلت ببرود

"وبخني لأنني وقفت لأمسح السبورة"

قالت ببرود مماثل " ولما يوبخك وحدكما"

وقفت وقلت " لا شأن لك"

دفعنتي من كتفائي وقالت " ماذا تقولين"

دفعتها أيضا وقلت " هل تعلمي ما سألني"

نظرت لي بحيرة فقلت " قال من التي تمنع الطالبات

من الإجابة عن الأسئلة لترسب في مادتي وتعيد العام

ولم أجه أنها أنتي فابتعدي عني أو أخبرته"

نظرت لي مطولا بصدمة ثم قالت بسخرية

"كاذبة"

ابتسمت ذات ابتسامتها وقلت " في رأيك لما

أخرجني لأحل المسألة وأنا لم أرفع يدي"

ثم قلت مغادرة من أمامهما " ابتعدي عني بمشاكلك أو

أضعت عليك العام بأكمله وقولي حينها أي كاذبة"

ثم تركت لهم الفصل وخرجت لساحة المدرسة

\*

\*

خرجت من الفصل وتوجهت لمكتب المدير ولم أجد

فجلست هناك ثم فتحت هاتفي فوجدت مكالمات كثيرة

من جابر ورسالة منه أن ألتقي به بعد ساعتين ، المهم

لا مكالمات من والدي يعني أنه لم تسوء حالتها

"كيف كان يومك معهم"

رفعت رأسي للجالس أمامي وقلت بابتسامة

"جيد ، متى دخلت لم أشعر بك"

ضحك وقال غامزا بعينه " هذا لأنك

كنت مسافر بذهنك في هاتفك"

ابتسمت وقلت " لا تأخذك الأفكار

بعيدا هل تراني مراهق أمامك "

ضحك وقال " وهل المراهقين فقط يفعلونها "

ابتسمت بسخرية وقلت " إما مراهقين

أو بعقول مراهقين "

ضحك كثيرا ثم قال " كما قال عنك

جابر لا أمل في زواجك "

وقفت وقلت " جئت لألقي عليك التحية

وأغادر هل تأمرني شيئا "

قال بابتسامة " رافقتك السلامة لا أريد إلا

أن تنهي معي العام "

ضحكت وخرجت دون تعليق وغادرت المبنى مارا

بالساحة فشد انتباهي الفتاة الجالسة وحدها مبتعدة عن

الجميع تمسك كتابا في يدها وعيناها عليه ، تبدا غامضة

جدا ، لما كانت خائفة مني طوال الوقت ! ولما ليس

لديها من يردع شر تلك الطالبة عنها ، طالبة بذكائها  
وتفوقها فكت رموز تلك المبرهنة كيف لوالديها أن لا  
يتابعا مستواها ، خرجت من المدرسة ورميت من رأسي  
كل تلك الأفكار فلأجد حلا لمشاكلي أولا ثم أفكر بمشاكل

طالباتي ، ركبت سيارتي وغادرت

\*

\*

أخرجت الهاتف من ملابسي مخبئة له في الكتاب في  
يدي لأنه ممنوع على الطالبات هنا ، جربت الاتصال  
مجددا بها ولكن هاتفها كان مقفلا ، لما يا ترى هل أخذه  
زوجها منها أم قتلها ، أجيبني عليا يا خالة أرجوك أنا  
خائفة وهم يعرفون مكاني ولا أعلم كيف أتصرف  
رن حينها الجرس فدستت الهاتف في ملابسي وعدت  
للفصل لأن الفسحة انتهت ، وأنهيت باقي يومي الدراسي

كالمعتاد ولم أمسح السبورة اليوم مطلقا

لقد تخلصت من جبروتها أخيرا ومن اليوم لن تتحكما  
بي ، خرجت عند نهاية الدوام وركبت الحافلة التي تنتظرنا  
في الخارج أوصلني حيث الطريق الفرعي الذي يضعني  
عنده دائما ونزلت ووقفت حتى ذهبت الحافلة ثم نظرت  
يمينًا ويسارًا ثم ركضت خلف الأشجار كي لا يلحظ  
أحد توجهي لذاك المكان

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

أحسست أن جبلا سقط على كتفائي حتى حطم قلبي  
كيف يكونون أبناءه وأنا رأيت بعيني أوراق تثبت أنهم  
أبناء والدي منها ! ولكن اسمها موثق مع اسمه في  
عقد الزواج ولم تحضر لي عقد زواج يخصها ووالدي  
كنت أنظر له مفاجوعة وهو ينظر لي ببروده المخيف  
ذاته وكأنه ينتظر أن أتخطى الصدمة ، قلت بصوت

مرتجف " أبناءك "

قال بجدية " نعم ومنها "

هزرت رأسي وقلت " كيف والأوراق التي

أحضرتهم والدتهم لي "

قال من فوره " مزورة "

قلت بغير تصديق " لماذا مزورة وكيف "

نظر للسقف وابتسم بسخرية وقال

" فأر لعب بعقل أسد هل تصدقي "

ثم نظر لي وقال " اختطفتهم وهربت بهم لخارج البلاد

أو هكذا ظننت وبمساعدة والدك وبقيت أبحث عنهم في

الخارج وهم هنا أمامي ، لقد زوروا أسمائهم كي لا أجدهم

وماتت لتموت الحقيقة معها وباقي الحكاية لديك "

قلت " ولما لا تكون التي لديك هي المزورة "

تحولت ملامحه للحدة وعاد كما كان بادئ الأمر

وقال بصرامة " اسمعي جيدا كان بإمكانني أخذهم من

مدرستهم دون حتى أن أعلمك وكنت أستطيع تقديمك للعدالة

بتهمة التورط مع خاطفين والاتفاق معهم لتقضي باقي سنين

حياتك في السجن فلا يغرك معاملتي اللينة معك"

قلت بغضب " أي لين وأي جنون هذا الذي تتفوه به كيف

تأتي لإخباري بفاجعة كهذه وتريد مني استقبال الأمر وكأن

شيء لم يكن ، هل تراني جدار تقول له بكل بساطة

سنأخذ منك أبناءك ولا يتحدث"

قال بحدة " هم أبنائي وليسوا أبناءك وجئت لأبلغك

لتري أمورك معهم وأخبرتني أنني عاملتك بلين كأول

امرأة في حياتي لأنهم عندي والرجال سواء دائما"

قلت بحرقة " هل تعي أنت ما تقول هل تفهم معنى

أنني ربيتهم أنني أحبهم أكثر من نفسي"

قاطعني قائلا " أعلم وأخبرتني أنني لا أريد هذه الأفلام

ربيتهم وسهرت لمرضهم وأطعمتهم بيدي و و و و

أعلم بكل هذا ولا داعي لإخباري "

سندت رأسي بيدي المسندة لها على الطاولة وأنا أشعر

بهموم الدنيا كلها نزلت عليه ، من أين خرجت لي أنت

من أين؟؟ كيف يأخذهم مني ، كيف ينتزع قلبي ويرحل

به ولكنه ليس أفضل حالا مني فهوا والدهم وأخذوهم

منه لسنين ، سامحك الله يا حسناء وأبي معك أيضا لقد

قتلتهموني ، مسحت دموعا تسلفت من عيناوي ونظرت له

وقلت ببحة " ولما اخترت مكان عملي تحديدا لتتحدث

معي أم تريد أن تترك لي بصمة شوشرة هنا"

قال وهوا يلعب بأصابعه على الطاولة ونظره عليهم

" ما كنتي لتوافقي على الخروج معي وأنتي كدتِ تأكليني

فقط لأنني قلت أغلقي الباب علينا ومنزلك لا يمكنني

زيارتك فيه لأنني لا أريد أن أقابلهم قبل أن تخبريهم بالأمر"

وقفت وقلت ورأسي أرضا " أترك لي الأمر

حتى نهاية الأسبوع"

قال بجمود " لا تفكري كما فكرت

والدتهم لأنك مراقبة"

نظرت له وقلت بضيق " ما تضنني يا هذا بأي قلب

سأحرم والد من أبناءه ، عليا أن أمهد لهم ولنفسي

الأمر ليس البشر كلهم متحجرين مثلك"

وقف وقال بغضب " نبهتك مرارا على التماذي معي

فلا تلعبى بأعصابى أكثر"

غادرت من أمامه غير مكترثة لكل ما يقول وشبهه لا

أسمعه فوصلني صوته قائلا وأنا عند الباب

" خلال أيام قليلة سأكون في منزلك لأخذهم"

خرجت ولم أضيف أي كلمة وغادرت المصنع برمته

\*

\*

كنت أود التعامل معها بلين لكنها أفقدتني أعصابى

أعترف أنني لا أعرف كيف أتعامل مع النساء لكنها

رأت أجمل وجوهي فلو كانت رجلاً لخرج من هنا

يعرج ولا يرى سوى بعين واحدة ، من الجيد أنها

وفرت عليا كثرة الكلام والنحيب والرجاءات

عقلها أكبر مما تصورت ، ما ينقذها مني تأكدي من

أنها ليست مسئولة عما حدث منذ سنين وليست متفقة

معهما ، وقفت على دخول مدير المصنع الذي قال بحق

"تخرج قبل الدوام وتترك عملها أي استهتار هذا"

أمسكته من قميصه ونظرت له نظرة حارقة وقلت

"أقسم إن وصلني أنك فصلتها من عملها أن تنسى

أن لك مصنعا وستلقى مني مالا تحب"

قال برجفة " لم أكن سأفصلها كنت سأخضم من رات" ....

هزرته بقوة وقلت " لا أريد أن أعيد ما قلت أترك لها

هذا الأسبوع تأتي متى تريد ولا تعتقد أنني غافل عنك"

ثم خرجت وتركته رفعت هاتفي واتصلت بنزار فأجاب

من فوره فقلت " هل نلتقي الآن "

قال " حسنا أنتظرک في المنزل ، والدتي

لا تبدوا جيدة اليوم "

قلت بضيق " نزار متى ستضع عقلك في رأسك

دعني أساعدك في عمليتها "

قال بضيق أكبر " في ماذا ستساعدني في تكاليف العملية

الباهظة فوق المعقول أم في تذاكر السفر وتكاليف

الأدوية والإقامة ، كم مرة سأشرح لك الأمر "

تنهدت وقلت وأنا أركب سيارتي " تعلم أنني أستطيع

دفع كل شيء رغم أنه كثير فدعني على

الأقل أساعدك في جزء منه "

قال ببرود " عندما أجمع مبلغا جيدا سأستلف الباقي

منك ، بسرعة أنا أنتظرک لا تتأخر أريد النوم

تعلم أنني استيقظت مبكرا اليوم "

أنهيت المكالمة منه وتوجهت من فوري لمنزله فهوا  
يبعد عن هنا مسافة لا بأس بها لأنه في أطراف المدينة

\*

\*

خرجت من المصنع وكأني أخرج من الجحيم  
من كذبة من مسرحية سخيفة لم تعجبني  
كيف ذلك كيف يكونون أبناءه ! كيف لعب بي والدي  
ووالدتهم تلك اللعبة ، بل ما علاقة أبي بها ولما فعل  
ما فعل !! من يجيبني عن كل هذا بل كيف يأخذون مني  
قلبي وروحي وعياني التي أرى بهما ، بقدر سعادتني  
أن لهم والدا بمركزه وقوته سيحميمهم من عقبات الزمن  
بقدر تألمي وموتي لفكرة أني لن أراهم مجددا أنهم ليسوا  
لي ولن أراهم يكبروا أمامي ، كيف أستيقظ صباحا دون  
ضحكاتهم وحديثهم الذي لا ينتهي ، بل كيف أنام ليلا  
دون أن أحضنهم وأقبلهم وتنام ترف في حضني ، أي

ظلم هذا أي ظلم ؟ وصلت المنزل بدموعي التي لا تتوقف

دخلت وارتميت جالسة أرضا أبكي بحرقة وألم ولم أتحرك

من مكاني حتى سمعت باب المنزل يفتح حيث أن سائق

الحافلة هوا من يدخلهم لأنهم يرجعون قبلي بقليل

دخلوا وما أن رأيتهم حتى فتحت ذراعي لهم فركضوا

نحوي يتسابقون لحظني فرحين أي عدت مبكرا ولا

يعلمون أي مت مبكرا بل حلمت حلما جميلا واستيقظت

منه مبكرا ، قبل أن يكتمل وأنعم به ، كنت أضمهم لحضني

وأبكي ولست أعلم كيف سأشرح لهم كل ما يجري

\*

\*

وصلت للمنزل قرعت الجرس ففتح لي

وصافحني مبتسما وهوا يقول " هيا تفضل

لحسن حضك لم نتغذى بعد"

قلت وأنا أدخل خلفه وأغلق الباب

"تزوج يا رجل وارحم نفسك"

تأفف وقال داخلا أمامي " وتزوج أنت بدلا

من جلب أبناء لتربيتهم المربيات"

وقفت عند جدار غرفة والدته مستندا بيدي عليه

وقلت " أنا جربت وانتهى الأمر أنت تحتاج لزوجة"

أمسك كتفي وقال " أدخل هيا لتسلم على والدتي فهي

لا تتوقف عن السؤال عنك"

ابتسمت له ودخلت خلفه حيث المرأة القابضة على

السرير دون حراك عدلت من جلستها وهي تقول

"مرحبا يا جابر أين أنت لا أراك"

اقتربت منها قبلت رأسها وجلست مبتعدا وقلت

"مشاغل الحياة يا خالة"

تنهدت وقالت " ليوفقكم الله هل أعدت أبناءك"

نظرت للأرض وقلت بهدوء " خلال هذين

اليومين سأذهب لأخذهم من منزلها"

تنهدت وقالت بحزن " هل فعلت كما أوصيتك"

قلت ببرود " حاولت قدر استطاعتي"

اتكأت على الوسائد خلفها وقالت

"أنتم الرجال لا تشعرون كما نشعر نحن

النساء لكنت رحمت حالها"

قلت بضيق " هل أترك أبنائي لها رحمة

بها ؟ أي كلام هذا الذي تقولينه"

قالت بابتسامة " لم أعني ما فهمت"

نظرت لها باستغراب وقلت " ما عنيته إذا" !!

قاطعنا نزار داخلا بصينية الشاي وهو يقول ضاحكا

"قد تكون تقصد أن تتزوجها فوالدتي تعشق كلمة زواج"

ضحكت بصوت عالي وقلت " هل جننت أنا لأكررها"

نظرت لي ثم له وقالت ببرود " لم ترافق ابني

وتصادقه لسنين عبثا ، بالتأكيد سيكون عقلك مثله"

ثم نظرت لي وقالت " هل يعجبك حالك هكذا"

نظرت لنفسي وقلت " وما به حالي"

قالت بخبت أعشقه فيها " وجهك شاحب يحتاج

شيئا يضيئه وجسدك أصبح كالجبل يلزمه

شيئا يلينه قليلا وينحفه"

ضحكت دون تعليق لأنني أفهم مغزى كلماتها ، هذه

السيدة تجعلني إنسان آخر في دقائق ووحدها تعدل

مزاجي السيئ دائما ، قال نزار " وكيف استقبلت الفتاة

الأمر أتمنى أن لا تكون نالت صفة منك"

قلت ببعض الضيق " ما تضنني يا أحرق ، أنا لم أرفع

يدي يوما حتى على زوجتي لأرفعها عليها"

قال بعفوية " أعرفك عندما تفقد أعصابك ومؤكد

لم تستقبل الأمر ببساطة"

أمسكت كوب الشاي وقلت ببرود

"بل تقبلت الأمر رغم أن ملامحها لم تنذر

بخير كتمت كل وجعها وغادرت"

تنهدت والدته وقالت " مسكينة الأمر لن

يكون سهلا عليها"

قلت ببرود " ذلك ليس ذنبي ولست بأفضل

منها ثم هي ما تزال صغيرة ستتزوج

وتتجب أبناء وتنسأهم"

نظرت لي بنصف عين وقالت

"وكيف تبدووا؟؟ هل هي جميلة"

ابتسمت لها بمكر وقلت " بل لا تمد للجمال بصلة"

قالت بضيق " أقسم أنك وصديقك هذا أكبر عقد

البشرية وأسأل الله أن يريني فيكما يوما

تجركم النساء خلفهم كالبعير"

ابتسمت لها ثم نظرت جهة نزار وفتحت الملف

الذي يحوي جميع المعلومات والصور على

الطاولة أمامي وقلت " تعال لنناقش هذا علينا

أن نخرج بواحد من الخمسة"

وقف وقال " الغداء يكاد ينضج لنتناوله

أولا ثم نرى ما سنفعل"

قلت وأنا أرتب الأوراق " بل الآن فعليا

المغادرة ليس ورائي أنت فقط"

سحب كرسيًا وجلس أمامي وقال " أمري لله

إن احترق الغداء أحرقت لك أوراقك"

وزعت الورق على الطاولة وقلت " هذه الصور

مجموعة للمكان وهؤلاء الأشخاص الذين دخلوا

إليه وأوقات دخولهم ، أريد من دماغك الهندسي

الآن أن يحسب لي ، الوفاة كانت عند الثانية

ولا أحد منهم خرج إلا بعد الثالثة ولكل واحد

منهم ستكون له حكاية أنا لم أحقق معهم بعد

وأريد أن نخرج بواحد لأقتله أو أعلم منه"

نظر للأوراق مطولا ثم للصور ثم خرج قليلا وعاد  
بآلة حاسبه وورقة وقلم وجلس وبدأ يكتب فيها ويقول  
"إذا كانت الوفاة عند الثانية وتحطيم كل هذا الجزء  
من المصنع سيستلزم ما بين الثالث للنصف ساعة  
وإن حسبنا طبعا مساحة المصنع تلزم  
عشر دقائق للوصول للداخل"  
قاطعته قائلا " الدماء على الباب الخلفي يعني أنه  
قتله بعد كل ذلك التحطيم بحوالي الربع ساعة  
لأن البقع كانت ممسوحة عن المقبض فقط"  
قال " جيد ... قطر المصنع من الخلف والسلالم"  
حسب مطولا ورسم خطوط كثيرة قسم بها نموذج  
المصنع ثم قال " الذي دخل عند الحادية عشرة بالتأكيد"

نهاية الفصل

## الفصل الرابع

دخلت المنزل متوجهة من فوري لغرفتي التي أغلقتها

خلفي ولحقت بي فرح وأمسكتني من ذراعي قائلة

"وسن ما بك لما عدتما سريعا"

خلصت يدي منها وقلت " اتركيني وحدي "

سحبتني قبل أن أصل للسرير وقالت

"وسن على هذه المهزلة أن تنتهي أنتي تدمرين نفسك

بسجنها في هذا السرير هل تعلمي ما قال الطبيب" ...

صرخت فيها بحرقة " أخرجي واطركيني وحدي قلت لك "

قالت بصراخ غاضب ملوحة بيدها في

الهواء " لا لن أخرج ويكفيك انطواء على

نفسك لقد دمرت صحتك "

قلت بغضب " وما الذي تبقى فلتذهب هي أيضا "

ثم ارتميت على السرير أمسك اللحاف وأضغط به على

النار المشتعلة في أحشائي وأئن بوجع مكتوم فجلست

بجوارى وقالت ببكاء " وسن تكلمى قولى ما فى قلبك

خفى على نفسك شقيقتى الحبيبة"

قلت بصعوبة " اتركينى يا فرح أرجوك"

قالت بهدوء " هل تحدثما ماذا قال لك"

قالت بألم " لم يقل شيئاً ولن يقول بعد اليوم ولن

أسمع منه ، انتهى كل شيء"

خرجت وعادت بعد قليل وأجلستنى مرغمة وهى تقول

"خذي الحبوب هى مسكنات للألام فقط ستريحك وتنامي"

أخذتها منها وعدت مرتمية على السرير فغطتني

بالحاف وغادرت وتركتنى لألمي وبكائي وهمومي

ودموع تحتضنها وسادتي ، لأول مرة أراه ليس نواس

الذي أعرفه الذي أحبته لسنين منذ رأيتة أول مرة وأنا فى

منزل خالتي حين فوجئت بشاب لا أعرفه يقف عند الباب

يدخل دون أن يفتح له أحد ، نظرت له وكأني لأول مرة فى

حياتي أرى رجلاً ، كنت في الخامسة عشرة حينها لكني كنت

بعقل فاق سني كما يقول الجميع فكم كرهت حديث زميلاتي

عن الشباب والعلاقات الغرامية والرسائل واللقاءات وكل

تلك الأمور التي تعبت بعقول المراهقات ، لكن ذاك الذي

رأيته يومها كان من كوكب آخر وشيء ما في قلبي قال لي

هذا لك أنتي ملكك منذ سنين ، كنا نحدق في بعضنا وكأن كل

واحد منا يرى الجنس الآخر للمرة الأولى لأستفيق لنفسي

فركضت نحو خالتي وغطيت شعري وأنا أقول

"خالتي هناك شخص غريب في البيت"

نظرت لي بصدمة وتوثر ثم قالت

"من الغريب الذي سيدخل أنتي تتخلي يا وسن"

هزرت رأسي وقلت " لا متأكدة ، إنه عند البـ" ....

قاطعني حينها طرقات على الباب وصوت رجولي

عميق يقول " أمي هل أنتي هنا"

قفزت حينها خالتي وقالت بصراخ " نواس ابني نواس"

ثم ركضت للخارج ولم أسمع بعدها سوى بكائها

وصوته الثقيل وهو يقول " أمي لما البكاء الآن أنا

مشتاق لضحكك لا لدموعك"

نواس الفتى الذي غادر البلاد وهو ابن السابعة عشرة ولا

نعرف عنه سوى حديثهم المحب له وحكايتهم القديمة عن

طفولته ، الشاب الذي كل ما أعرفه عنه رسائل تقرأها

خالتي بدموع وسلام منه لنا جميعا بالاسم واحدا واحدا

ونقود يعيل بها والدته وشقيقه الوحيد ، رجل لا أعلم

أحببته قبل أن أعرف من يكون ومن نظرتي الأولى له

أم أحببت حبهم له وحديثهم عما فعل من أجلهم وما

ضحى به وهو فتى لم ينهي دراسته الثانوية بعد ، حب

احتل قلبي ليكبر مع الأيام والسنين لأجد نفسي خطيبة له

بعد عام من قدومه لأن والدي رفض موضوع الزواج قبل

سن التاسعة عشر أو العشرين لنستمر بعدها مخطوبان

لأربعة أعوام ، لا أعرفه كالخطاب الآخرين لا مكالمات  
ليلية لا رسائل غرامية ولا خروج برفقته ولا حتى مع خالتي  
كان كل شيء بالنسبة لي ليتحول عالمي لآ شيء من دونه  
يوم زارني والدي في غرفتي وحكا لي حكاية كالخيال عن  
ديون وتجارته في دكانه وتاجر كبير وسجن ومبالغ خيالية  
ليفجني بأني طوق نجاته الوحيد لأنني سأكون القربان  
لذاك الرجل لأنني سلعة ستكون ثمن تهور والدي وتوقيعه  
على كل تلك الشيكات ، لم أعرف ما أجيبه وأنا أرى الترجي  
في كلماته وعينيه فلذت بالصمت لأجد نفسي بعد ساعة  
مرتبطة به بل مخنوقة به وخبر خطبتي منه في كل مكان  
فبدأت مأساتي وأصبحت الشيكات تحت توقيعي بدلا من  
والدي كي تكون مهري ليلة الزواج منه وكأن أحدهم أخبره  
أن والدي سيموت وعليه أخذ الوعود والمواثيق لكي لا نخل  
بالاتفاق ، لم أرى نواس بعدها لأشهر وكأنه ذاب من العالم  
لم يكلمني ولم يعاتبني ، اختفى فقط كالحلم الطويل الذي

استفقت منه وكالسعادة التي أعطوها لي لخمس سنين  
وأعادوها في ظرف ساعة ، وبعد عشر شهور مات والدي  
وشقيقي في حادث سيارة وأصبح ذاك التاجر يطالب بنقوده  
أو بي إما أنا أو نقوده أو السجن فرفضت الزواج منه بعدما  
ضاع والدي ورضيت بالسجن على الارتباط بمثله ليخرج  
نواس مجددا ويسدد كل تلك الديون التي من ضمنها طعنتي  
له يوم ارتبطت بغيره وزواجنا بعد شهر ومن ضمنها صدمته  
والسكين التي ضربه بها والدي في ظهره واستبدله بغيره  
لم يقبل بعدها أعذارى ولا شرحي للأمر وأناي لم أوافق  
وكنت في موقف سيء وإن كان في مكاني لفعل مثلي  
وهوا من ضحى بدراسته ومستقبله وأحلامه من  
أجل عائلته فلما أنا لا يحق لي

\*

\*

كان اليوم سيئاً على الجميع وأولهم وسن وما أصابها

عدت بفرح ووالدتها لشقتهم ولم نتوقف عن الشجار  
طوال الطريق ، كيف أجزاء نفسي لأجزاء بين شقيقي  
الأكبر الذي فعل الكثير لأجلي وبين زوجتي التي باتت  
تكرهه كرها أعمى درجة أن ترى أنه يتحكم بي وبتصرفاتي  
وقراراتي وبين ابنة خالتي التي أعجز عن فعل شيء  
لأجلها ونحن البقية المتبقية من أهلها ، ما أن وضعتهما أمام  
عمارتهن حتى غادرت للمزرعة حيث معتصم ينتظرني  
هناك منذ وقت لأننا سنجرب ترويض الفرس الجديدة  
العنيدة وهي هوايتنا المحببة ، وصلت المزرعة التي لا تبعد  
أكثر من نصف ساعة في منطقة شبه جبلية وهي ملك  
لنواس حيث خيوله جميعها وتجارته الجديدة وهي ذاتها  
مدينة معتصم ، وصلت المزرعة ونزلت من السيارة بقرب  
ساحة الخيول حيث أراه من بعيد سبقتي ويمسك لجامها  
محاولاً تثبيت حوافرها على الأرض ، اقتربت منه وقفزت

من السياج قائلاً " سبقتني يا محتال "

قال ضاحكا وهو يحاول ركوبها

"هل تريد أن انتظر ك حتى تنتهي من غرامياتك"

أمسكته وهو يكاد يقع لأنها جمحت منه وقلت

"أي غراميات يا رجل لا تحسني على آلا شيء"

ضحك وقال " كان عليك ترويضها قبل أن تتزوجها"

رميت بيدي في وجهه وأخذت منه حبل اللجام وأمضينا

وقتا طويلا نحاول معها وبلا فائدة ، إنها مُتعبة ولم يعرف

أحد كيف يتصرف معها ، بعد ساعتين من المحاولات

ربطناها لأحد المصالب ووقفنا عندها وقال معتصم

"لا أمل يرجى من هذه الفرس ولم تتعبنا واحدة مثلها"

ضحكت وقلت " يبدوا أننا سنستسلم كما فعل وليد ومعاذ قبلنا"

ضربني على كتفي وقال " بل بقي الرومانسي صاحب

الوشوشات في الأذنين نواس"

ضحكت وفتحت فمي لأتحدث على دخول سيارته

فك معتصم لجامها وقال " ها هوا جاء مدير

### جمعية الرفق بالخيول"

سهلت الفرس حينها حتى كادت توقعه وتضربني

بحوافرها على قفز نواس من السياج ووجه لا إله إلا

الله لا يبشر بخير ، نواس ليس من طبعه كثرة الغضب

ولا يغضب بسهولة فما دهاه ، أخذ من معتصم اللجام

والسوط وصرخ بنا " أخرجنا من السياج"

نظرنا لبعضنا باستغراب فصرخ أكثر " الااااااان"

قفزنا خارجه على صوت الجلد وصهيل الفرس فالتفتت

للخلف ليظهر لي المشهد الذي لم أره حياتي نواس يضرب

الفرس بقوة بل بعنف وجنون وبدون تركيز ، وقفت مصدوماً

دون حرك من هول ما أرى ، نواس الأكثر رفقا بيننا في

التعامل مع خيوله يتصرف هكذا ! نظرنا أنا ومعتصم

لبعض وكأننا نتخاطر ذهنيا ثم قفزنا قفزة واحدة لداخل

الساحة وأمسكت اللجام من يد نواس وأمسك معتصم نواس

من ذراعيه محكما قبضته عليه لأنه ببنية جسدية أقوى مني

ثم أبعده عنها وهو يصرخ به " نواس هل جنت منذ

متى تفرغ غضبك في الخيل "

سحبت الفرس الهانجة بعيداً محاولاً تهدئتها ولو قليلاً

ومعتصم يسحب نواس للخلف وهو يريد الخلاص منه

يبدوا أن أموراً كثيرة حدثت معه بعدي فما الذي جعله

يجن هكذا ، ترى أتحدث ووسن في موضوع خطبته!

أرغم معتصم نواس على الخروج والابتعاد فغادر مغتاضاً

جهة منزل المزرعة واقترب معتصم مني وقال

" هل جن شقيقك أم ماذا "

هزرت رأسي بحيرة وقلت " إن لم توصلنا

النساء لمستشفيات الأمراض العقلية فللسجون بالتأكيد "

ضحك بهستيرية مستنداً بخشب السياج فقلت بضيق

" نعم تضحك دورك قريب يا عاشق "

وقف على طوله ولعب بيده في الهواء وقال " لن أفصح

نفسى لامرأة قبل أن تصبح كالإشارة في يدي كي

لا انتهي لما انتهيتم له جميعكم"

ربطت لجام الفرس وقلت " من تقصد بكلامك"

ضحك وقفز بقربي في الساحة وقال

"الكثيرين غيركم بل والملايين"

أشرت له برأسي وقلت " هه سنرى يا قوي إن

لم تلعب بعقلك طفلة"

نظر لي بغيض فضحكت وقلت

"هيا نعيد الفرس لإسطبلها وتأخذني حيث

وعدتني البارحة أم نسيت"

قال بضيق وهو يفك اللجام " وهل ينسى شخص ورائه

أنت ، اليوم سيأتي جابر ولا أريد رؤيته لا مزاج لي له لنؤجلها

يومين لندخل الحديقة ونخرج ولا أحد يدري عنا ككل مرة"

ثم سلمني اللجام وقال " سأغادر الآن أراك عند المساء اتفقنا"

قفز خارج الساحة وابتعد فصرخت مناديا له وقلت

" هيه معتصم "

لوح بيده متجاهلا لي وغادر وكأني لا أكلمه ، أعدت

الفرس للإسطبل وتوجهت للمنزل ودخلت فقابلني وليد

قائلا " ما به نواس "

قلت بحيرة " ماذا حدث "

أشار بإبهامه خلف كتفه حيث إحدى التحف مهشمة على

الأرض وقال " رماها في طريقه ودخل لغرفته أخذ شيئا

وغادر في السيارة الصحراوية ، أين يريد الذهاب "

تنهدت بقلة حيلة وقلت " أعلم أين سيذهب لا تقلق

عليه وسيعود خلال يومين "

وكما توقعت اختفى نواس ليومين وأنا خاصمت فرح ولم

أجب على اتصالاتها يومين أيضاً فعليها أن تعلم أن نواس

ليس كأبي شقيق ولن أكافئه على تضحيته لأجلي بأن أعصي

أوامره يوما مهما كنت غير راض عن تهميشه لي فيما  
يخص عائلتهم ولأني أفهم أسبابه أمسك نفسي عن مخالفته

\*  
\*

طرقت الباب بقوة وصرخت بها

"وسن افتحي الباب أو جلبت من يكسره"

وطبعا لا حياة لمن تنادي ، اقتربت مني والدتي وقالت

"توقفي عن الصراخ لقد فضحتنا مع الجيران

والكل بات يعرف صوتك من أميال ويميزه"

قلت بحدة " والحل يا أمي يومان تسجن نفسها لا طعام

لا دواء لا ماء ولا نعلم حية أم ميتة"

تنهدت وقالت " مادام صوت باب الحمام يغلق وقت كل صلاة

فهي حية وبخير ، تعرفينها حين تسجن نفسها لن يخرجها أحد"

قلت بحنق " بل عليها أن تخرج أو تتركني أدخل لها وذاك الأحمق

جواد لا يجيب على اتصالاتي ليأتي ويكسر الباب أو يجد لنا حلا"

قالت بحدة " وكيف سيجيب عليك بعد سيل الشتائم الذي وجهته له"

قلت ببرود ونظري على الباب " تلك هي الحقيقة ولم أكذب فيها"

هزت رأسها بقلة حيلة وقالت " ابنتي ولن تتغيري ، حين

يجن جنونك لا تميزي الصواب من الخطأ"

قلت بنفاد صبر " أمي ارحميني أقسم لست

بمزاج عتاب ولا توبيخ"

تأففت وغادرت وطرقت أنا الباب مجددا وقلت برجاء

"وسن افتحي لي الباب هل ترضين بعذابك وعذابي معك"

ولا جواب طبعا فضغطت على أسناني بقوة وقلت

"أقسم يا وسن وها قد أقسمت إن لم تفتحي الباب الآن

اتصلت بنواس ليحظر حالا ولك أن تختاري"

بعد قليل فتحت الباب وتوجهت من فورها جالسة على

السريير فدخلت وقلت بضيق " ما الذي ستجنيه من سجنك

لنفسك سوى خسارة محاضراتك والموت جوعا"

قالت ببرود وعيناها على الأرضية " لن أذهب لها بعد اليوم"

فتحت فمي من الصدمة وقلت بتلعثم " ما ماذا ... أأعيدي "

نظرت لي وقالت " لن أدرس بعد اليوم ولن آخذ مليما منه

وسأعمل كي لا نعيش عاله على أحد ولديا دين كبير

عليا أن أسدده ولو بالدرهم "

قلت بصدمة " وسن هل تعي معنى ما تقولينه وهل

تضني أن نواس سيرضى "

قالت بلامبالاة " تلك مشكلته وما لدي قلته وهو ليس

مسئول عني لا هوا والدي ولا شقيقي ليتحكم بي "

قلت بجدية " ولكنه وليك قانونيا "

قالت بضيق " وهل الولي القانوني يتحكم بي أدرس أم

لا وأعمل أم لا هذه حرية شخصية ولن يثنى كلامي

هذا إلا الموت فليقتلني أولا حينها "

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

دخلت المدرسة بخطوات ثابتة وسريعة بعض

الشيء وتوجهت من فوري لمكتب المدير فوجدت فتاتين

هناك تعطيان الباب بظهرهما مقابلتان له ، كنت سأعود

أدراجي لكنه أشار لي بيده أن أدخل فدخلت ملقيا عليه التحية

وصافحته وجلست لتظهر لي الفتاتان وهما وجدان وسما

وكانت وجدان تنظر للمدير بكل ثقة وابتسامة انتصار وسما

رأسها للأرض تمسح دموعها ، قال السيد منصور

"الحقيقة لدى إحداكما ويجب أن تظهر"

قالت وجدان بجدية " أقسم أن هذا ما حدث

والدليل واضح أمامك"

رفعت سما عيناها المحمرتان من البكاء وقالت

"لا ليس صحيح وأنا لا أعرف ذاك الشاب ولم أقابله

حياتي ولا أعلم من أين جاءت هذه الرسائل"

قال بحزم " وكيف تدخل حقيبتك وأنتي لا تعلمي ، هل

تعي معنى أن تتهمي إحدى زميلاتك أنها من دسها لك

وهي بريئة ... إنه الطرد يا سما"

قالت برجاء مكسور " لما لا تصدقني منذ متى وأنا أفعل

هذه الأمور ، أنا لم أعرف شابا في حياتي كيف أتفق معه

على موعد عند سور المدرسة ، أقسم أنني بريئة"

ضرب بيده على الطاولة وقال بحدة " سأعرف بطريقتي

والمذنب لن يسلم من العقاب"

اقتربت منه وهمست له في أذنه " اصرف وجدان واترك الأخرى"

نظر لي بحيرة ثم نظر لهما وقال " وجدان عودي لفصلك"

خرجت باستعلاء بعدما رمت سما بنظرة سخرية فقلت ما

أن خرجت " ما القصة يا سما وما علاقتك بالأمر"

كان السيد منصور سيتحدث لكني أشرت له بيدي فسكت

فقلت ببكاء " وصل بلاغ للمدير أنه توجد في حقيبتني رسائل

من شاب يكتب في الأوراق اسمي وكانت بالفعل في حقيبتني

لكني لم أكن أعلم عنها أقسم وربي يشهد على ذلك"

تنهدت وقلت " توقفي عن البكاء وامسحي دموعك

واحكي ما حدث منذ أول حصة لي معكم "

مسحت دموعها بكم زيتها المدرسي وقالت " لم أعد أستمع

لأوامرها لا أمسح السبورة ولا أفتح باب الفصل وأرفع يدي

للإجابة أيضا فكادت لي هذه المكيدة أقسم أنها وراء هذا "

قلت بجدية " والدليل يا سما كيف تتهمينها دون دليل ألا تعلمي

أنها ستستغل هذه النقطة لصالحها وستتضررين أنتي "

هزت رأسها وقالت " أنا مطرودة في كلا الحالتين اتهمتها

أو لا ، على الأقل أحاول إثبات براءتي "

قال في السيد منصور " وإن حضر الشاب للمكان الموجود

الورقة وحسب الموعد "

قالت بثقة " دعه يتعرف على شكلي إن استطاع

أقسم أنه لن يستطيع ذلك "

قال من فوره " وإن تعرف عليك "

مسحت خدها وقالت " مكيدة أقسم أنها مكيدة وأنت تعلم كما

الجميع أنه لا سند لي مثلها يردكم عني لكني ما علمت أنك

ظالم أبدا وتحدثت وقلت ما قلت على أمل أن تنصت لي

وتنصني فلا أحد لي بعد الله غيرك ، لما كلكم ضدي ؟ اسأل

الأستاذ نزار هوا يعلم ما تفعله وجدان ورفيقتها بنا"

قلت له بهمس خافت " دعها تعود لفصلها"

نظر لي بجمود فأومأت له برأسي بثقة فنظر جهتها وقال

"عودي لفصلك الآن وسأتحقق من الأمر بنفسي"

أنزلت رأسها للأسفل وقالت " شكرا أستاذ نزار"

وغادرت من فورها وكأنها تخبر المدير بخذلانه لها

بشكرها لي فقط ، ما أن خرجت نظرت له وقلت

"بالفعل تلك الطالبة تكيد لزميلاتها"

قال بجدية " كيف نتهمها دون دليل"

قلت بضيق " وما الدليل إن كنتم لن تصدقوا كلام الطالبات"

قال بعد صمت " والد الفتاة صاحب منصب في الدولة

وليس من مصلحة أحد إيذائها تفهمني يا نزار بالتأكيد  
فلا تورط نفسك في مشاكل لست نداها فهي ابنته المدللة"  
وقفت وقلت " وهل ستسمح لها أن تعتوا في الأرض فسادا  
فقط لأنها ابنته ، هي تمنع الطالبات حتى من رفع أيديهن  
للإجابة ومن خالفها كادت له لتطرده وقد هددتهن  
بذلك وبصريح العبارة"  
تنهد وقال " يجب أن يكون هناك دليل أقدمه لوالدها"  
قلت بضيق " لا تطرد سما إذا أم أن ذلك أيضا يحتاج لدليل"  
ضحك وقال " أجلس هيا وأخبرني ما قصتك مع هذه  
الفتاة لتعضب هكذا من أجلها"  
جلست وقلت ببرود " أنا لست غاضب من أجلها بل  
من تصرفات الأخرى وصمتكم عنها"  
قال ببرود مماثل " إن تأكدت أنه قادم لأجلها  
فولي أمرها أو الطرد"

قلت بضيق " وما مشكلتك مع ولي أمرها"

قال " ترجتني مرتين أن لا أفصلها لأنه لا يمكنه الحضور

وأخبرتها أنني لن أخرج القوانين مجددا إن لزم الأمر إحضاره "

قلت بحيرة " ولما ترفض الإفصاح عن السبب "

رفع كتفيه بلامبالاة وقال " الحال كما رأيت بنفسك

ترفض الكلام وصديقة والدتها تلك لم تعد تجيب على

اتصالاتنا لأن هاتفها مقفل على الدوام ولا علم لنا سوى

عن اسم المدرسة السابقة لها "

قلت باستغراب " أليست طالبة لديكم من أول العام "

هز رأسه بلا وقال " جاءت بعد بدايته بشهرين "

قلت من فوري " ولما لا تستعلمون عنها ، أعني اسم عائلتها "

قال بهدوء " هذا ليس من شأننا أنت تعلم هذه الثانوية خاصة

ولا احتكاك لنا بأولياء الأمور إلا إن جاؤوا بأنفسهم أو استدعينا

أحدهم لسبب من الأسباب المدرجة في القوانين ، صديقة والدتها

كانت على اتصال بنا وانقطعت عنا من مدة ، هي لا تحمل نفس اسم

عائلتها أو عائلة والدتها لكنها هي من سجلتها لدينا وحتى اسم الفتاة

في أوراقها جميعها لا يحمل لقباً لها فقط سما أحمد عبد الله ، لا

والدها ولا والدتها كل شيء مبهم ولا يحق لنا التدخل ، وكما أنت

تراها أمامك كثلة من الصمت والغموض "

قلت بحيرة " غريب أمر هذه الفتاة وتبدوا

خائفة جدا ومن كل شيء "

لاذ بالصمت فقلت " ما اسم مدرستها السابقة ؟ " !

ضحك وقال " أخبرتك أن تخبرني عن قصتك معها "

قلت بضيق " يالها من مخيلة هذه التي لديك

إنها طفلة أمامي أتعي هذا "

اكتفى بالابتسام دون تعليق وأخرج ملفها وقال

" مدرسة الرجاء الثانوية للبنات "

نظرت له بدهشة وقلت " هذه المدرسة تكاليفها

باهظة جدا ومشهورة "

رفع كتفيه وقال " صديقة والدتها تلك دفعت لنا ثمن الثلاث

أعوام كلها أي لن تعجز عن الدراسة في تلك المدرسة"

وقفت وقلت " هذا جرس الحصة عن إذك"

\*

\*

لا أعلم لما المواقف السيئة تكون بحضور ذاك الأستاذ

فلا فضيحة تحدث لي إلا وهو شاهد عليها ، منذ يومين

دبرا لي مقلب وأوقعاني في الممر على لحظة دخوله وساعدني

لأقف وانهرت باكياً من الإحراج فازدادت غيضا وكرها لي

لأنه أوقفني وكأنها تحسني على الموقف المخرج ذاك ، كانت

وقعت هي وحضت بتلك الفرصة الذهبية بدلا من إحراجي ، دخلت

الفصل وجلست في مقعدي وبعد قليل انتهت الحصة وخرج معلم

الفيزياء فوقفت والتفتت لي وقالت " تريدي توريطي في

غرامياتك إذا ، ستريين يا ... هه حبيبة أستاذك"

نظرت لها بصدمة على صوت شهقات البنات كلهم وفتحت

فمي لأتحدث فطرق أحدهم الباب ودخل الأستاذ نزار لأنها

حصتنا معه فجلستُ هي بعد أن رمّنتي بنظرة احتقار وجلست  
أنا أمسح دموعي التي رفضت التوقف ولم أنتبه حتى لما يشرح  
في الحصة لأنني كنت منهارة تماما وهو اكتفى بالصمت دون  
أن يوبخني ولا يخرجني وبعد نصف ساعة قال وهو يكتب على  
اللوح " سما أخرجي واغسلي وجهك واشربي بعض الماء ويكفي بكاء"  
وقفت وغادرت الفصل متوجهة لدورة المياه وأكملت بكائي هناك  
ثم غسلت وجهي وعدت للفصل وجلست مكاني في صمت وكان  
هو جالسا على كرسيه وأمامه أوراق الاختبار المبدئي لنا لأنه  
دخل على نصف العام تقريبا ولا يريد أن يعتمد درجات المدرس  
السابق فقط ، كان نظري على الطاولة ولم أرفعه فوصل صوته  
قائلا " طبعا نتائج الاختبار ليست مرضية لي كيف لطالبات في

الثانوية العامة أن تكون إجاباتهم بهذا الشكل المخزي "

عم الصمت بعدها سوى من صوت تحريكه للأوراق

ثم قال " سما "

نظرت له من فوري بخوف ، لما يُدم النتائج ثم أنا أول من  
ينادي باسمها ؟ وقف بعدها وأخذ دبوسا من لوحة الإعلانات  
خلف كرسيه حيث يثبت لنا المعلمين إعلانات الامتحانات  
عليها وتبث ورقتي هناك وقال " علامة كاملة وورقة مرتبة  
ونظيفة ، كل من أراد منكم حل لإحدى المسائل يرجع لورقتها  
لا أعلم فيما تنقص عقولكن عنها"

ثم عاد لكرسيه وجلس وقال " سلمى وثريا ونوال كانت درجاتهم  
جيدة وهناك طالبة تعرف نفسها جيدا أقول لها لا داعي للكلام بين  
الأسطر والإشارات الهابطة لأنه لا يمكن اللعب معي ولا بي وقد  
حصلت على صفر وهي تستحقه وإن كان لديها اعتراض فلتقف  
ما أن تصلها ورقتها وعليها أن تتدارك الأمر في باقي الاختبارات  
كي لا ترسب لأنني سأخذ من هذا الاختبار ثلث الدرجة"

قلب بعدها الأوراق وقال ماذا بهم للطالبة أمام كرسيه  
"وزعيها عليهم دون أن تقلبيها أسمائهم في الخلف"

رن حينها جرس الحصة فوقف من فوره مغادرا ووقفت

وجدان وتوجهت لورقتي وأمسكت طرفها بأطراف أصابعها

وقالت " انظروا وهذا الدليل يعلق ورقتها على اللوح"

قالت الأخرى " نعم دليل واضح وملموس"

وقفت وقلت بغضب " كاذبة وكريهة أرينا ورقتك إن استطعتِ

أم أنك الفتاة التي تحدث عنها ، هل تحاولي رشوة المدرس"

صُدمت دون كلام وتأكد شكّي أنها هي فقالت متداركة الأمر

"خطة فاشلة لتغيير الموضوع يا ثنائي الغرام"

قلت بغضب " لن يصدقك أحد"

نظرت للطالبات وقالت " هل من معترض على كلامي"

نظرن لبعضهن بصمت ودخلت حينها معلمة المادة الأخرى

وجلسنا، كنت سأضربها على كلامها لكنني الخاسرة

الوحيدة في ذلك ، إن طردني المدير سأضربها حتى

أتعب قبل أن أغادر وألقنها درسا لن تنساه وأمام الجميع

\*

\*

غادرت الفصل خارجا من المدرسة ، لدي الحصة بعد القادمة  
عند السنة الثالثة أي معي خمس وأربعين دقيقة لأذهب وأعود  
المدرسة ليست بعيدة كثيرا أي أن الوقت يكفي، ركبت سيارتي  
وضحكت على نفسي ، يبدو أن جابر أصابني بعدوى المحققين  
ولكن عليا معرفة سر هذه الفتاة ولما تخفيه ، وصلت لمدرستها  
السابقة ودخلت لمقابلة المدير ، طرقت الباب ودخلت فوقف  
مرحبا بي فصافحته وجلست قائلا " جئت أريد منك بعض  
المعلومات عن طالبة كانت تدرس لديكم بداية العام في السنة  
الأولى وانتقلت من هنا بعد شهرين"  
أخرج ورقة وقال " أعطني اسمها وسبب السؤال عنها"  
قلت " سما أحمد عبد الله هي طالبتني لي الآن في مدرستها  
الجديدة ومستواها في المادة فوق الممتاز وبدايتها كانت لديكم  
وأود عمل بحث عن تفوق الطلبة في المراحل الثانوية وأسبابه"  
نظر لي بفخر وقال " الجذور دائما هي الأساس فاذا ذكر اسم مدرستنا"

يالک من متعجرف ألا یکفیک شهرتها ، قلت بابتسامة

"هل لی أن أعلم من الذی سجلها لذیکم ومن سحب ملفها ولما"

نظر لی باستغراب ثم قال " من المفترض أن تسأل

عن معلمیها وليس من سجلها"

قلت بثقة " لكل مرحلة أسئلتها ونحن فی المرحلة الأولى"

نظر لی باستفهام ویبدو أنه مغرور ولا یرید أن یرى

غبائه لی فقال " والدها قام بتسجيلها بداية العام وسحبت

ملفها صديقة لوالدتها تدعى عفراء"

قلت من فوري " وهل كان والدها يزوركم

لیقیم مستوى ابنته"

قال " دائما"

قلت " ولما ليس هوا من أخرجها ونقلها من هنا"

قال بلامبالاة " صديقة والدتها جاءت وقالت أنهما

مسافران وتركها لديها"

قلت بجدية " وكيف لمدرسة معروفة كمدرستكم

تعطي ملف طالبة لديها لشخص ليس وليها"

وقف وقال بضيق " هل جئت لتحقق معي أم ماذا"

وقفت وقلت " لم أتخيل أن تكونوا بهذا الاستهتار

فحتى المدارس الحكومية لا تفعل جريمة كهذه"

قال بغضب " أخرج من هنا الآن"

قلت بابتسامة سخرية " تأخذ الرشوة إذاً"

ضرب بيده على الطاولة وقال بغضب أكبر

"إن لم تخرج الآن من المدرسة استدعيت لك الأمن"

وضعت يدي على الطاولة وقربت وجهي منه وقلت

"بل أنا من س يضع سمعة مدرستك في الحضيض إن

كنتم تبيعون الشهادات أيضاً"

ثم خرجت وتركته فليحلم بكابوس مرعب الليلة لأنني لن

أكثرث له ولا لجرائمه ، إذا والداها ليسا هنا لكن كيف

يضعانها عند امرأة غريبة ويسافران وكيف يسافر قبل

نقلها من هناك ولما ترفض قول أين هما ! وأين اختفت

تلك المرأة أيضا ! يالها من لغز محير ، وصلت المدرسة

على وقت الحصة وكنت سأدخل الفصل حين استوقفني

صوت منادي " أستاذ نزار "

التفتت للخلف فكانت وجدان ، نظرت لها بجمود فوقفت

أمامي وقالت ونظرها للأرض " لقد فهت الأمر خطأ أقسم لـ " ....

قلت بجدية " فهمته كما رأيته وقدمي اعتراضك للمدير أو ولي

أمرك وسأتناقش معه ، أو لما تتعبي نفسك سأستدعيه أنا "

نظرت لي وقالت بخوف " لا سوف يوبخني ويفهمني مثلك "

قلت " سأتغاضى عن الأمر إن أوقفتي مهزلة الشاب الذي

سيأتي لسور المدرسة وأضنك تفهميني جيدا ولن نتناقش

في الأمر فكل واحد منا يفهم الآخر ولك أن تختاري "

ثم تركتها ودخلت الفصل

\*

\*

كانت هذه الحصة الترفيهية وأستغلها دائما بالجلوس في  
المكتبة ، اتخذت مكانا متطرفا وأخرجت هاتفي ووضعته  
في الكتاب وجربت الاتصال بها مجددا ... أرجوك حالة  
أجيبني ، أنا خائفة كيف تتركيني أنتي أيضا ألسـتِ وعدتني  
بمساعدي ، حاولت وحاولت ودون فائدة فبدأت بالبكاء  
لأنه الشيء الوحيد المتبقي لدي فحتى دراستي سأخسرهما  
كنت أبكي بصمت فرأيت حينها أصابع رجل تمتد لهاتفي  
وتأخذه من يدي

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

مرّت عدة أيام على ذاك اليوم المشنوم ولم يزرنا  
والدهم حتى خلت أنني كنت أتوهم وأنها كانت كذبة أو كابوس  
واستيقظت منه ولكن يالا خيبة الأمل فقد اتصل بي اليوم ولا  
أعلم حتى من أين تحصل على رقم هاتفي ، وأي سؤال غبي

هذا فكيف لضابط في الشرطة الجنائية أن يعجز عن معرفة حتى

متى آكل ، منذ ذاك اليوم وأنا أنام وثلاثتهم في حضني وليس

ترف وحدها كالعادة ، لم أستوعب حتى الآن فكرة أن يذهبوا

مني فكيف سأشرحها لهم ولكن والدهم سيكون هنا في الغد

ولم يعد لديا وقت ، كانت فرحتهم اليوم لا توصف حين أخبرتهم

أنهم لن يذهبوا للمدرسة غدا يعتقدون أننا سنذهب للتنزه كأيام

العطلة لا بل جهزوا أغراض اللعب عند البحر، يا رب ساعدني

كي أمهد لهم الأمر ، مؤكدا سيفرحهم كون أن لهم والد

سيحقق كل رغباتهم التي عجت أنا عن تحقيقها لكن كيف

سأقنعهم أنه والدهم وليس والدي وأنهم ليسوا إخوتي ولن

أكون معهم ، عليا أن أكون قوية من أجلهم كما كنت دائما

آآآه يا رب كما أعطيتني القوة لتحمل مسئوليتهم وأنا صغيرة

فأعطني القوة لأواجه قدرتي بدونهم وبدون وجودهم فهم مع

والدهم سيكونون أفضل خصوصا والد بمركزه وشخصيته

سيحميهم من كل شيء خصوصا الفتاتان ، عليا أن أزيح

أنانيتي جانبا وأفكر فيهما فستكبران وتحتاجان لمن يحميهم وأنا

أكثر من يعلم ما سيواجهانه وهما دون رجل يسندهم ويردع

عنهم المتربصين بهم ، غطيت أمجد وأعدت ساقه تحت اللحاف

هذا المتعب كل ليلة أزوره أكثر من مرة في غرفته لأغطيه

جيذا وكأنه يلعب كرة القدم وهو نائم ، ترى هل يوجد هناك

من سيتفقدته كل ليلة ويغطيه ويمشط له شعره في الصباح

من تنام ترف في حضنه كل ليلة لأنها تخاف النوم وحدها

ولا تنام دون حكاية تجعلها تنام دون أن تشعر ، هل يوجد

من سيستوعب حالمة بيسان وعالمها الخيالي الذي يسيطر

حتى على فهمها للدروس ، نمت هذه الليلة على أصوات أفكاري

ودون شعور واستيقظت على صوت منبه الساعة لصلاة

الفجر ، أيقظتهم معي ككل صباح وأدخلتهم الحمام ، كان

أمجد في الداخل ونحن خارجه حين قالت بيسان بتذمر وهي

تفرك عيناها الزرقاء الغامقة الواسعة " ماما لما لا نذهب

للحمام الآخر لن يخرج أمجد لقد نام في الداخل"

ابتسمت بعينان تمتلئ بالدموع ومسحت على شعرها

الأشقر وقلت " لن تفترقوا عني اليوم حبيبتي"

طرقت عليه الباب دون كلام كما علمتهم فخرج يتثاءب

نظرت للخلف فكانت ترف مرمية على السرير بالعرض وقد

عادت للنوم فابتسمت وأوقفتها لتصحوا وأدخلت الفتاتان بعده

للحمام ثم دخلنا معا ليتوضئوا أمامي وضوءً صحيحاً ككل صلاة

وكل يوم وبقيت كالعادة أنتظر الأنسة ترف وهي تغسل كل عضو

خمسین مرة بدعوى أنها لم تغسلها جيداً ثم صلينا جميعنا معا

كعادتنا ، كم أتمنى أن يجدوا هناك من يهتم بصلاتهم كي يكبروا

عليها ، تناولنا الإفطار معا ككل صباح مع تساؤلاتهم الطفولية

عن سبب إفطارنا مبكراً ثم وقفت وقلت " سأخذ الأطباق للمطبخ

أريدكم في صلاة الجلوس ثلاثكم فثمة أمر سنتحدث عنه"

ثم قلت بمرح " من سيسبق الجميع إلى هناك"

ركضا أمجد وبيسان وبدأت ترف بالبكاء وهي تهز قديها  
لأنها لا تستطيع النزول وحدها هذه القزمة فأنزلتها وقلت

"أنتي الفائزة"

فركضت لهم تصرخ أنها فازت عليهم ، وضعت الأطباق  
في المطبخ وذهبت لهم وجلست على الأرض وقلت  
"تعالوا اجلسوا أمامي"

جلسوا على خصومة شديدة طبعاً بين ترف وأمجد من  
يجلس في المنتصف فتأففت بيسان وقالت بتذمر

"ما بكما النبلاء لا يجلسون هكذا يالكم من همجيين"

ضحكت رغماً عني بدلاً من توبيخها على نعتهم بالهمجيين

ثم قلت " أمجد أنت الرجل وهي صغيرة فدعها تجلس"

ابتعد قائلاً بتذمر " دائماً صغيرة وأنا رجل لماذا"

جلست طبعاً تلك الأناية تمسح الدموع العالقة في رموشها دون

كلام، مددت يداي لهم وقلت " مدوا أيديكم وضعوها في يداي"

امتثلوا لأمرني فنظرت لأعينهم الصغيرة الجميلة التي علمت

الآن من أين اكتسبوها وقلت بجديّة " عدوني أنكم ستكونون يدا

واحدة هكذا عندما تكبروا"

قال أمجد فهوا في عمر يستوعب هذا الكلام

"نعم ماما أعدك"

قالت بيسان " أجل إمبراطورا"

قبلت أيديهم الصغيرة وقلت " هل تتمنون أن يكون لنا والد"

قال أمجد من فوره " كل أصدقائي يتحدثون عن آبائهم

وما يفعلون لهم وأنا ليس لدي أب ولكن الرسول

كان أيضا بلا أب كما أخبرتنا"

هزت الفتاتان رأسيهما بنعم دون كلام فتركت أيديهم وقلت

"وإن أصبح لنا والد"

نظروا لي باستغراب وصمت فقلت بابتسامة

"أي كان لنا والد ولا نعلم عنه"

ضمت بيسان يديها لصدرها وقالت بسعادة

"حقا لنا والد"

هزرت رأسي بنعم فقال أمجد بابتسامة واسعة

"ويشتري لي دراجة"

هزرت رأسي بنعم أيضا دون كلام وأنا أرى السعادة في

أعينهم ثم قلت " قد يصعب عليكم استيعاب ما أقول ولكن

بالفعل لكم والد ولم تكن نعلم عنه هوا يحبكم وجاء ليأخذكم

معه ،لديه مال كثير ومنزل كبير وجميل وكان

يبحث عنكم كثيرا حتى وجدكم"

قالت بيسان " ولما تركنا" !!

ابتسمت بعفوية يبدوا لي عقول الصغار أكبر مما نتخيل

مسحت على وجهها وقلت "هوا لم يترككم حبيبتي هوا

فقط فقدكم وضعت منه أنتم ووالدكم"

بقوا ينظرون لي في صمت وعدم استيعاب فقلت

"أستم تريدون والدا يحقق لكم كل ما تتمنونه

وتتحدثون عنه لزملائكم"

قالوا معا " أجل "

قلت بابتسامة " وأنتم لكم والد ستفخرون به كل حياتكم هوا

ضابط كبير ومعروف والكل يهابه ويخشاه "

قالت ترف بحيرة " هل هوا مخيف؟؟ "

ضحكت وقلت " لا هوا ليس مخيفا هوا يمسك المجرمين

ويضعهم في السجن فهم يخافون منه "

قال أمجد من فوره " كفريق الشرطة في الكرتون "

ابتسمت ووضعت يدي على رأسه وقلت وأنا أعب

بشعره الناعم " بل كرئيس المحققين في كونان "

تنهدت بعدها وقلت " سيأتي اليوم هنا و عليكم استقباله بأدب

وتقبيل يده والتحدث معه بهدوء كما علمتكم دائما "

هزوا رؤوسهم بالموافقة دون كلام ، سيصعب عليهم استيعاب

ذلك ولكن الأمر مجرد مسألة تعود وسيعتادون الوضع الجديد

قلت بابتسامة " جهزت لكم كل أغراضكم وستذهبون

معه لمنزلكم الكبير الجميل"

قال أمجد " ألن تذهبي معنا" !!

ها قد استيقظوا للنقطة الصعبة في الموضوع ، قلت

بابتسامة " لا بني هوا والدكم أنتم وليس أنا"

قالت ترف " ولما ليس والدك"

ابتسمت على الفكرة وقلت " لا حبيبتي هوا ليس والدي أبدا"

قالت بيسان " كيف ماما ألسن شقيقتنا كما أخبرتنا"

قلت " نعم حبيبتي كنت أضن ذلك ولكن كان ثمة حقيقة مخفية عني

وهي أنني لست شقيقتكم ووالدكم ليس والدي ووالدي ليس والدكم"

هز أمجد رأسه وقال " كيف !! لا أفهم"

آخ إن كان أكبرهم لم يفهم فكيف بالفتاتان ، قلت بهدوء

" عندما كنتم صغارا ضعتم ووالدكم من والدكم ولم

يجدكم فوجدكم والدي وأخذكم معه وسجلكم باسمه ثم مات

وماتت والدكم فضننت أنا أنكم إخوتي والحقيقة ليست كذلك"

نظروا لي بشيء من الاستيعاب ثم قالت بيسان

"كيف لا تذهبي معنا لا أريد أن أذهب من دونك"

مسحت دموعا غلبتني وقلت " عليكم أن تذهبوا

هوا والدكم ولا يجوز أن أذهب أنا"

قال أمجد " وإن يكن أليس منزله كبيراً خذي غرفة وابقى معنا"

فقزت ترف لحضني وقالت " لا ماما لن نتركك أبدا"

وقلدها الآخران وتشبثوا بحضني لتتطلق دموعي

التي كنت أكبتها منذ الصباح حتى قالت بيسان

"ماما لما تبكي نحن لن نتركك"

تماسكت وأبعدتهم ومسحت دموعي وقلت " بل سأغضب منكم

إن قلت أمام والدكم أنكم لا تريدونه أو لا تريدون الذهاب معه مفهوم"

بقوا ينظرون لي بعيون دامعة فتنهدت وقلت بهدوء

" عليكم احترامه ومقابلته بأدب حسناً"

بقوا على حالهم فقلت بضيق " هل تريدون إغضابي منكم"

هزوا رؤوسهم بلا فقلت بجدية " إذا افعلوا ما أقول"

قال أمجد " تزوجيه إذا "

نظرت له بصدمة كيف خطر بباله هذا الكلام ويقول له أمام

شقيقتاه، كيف نسيت أنه بعمر ستخطر كل هذه الأفكار عليه

قلت بحزم " أمجد لا تكرر هذا القول ولا واحدة منكما تقولها

أمام والدكم فيضن أنها أفكاري أنقلها لكم وسوف أبدوا سيئة

في نظره ولم أربكم جيدا فهتمم "

قال أمجد وعيناه أرضا " آسف ماما "

قالت ترف " ما يعني تتزوجينه هل هوا مثل

حفل الزواج الذي حضرناه "

تنهدت وقلت " ترف إنسي هذا الكلام ولا تفكري

فيه ولا تتحدثي عنه مفهوم "

لأذت بالصمت فقلت " أعلم أنكم أصغر من استيعاب الأمر

ولكنكم ستعتادون ذلك وتسعدون بالعيش مع والدكم ، هيا

بسرعة لغرفكم لتبدلوا ملابسكم لقد وضعت لكم

ثيابكم على اسرتكم ... بسرعة هيا "

غادرت الفتاتان وبقي أمجد ولم أستغرب هذه الحركة منه

هوا في الثامنة الآن وفتى ذكي لن يفوته شيء مما قلت

نظر لي وقال بهدوء " لما لن تذهبي معنا ما في الأمر إن ذهبت "

أمسكت وجهه بيدي وقلت " أمجد أنت كبير وعقلك أكبر حتى

من سنك وتفهم جيدا معنى كل ما قلته أليس كذلك "

هز رأسه بنعم فقلت " هيا إذا والدكم سيأتي في أي وقت "

وقف وغادر في صمت ، كان على ذاك الصخرة أن يساعدي

في هذا الأمر بأن يتقرب لهم ويخرج بهم ليتعلقوا به ثم يخبرهم

بالأمر بدلا من أن أحكي أنا لهم قصة طويلة بطلها غير

موجود، أعانكم الله يا أحبائي فلستم أفضل حالا مني

\*

\*

كنت جالسا على مكتبي أطرق على الطاولة بأصابعي

أي لقاء سيكون لي معهم وما قالته تلك الفتاة لهم عني

قد تحاول حشو رؤوسهم ليكرهوني ويطلبوا البقاء معها

فالنساء ماكرات ، عليا أخذهم إن بالطيب أو بالإكراه وسيعتادون

شيئا فشيئا على حياتهم هناك ، سمعت طرقات على الباب ثم

دخل حيان ضرب التحية مستقيما ثم قال " اتصل مأمون وقال

أن السيد أسعد أشار بـ" ...

قاطعته قائلا وأنا أقف " أترك كل شيء سأخرج الآن وحين

أعود نتفاهم أخبروا الفريق أن يتركوا الموقع ، اتصلت

بأسعد سيشددون الحراسة عليه"

ثم خرجت من فوري ركبت سيارتي وغادرت باتجاه منزلها

نزلت وطرقت الباب ففتحته لي ترتدي حجابا وملابس ساترة

وقالت وعيناها أرضا " صباح الخير تفضل يا سيد"

دخلتُ في صمت ولحقت هي بي تاركة الباب مفتوحا وسارت

أمامي قائلة " أعذرنى عليا تركه مفتوح فأنت أول رجل

يدخل منزلي وأنت تعلم الجيران إن لاحظوا دخولك

فلن أسلم من الشائعات"

تبعتها في صمت وتوجهتُ بي لغرفة الجلوس ووقفت

عند الباب وقالت بهدوء " تفضل بالجلوس سيكونون

عندك حالا وسأنزل أغراضهم بنفسي"

ثم همّت بالمغادرة فقلت " عذرا يا آنسة"

التفتت إليا فقلت " هل تحدثت معهم في الأمر"

قالت باختصار ونظرها أرضا " نعم"

قلت " وما مدى استيعابهم لذلك"

نظرت جانبا وقالت " هم صغار ويصعب أن يتفهموا

بسرعة ولكن حين يكونون لديك هناك سيفهمون برويتهم

لأرض الواقع ، لقد شرحت لهم كل شيء وأنهم ضاعوا منك

ووالدتهم وأن والدي وجدهم وسجلهم باسمه"

ثم رفعت عينها لعيناي وقالت برجاء " أرجوك يا سيد لا

تشوه صورة والدتهم ولا حتى والدي لديهم ، هم فهموا أن

لهم والد وفرحين بالأمر ، فقط يصعب عليهم استيعاب أني

لست شقيقتهم وأنت لست والدي وأنني لن أذهب معهم

فعليك أن تصبر عليهم قليلا وتفهم موقفهم"

تنفست بقوة وقلت بضيق " ولما أعطيتك كل هذا

الوقت أليس لتشرحي لهم"

قالت بضيق مماثل " أخبرتك أنهم صغار وإن قضيت

عمري أشرح لهم فلن يستوعبوا"

ثم غادرت من فورها وتركتني فجلست على إحدى أرائك

المجلس، غابت لوقت ثم دخلت يتبعونها ثلاثتهم بملابس

مرتبة ينظرون لي بريية أو خوف لا أعلم ، نزلت لمستواهم

وهمست لهم شيئا فتقدم أمجد مني قبل يدي وقال

"مرحبا أبي"

مسحت على شعره مبتسما له فاقتربت بيسان ورفعت

فستانها لتتحني ثم نظرت جهة الفتاة فنهتها بحركة من

رأسها فاعتدلت في وقفها ثم قبلت يدي وقالت

"مرحبا بابا"

تقدمت بعدها ترف صعدت بجانبني على الأريكة تنظر

لي بتفحص ثم قالت " هل أنت والدنا حقا"

قلت مبتسما " نعم"

قالت من فورها " وتملك منزلا جميلا ونقودا

كثيرة كما قالت ماما"

نظرت للفتاة ثم لها وقلت " نعم صغیرتي"

عندها احتضنتني بقوة وقالت " دع ماما تذهب معنا أرجوك"

قالت حينها أرجوان بحدة " ترف"

ابتعدت عني ونظرت لها فقالت بغضب

"كم مرة سنكرر ما قلناه"

قالت ورأسها للأسفل " آسفة ماما"

قالت بضيق " وأین ما أوصیتکم به"

أمسكت يدي وقبلتها وقالت " مرحبا أبي"

قالت حينها أرجوان ورأسها أرضا " أغراضهم جميعها

عند الباب وكتبت في ورق كل الأمور التي يحتاجون

لأحد لمساعدتهم فيها"

ثم رفعت نظرها لي وقالت " أرجوك لا تفرضوا في

صلاتهم هم يؤذونها معي كل وقت بوقته ، أمجد يمكنه فعل

كل خصوصياته بنفسه من الاستحمام لتغيير ملابسه

أرجوك لا تسمح لامرأة بالتدخل في أموره واجعلوا

له غرفة مستقلة"

ثم غادرت الغرفة في صمت وصوت لباب أغلق خلفها ويبدو

لا تريد توديعهم ، وقفت وقلت " هيا سنغادر لمنزلنا أخرجوا للسيارة"

بقوا ينظرون لي في صمت فقلت بحزم " للسيارة بسرعة"

خرجوا ببطء يلتفتون لكل زوايا المنزل بحثا عنها ثم

انطلقت ترف راكضة جهة إحدى الغرف المقفلة وبدأت

بطرفها قائلة ببكاء " ماما لا أريد الذهاب تعالي معنا"

تحركت بيسان ناحيتها فقلت بأمر " بيسان أمجد للخارج الآن"

نظرا لي فقلت بحدة مشيرا بإصبعي للباب " فورا"

خرجا من فورهما وتوجهت جهة ترف وسحبتهما من يدها

وأخرجتها معي على صوت بكائها المرتفع فلا خيار لدي فإن  
أطعتهم فلن أغانر بهم أبداً ، سيكون الأمر صعبا عليهم ولكنهم

سيعتادون الوضع ويكبروا وينسوها

\*

\*

سحبني من يدي وقال " بسرعة لنغادر فأنت حين

تدخل هنا تنسى نفسك"

ضحك وقال " وأنت حين تعلم أن شقيقك جابر في

الطريق تخرج من عقلك"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت " معك حق كان عليا

تركك هنا ليأتي ويجدك في هذا المكان ليقطع لك رأسك"

ضحك وخرجنا معا ركبنا سيارتي وخرجنا من المنزل وبعد

مسافة رأيت شخصا في الطريق فوقفت فورا ونزلت من

السيارة ووقفت مستندا عليها بيدي وقلت

"أين حافلتك تعودين سيرا على قدميك"

نظرت لي ببرود وقالت بغنجها المعتاد

"وأنت ما الذي تفعله هنا هل تلاحق فتيات الثانوية"

قلت من بين أسناني " بتول احترميني أفضل لك"

قالت بسخرية " واحترمني أنت أولا ما قصدك بكلمة أين حافظتي"

فتحت باب السيارة الخلفي بغيض وقلت " اركبي سأوصلك"

نظرت لي بجمود فضربت على سقف السيارة وقلت

"بتول لا تفقديني أعصابي"

دفعت الباب وقالت " فقط لأنه معك شخص

ولا أريد إحراجك أمامه"

أغلقت الباب خلفها بقوة وركبت السيارة وانطلقت

قائلا بأمر " لا تعود لي للمنزل سيرا مرة أخرى"

قالت بصوتها الرقيق " كيف !! أبات في المدرسة إذا"

أوقفت السيارة بقوة فقالت " آآي أنفي ضرب الكرسي يا متهور"

همس لي جواد ضاحكا " مهلك يا رجل ما كل هذا"

نظرت له بغيض فضحك في صمت فانطلقت بالسيارة

مجددا وقلت " إن وجدتك مرة أخرى كما اليوم

فحسابك معي سيكون عسيرا"

وضعت يدها وسط جسدها وقالت " حمدا لله والذي لم يمتم بعد"

كررت الحركة بشد سرعة السيارة فقالت بتألم

"أنفي أنفي ألا تفهم"

وصلنا حينها لمنزلهم نزلت وفتحت لها الباب فنزلت

تتأفف وتبعثها حتى باب منزلهم فالتفتت لي وقالت

"لا توصلني مرة أخرى تفهم"

قلت مقلدا لطريقة كلامها " بل سأقطع رأسك إن

عدتي سيرا يا بتول"

ضربتني على صدري بحقيبة يدها الصغيرة وركضت

لللباب الداخلي ثم التفتت لي وفعلت حركتها المعتادة مخرجة

لسانها ودخلت وأغلقت الباب خلفها بقوة ، ابتسمت بعفوية

وأنا أمسد ضربتها على صدري وقلت هامسا بابتسامة

"لن ينام في هذا الحزن غيرك أنتي وحقيبتك

أيتها العلكة ولكن عليا تقويمك أولا"

عدت لسيارتي ركبت فقال جواد ضاحكا

"معتصم مهلك على الفتاة هي لم تخطأ"

شغلت السيارة وانطلقت قائلا

"علكة وتحتاج من يحولها لشيء صالح للأكل"

ضحك كثيرا ثم قال " أقسم أنك تعشق دلالها

و غنجها وإن تغيرت لن تعجبك"

قلت بضيق " اسكت فورا قال أعشق غنجها قال

إنه يصيبني بالغثيان"

\*  
\*

"ترف لا تقفي على المقعد اجلسي فورا"

جلست وقالت بحزن " ألن نرى ماما مجددا"

تأففت وقلت بحدة " ما الذي كنا نقوله الآن"

قالت بهدوء " سنزورها لاحقا"

عادت للصمت فنظرت لأمجد الجالس في الكرسي

الذي بجانبني فنظرت لي وقال بهدوء " هل منزلنا بعيد"

قلت وقد عدت بنظري للطريق " ليس كثيرا"

ثم نظرت في المرآة وقلت " بيسان ما بك"

قالت بصوت منخفض " أريد الحمام"

يا إلهي ما هذه المشكلات ، توقفت عند المحطة وأنزلتها

لتدخل الحمام فوقفت عند الباب فقلت " هيا بسرعة إنه الحمام"

قالت " لا أستطيع الدخول وحدي"

قلت بضيق " أنتي لست صغيرة عمرك سبع

سنين لما لا تدخلين وحدك"

قالت وهي تففز " لا أستطيع بسررعة"

تأففت ودخلت معها ثم أخرجت هاتفي واتصلت بأرجوان

فأجابت من فورها فقلت دون مقدمات " كيف لطفلة في

السابعة لا تستطيع دخول الحمام وحدها لابد وأن

ترف تفعلها في فراشها إذا"

قالت بحدة " مهلك لتسمع الجواب أولا ثم أقي

بسيل شتائمك ... هل قرأت الورقة"

قلت بضيق " لا"

قالت من فورها " لا تلقي باللوم عليا إذا"

قلت ببرود " وهل لي أن أعرف السبب"

تأففت وقالت " لقد علفت في حمام المدرسة واحتاجوا

لوقت لإخراجها فأصبحت تخاف البقاء وحدها

فيه ..... وداعا"

ثم أغلقت الخط في وجهي فتأففت وقلت معطيا

ظهري لها " هل انتهيت"

جاء صوتها من جانبي " نعم"

خرجنا فقالت ونحن نقتررب من السيارة

"ماما تقول لنا لا نتحدثوا في الحمام لما تفعل أنت ذلك"

تنهدت بضيق وقلت " معها حق بيسان أنا كنت مطرا فقط"

أركبتها السيارة لأطمئن أن الباب مغلق جيدا وركبت وتابعا  
طريقنا ، جيد أنهم توقفوا عن البكاء فلم يسكتوا إلا حين أخبرتهم  
أنا سنزورها دائما ، اضطررت للكذب عليهم لأنه الحل الوحيد  
مؤقتاً ، ستصل المربيان غدا ولا أعلم كيف سيمر اليوم فلا  
أمي ستهتم بهم ولا زهور التي تسجن نفسها طوال الوقت في  
غرفتها فلا حل أمامي سوى الخادمت ، وصلنا القصر دخلت  
بسيارتي نزلت ثم أنزلتهم ودخلت وهم يتبعونني ، توجهت  
حيث والدتي والتفتت لهم وقلت " افعلوا كما سأفعل أنا حسنا"  
نظروا لي باستغراب فهزرت رأسي بيأس ، يبدو أنهم لا  
يتلقون الأوامر إلا من تلك الفتاة ، نزلت عندهم وهمست لهم  
"تلك جدتكم هناك فافعلوا معها كما أخبرتكم

أمكم أن تفعلوا معي حسنا"

هزوا رؤوسهم بحسنا فتهدت بضيق وعدلت وفقتي ، يبدو  
لن نتخلص من تلك الفتاة بسهولة ولو بذكرها فقط ، توجهت

لوالدي وقبلت يدها وتحتيت جانباً فاقتربوا منها وفعلوا مثلي

فنظرت لي وقالت " جيد لا نحيب وبكاء يبدا لا يرغبون بها"

قلت بجديّة " بل تعلقهم بها كبير وأكثر مما تخيلت وكل ما

يصبرهم وعود وهمية بأنهم سيرونها دائماً"

ثم أدت رأسي جانباً وقلت بصوت مرتفع " سيلاً"

حضرت خادمتان ركضا وقالت إحداهما " نعم سيدي"

قلت بجديّة " خدا الأولاد لغرفهم ولا تفارقوهم اليوم أبدا مفهوم"

قالا وهما يمسكون أيديهم ويسيرون بهم " مفهوم سيدي"

جلست بجانب والدي فقالت بهدوء " ماذا قررت بشأنهم"

قلت ونظري للأرض " ستصل المربيات غدا وألحقتهن

بالمدارس هنا وسأجلب لهن مدرسين خصوصيين أيضا

وسائق يتكفل بتوصيلهم وجلبهم يوميا"

قالت بضيق " مربيات !! وفيما تجدي المربيات غير

الهروب دائما كالخدم وتضيع تربيتهم من مربية لأخرى"

قلت بضيق أكبر " وما الذي سأفعله لهم فلا حل لدي"

قالت من فورها " تزوج "

نظرت لها بصدمة فقالت بجدية " هل قلت شيئا غريبا ، أنت

بحاجة لامرأة ثابتة هنا ترعى الأبناء بمساعدة الخادמות "

قلت بتذمر " أمي ما هذا الهراء هل جننت لأتزوج من جديد "

قالت متجاهلة كلامي " ابنة راضية كانت تدير روضة أطفال

بصرامة ونظام قوي تزوج بها ستربيهم جيدا "

قلت ببرود " الموضوع منتهي الكلام فيه أمي "

قالت بصرامة " جابر لم أعرفك تكسر لي كلمة

وأريد التحدث معهما اليوم "

وقفت وقلت " لا تضعي نفسك في موقف سيء أمامهم

يا أمي ، لن أعصي لك أمرا يوما لكن مسألة الزواج

وحددي يقررها وقلت لن أتزوج "

قالت ببرود " فكر بمصلحة أبنائك "

تنهدت وقلت " المربيات حلبي الوحيد أو أنتي وزهور "

قالت بسخرية " زهور !! وأي زهور بقيت لنا بعد

طلاقها وفرار زوجها بفعلته"

قلت مغادرا " ها أنتي رببتنا جميعنا فأشرفي على تربيتهم بنفسك"

وخرجت من هناك فورا قبل أن تحاصرني بهذه الأفكار

الجديدة ، عليا العودة للمكتب ينتظرنى عمل كثير هناك

\*

\*

وضعت له القهوة على الطاولة على دخول بتول

تمسح دموعها فقلت بضيق " خير إن شاء الله

من المعلمة التي أهانتك اليوم"

نظرت لي وقالت ببكاء " أمي ما بك تكرهيني هكذا"

هزرت رأسي بياس وقلت بهدوء وأنا أسكب القهوة

"ما الجديد لديك"

قالت بعبرة " معتصم ... أقسم سأخبر والدته ووالدي وسيرا"

تأففت وقلت " عدنا لنفس الأسطوانة ما به هذه المرة"

قالت بكره " أكرهه لما لا يتركني وشأني"

تأفت مجددا وقلت " سلمى على خالك أم

أصابك العمى من البكاء"

صعدت السلالم راكضة تبكي وجلست أتهد بضيق

فقال بضحكة " مهلك عليها هي ما تزال صغيرة"

قلت بضيق " أي صغيرة هذه إنها في السادسة عشر ولا

تجدي في شيء ، كله من وراء منصور دللها حتى أفسدها

حتى أنه تركها تدرس هنا في الثانوية الحكومية ولم يضعها

معه هناك في مدرسته الخاصة وكله بحجة أنها تريد

صديقاتها لقد أفسدها وأنا المتضرر الوحيد"

اكتفى بالابتسام في صمت فنظرت لعينيه وقلت

"رضا ماذا عنك يا أخي الشيب بدأ يغزوا شعرك إن

كنت لا تراه ، لما لا تتزوج بدلا من العيش وحيدا"

أرخی نظره أرضا وقال " لا رغبة لي

بالزواج هل أجبر نفسي مثلا"

تنهدت وقلت " زهور لا تصلح لك يا رضا عليك الاقتناع بذلك"

نظر لي وقال بضيق " ومن تكلم عن زهور الآن"

قلت ببرود " لأنه لا سبب وراء عزوفك عن الزواج إلا انتظارها"

أشاح بنظره للجانب الآخر دون كلام فقلت بهدوء

" زهور نسخة عن والدتها وكم عارض منصور شقيقه

زواجه منها رغم أنه أكبر منه ، لم تربى أبناءها إلا

على الجلد والقسوة وقتلت مشاعرهم ، معتصم الذي انزلق

من بين يديها لم يرحمه أي منهم ورأوا أنه فاسد وصلوك

ولم يتربى جيدا رغم أنه شاب جيد من جميع النواحي فأبعد

زهور عن قلبك قبل رأسك فكما فشل زواجها الأول سيفشل

غيره وكما رفضتك والدتها سابقا سترفضك مجددا"

وقف وقال " أميرة هل سيطول الحديث في

الأمر لأنني سأغادر حينها"

قلت بابتسامة " حسناً لن أتحدث فيه فأجلس هيا"

نهاية الفصل الرابع ..... أتمنى يكون نال إعجابكم

### الفصل الخامس

مر يومان آخران وأنا أحاول التحدث معها وعذلها

عن قرارها المجنون وبلا فائدة ، لقد جنُت وسن بالتأكيد

لا ورفضت حاجيات المنزل التي أحضرها الرجل المكلف

بإيصالها لنا ولم تذهب للجامعة منذ أسبوع وتخرج كل يوم

لتبحث عن عمل ، لو علم نواس فسوف يجن جنونه بالتأكيد

واستغرب أين يكون عنها كل هذا ، ارتديت حجابي وحملت

حقيبتي وغادرت المنزل متوجهة من فوري لمنزل خالتها

فعليا مقابلة جواد الذي لم ينتهي غضبه مني حتى الآن

وكأني المذنبه وليس شقيقه ، وصلت منزلهم وطرقت

الباب ففتحت لي الخادمة وقالت من فورها

"مرحبا سيدة فرح تفضلي"

تنهدت بضيق كم أكره كلمة سيدة هذه لأنها تشعرني

أنني عجوز ، لما وسن آسة وهي أكبر مني بعامين  
وأنا السيدة ، كله بسبب هذا الجواد ، دخلت في صمت  
وتوجهت من فوري لغرفة والدته وطرقت الباب وفتحته  
فوقفت الممرضة الخاصة بها وقالت بهمس " نامت للتو"  
هزرت رأسي لها بحسناً وخرجت وأغلقت الباب بهدوء  
ثم توجهت للمطبخ حيث الخادمة وقلت " هل جواد هنا"  
قالت " نعم في غرفته قال سينام منذ وقت"  
ما هذا النوم وقت المغرب !! تركتها وتوجهت لغرفته  
من فوري وفتحت الباب بهدوء فكانت مظلمة تماما  
أغلقت الباب واقتربت من سريره وشغلت ضوء السرير  
ونظرت له مطولا بابتسامة وهو يغط في نوم عميق  
تغضب مني إذا كل هذه الفترة ولا تجيب على اتصالاتي  
قربت وجهي من وجهه ونفخت بهدوء على عينه فتغيرت  
ملامحه قليلا دون أن يستيقظ ، كتمت ضحكتي وكررت

الحركة مجددا وهوا على حاله فلم أشعر سوى بذراعيه تلتف

حول خصري وأوقعني على صدره وكبني بهما فقلت بضحكة

"لقد أفزعتني أيها الممثل أبعد يداك عني"

شدني بقوة أكبر حتى كدت أختنق وقال من بين أسنانه

"كيف تدخلين دون إذني ها ، وتضايقينني أيضا"

قلت بصوت مختنق " جواد أقسم أنك تخنقني اتركني الآن "

انقلب بي على السرير لأصبح في الجانب الآخر وهوا جالس

يمسك ذراعاي مثبتا لي على السرير ثم قرب وجهه مني وقال

"ما الذي تفعلينه هنا ألا تعلمي أنني غاضب منك ولا أريد رؤيتك"

قلت بابتسامة صغيرة " لكني لست غاضبة منك

فما المانع من قدومي"

ضغط على ذراعاي أكثر ووضع أنفه على أنفي وقال

"ما الذي تفعلينه في غرفتي أجيبني"

قلت بابتسامة مأكرة " أسرق زوجي هل لديك مانع"

ابتعد عن وجهي قليلا وضحك ضحكة صغيرة فقلت بهدوء

"أترك يداي جواد بسرعة"

هز رأسه بلا دون كلام فقلت " اتركني أجلس

ونتحدث بروية"

هز رأسه مجددا وهو يقول " تى تى تى"

قلت بضيق " ما الذي تريده بهذا"

قال بابتسامة جانبية " ستتلقين عقابك"

رفعت حاجبائي وقلت " وما يكون هذا العقاب"

قرب شفتيه من أذني وهمس قائلا

" ما تحرميني منه دائما وأنتي زوجتي"

حركت رأسي وقلت " جواد أحذرك ابتعد فورا"

غمز بعينه وقال " قبلة صغيرة فقط لا تخافي"

قلت بغضب " جواد يا مجنون قلت لا يعني لا"

اكتفى بابتسامة جانبية ونظره على شفطاي فقلت بحدة

" جواد أقسم أن اصرخ بكل صوتي"

رفع رأسه وضحك ثم نظر لي وقال " ستضعين نفسك

في موقف سيء فهذه غرفتي وأنتي من دخلت لها بملء

إرادتك فجدي لك حجة أمامهم حينها"

قلت بجديّة " وسن تركت الجامعة"

نظر لي بصدمة فتابعت " ورفضت أغراض المنزل

أيضا وتبحث عن وظيفة"

أفلت ذراعي من قبضة يداه وقال بحدة

"مجنونة كيف تفعل ذلك"

جلست مبتعدة عنه أمسد ذراعي وقلت بضيق

"آلمتني يا متوحش غيرت رأيي لن أتزوج بك"

قال بنظرات جامدة " منذ متى لا تذهب للجامعة"

قلت بهدوء ونظري للأسفل " منذ اليوم الذي

عادت فيه من المستشفى"

وقف وقال بغضب " مجنونة هذه الفتاة ، لو علم

نواس سنكون في مشكلة جميعنا"

شغل الإضاءة وتوجه للخزانة فتح بابها بقوة

وأخرج ثيابه فقلت " ماذا ستفعل "

نظر لي وقال بغضب " سأستحم وأذهب لها

أوله .... هل ستمانعين "

وقفت وقلت بضيق " جواد لا تفرغ غضبك بي

جئت هنا أريد أن نصلح الأمر "

قال بسخرية " يا سلام ومن التي أفرغت غضبها

بي يومها أليس أنتي "

تنهدت وقلت بهدوء " أنا آسفة أعلم أنني أخطأت ولكنه " ....

قاطعني بحدة واضعا إصبعه على شفثيه " ولا كلمة يا فرح

كل شيء إلا نواس فهمتي لو طلب مني المشي على النار

لمشيت ثم هوا لا يتدخل في أي أمر يخصني ولا حتى علاقتي

بك ومنذ بدايتها فلن أعترض عن أي كلمة يقولها تفهمي "

قلت بضيق " وهل ترى ما يفعله بها صواب هل يحق لك

أنت أن تشعر بشقيقتك وأنا لا ، أقسم أن قلبي يحترق عليها

كل حين ، لا يمكن لنواس أن يكون أحبها يوما"

قال بغضب " لو فعلتِ أنتي معي ما فعلته هي معه

فسأتصرف مثله وأكثر رغم حبي الشديد لك"

نظرت له بصدمة فقال بجدية وهو يغلق باب الخزانة بقوة

"لا شيء أقسى على الرجل من جرح كرامته يا فرح فكيف

من امرأة والكارثة أن يكون يحبها"

قلت بحزن " لماذا كلكم ضدها لماذا"

ونزلت دموعي مباشرة وبدأت بمسحها فاقترب مني

واحتضنني وقال بهدوء " لست ضدها أقسم أنني أشعر بها

وأتمنى أن تصل لحل معه ولكن ما حدث أحدث شرخا

كبيرا يصعب تجبيره يا فرح وأنتي تري بعينك

أنه أتسع الآن أكثر"

دسست وجهي في حضنه أكثر وأنا أمسك قميص

بجامته بقبضتي بقوة وقلت ببكاء " حالها لا يسر أحد يا

جواد من سيئ لأسوأ ولم يعد وحده الغاضب منها فهي

أيضا أطلقت العنان لوحوش كرهاها"

ضمني له بقوة وقال " لا أحد منهما يكره الآخر

ولن يزيدهما هذا العناد سوا تعلقا ببعض

وضياعا وتشتتا صدقيني"

ابتعدت عن حضنه ونظرت لعينيه وقلت

"كيف وهو يقرر الزواج بغيرها"

هز رأسه وقال " أقسم أن مشاعره نحوها لم تتغير

ذرة ويحيرني قراره المجنون ذاك"

لففت خلف ظهره ودفعتة بيدي نحو حمام الغرفة

وأنا أقول " هيا بسرعة استحم وغير ثيابك لتذهب

معي وتحدث معها قبل أن يعلم شقيقك"

سحبني من يدي لأصبح أمامه وأمسك ذراعي وقال

"لعلمك لازلت غاضب منك ولن أرضى إلا بهده"

ثم قبل خدي بقوة وتركني ودخل الحمام ، مسحت

على خدي بابتسامة ثم خرجت من الغرفة

وجلست في الخارج انتظره

\*

\*

هل نعشق رؤية الأشياء تشتعل أمامنا لأنها تعبر عنا أم

لنشعر أنه ثمة ما يحترق أكثر منا ، أقسم أن التي تشتعل

في جوفي أكبر من هذه بكثير ، كنت أنظر للنار بشرود

ممسكا رأسي بيدي حين جلس بجانبتي وقال بهدوء

"ماذا يا نواس أمازال رأسك يؤلمك"

فركته بأصابعي وقلت بضيق " بل وقلبي أيضا"

ضحك ضحكة صغيرة وقال " هل تذكر ما كنت تقول لي

حين كنا نعمل معا في تلك البلاد بعد أن أقرأ رسائلها المحبطة"

ابتسمت بألم وقلت " الكلام ليس كالتطبيق أبدا"

ضحك بصوت مرتفع وقال " هل تذكر حين كنت تقول نحن

لم نُخلق من أجل الحب بل هوا من خُلق من أجلنا فعلينا أن

لا ندعه يتحكم بنا ويسرق مستقبلنا ويقتل أحلامنا"

رفعت رأسي وقلت بابتسامة سخرية " شعارات يا خاطر كلها

شعارات كتبها أناس لم يعيشوا الحب قطعا ولم يعرفوه"

ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة ونظرت له وقلت

"لو يعود بي وبك الزمن الآن لتلك الأيام أتعلم ما سأقول لك"

وضع يده على كتفي وقال

"أعلم وهيا أدخل معي ألا تخاف أن يباغتك ثعلب أو حية"

قلت " سأقول لك تستحق ما أتاك منها من

دفعك لذلك سوى نفسك يا غبي"

ضحك وطوق رقبتي بذراعه وقال بهدوء " أتذكر حين كنا

في الماضي نقلد السكرانين ونقول حماقات كلها حقيقة تعبر

عما في داخلنا ، ما رأيك لو لعبنا تلك اللعبة الآن"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " كل هذا ولم

أسكر بعد !! لقد قلت كل ما لدي"

ربت بيده على كتفي ثم وقف وقال " هيا ندخل

الخيمة بقائك طويلا في الخارج ليس في

صالحك ، البر ليلا مخيف يا صديقي"

وقفت أنفض ثيابي فقال " افتح هواتفك على

الأقل ليعلم أهلك أنك هنا"

قلت ببرود " لا تخف يعلمون أين أنا الآن ، أنت اذهب

وانظر ما حدث مع إبلك يبدووا لي خصومة كبيرة بينهم"

ضحك وقال ونحن ندخل الخيمة " اتركهم حتى الصباح

نتخلص من الموتى ونعطي الأوسمة للفائزين"

ضحكنا معا ثم قلت " اذهب ونم مع زوجتك أو

لن أبقى معك يوما آخر"

جلس وقال وهو يسكب الشاي " لا تخف علي ، إن

أردت النوم معها فلن أخجل منك ، دعها وصراخ طفلها

فالنوم هناك أشبه بالموت البطيء"

جلست وقلت " أنت تظلمهم بالعيش هنا

ارحم زوجتك يا رجل"

شرب رشفة من الشاي وقال " هي اختارت

هذا أنا لم اجبرها"

اتكأت على الوسادة وقلت بضيق " وهل كنت تنتظر

منها أن تتركك مع مواشيك وإبلك هنا وتبقى وحدها

هناك ؟ هي تفعل هذا من أجلك فافعل شيئا من أجلها"

اتكأ وقال بضيق " نواس رقة القلب كثيرا لا تجدي مع

النساء فلا تكن هكذا فحنيتك الزائدة ستضيعك حين ستزوج"

تنهدت بيأس ولم أتكلم فنظر لي وقال

"ماذا فعلت في موضوعك ذاك"

نظرت لسقف الخيمة بشرود وقلت بهدوء

"مازلت عند قراري وسأتم أمور الخطبة قريبا"

\*

\*

جلست أضرب بقدمي على الأرض حتى خرجت تتبعها

فرح ووقفت وقالت بهدوء " مرحبا جواد قالت

فرح أنك تريد التحدث معي"

نظرت لها وقلت بضيق " السائق أخبرني أنك لا تذهبن

للجامعة، ما كان عليا الاعتماد على غيري في إيصالكم لها"

قالت ببرود " نعم ولن أذهب لها مجددا"

وقفت وقلت " والسبب"

قالت بذات برودها " أضن أن السائق

أخبرك عن السبب أيضا"

مثلت فرح خلفها الإغماء من الصدمة فعدت لها

حاجباي لتفهم أنه ليس وقت المزاح الآن وقلت بنفاد

صبر " هل من العقل هذا الذي تفعلينه"

نظرت للجانب الآخر وقالت بلامبالاة

"بل وكل العقل ولا أحد يقرر عني أنا لست طفلة"

قلت بحدة " وهل تترك دراستها إلا الطفلة بل وحتى الأطفال لا

يفعلون ذلك ، إنها سنتك الأخيرة يا وسن كيف تضيعين تعبك"

أشارت لي فرح من خلفه أن أقلل من حدتي فتجاهلتها

وقلت " لم أرك علقِ على كلامي"

قالت بجدية " ما لدي قلته لن آخذ مليما من أحد

وسأسدد ديوني ولو أفنيت عمري في ذلك"

تنفست بقوة وقلت بهدوء " وسن لا أريد أن يصل

الموضوع لنواس فاتركي عنك الجنون وعودي

لدراستك لأنه إن علم فلن يرحمني حتى أنا"

اكتفت بالصمت متجاهلة كل كلامي فقلت بجدية

"في الغد تذهبي للجامعة أو تصرفتي في الأمر بنفسني"

قالت مغادرة " أخبرتك سابقا لست طفلة

ولا أحد له علاقة بما أفعل"

نظرت لفرح فرفعت كتفيها وقالت " لن يردعها أحد

ولا حتى نواس أعرفها جيدا حين تركب رأسها"

قلت بضيق " إن لم تذهب غدا فأخبريني"

ثم رفعت لها إصبعي وقلت مهددا

"ويا ويلك مني يا فرح لو كذبتني علي"

أمسكت يدي وقبلت إصبعي وقالت بابتسامة

"كم أحب هذا الغاضب يا بشر"

ثم ركضت باتجاه غرفتها ووقفت عند الباب فابتسمت

وقلت بهمس "عودي هنا حالا"

هزت رأسها بلا وأرسلت لي قبلة بيدها ودخلت الغرفة

وأغلقتها خلفها ، أقسم أنه لا مفسد لعقولنا غيركن يا النساء

غادرت منزلهم وعدت للمنزل نمت وعند الصباح اتصلت

بفرح وأخبرتني أنها لم تذهب للجامعة فجريت الاتصال

مجددا بنواس وهاتفه على حاله مقفل فاتصلت بخاطر

لأنني أعلم أنه معه الآن فأجاب من فوره فقلت

"مرحبا خاطر أعطني نواس بسرعة"

جاء صوت نواس بدلا منه قائلا " ما بك يا جواد

ماذا حدث هل والدتي بخير؟؟"

قلت بضيق " لو كانت تشغل بالك ما غادرت للبر

أسبوع وتغلق هواتفك أيضا"

قال ببرود " جواد لا تنفخ لي رأسي وقل ماذا لديك"

قلت من فوري " وسن"

سكت حتى ضننت أنه أغلق الخط ثم قال

"إن ماتت فأغلق الخط دون أن تقولها لي"

ابتسمت وقلت " لازلت تكرر هذه الجملة يا نواس"

قال بجدية " ما بها هل تعبت مجددا"

قلت بهدوء " بل فقدت عقلها ... تركت الجامعة

وترفض الأغراض والنقود التي ترسلها إليهم

وتبحث عن وظيفة أيضا"

صرخ من فوره " وما تفعله أنت هناك ، كيف تتركها

توقف دراستها ضننت أنني أعتمد على رجل تركته ورائي"

قلت بضيق " لا تلقي باللوم علي فلم أتصل بك إلا حين

علمت أني عجزت عن إقناعها وإجبارها تعرفها عنيدة

وجن جنونها منذ خبر خطبتك"

أغلق الخط في وجهي دون تعليق فتأففت وأعدت الهاتف

لجيبتي، سيكون هنا في غضون ساعات وستبدأ

المشاكل التي لم تنتهي

\*

\*

هز رأسه وقال " عذرا يا أنسة يلزمك شهادة

خبرة لتعملي هنا"

قلت بضيق " أنا أتقن اللغة الانجليزية والكتابة

على الطابعة فلما الشهادة ، يمكنكم اختباري بأنفسكم"

هز رأسه بلا دون كلام فخرجت صفر اليدين كما في

كل مكان دخلته ، عليا مواصلة البحث ولن أياس أبدا

حتى أحصل على الوظيفة ، استمررت في لف المكاتب

والشركات حتى تعبت وقررت العودة للمنزل حينها

رن هاتفي فأجبت من فوري قائلة " مرحبا خالتي كيف أنتي "

قالت بلوم " لو كنت أعنيك لقمّت بزيارتي هذا الأسبوع كعادتك "

قلت من فوري " أنا اتصل بك دائما وكنت سأزورك عما قريب "

قالت من فورها " أين أنتي الآن "

قلت " خارج المنزل وسأعود له حالا "

قالت " إذا مري عليا الآن قبل أن تعودني للمنزل "

أريد رؤيتك مشتاقة لك بنيتي "

لذت بالصمت فقالت " نواس في البر تعالي "

الآن يا وسن أو غضبت منك "

قلت بهدوء " حسنا "

ركبت سيارة أجرة وتوجهت لمنزل خالتي وقرعت

الجرس ففتحت لي الخادمة وقالت بابتسامة

" مرحبا آنسة وسن تفضلي "

دخلت وقلت مبادلة لها الابتسامة " مرحبا فتحية

كيف أنتي وأهلك جميعهم هناك"

قالت وهي تغلق الباب خلفي " بخير جميعهم ، من

كثرة ما أقول لهم أنك تسألين عنهم أصبحوا يسألون

عنا كلما اتصلت بهم"

ضحكت وقلت " بلغيهم سلامي إذا"

قالت بعد ضحكة صغيرة " لي شقيق غير متزوج

فما رأيك لو زوجتك له وسفرناك لهم"

ضحكت وقلت " هل اعتبره عرض حقيقي"

ضحكت وقالت " بالتأكيد"

قلت وأنا أبتعد عنها وأقترب من غرفة خالتي

"لن يعيش معي سعيدا يا فتحية فيبدووا أنني لا أصلح للرجال"

وضعت يدي على مقبض باب الغرفة فشعرت بيد أمسكت

بذراعي بقوة وسحبتي للغرفة المجاورة وأغلقت الباب

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

أمسكت الهاتف من يدها وسحبته فنظرت لي بصدمة

فقلت بهدوء " مؤكد تعرفي أن هذا ممنوع هنا

وعقوبته الطرد يا سما"

وقفت وقالت برجاء " أرجوك لا تخبر المدير ، احتجت

أن أحدث به هذا الوقت خصيصا أقسم لن يتكرر ذلك"

فتحت آخر مكالمة لها فكانت هي الوحيدة وتحت اسم

(الخالة عفراء ) ثم نظرت لها وقلت " ما قصتك يا سما"

نظرت للأرض وقالت بتلعثم " لـ لا اا شيء"

تنهدت بضيق وقلت " أين والداك؟؟"

نظرت لي في صمت فقلت " أجيبني إن كنتِ

تريدين استرجاع هاتفك"

عادت بنظرها للأرض وقالت " مسافران"

وضعته في جيبني وقلت " إذا نتقابل عند المدير"

أمسكت بكم قميصي عند ذراعي وقالت

"لا أستاذ أرجوك لا أستطيع إخبارك"

نظرت لها بحيرة ثم قلت " ولما !! مما تخافين يا سما"

قالت بارتباك " منكم كلكم"

غضنت جبيني وقلت " من نحن كلنا"

بقيت على صمتها ويدها ترتجف وهي تحاول إخفاءهما

فقلت " أين والداك يا سما لآخر مرة سأسألك"

امتلأت عيناها بالدموع فقلت بجدية " هل هما مسافران حقا"

هزت رأسها بلا دون كلام فقلت " ومع من تعيشين إذا"

هزت رأسها مجددا وقالت " لا أحد"

نظرت لها بصدمة محاولا ترجمة ما يحدث ، إذا هناك

احتمال واحد فقط وهو أن يكونا ميتان ولكن لما لا تريد

أن تقول وما حدث مع المرأة التي كانت معها لأنه

يبدوا أنها تتصل بها ولا تجيب، قلت بهدوء

"سما مابك ولما أنتي خائفة من كل شيء"

نزلت دموعها فمسحتها وقالت " لا أستطيع قول شيء"

أرجوك أستاذ ، إن كنت تريد أخذ الهاتف للمدير فافعل"

وضعت داخل الكتاب وقلت مغادرا

"إن رأيته مجددا معك سلمته للمدير فورا"

ثم غادرت وتركتها وقد زادت شكوكي كبرا حولها ، يبدو

ورائها حكاية وليست أي حكاية ولن تفصح عنها بسهولة

لأنها لا تتق بأحد على ما يبدو وخصوصا الرجال

عدت للمنزل أخذت والدتي للمستشفى من أجل الكشف

الروتيني ثم عدت للمدرسة ولكن لم أنزل من سيارتي

حتى غادرت الحافلة بالطالبات فانطلقت ورائهم

جال بي ذاك السائق المدينة كلها تقريبا رغم عددهم القليل

إلا أن كل واحدة منهم تسكن في مكان ، كانت سما الأخيرة

معه في الحافلة ، توجه لطريق مفتوح ليس به مباني قريبة

وأنزلها هناك ، ظننت أن منزلها عند تلك المنازل وستتابع

سيرها لهم لأنها انتظرت حتى غادر السائق ثم نظرت في

كل اتجاه ولم ترني لبعدي سيارتي ثم دخلت الأرض المليئة

بالأشجار ومن صدمتي نزلت من السيارة فورا وركضت

نحوها ودخلت من حيث دخلت لكني لم أجد أحدا أو لم

أدركها ، ركضت في أماكن واتجاهات متفرقة فكانت كلها

أشجار طويلة ومتباعدة ، أين اختفت وأي اتجاه سلكت

يا ترى !! بل أين ذهبت وهذا المكان خالي من المساكن

والمباني ، بحثت كثيرا ثم عدت لسيارتي وغادرت

المكان بنغز جديد بدلا من حل الألبان السابقة عنها

\*

\*

"دعاء انتظري لما لا تجيبين على اتصالاتي"

التفتت لها ويدي في جيوب معطفي الطبي الأبيض

وقلت " رهام ما الذي تريدينه مني أخبرتك أن

تنسي موضوعه وأني لن أتدخل في شيء

وقفت تلقف أنفاسها وقالت " دعينا نتحدث قليلا"

تنفست بقوة وقلت " رهام لما لا تريدي أن

تقتني أنك خسرتِ نزار للأبد"

تأففت وأمسكت يدي وسحبتي منها متوجهة بي لإحدى

الغرف الفارغة وهي تقول " ألسنت صديقتي يا دعاء يفترض

بك مساعدتي في أن أعلم فقط مشاعره اتجاهي"

قلت ببرود " ولما لا تسأليه بنفسك"

قالت " لا أريد أن يراني بعد كل هذه السنين قبل أن

أتأكد أولا أنه لم يتزوج حتى الآن لأنه لازال يحبني"

قلت بسخرية " ولما كل هذه الثقة لقد خذلتته وتركته

بدلا من أن تتزوجا وتبقي مع والدته ليسافر هوا ويدرس

كما كنتما متفقان فما تتوقعين منه الآن لقد دمرت قلبه

وأحلامه وحتى مستقبله"

تأففت وقالت " دعاء هوا طلب صغير

وتعجزي عن تحقيقه لي "

قلت مغادرة الحجرة " سيأتي بعد قليل لأخذ والدته

يمكنك سؤاله بنفسك "

ثم غادرت باتجاه الممر الذي يحوي غرفة الكشف

لا تستحقينه يا رهام فاتركيه لمن تستحقه لأنني لن

أتركه لغيري أبدا ، وصلت الغرفة طرقت الباب ودخلت

وقلت وأنا أساعد والدته لتجلس على الكرسي المتحرك

لأنها لا تسير أكثر من خطوات معدودة

"الطبيب يقول أن حالتك أفضل بكثير"

جلست بتعب وقالت " شكرا لك يا ابنتي لا أعرف

كيف أشكرك على كل ما تفعله لأجلنا"

قلت مبتسمة وأنا أسحب بها الكرسي وأخرجها

"وما الذي فعلته يستحق كل هذا ، هوا أقل من واجبي"

قالت بحنان " أطل الله في عمري لأحضر

زفافك لمن يستحقك"

قلت بذات ابتسامتي " دعواتك لي إذا"

ضحكت وقالت " لا ينقصك شيء لتحتاجي دعواتي وألف

من يتمناك ، أنتي فقط لا تتركي العمر يركض منك"

ابتسمت بعفوية ولذت بالصمت ، تبدوا لي والدته ليست بالهينة

وتعلم أنني أنتظر أن ينتبه ابنها للمخلوقة الموجودة

أمامه، وصلنا المصعد على خروج نزار منه ينظر لوالدته

بابتسامة ، أقسم أنني بحاجة لدعوات كل البشر ليشعر بي

ويراني أمامه لا أعلم أي غباء أصاب رهام يوم تركته

وهوا يحبها بصدق وجيداً فعلت لأنني أجزم أنه لم

يعد يفكر بها ، قال وهوا يمسك مني مقابض كرسيها

"شكرا لك أيتها الممرضة لقد أتعبناك معنا"

قلت بابتسامة " متى سنتوقف عن مناداتي بالممرضة"

قال وهو يتحرك بالكروسي دون أن ينظر لي

"حتى تتركي الطب والمستشفى"

ضحكنا ثلاثتنا وأدخل والدته المصعد وانغلق بابه

بعدهم على الفور فتنهدت بقلّة حيلة وغادرت لعملي

\*

\*

"ما رأيك في نزهة جميلة في الحديقة ولا

تعترضني يا أمي رجاءً"

قالت ونحن نخرج من المصعد " ما رأيك لو نؤجلها قليلا

حتى أخرج وأحفادي وزوجة ابني"

تنهدت وقلت " أمي فلنخرج الآن ووقتها لكل حادث حديث"

قالت بضيق ونحن نغادر باب المستشفى

"لن يرتاح لي بال وأنت تنتظر السراب على أمل

أن أشفى بالعملية فيضيع عمرك على الآشيء"

تأففت وقلت بضيق " كم مرة سنقول ونعيد ذات

الكلام، سنذهب للحديقة رغما عنك هذه المرة"

وصلنا السيارة وأوقفتها وساعدتها على ركوبها ثم

طويت الكرسي ووضعتة في الخلف وركبت وقلت

"الجو رائع اليوم والتنزه فيه فرصة لا تعوض"

قالت بعد ضحكة " لو كنا دعونا عوني وزوجته وأطفاله

وجابر وأبنائه لنتعرف عليهم بدلا من الخروج وحدنا"

ضحكت وقلت " ولما تعكرين مزاجنا بصراخ

الأطفال ، اتركينا نتنزه في هدوء"

قالت بهدوء " ترى ما حل بجابر هل أخبرك إن أخذهم"

نظرت لها ثم للطريق وقلت " نعم منذ أيام أخذهم لمنزله"

تنهدت وقالت " كم يرق قلبي على المسكينة التي

ربتهم لابد وأنها في حالة سيئة الآن"

ضحكت وقلت " كم كنتي تعارضيني على المثل الذي

يقول ( من ربي في غير ابنه كمن زرع في غير

أرضه ) هل أتاك صدقه الآن"

قالت بضيق " هذا المثل غير صحيح ولا يجوز قوله

لأنه يحث الناس على عدم رعاية اليتيم والمحتاج فلست أنا

من أعارض على المثل دين الله لا يقول بهذا ثم هي ما أدراها

أنهم ليسوا من حقها هي ضحية كجابر وكالأطفال المساكين "

ضحكت وقلت " مهلك علي لما كل هذا الغضب استلميه هوا

لعله يقتنع بأن يتزوجها ، هذا حله الوحيد ليرتاح الجميع "

نظرت جهة النافذة وقالت ببرود " لو كنت أجدي في فن

الإقناع لأقنعت ابني الذي يعيش معي كي يتزوج "

ضحكت واكتفيت بالصمت لأنني أعلم نتائج هذا الحديث

إن أطلنا الخوض فيه ، تنزهنا مطولا في الحديقة العامة

وتناولنا الغداء في الخارج ثم عدنا للمنزل وفي اليوم التالي

غادرت بعد العاشرة للمدرسة لأن حصتي بعد وقت الفسحة

اليوم لن أنتظر حافلتها بل سأنتظرها هناك لأعلم أين ستذهب

دخلت واقتربت لحجرة المدير على صوت صراخه العالي

دخلت فكانت وجدان في الداخل بثياب مبهدلة وشعر متناثر

والسيد منصور يصرخ بها " مطرودتان أنتي وهي وكما

أخذت هي ملفها وغادرت في صمت افعلها أنتي وبسرعة"

خرجت تردد بغضب " والدي من سيأخذ بحقي من الجميع"

نظرت له مطولا بصمت حتى هدأ تنفسه الغاضب

ثم قلت " لم أرك يوما غاضبا هكذا ، ماذا حدث"

تأفف وقال " يظنها فوضى أو حلبة قتال وهما تعلمان

أن الشجار بالأيدي ممنوعا هنا فالطرد عقابهما الوحيد"

نظرت له بحيرة ثم قلت " ومن هي الأخرى

التي أخذت ملفها وغادرت"

قال ببرود وهو يفتح درج الطاولة " سما طبعا

من غيرهما سبب المشاكل"

خرجت من عنده مسرعا ، مشكلة .... إن غادرت المدرسة

فلن أعلم كيف أصل لحقيقتها ، أتمنى أن لا يخيب ظني في

أنها لن تغادر حتى يأتي سائق الحافلة ، إن وجدتها فلن أتركها

حتى أفهم منها كل ما تخفي ولو مرغمة ، لفتت من فوري

خلف مبنى المدرسة وكما توقعت كانت تجلس هناك ممسكة

ملفها في يدها فاقتربت منها بخطوات سريعة وهي وقفت

من فورها ما أن رأني متجها نحوها

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

فتحت الباب على صوت طرقاتها القوية وخرجت وأنا

لم أعدل حجابي جيدا وقلت بضيق وأنا أغلق الباب خلفي

"سوسن يالك من مزعجة ألا تعرفين الصبر أبدا"

ضحكت وقالت ونحن نسير

"بل يبدووا لي أنتي التي أصبحتي تنامين كثيرا في الصباح"

دست وشاحي في ثيابي وتهدت وقلت بحزن

"بل أهرب بالنوم كي أستيقظ وأخرج بسرعة"

قالت بهدوء " وضعك صعب يا أرجوان

لكنك ستعتادين مع الوقت"

ثم ضحكت وقالت " لو أعلم فقط كيف تركك مدير

المصنع المتعجرف ذاك تتغيبين لأسبوع كامل"

ابتسمت بسخرية وقلت " لا تفكري كثيرا في الأمر

اتصلت به منذ أيام وقال لي أن لا أذهب للمصنع

وأن والد الأطفال هوا من طلب منه هذا"

ضمت يداها لصدرها وقالت بحالمية " يا عيني على

الرفق بالفتاة المسكينة ، يبدو أنك دخلت قلبه"

قلت بضيق ونحن نسلك الطريق " غبية ولم يتغير فيك شيء"

ضحكت وقالت " لو كنت مكانك لتصرفت بحكمة أكبر"

وقفت ووقفت هي لوقوفها وقابلتها وقلت ويدي وسط

جسدي " وما الحكمة الأكبر سيدة سوسن"

قالت بغنج وهي ترمش بعينيها رمشات سريعة

"لكنت أوقعته في شباكي ليتزوجني وأكسب كل شيء"

سرت وتركتها وأنا أردد بضيق " غبية وأنا أغبي

منك أقف أسمع لترهاتك ، قال يتزوجني قال

هذا لا يصلح للزواج أبدا"

قالت وهي تتبغني " ولما يصلح إذا"

قلت ببرود " يصلح كعمود خرسانة في قواعد إحدى

الأبراج ليثبتها ولن تسقط حتى تفنى الأرض"

ضحكت كثيرا وقالت " لو سمعك لقطع لسانك لقطع

ووضعه في مقلاة وأضاف له الفلفل والطماطم وطهاه"

قلت بضيق ونحن ندخل مبنى المصنع " ويعطيه لك طبعاً

لتأكله فيصبح لك لسانان لأنه ينقصك ثرثرة فارغة"

دخلنا وجلسنا فقالت ضاحكة " لو لم أراه بعيني لصدقتك

آآه يا قلبي على الوسامة والشخصية الفولانية"

قلت بسخرية " لو تحدثتِ معه لتغير رأيك به ، بث

اشك أن حسناء كانت محقة في الهرب بأبنائها منه"

ضحكت وقالت وهي تفرد القماش على الطاولة

أمامها " أقسم أنك تنبشين قبرك بيدك افرضي

أن له جواسيس هنا وسمعوك"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " يالا مخيلتك يا سوسن

لم يبقى لديه مهمة سوى التجسس على غبيتان مثلنا"

وضعت القماش من يدها ونظرت لي وقالت

"وكيف قضيت الأسبوع كله في المنزل ، خروجك

منه كان أرحم من بقائك فيه لوحدك"

تنهدت وقلت " بل سافرت لقرية خالة والدتي وقضيت

باقي الأيام معها هناك ، كنت سأفقد عقلي لو بقيت فيه"

نزلت مني دمعتان مسحتهما وقلت بحزن

"كم أتمنى لو فقط أعلم عن أخبارهم ، لا أريد التحدث

معهم... فقط أحد يخبرني ما يفعلون هناك"

قالت بحزن " ولما لم تتصلي بهم"

قلت بحسرة " وكيف وليس لدي سوى رقم والدهم فما

سيفكر بي إن اتصلت به ، ليته أعطاني رقم والدته أو شقيقة

له لأكلها لكنه كالصخرة لا يهتم لمشاعر أحد"

قالت بهدوء " من الأفضل لك أن لا تتحدثي معهم يا أرجوان

لأن حالك سيسوء أكثر حينها و عليك أن تري حياتك وتتزوجي

وتنجبي أبناء لك وستسيهم بالتأكد"

قلت بصدمة " أبناء !!! لن أكرر خطئي مرتين ليأخذهم

والدهم مني ويتركني مذبوحة ، سأكون مجنونة إن فعلتها"

أخذت مني علبة التطريز وقالت ببرود " أقسم أنه لا عقل

لديك وها قد جاءك كلامي سابقا وسأذكرك يوما بكلامي

وكلامك اليوم عندما يشيب شعر رأسك وتتحسري

على أنك لم تتزوجي وتنجبي أبناء"

تجاهلتها وشغلت نفسي بما في يدي ، معها حق فهي لم تجرب

ما قاسيته لكان كلامها مختلفا ، إن كانوا أبناء غيري وتعلقت بهم

بجنون وأكاد أجن لفراقهم فكيف أن يكونوا فلذة كبدي وأحملهم

في أحشائي ، أقسم أن ينقلوني لمستشفى المجانين فورا

\*

\*

اقتربت من غرفة الفتاتين ولم أجدهما فتوجهت لغرفة  
امجد ونظرت من خارج الباب ، كان يقف على السجادة  
وهما بجانبه ويصلون العصر ، نظرت ترف الواقعة في  
المنتصف لي وابتسمت فضربتها بيسان على رأسها وأعدت  
يدها على الأخرى عند صدرها فبكت ترف ونظر لهما  
امجد قاطعا صلته وقال بغضب " كم مرة سنعيدها ما بكما  
أنتما أقسم أن أخبر أمانا عندما سنزورها أنكما لا تصليان"  
وضعت بيسان يداها في وسطها وقالت " كاذب نحن نصلي  
أنت من تسهر في الليل على التلفاز وستغضب حين أخبرها"  
ابتعدت خطوتين كي لا يروني لأعلم المخالفات التي باتوا  
يفعلونها، قالت ترف " أنتي يا بيسان أكلت الحلوى كثيرا  
بالأمس وماما تقول دائما نأكل واحده فقط كي

لا تؤلمنا أسناننا ومعدتنا"

قالت بيسان " ومن التي تبولت في فراشها البارحة

وقرصت المربية أذنها ونومتها على الأرض "

قالت ترف ببياء " هي التي لم تدخلني للحمام قبل

أن أنام كما تفعل ماما ، لا تخبريها ستغضب

مني كثيرا كتلك المرة "

مررت أصابعي في شعري بضيق وأنا أستمع لسيل

المخالفات التي يفعلها كل واحد منهم وينتظرون اللقاء

المزعوم بتلك الفتاة ليخبروها ، تنفست بقوة ثم فتحت

الباب أكثر فسكتوا ما أن رأوني ونظروا لي ثلاثهم

بصمت فدخلت لهم وتوجهت ناحيتهم وأوقفت أمجد

وأوقفت الفتاتين خلفه ثم وقفت في المقدمة وقلت وأنا أقف

مقابلا لهم " سنصلي الآن ولا أريد أن أسمع صوتا مفهوما "

قالت ترف " ولما أمجد في الأمام أريد أن أكون معه أو أمامه "

تنهدت بضيق وقلت محاولا تهدئة نفسي

"لأنه شاب وأنتي فتاة هكذا هي قوانين الصلاة"

قالت معترضة " ولما في منزل ماما هناك كنا

نصلي بجانبها جميعنا"

تأففت وقلت " لأنها امرأة لا تقف إلا بجانبكم أنا

رجل أقف في الأمام وأمجد خلفي ثم أنتما"

قالت معترضة " بل أنا في الأمام"

قلت بحدة " ترف"

سكتت تسجن عبرتها ودموعها تملأ عينيها فتنهدت

بضيق وأشرت لأمجد بأصبعي ناحيتهما وقلت

"قف بجانبهما هناك ولا أسمع صوتا حتى تنتهي مفهوم"

وقف بجانبهما وابتسمت ترف ابتسامة رضا وكأنها

هي على رأسه وليست بيسان ، نظرت لها وقلت

"لا أحد يحرك رأسه ولا يديه أو يلتفت لأي سآراه"

قالت ترف من فورها " كيف ترانا" !!

أمسكت ابتسامتي وقلت " لديا عينان خلف

رأسي أرى بهما من خلفي"

شهقت بقوة على صدمة الأخران ثم قالت

"أين؟؟ لم نراها"

قلت " أخفيهما بشعري ، بسرعة قفوا لننهي هذه المسألة"

وقفوا وصليت بهم وبعدها سلمت التفتت لهم فكانت  
أعينهم معلقة برأسي من الخلف فقلت بجدية

"في الصلاة نظركم يكون للأرض وليس للأعلى"

قالت ترف بصدمة " هل رأيتني " !!

قلت بذات الجدية " نعم وسأراك دائما ، هيا بسرعة

للطابق الأرضي سيأتي المدرسون حالا"

وقفوا وخرجوا في صمت ، تنفست بقوة ووقفت أبحث

عن سيدات السمو ، وجدت إحدى الخاديمات فقلت لها

"أين المربيات"

قالت من فورها " في المطبخ سيدي"

قلت بحزم مغادرا " أخبريهن يلحقن بي لمكتبي حالا"

توجهت للمكتب وما هي إلا لحظات ودخلن ، وقفن أمامي

في صمت فقلت بحدة " هل لي أن أعلم أين تتسامرن

وتتركن الأولاد وحدهم"

قالت إحداهن " كنا نشرب شاي العصر و" ...

قاطعتها بغضب " القصر أمامك مليء بالخدم يحضرون

لك الشاي أينما تكونين باتصال واحد للمطبخ ولا تقولي

أن الهواتف غير موصولة بالمطبخ"

ثم ضربت على الطاولة بيدي بقوة وقلت بغضب

"وأين الصلاة يا مسلمات وشرطي الإسلام لقبول

الجميع ، ألا تخجلن من أنفسكن والأطفال يصلون

وأنتن تتسامرن كبنات الشوارع"

قالت إحداهن " أنا أصلي فقط كنت" ...

ثم سكنت فقلت بغضب أكبر " كنتي ماذا وهل ثلاثتكن

كنتن ، لا تضحكي علي فلست جاهلا ولا طفلا وأنجبت

هؤلاء الأبناء من امرأة مثلكن وليس من جدار"

نظرن للأرض بخجل فقلت بحدة

"ومن التي ضربت ترف ونومتها على الأرض"

لذن بالصمت فقلت بصراخ " تكلمن"

قالت إحداهن بخوف " لقد كانت .... أعني"

قلت بغضب " تعني ماذا .. بالت في فراشها أليس كذلك"

لأذت بالصمت فقلت بحدة " وهل سألت نفسك لما يا فاضلة"

لم تجب فتابعت " لأنك لم تدخلها الحمام قبل أن تنام وقد

أخبرتكم سابقا أنها تخاف في الليل وإن نامت لن تستيقظ

وحتى إن استيقظت فلن تخرج من فراشها ومن تحت

الحفاف ، قلت أو لم أقل"

قلن بهمس " قلت"

قلت بذات الغضب " ولما يسهر أمجد على التلفاز

وتأكل بيسان الحلوى كثيرا ومزقت ترف كتاب شقيقها

ولم يستحم أمجد اليوم حين عاد من المدرسة و و و و و

لا تظن إحدانك أني غافل عما يجري ، ألسنت من سلم  
لكل واحدة منكن أوراقا لنظام حياتهم من استيقاظهم لنومهم  
مكتوبة بدقة وبالتفصيل ... حدث أو لم يحدث"

قلن بذات الهمس " حدث"

وقفت مستندا بيدي على طاولة المكتب ونظري عليهم

وقلت بحدة " وهل تعلمن أن من كتبت كل ذلك ليست

والدتهن وكانت تعني بهن بالمجان دون راتب سخي

ولا قصر وخدم تحت إمرتها"

لذن بالصمت فقلت بحزم " سبق وقلت لا تمد إحدانك يدها

على أي منهم وكل مخالفة تأتيني لتخبرني بها ولكنكن ضربتن

كلامي كله عرض الحائض ، هذا ولم تتجاوزن الشهر هنا أي

استهتار هذا لو كانوا أبناكم هل كنتم ستصرفون هكذا"

قالت إحداهن " ولكننا" ...

قاطعتها بصراخ " ولا كلمة تفهمي"

ثم قلت بحزم " التي ضربت ترف تجمع أغراضها وسيوصلها

السائق أما الاثنتان الأخریان تعودان لعملهما ، إن فارقتم الأولاد

لحظة عاقبتكم بأسوأ من الطرد ومن تضرب ستضرب ومن

تهرب تعلم أني أستطيع جلبها من تحت سابع أرض ، تأتيني

هنا وتقول أنها تريد ترك عملها والمغادرة مفهوم"

قلن بصوت واحد " مفهوم"

ثم خرجن وجلست أتنفس بضيق محاولا تهدئة نفسي

مستهترات وإن لم أسمع حديث الأولاد بنفسي لاستمرت

المهزلة لشهور أو سنين ، بعد وقت سمعت طرقات

على باب المكتب فقلت " تفضل"

فتحت الخادمة الباب وقالت " سيدي السيدة الكبيرة

تطلبك في جناحها"

تنهدت بقوة وقلت " أخبريها أنني سأمر بها عند خروجي"

قالت من فورها " حاضر سيدي"

ثم أغلقت الباب وغادرت ، غرقت في بعض الأوراق لوقت

ثم خرجت وتوجهت لجناحها طرقت الباب ودخلت  
فكانت جالسة على كرسيها تقوم بتطريز قطعة من الحرير  
في يدها ، اقتربت منها وقبلت رأسها وجلست قائلا

"أخبرتني الخادمة أنك تريدني"

قالت ببرود وعيناها على القطعة في يدها

"وضع أبنائك لا يعجبني سبق وقلت ولم أرى شيئا تغير"

ها قد عدنا للنقطة التي لم نخرج منها ، قلت بهدوء ممزوج

ببعض الضيق " نبهت المربيات عن الأخطاء ولن تتكرر"

قالت بذات برودها " ليس ذلك أعني"

لذت بالصمت فقالت بصرامة " أمور كثيرة خاطئة ولا يستمعون

لتنبيهاتي لهم عليها ، كل شيء ماما تقول أفعلوا هكذا ماما

تقول لا تفعلوا هذه ماما وماما كل كلامها دستور مقدس

لديهم ولا يعجبني كل ما ربتهم عليه ، أريدكم كما ربيتكم

وليس نسخ مصغرة عن معتصم"

تنهدت وقلت " هم صغار وسينسونها ويقتنعون بما تقولين تدريجيا"

قالت بحدة وعيناها لازالتا على آلة التطريز الدائرية في يدها

"أي ينسونها وهم لا يتوقفون عن ذكرها وكل شيء يريدون

أن يروها إياه حين يذهبون إليها ، بيسان تخبأ قطع الشكلاتة

الفاخرة لتأخذها لها ، هل على هذا ربتهم لصوص ويتسترون

على بعضهم ليخبروها هي بما فعل كل واحد منهم لا ويهددون

بعضهم أمامي ... سأخبر ماما أنك فعلت وقلت"

قلت بضيق " وما الذي سأفعله ؟ أغسل أدمغتهم لنحشوها

من جديد ، هذا الأمر صعب وسيحتاج لوقت يا أمي"

قالت بجدية " بل تخبرهم أنهم لن يروها مجددا ليقتنعوا بذلك

وتتصل بها لتتحدث معهم وتفهمهم أن يأخذوا الأوامر مني"

وقفت وقلت " سأرى ما سأفعل حيال كلامها معهم أما

أن أخبرهم أنهم لن يروها مجددا فليس وقته أبدا"

نظرت لي للمرة الأولى منذ دخولي وقالت

"ومتى يكون الوقت برأيك أم نظري أنا خائب ولا يصيب"

قلت بضيق " أمي لما تحبين تفسير الأمور كما تريدين أخبرتك

أني سأخبرهم ولكن ليس الآن أنتي تري بنفسك ترف لازالت

تبكي طوال الليل وتطلب حضنها لتنام فيه وبيسان ترفض

دخول المربيات معها للحمام ولا تستوعب الدروس إلا منها

وبطريقتها التي أجهلها وأمجد لا يفعل شيئاً إلا إن أخبروه

أنهم سيخبرونها أنه لم يفعله وكلما راوني يسألون

متى سيذهبون إليها فأن أخبرهم أني لن آخذهم لها

أمر ستكون عواقبه وخيمة ولا تحمد عقباها"

عادت بنظرها ليديها وقالت ببرود " عليهم أن لا يثنوا

كلمتي ويصبحوا كما أريد وينسوا كل ذاك التاريخ الفاسد

الذي عاشوه يركضون في الممرات ويتزحلقون على السلالم

ويريدون اللعب في الحديقة بالتراب ، ترف تاكل بفوضى

وكانها طفلة في الثالثة وغيره الكثير وكله يرونه مسموح

لأن تلك الفتاة قالت أنه مسموح"

قبلت رأسها وقلت مغادرا " لا تزعجي نفسك سأتصرف في الأمر"

وصلت عند الباب فأوقفني صوتها قائلة " تحدث مع شقيقك مجدداً"

أمسكت مقبض الباب وقلت " اتركه يضيع سنيناً

أخرى من دراسته هوا الخاسر"

قالت بضيق " من المفترض أنه سيتخرج هذا العام من

الجامعة ، شاب متفوق في دراسته يضيع كل هذه

السنوات بسبب العناد"

قلت مغادراً " اتركه يدرس ما يريد إذاً"

\*

\*

دخلت القصر بخطوات سريعة وصعدت السلالم بخفة

فأنا لم أزره منذ أكثر من أسبوعان ، والدتي تؤكد في جناحها

وجابر غادر أمامي وزهور الغائب الحاضر ، ما أجمل

المكان وكلهم غير موجودين ، وصلت الطابق الثالث فشدني

صوت ضحك أطفال وركضهم ، يبدووا أنه دخل هذا الجحيم

أخيرا شيء يحييه ، مؤكدا هم أبناء جابر ... تقدمت نحو ممر

غرفهم فركضت باتجاهي طفلة بشعر أشقر وفستان طويل

حتى اصطدمت بساقي دون أن تشعر فعدت للخلف ونظرت

لي بعيناها الزرقاء الغامقة ، كانت نسخة عن زهور وكأنها

ابنتها وليست ابنة جابر فقلت بابتسامة " مرحبا بالجميلة "

أمسكت ثوبها ونزلت لتحيني وقالت بابتسامة جميلة

"مرحبا"

ههههه يبدوا أن والدي ورث أحد أحفاده هوسه بتلك الحقيبة

المنسية، مددت يدي لها فوضعت يدها فيها فقبلتها وقلت

"مرحبا كونتيسة"

ضمت يداها لصدرها بسعادة وقالت " أنت أحد النبلاء حقيقي "

ضحكت وقلت " نعم أنا اللورد معتصم ومن أنتي "

قالت رافعة لثوبها " الأميرة بيسان "

أمسكتها من خصرها ودرت بها عدة لفات وهي تضحك

ثم أوقفها حيث كانت وقلت " ما رأيك في "

هذه الرقصة أيتها الأميرة "

قالت بسعادة " رائعة ومن أنت "

ثبتت قدمي ونزلت لها أمسكت يدها وقبلتها مجددا

وقلت " عمك معتصم "

نظرت لحركاتي بدهشة وسرور ثم قالت " ما يعني عمي؟؟ "

وقفت وقلت بضيق " رائع لم يخبروهم حتى أن لهم عما "  
قالت " لما أنت غاضب "

نظرت لها وقلت بابتسامة سخرية

"ستكبرين وتعلمي لما ، هذا إن لم يجعلوك نسخة عنهم "

كانت تنظر لي باستغراب وعلامات الاستفهام تدور حول

رأسها فقلت بابتسامة " أنا شقيق والدك يعني عمك "

قالت بسرور " أنت شقيق الإمبراطور "

ضحكت بصوت مرتفع ثم قلت

"نعم للأسف وأبن إمبراطورة الإمبراطورية "

ضحكت وقالت " قلها مجددا "

ضحكت وقلت " إمبراطورة إمبراطور الإمبراطورية "

عادت للضحك تخفي فمها بيدها الصغيرة فقلت

" وأين ترف وأمجد "

أشارت بإصبعها للخلف وقالت " ترف مع بتول

والمربية وأمجد يدرس "

ابتسمت ابتسامة جانبية وقلت " جيد الأحاب مجتمعون هنا "

مددت يدي لها وقلت " هلا أوصلتني معك كونتيسة "

قفزت من السرور وأمسكت يدي وقالت " بالطبع دوق معتصم "

ضحكت وقلت وأنا أسير معها " لورد ولست دوق "

نظرت للأعلى حيث وجهي وقالت " وما الفرق بينهما "

ضحكت مجددا وقلت " لا أعلم ولا يهم "

وصلنا لغرفة شبه مفتوحة وقفت عند الباب فكانت المربية

تقرأ كتابا عند الشرفة وبتول تعلم طفلة صغيرة وقصيرة كيف

ترقص بتمثيل خصرها بغنج كالعلكة مثلها ، دخلت بيسان

وقلت بمرح " ترف انظري هذا عمي يعني شقيق بابا"  
ركضت الطفلة ناحيتي واحتضنت ساقي فرفعتها من ذراعيها  
وقبلتها ثم أنزلتها ونظرت لها وقلت وأنا أحرك يداي كموجة  
" لا تدعيها تجعلك مثلها كالعلكة تكفيننا واحدة"

ضحكت وبدأت تعبت بيدها محاولة تقليد حركتي فضحكت  
عليها ثم نظرت لبتول فتجاهلنتي ونظرت للجانب الآخر وتأففت  
في صمت فضحكت وقلت " حتى التأفف أصبح له موضة  
جديدة بنكهة الفراولة"

توجهت عند باب الشرفة ووقفت وقالت

"تعالى يا ترف لنخرج للشرفة"

كتفت يداي لصدري متكأ على الباب وقلت بسخرية

" حد علمي أنك تكرهين الأطفال ويع مرفين"

وضعت يدها وسط جسدها وقالت " وما دخلك أنت ولما

تتجسس على أفعالي ، أنا أكره الذكور أمثالك أما الفتيات لا"

قلت بعد ضحكة " لقد ضيعتي معالم الحديث لا تعرفين

حتى كيف تتكلمي بحدة و غضب"

قالت بضيق " الم تكن غير موجود لأيام ما جاء بك يا متعجرف"

قلت مقلدا لها " ولما تتجسسين على تحركاتي يا علكة"

تأففت وخرجت للشرفة فضحكت وقلت بصوت مرتفع

"أرجوا أن لا تعلمي أشقائك رقصك هذا"

نظرت للمربية الجالسة فكانت تنظر لي باستغراب فرميتها

بنظرة جامدة فأبعدت نظرها عني ، غادرت من هناك وتوجهت

لغرفتي وأخذت ما جئت لأجله وغادرت القصر

\*

\*

كنت منهكة في عملي ولا شيء يغطي صمت المكان

سوى أصوات تحريك آلات التطريز حين رن هاتفي ونظرت

للمتصل ففوجئت برقم ذاك الرجل ، ما يريد مني يا ترى!!

هل أحد الأولاد به مكروه أو أنه سيوبخني على أحد تصرفاتهم

كذاك اليوم حين أخذهم من منزلي ، ولكن مر ثلاث أسابيع منذ

أخذهم ولم يتحدث معي خلالها أبداً لكان وبخني منذ وقت ، بلغت

ريقي وكل مخاوفي من أن مكروها أصاب أحد أبنائي ، أمسكت

هاتفي وابتعدت لكان متطرف وأجبت ، كنت أتمنى أن أقول

أي شيء ... كيف هم ما أمورهم ولكن ذاك أبعد من البعيد

و ما لم أقدر منع لساني من قوله وعلى الفور

" هل أحد الأبناء أصابه مكروه "

جاء صوته مباشرة " لا هم بخير "

تنهدت براحة فقال " هناك أمر أود التحدث فيه

فاسمعيني للأخير ودون مقاطعة لو سمحت "

قلت من فوري " هل رأيت أحد أطفالك يقاطعك

وأنت تتحدث "

سكت لوقت ويبدووا أنه يسترجع الأحداث ثم قال

" لا لم يحدث "

قالت " إذاً لن أربيهم على شيء وأفعل عكسه "

قال بهدوء " بعض السلوكيات لديهم لا تتماشى مع نظام

حياتنا ويرفضون تغييرها والالتصياح لأوامر الوالدة بحجة

أنك من أباح أو منع تلك الأمور وهذا الأمر تسبب لي

بالمشكلات وعلينا أن نجد له حلا فليست بمزاج لهذه الأمور"

انتظرت حتى سكت ثم قلت " مثل ماذا"

قال من فوره " لم أتصل لأحكي لك يومياتنا أريد منك

التحدث معهم وإقناعهم أن يستمعوا لأوامر جدتهم

ما تنهاهم عنه لا يفعلوه وما تأمرهم به عليهم تنفيذه"

كررت مجددا " مثل ماذا"

تأفف وقال " هل سنعيد في كل مرة"

قلت بضيق " عليا أن أعلم ما هي الأمور التي أنا رببتهم عليها

وكانت خاطئة لأنني رعتهم بعيناي وقلبي قبل يداي وبما أنهم

اعترفوا أنني من نهاهم أو سمح لهم بذلك فهوا في نظري ليس

بخطأ أما إن كان سلوكا من عند أنفسهم فليس لي به دخل"

قال بنفاد صبر " قلت أن هذا الموضوع أزعجني وأريد أن أنهيه

لا أن تعقديه أكثر ولاحظني أني لازلت أتحدث معك باحترام"

قلت ببرود " وأنا أتحدث معك بنفس درجة احترامك لي"

قال بحزم " أريد أن أنتهي من هذا الأمر بأيسر الحلول

فلا تطريني لاتخاذ السبل الأخرى"

قلت بصدمة " تضربهم !! هل تضرب أبنائي"

قال بحدة " هم أبنائي قبل أن تعتبرهم أبنائك ولن تمتد

يد أحد عليهم حيا كنت أو ميتا"

قلت بجدية " أتمنى من يدين اعتادت على تعذيب البشر أن

لا تمتد على مخلوقات صغيرة وبريئة ولعلمك أنا أدعوا كل

ليلة وكل صلاة وأطلب من الله أن يقطع رزق كل يد

تمتد على واحد منهم"

قال بضحكة جامدة وصخرية مثله

"يبدوا لي دعائك وصل السماء"

قلت بعد صمت طويل وبهمس " من ضربهم"

قال " شخص مستهتر وانقطع رزقه المهم سأصل بك

حين أكون معهم وستحدثينهم كما اتفقنا"

قلت ببرود " نحن لم نتفق وأنا لم أوافق"

قال بغضبه المعتاد " لعلمك يا أنسة لم اتصل بك لأنني

عاجز عن حل المسألة وأترجاك أن توافقي ورقبتي بين يديك"

قلت باختصار " ما لديا قلته وهم أبناءك وافعل ما يحلو لك وأسأل الله

أن تنقطع يدك إن امتد على أحدهم .... وداعا فأنا في مكان عمل"

ثم أغلقت الهاتف وعدت وجلست مكاني أتأفف بعصبية فقالت سوسن

"ما بك ستحرقين القماش بأنفاسك الحارقة ، من الذي اتصل بك"  
لذت بالصمت ولم أجب فقالت ببرود

"تبدوا لي مكالمة غرامية مع ذاك الضخم الوسيم"

قلت بغيض " سوسن تصمتي الآن وإلا" ...

قالت بضيق " حسناً حسناً فقط لا تفرغي غضبك بي"

أنهيت ساعات العمل بمزاج كالبارود ثم خرجت وعدت

للمنزل في صمت تام مع ثرثرة سوسن التي لا تنتهي وكدت

أحتضن باب المنزل من فرحتي لأنني وصلت ، لأنها نفخت لي

رأسي ... أدرسي ثانيًا وعودي للدراسة أي دراسة هذه وأنا

نسيت ما درسناه في الثانوية فبأي دماغ سأدخل الجامعة

فتحت باب المنزل ودخلت فشهقت من الصدمة حين وقع

نظري على الجالس على الكرسي المقابل للباب وبكل أريحية

وثقة وقال بجموده ذاته " أغلقي الباب خلفك فلم تعد المرة

الأولى التي يدخل فيها رجل لمنزلك "

\*

\*

تجلس عند شرفة غرفتها والهواء يلعب بخصلاتها

الذهبية فتبعدهم عن وجهها كل حين لتتمر أناملها على أثر

ذاك الجرح في نهاية فكها تحت أذنها اليمنى ، جرح عمره

فقط ليلة زواجها الأولى منذ أربعة أعوام ، جرح عميق في

أول ليلة لها مع رجل لم تعرفه يوما والدتها اختارته ليكون

زوجها لأنها في نظرها لا تجيد أن تختار ، أول ليلة هكذا فكيف

ببأقي لبال الشهر الأول والوحد لأنه أصبح بعد ذلك طلقها وفر

لأرأ البلاد، أبعدت أناملها عن ذاك الأرح وذاك الماضي

وحدقتيها الزرقاء الغامقة تدور حول ما في يدها ببرود وكأنها

تبحث عن شيء تحت أرب الكلمات ، تتلمس بأطراف أصابعها

البضاء الطويلة آواف الورق وكأنها تحكي لهم حكاية من

لمسات باردة وأنفاس هادئة وصمت مميت وتغفل عيناها عن

الأالس هناك في تلك النافذة البعيدة مثبتا جسده عليها بأحدى

قدميه متكأ بظهره على أافتها وكأنه أخرج من إحدى الأساطير

بأصلات شعره المتطائرة على أبينه وقميصه بأزراره

العلوية المفتوحة يتطائر مع الرأح نصف جسده يظهر لكل

من مر بأوار نافذته الأالس عليها ووجهه كله للأرأ

متكأ برأسه على نافذته الوحيدة مثله ينظر بكلى عينية إلى

هناك إلى البعيد حيث تلك النافذة في ذاك القصر يراقبها

في صمت وسكينة وكأنهما ألقا من هدوء رأم الضأأ

أولهم ، يتراءى لمن يراه وكأنه ينظر للأفراع

بينما هوا ينظر لتلك التي تملأ كل فراغه

\* \* \*

رفعت الخصلات المتمردة ودسستها خلف أذني ولففت

بجسدي أكثر جهة النافذة وقلبت الصفحة على عنوان

(القصاصه الثالثه ... عبور محيط الألم)

قلبت صفحه العنوان وقرأت ( كانت أميرة على زهور شرفتها

أميرة على فساتينها وعطرها ، أميرة حتى على أميرات زمانها

بل وأميرة رقصت على قلبي بحدائها العالي وأحدثت فيه ثورة

كبيرة من العشق الجنوني بدلا من أن تحدث ثقوبا عميقة بسبب

كعبيه المدبيان ، أميرتي تعالي وغيري عالمي وانثري رياحينك

على عتبات صدري المهجور وحلمي المكسور وجبيني الميت

من الشوق إليك ، أميرتي أنتي رغم الزمن رغم الألم ورغم جور

السنين ستبقي أميرة الفارس صاحب السيف المكسور والجواد

الميت من لم يتبقى لديه سوى عشقه لك وجنونه بك لأنه أصبح

في نظرك مجرد طيف لأمير سافر مع النور وغاب

مع الشمس ولكنك لازلتِ على قلبه تلك الأميرة البيضاء)

أغلقت الكتاب ليقع نظري مجددا على عنوانه

(قصاصات من حلم ضائع)

ومن ثم على اسمه تحته ( للكاتب رضا أسعد الحارث)

ابتسمت بسخرية ثم مزقت الأوراق التي قرأتهم ككل مرة

ورميتهم من النافذة الواسعة أمام كرسيي حيث كنت أجلس

ليتطايروا مع الريح وأبعدت خصلات شعري الذهبية عن

وجهي وقلت بابتسامة ميتة " كاذبون جميعكم أنتم الرجال

ويصعب أن أصدقكم مجددا بسهولة وخصوصا أنت يا

رضا يا من صنعت جثة من امرأة تدعى زهور"

المخرج خاطرة بقلم حبيبنا منى سعد

من نواس الى وسن

انت يا صغيره حلم الطفوله وحلم الشباب

عبر براءت عينك تعلم قلبي ابجدية الحاء والباء

لكي في صدري قدسية لا تصل يد النساء

عينك سيوف غزت مشاعري واخضعت حصون قلبي

واستوطنت كل لحظات عمري

وعندما يتنازع حبك وكبريائي يربح حبك على قلبي بلا منازع

وسن ل نواس

لا تعاقبني بذنب اقترفته بحقك وانا مقيدت اليدين ومسلوبة الاراده

فنا كنت معلقه بين السماء والارض

بين ان اقطع حبل السري لحبك لاخرج للحياه

ام ابقى جنين يتكون في رحم الاحلام

شكرا لك منون من كل قلبي

لأنكم تستاهوا نزلت لكم الفصل قبل وقته

قراءة ممتعة للجميع

## الفصل السادس

أمسكت ذراعها وسحبته لغرفتي وأغلقت الباب على

نظراتها المصدومة ، وضعت يدها على المقبض لتفتحه

فوضعت يدي على الباب وقلت بحدة " هل من تفسير

لتركك الجامعة وكل تلك الحركات الصبيانية"

بقت تنظر لي بتبات وصمت فقلت بغضب

"وسن لا تستفزيني بصمتك وأجيبني"

قالت بجمود " دين ... عليا الإيفاء به لك وعزة نفس لم

تعد ترضى أن تأخذ مليما منك فهل أنا مخطئة في هذا"

ضربت بيدي على الباب وقلت " بل كل الخطأ ، إلا دراستك

يا وسن إلا هي وأنا وليك والمسئول عنك وعن كل ما تحتاجينه

وديون والدك ليست في حساباتي ولا أفكر فيها"

ابتسمت بسخرية وقالت " بلى في حساباتك كلها

ودفعتني ثمن ديونك منه ولم يتبقى سوى النقود

فعلبك أخذها أيضا لنتصافى نهائيا"

تنفست بقوة ثم قلت بضيق " وهل بضنك ستسددين

تلك المبالغ الضخمة ، قلت أنني لا أعدّها نقود

ضاعت فأنا نسيت أمرها تماما"

نظرت للجانب الآخر وقالت " أنا لم أنسى ويحق

لي كما يحق لك إيفاء الديون"

ثم نظرت لعيناي بعيناها السوداء الواسعة وقالت

"ولا تحاول معي فأنت تعرفني حين أضع أمرا في رأسي"

قلت بسخرية " نعم أعرفك جيدا وجربت ذلك منك أيضا"

وها قد فتحنا ملفات ألما باختيارها لأنها ترفض أن تعيش

جراحنا تحت الركاب كما رفضت أنا يوما أن تشفى ، لم

أكن أرغب بالحديث في ذاك الأمر أبدا لكنها اختارت هذا

أشاحت بعينيها عني بحركة جفنيها التي لا يتقنها سواها

وكأنها تسدل ستائر سوداء على نافذة مظلمة تحرق قلبي

قبل النور فيهما ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة متألّمة ليخرج

معها صوت أنة لعبرة مكتومة في صدرها ثم قالت بألم

"كاذبون أنتم يا معشر الرجال وكم يسهل عليكم

تبديل النساء كورق اللعب"

أنزلت نظري عنها وابتسمت ابتسامة لا تقل ألما عن

ابتسامتها وقلت " لن نفتح الدفاتر يا وسن واتركي

ما في القلب في القلب"

رفعت نظرها لي وقالت بحدة " حجج ... كلها حجج

لتستبيحوا بها لأنفسكم العبث كما يحلو لكم ، ومن

سذاجتنا نحن النساء نصدقكم دائما"

رفعت نظري لها وقلت بسخرية " لم أكن أحتاج

لحجة لأستبدلك بأخرى وأخبرتك أن تغلقي الدفاتر

لأن ما ترميني به ترمي نفسك به قبلي"

قالت بسخرية مماثلة " نعم فأنا تحججت بوالدي لأتركك

وأتزوج بذاك التاجر الثري لأنك لا تملك المال وحين مات

والذي تركته وركضت خلفك أترجاك أن تصفح عني لأنك  
أصبحت أكثر ثراءً منه ، هذه أنا فهمناها فأشرح لي عنك أنت"  
أخضت رأسي وأغمضت عيني بقوة وألم ، نعم يا نواس  
لن تحضا بهذه الفرصة بعد اليوم لأن الخيط الأخير بينكما  
سينقطع الليلة فدع الجنون يمارس ما يريد ، رفعت يدي لها  
وأمسكت ذراعها وسحبته لحضني بقوة وأطبقت بذراعي  
عليها وقلت " تلك أنتي من وجهة نظر نفسك لنفسك"  
انطلقت حينها الدموع التي كانت تحجرها في مقتلتيها  
وقالت بحسرة " بل أنت تراني هكذا أنت يا نواس"  
شددتها لحضني أكثر أمارس الممنوع عني لأبيحه في  
لحظة جنون أولى وأخيرة وقلت بهدوء حزين  
"أنتي قتلتي يا وسن وشر قتلة كانت تلك"  
وضعت كفها على صدري ودفعت نفسها لتبتعد عن حضني  
وقالت ورأسها أرضا " وها أنت سدديت لي طعنة أعنف منها  
وحجتك أني قتلتك ، كلانا لا نختلف عن بعضنا يا نواس

فإن كنت تراني مجرمة فلست بأفضل مني"

أعدت كف يدي على الباب و أخفضت رأسي كي لا تعود

لي تلك الأفكار المجنونة لاحتضانها مجددا فتشتعل النار فوق

اشتعالها في جوفي أو أمارس جنوني الأكبر بأن أفعل ما تمنيته

حياتي كلها وانتظرته بالسنين وهو تقبيلها وتقبيل عيناها

معذباتي وسبب عشقي الجنوني وهذياني في يقظتي

هزرت رأسي أنثر منه تلك الأفكار وقلت بهدوء

"وسن عودي لدراستك"

قالت باختصار " لا"

قلت بحدة وحالي كما هوا عليه " بل تعودي لها منذ الغد"

قالت بتحدي " قلت لا يعني لا ولا أحد له سلطة علي وديونك

سأرجعها لك تأخذها أو ترميها في البحر تلك مشكلتك"

نظرت لها وقلت بغضب " أنا وليك ولست عاجزا عن

تكاليف دراستك ومتطلباتك لتعملي وتتركي الدراسة"

قالت بصراخ غاضب " لست وليي ولا أريد وصايتك

ولا نقودك ، أنت لا تصلح حتى لتكون رجلا"

لم أشعر بنفسي إلا وصوت الصفعة القوية يثقب أذناي

ويدها تحتضن خدها الأبيض تنظر لي بصدمة ورجفة

وعينان تمتلئ بالدموع ، قبضت يدي ودستها في جيبتي

متمنيا أني قطعته قبل أن تفعل ذلك وأنها أصيبت بالكم

قبل أن تقول لي تلك الكلمة القاتلة وكأننا نتبادل الأوجاع

ولم يخرجنا من وحشة مشاعرنا تلك إلا صوت والدتي

الضعيف المتعب من خلف الباب وهي تقول

"نواس افتح الباب"

فتحته بسرعة ودون شعور فوالدتي لا تستطيع الوقوف

طويلا ولا حتى المشي فما الذي جعلها تخرج وتعبت

بصحتها ، كانت تستند على كتف الممرضة الخاصة بها

وتنفسها يخرج قويا تريد التحدث وتعجز عن الكلام بسبب

وقوفها المنهك لصحتها ، أمسكتها ونظرتُ جهة وسن التي

قالت بوجع وعيناها في عيناى " علمت أنك لن تعطيني

ذاك الشيء الذي لن أحصل عليه منك كل حياتي بدون

مقابل ، دائما تسترجع ديونك يا نواس "

ثم خرجت من الغرفة واجتازت والدتي ولم نسمع سوى

صوت ضربها لباب المنزل وهي تغلقه خلفها ، عدت بوالدتي

لغرفتها ووضعتها على السرير وما أن استوت جالسة عليه

حتى رمت بيدي عنها فنظرت لها بصدمة فقالت بصوت

غاضب ومتعب " تضربها يا نواس !! تضرب النساء يا تربية

يدي ، ومن ... ابنة خالتك اليتيمة التي ليس لها غيرك ، ومن

أسمك مسجل تحت اسمها كولي لها ووصي عليها ، تضربها

وأنا حية فبعد موتي ما ستفعل "

قلت بضيق " لم أكن أعي لنفسي ، استفزنتني

وتطاولت علي بلسانها "

قالت بحدة " وإن يكن هل ترى ضربك لها حلا وسيأتي

بنتيجة ، وافقتك وجلبتها لك هنا لتتفاهم معها ونقتعها بروية

لتعود لدراستها لا أن تختلي بها في غرفتك وترفع يدك عليها"

ثم تنفست بقوة وتعب وقالت بأسى "خدلتني فيك يا

ابن قلبي قبل رحمي"

نظرت لها بصدمة وقلت " لا يا أمي لا تقوليها"

بقيت على صمتها والضيق جليا على ملامحها المتعبة

فأمسكت يدها وقبالتها وقبلت رأسها وقلت

"آسف يا أمي ولن يتكرر ذلك ما حييت"

قالت بهدوء " ليس مني تعتذر بل من التي ضربت

اليوم قلبها قبل وجهها"

أعطيتها ظهري وقلت بأسى " لا تحكمني عليا ظلما

فأنتي لا تعلمي من الذي ضرب قلب الآخر"

تم خرجت من عندها وغادرت المنزل برمته بعدما تعقدت

الأمور أكثر بدلا من أن تُحل ، توجهت للمزرعة من فوري

دخلت المنزل وقلت بصوت مرتفع " وليد"

نزل من السلالم وهو يقول " يا ملائكة الرحمة زوريه

وخففي ما يعتريه و" .....

ثم ضحك ولم يكمل فابتسمت رغما عني وهزرت رأسي وقلت

"لا تقلع عن عاداتك أبدا وأقسم أنني لست في مزاج لك"

ثم قلت وأنا اصعد السلالم

"سأستحم ونغادر لمنزل الشغاب سنتم الأمر الليلة"

قال وهو يلحقتي " لم نعظهم خيرا بزيارتك"

قلت وأنا أدخل جناحي " بل لديهم العلم منذ أسبوع ولكنهم لا

يعلمون عن سبب زيارتي ، أستحم وأجدك في سيارتك تفهم"

ضحك وقال " ألا تريد أن تجدني جالس فوق السيارة"

قلت وأنا آخذ المنشفة وأدخل الحمام

"أخبرتك أنني لست بمزاج لك فلا تطرني لضربك"

جاءني صوته من خلف باب الحمام

"لن تكون نواس الذي أعرفه إن مددت يدك علي"

فتحت صنوبر المياه لتدفق بقوة وقلت بهمس خلف ضجيجها

"بل فعلتها بمن هي قطعة من قلبي فلا تستغرب أن أقتلك"

\*

\*

"جواد أنت تغش اقسام رأيتك"

ضرب وزيرى بوزيره وقال " بلى مات

وزيرك فاقبلي الهزيمة"

قلبت اللوح وقلت " انتهت اللعبة"

ضحك وقال " غشاشة ومشكلتي أنى أحبك"

رمىته بوسادة الأريكة وقلت " وهل يحب الغشاشة غير الغشاش"

ضحك وأمسك خدي وقال " متى سننجب لنا غشغوشا صغيرا"

ضحكت كثيرا حتى تعبت ثم قلت " ولما ليس غشغوشة"

ضحك وقال " وغشاغيش كثر أيضا"

انفتح حينها باب الشقة وأغلق بقوة حتى ظننته سيتحطم

ثم مرت وسن من أمامنا لغرفتها مباشرة ووجها لا يبشر

بخير ، نظرنا لبعضنا باستغراب فحرك جواد رأسه

بمعنى ما بها فرفعت كتفاي وقلت " ألسنت تعلم أنني

معك هنا منذ ساعتين أم الغش أعماك "

مرت والدتي بنا ووقفت وقالت " مابها وسن "

قلت بحيرة " لا أعلم كانت في الخارج وعادت للتو "

تنهدت وقالت " مسكينة هذه الفتاة متى سترحم

نفسها وصحتها "

تم غادرت باتجاه غرفتها قائلة " سأحاول التحدث

معها رغم أنه مستحيل "

هزرت رأسي وتنهدت وقلت بحزن " لا تفعل هذا إلا

إن رأيت شقيقك أو سمعت خبر يخصه بالتأكد "

أخرج هاتفه وهو يقول " أخبرته فجر اليوم أنها تركت الجامعة

لابد وأنهما تحدثا معا لا شك في ذلك أبدا "

جرب الاتصال بأحدهم ثم تأفف بضيق ويبدو أنه لم يجب عليه

ثم أجرى اتصال آخر و قال " مرحبا أمي هل جاء نواس "

سكت لوقت ثم قال " وتقابل ووسن بالتأكد"

"لا لم أره ولكن رأيت ابنة شقيقتك تبدوا الأمور ازدادت تعقيدا"

"لا بالطبع هل تعرفينها تقول شيئا ، ماذا حدث بينهما"

تنهد بضيق وقال " جربت الاتصال به ولا يجيب"

سأسل عنه في المزرعة لا تقلقي"

أغلق بعدها الخط منها واتصل مجددا ثم قال

"مرحبا وليد هل أنت في المزرعة الآن"

قال بعدها بابتسامة " طبعاً لن تكون غير هناك يا أريكة المنزل"

ثم ضحك وقال " أجل أجل هذا ما تفلح فيه المهم نواس هناك أم لا"

قال بضيق " عندما يخرج أخبره أن يجيب على اتصالاتي"

لا أعلم لما يتعب نفسه باقتناء الهواتف"

ضحك كثيراً ثم قال " هكذا إذا عينك على"

هاتفه ذاك .... يالك من جشع"

"حسنا وداعا الآن"

قلت من فوري " ماذا حدث"

قال وهو يعيد هاتفه لجيبه " تقابلا في منزلنا وتبدوا

مشاجرة كبيرة حدثت وخرج كل واحد منهما

غاضبا وهذا المتوقع طبعاً"

قال بعدها " ألن تذهبي لتريها"

قلت بحسرة " ولما اتعب نفسي لن تفتح الباب

وإن فتحته لن نتحدث"

ثم قلت وأنا أجمع قطع الشطرنج " هل تحدثت

معه في موضوع الدراسة"

قال بهدوء " ليس بعد سأحدث معه قريبا

هي فرصة لن تعوض"

قلت بحزن " لا أريد ترك عائلتي خصوصا وسن

وهي في هذه الظروف"

أمسك وجهي بيده وقال " وتتركيني أنا يا ظالمة أقسم

لن أتحرك شبرا من دونك رضي من رضي وكره من كره"

اقتربت منا والدتي فقلت من فوري " هل تحدثت معها"

هزت رأسها وقالت " كالعادة قالت أنها بخير وتريد البقاء

وحدها وطلبت مني أن أجلب لها الحبوب المسكنة"

قلت بدمعة محبوسة " ستموت وترتاح ويرتاح ذاك الجلمود"

وقف جواد وقال " عن إينكما وأعلماني لو احتجتم أي شيء"

غادر فلحقت به عند الباب قائلة " جواد انتظر"

التفت إلي في صمت فنظرت للأرض وقلت بهدوء

"أنا آسفة لا تغضب مني"

لم أشعر سوى بشفتيه قبلت خدي وهمس في أذني قائلاً

"لست غاضبا حبيبتي لا تقلقي"

ثم غادر وأغلق الباب خلفه

\*

\*

بعد ساعة كنا خارجان من المزرعة بسيارتينا وغادرنا

المنطقة لأخرى تبعد ساعتين عن هناك ، وصلنا ونزلت

أنا وبقي وليد بعيدا ، استقبلني عند الباب الابن الأكبر للعائلة

تصافحنا ثم قال " تفضل يا سيد أنورت المدينة"

قلت بابتسامة " أنورت بساكنيها"

دخلت برففته ليستقبلني شيخ كبير في السن وشابان

آخران ، وقف بصعوبة فتوجهت نحوه أجلسته وقلت

"لا تتعب نفسك يا عم أنا من آتيك عند قدميك"

قال برحابة " ابن أشراف كما سمعت عنك فمرحبا بك عندنا"

صافحني الشابان وقال الأكبر " هذا عمي الأكبر كبيرنا وكلمتنا

عندما علم بقدمك اختار أن يكون في استقبالك معنا"

جلسنا وقلت بلطف " أطل الله في عمره وأبقاه فوقكم

ورحم والدكم ونعم الرجل كان"

تجلى الحزن على ملامحهم بسبب ما عانته هذه العائلة بعد

موته فقلت " من خلف ولدا صالحا ما مات"

نظر كل واحد منهم للأرض بضيق وحسرة فقلت

"طبعا تجهلون سبب قدومي لكم اليوم"

قال الأصغر " مؤكد من أجل التجارة ، باعك وصيتك كبير

في تجارة الخيول لكننا لا نتاجر فيها"

قلت بابتسامة " لم آتي من أجل التجارة بل من

أجل النسب الشريف"

نظروا لبعضهم بصدمة واستغراب ثم قال أكبرهم

"وفي من" !!

جلت بنظري بينهم ثم قلت " مي وليس لديكم غيرها حسب علمي"

قال بتلعثم " لكن ... لكنك .... قد"

قلت بجدية " لكني أعلم ما حدث وما كان ولا يهمني وقلت

أريد نسبكم إلا إن رفضتم ذلك"

قال عمهم من فوره " ناسبنا خيار الناس وأنت فوقهم

ولكنك قلت أنك تعلم بما حدث لها وما قيل

وما مرغ سمعتنا في التراب"

قلت بهدوء " نعم أعلم"

قال " وهل ستطلقها لتزيد نكبتنا ، احمل نفسك يا بني وأخرج

من هذه المعمة كي لا تُغرق نفسك معنا في الشوشرة"

قلت " لن تكون هناك أي شوشرة أنا بعيد عن الموضوع

ولن يتحدث أحد عني"

قال الابن الأوسط " عذرا ولكن لما تفعل هذا"

قلت من فوري " دين لرجل لا تعرفونه"

قال أكبرهم " أعذرنا لن تتصافى في ديونك بباقي سمعتنا"

تنهدت وقلت بجدية " بل لن تكون تصافي ديون ، ابنتكم فوق

رأسي لن أضيّمها ولن تمتد يدي عليها ولن يخرج ما تحدثنا فيه

من مجلسنا هذا حتى الموت ومهرها وجهازها كغيرها

وأفضل ومؤخر يضمن لكم صدق كلامي وأني لن أطلقها"

قال عمهم " لن تعجز عن دفع مؤخرها مهما كان كبيرا"

قلت " ومن قال أنه مال"

نظروا لي بعدم استيعاب فقلت " لن أطلقها إلا على عقد لها

على زوج غيري وبموافقتها ورضاها ، من يكتب ورقة طلاقي

منها يكتب ورقة زواجها به ولن يكون ذلك قبل عام أو ستبقى

في نمتي حتى آخر عمري أو عمرها"

كانت أعينهم ستخرج من الصدمة فقلت " إن وافقتم الآن

عقدنا الليلة ولكم أن تطلبوا رأي الفتاة وتتشاوروا ولن

أغادر إلا بكلمة قبول أو رفض"

قال أكبرهم بسخرية " وهذا ما بقي نأخذ رأيها"

تنهدت بقوة وقلت " لا تكونوا والزمن على شقيقتكم ، ستخرج

من هنا معززة مكرمة وتعيش عندي بعزتها وكرامتها كما رباها

والدها وأقسم أن رجلا مثله لن يربي فتاة تجلب العار لأهلها"

قال عمهم " سلم لسانك ومنطقك فكم قلت أن حق اليتيمة لن

يضيع ، جعلها الله الزوج الصالح لك وكلمتي لن يثنيها أحد وقد

أعطيتها لك وسنعد الليلة كما أردت ومتى ما حددت

موعدك تعال وخذها من بين الجميع"

وقفت وقلت " إذا على بركة الله ، الوالدة متعبة ولا

يمكنها التحرك لكنت كما تستدعي الأصول

ولا شقيقات لدي وأنا الأكبر"

وقفوا وقال أكبرهم " وحدك تكفي وتزيد ولن

نقول شيئاً بعد قول عمي"

قلت " أعذروني لديا موعد مع شخص هنا وسأوافيكم

عند المغيب نتفاهم وتضعون المهر الذي يناسبكم

ونكتب العقد والشروط أيضا فيه"

تنهد عمهم وقال " أي رحمة أرسلها الله لنا هذا اليوم أقسم

أن الناس أكلت وجوهنا وسلخت ظهورنا وبعد اليوم

لن يجراً أحد على قول شيء"

ربتت على كتفه وقلت بابتسامة

"الله لا يُضَيِّع شرف الأشراف .... عن إبنكم"

ثم خرجت من فوري بعدما كتبت أول سطر في حياة فتاة لا

أعرفها وآخر سطر في حياة فتاة لست فقط أعرفها بل وأعشقها

حد الجنون فما سنقول في وجع القلوب وحكم أقدارنا غير

أن الواقع واقع وعلينا أن نعيشه فلم أنسى بعد كلمات الرجل

الذي لو أفنيت عمري ما رددت جميله وهو يقول لي في

فراش الموت ( مي يا نواس لا أريد منك شيء ترد به

جميلي عليك سوا أن تخرج ابنتي من برائن أشقائها)

\*

\*

تقتلنا الهموم وتصفعنا حياتنا من كل صوب ، أحيانا نقول هذا

قدرنا ولا مفر لنا منه والصبر قالوا أنه المفتاح الوحيد للفرج

وأحيانا نقول ما اختار الله لنا أمرا إلا وكان لنا فيه الخير

يبتلي عباده المؤمنين وجعل مع العسر يسرا

لم يتبقى لها شيء سوى هذه الكلمات النورانية ترثي بها

حالتها بعدما أصبحت وصمة عار مجتلبة للنكسات فحتى

والدها هي المذنب الوحيد في موته وفي سجن شقيقها وحتى

تقلبات الجو باتت هي السبب فيها لأنها أصبحت الشيطان

والوباء المدمر التي لا تستحق الحياة وأي حياة هذه التي

يتبجحون بها عليها ، تجلس على سريرها تحضن ساقها

وتخبئ وجهها فيهما لأنها تخشى إن أخرجته تهب الرياح

المغبرة ويتهمونها بها ، مسجونة في غرفة بنافذة مغلقة

بالحديد كي لا تقفز منها رغم أنهم موقنون أنها إن فعلتها

ستموت ومؤكد لا يخشون موتها ، باب موصل لا يفتح

إلا من الخارج وليته لا يفتح أبدا لأنه لا تدخل منه إلا

السموم، في عمر الزهور ابنة والدها الوحيدة بعد أربع

ذكور ، المدللة الحنونة من تحملت جور زوجاتهم من

أجلهم لكن العقول لا ترحم والرجل الشرقي يتحول

لوحش أمام كلمة عار وعرض ولا يهتم للأسباب

\* \* \* \*

سمعتُ مفتاح الباب يدور فخبأت وجهي أكثر وانكشيت

على نفسي فمؤكد لن يدخلوا إلا لضربي من جديد أو إهانتني

ولومي ، يا رب خذ روحي وارحمني فوحداك تعلم

بحالي ولديك فقط العدل بلا ظلم ولا جور ، انفتح الباب

ثم أقترب صوت كعبي حذاء يتبعه الآخر ليصلي صوتها

الساحر قائلة " مبروك يا فضيحة جاعك عريس "

لم أرفع رأسي ولم أتكلم فقالت الأخرى " بعد اليوم كل

الفتيات ستهرب مع الرجال ليحضوا بالعرسان "

أي عريس هذا بواب الشركة أم البستاني أو قد يكون

ملك الموت وأرتاح ، قالت أسماء " ارفعي رأسك أقسم

أنك ولدت في يوم الحظ السعيد "

قلت ودموعي باشرت النزول " لو كنت ولدت فيه ما

كنتي أنتي هنا وأنا فيما أنا فيه ففيما ولدت أنتي إذا "

قالت بحدة " لا تلعبى معي بالكلام لأنك الخاسرة الوحيدة

ليته الليلة يأخذك معه لما يبقيك لنا بعد أن يتزوجك "

ثم ضحكت بسخرية وقالت " لا ومهر خيالي وجهاز

لن يكون عاقلا أبدا "

رفعت رأسي لها وقلت " تزوجيه أنتي إذا "

ضحكت وقالت " وهل تركت لنا شيئا إلا أشقائك بسمعتهم النتنة

فحتى إن تطلقنا منهم لن يرفعنا أحد لأنك كالوباء لطخت الجميع "

رمت بعدها بيدها في الهواء وقالت مغادرة " عمك العجوز

يريدك في الأسفل بسرعة انزلي وعودي "

قلت بسخرية " ومنذ متى حررتموني من سجنى لأنزل وحدي "

وقفت عند الباب وقالت " منذ قليل يا ابنة الحظ السعيد "

ثم غادرت تجر معها شبيهتها وتركت الباب مفتوحا على غير

العادة، نزلت من السرير وغيرت قميصي بأخر بأكمام طويلة

احتراما لعمي الذي لم يراني يوما دون حجاب فكيف أصبح

اليوم وصمة عار لهم جميعا ، ولكي أخفي آثار الضرب

الوحشي الذي أتلقاه منذ أسابيع بلا توقف ولا رحمة

لبست حجابي وأنزلت التنوره لتلامس الأرض فهم لم

يتركوا مكانا بي لم يشوهوه ، نزلت السلالم الضخمة التي

تتوسط المنزل الكبير وتوجهت لمجلس الرجال حيث سيكون

هناك وحده بالتأكيد ، طرقت الباب ودخلت بهدوء وما أن

وقعت عيناى عليه حتى أدمعتا فورا فمد يده لي وقال

"تعالى يا ابنتى فلا يمكننى الذهاب لك بسرعة

فوقوفى بحسابه كما تعلمى"

ركضت ناحيته وجلست أمام ساقيه وقبلت يده وأنا أقول

ببكاء " إلا أنت يا عمى لا تكن مثلهم أرجوك فوحدك لى

بعد والدى ويكفينى منك ولو كلمة أنا أثق بك يا مى"

مسح على رأسى وقال " بل كئفتى بنفسى وقد نهيتهم

وأقسمت عليهم أن لا يضربك واحد منهم بعد ذاك

اليوم ولن يثنوا كلمتى بالتأكد"

كيف أخبرك يا عمى كيف أقول لك أن ذاك اليوم كان

أرحم مما يليه رغم أنى ذقت فيه ضربا تعجز عن تحمله

البغال كيف وهم هددونى كى لا أخبرك أمسك يدى

وقال " اجلسى بجوارى لى ما سأقوله لك"

وقفت وجلست بجانبه أمسح دموعى فقال بهدوء

"أحدهم خطبك اليوم وأنا أعطيت ، كان علىا مشاورتك

لكنه رجل لا تشاور عليه النساء وسأطمئن عليك لديه"  
قلت بحزن ورأسي للأرض " لن يكون أسوء من حالي هنا"  
لأذ بالصمت ولم يعلق فقلت " ومن يرضى الزواج بمثلي  
كيف وثقتم برجل يتزوج بي مؤكدا ورائه شيء يخفيه"  
ثم رفعت رأسي ونظرت لوجهه وقلت " لو كانوا إخوتي  
لقلت أنه لن يعينهم أمري أما أنت فلن تفكر مثلهم بالتأكيد"  
تنهد وقال " بالتأكيد لن أفكر مثلهم ولن أبيعك لأي أحد  
فقط لتتخلص منك ، إنه تاجر خيول كبير ومعروف  
صحيح أنه دخل السوق من عامان فقط لكنه فاجئ  
الجميع وسمعته كالمسك وخيوله تسمى في السوق بالخيول  
المدللة فمن دلل الخيل لا يقسوا على النساء قطعا"  
بقيت أنظر للأرض ودموعي تسقط في حجري الواحدة  
بعد الأخرى فقال " مي يا ابنتي إن كنتي غير  
راضية تصرفتي في الأمر"

هزرت رأسي وقلت " لن أثني كلمة قتلها له

ولقد تساوت عندي الأمور"

تنهد وقال " رجائي أن لا تندمي يوما ولا أندم على ثقتي

به لكنه اليوم أكد لنا أنه لم يأتي ليبيع ويشترى بفتاة سمعتها

ضاعت ويستغل الوضع بل وضع شرطا على نفسه

يربطك به كل العمر أو يحررك لأشرف منه"

مسحت دموعي وقلت " ولما يفعل هذا لماذا"

قال " لم يفصح عن السبب ، إن تعبتِ معه

اتصلي بي فقط وسأرجعك منه لمنزل والدك"

وقفت وقلت " كما تريد يا عمي"

قال بهدوء " سنعقد عليكما الليلة وسيأخذك في وقت

لاحق، مهرك سيكون لك لا أحد يناصفك فيه إلا على جثمانى

وسيدفع تكاليف جهازك فاشترى كل ما في خاطرك"

ابتسمت بألم وقلت " هذه الأمور لم تعد تعنيني فلقد

ضاعت أحلامي كأي فتاة بيوم كهذا اليوم"

ثم خرجت من فوري وصعدت لغرفتي ابكي حظي

والساعات الأخيرة لي قبل أن أصبح زوجة المجهول والله

وحده يعلم عجوز أم شاب وأي شاب سيفكر بي وأستغرب

حتى من كبار السن أن يقتربوا مني ، طلبت الموت فهل

حقق الله دعائي وسيكون موتي على يديه ، توجهت من

فوري لخزانتني وأخرجت الأوراق التي تدخلهم لي الخادمة

خلسة منذ أيام ومكتوب فيها ( سأخرجك من هناك يا مي

أنا السبب فيما حدث وسأنتقدك مما أنتي فيه)

ترى من صاحب هذه الرسائل وما علاقته بمن جاء

اليوم لخطبتي أم هي مجرد مصادفة ومن هذا السبب

أقسم لو أدركه أقطعه بأسناني

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

عند دخولي اليوم للفصل بعد الفسحة فجعت بورقتي

على لوح الإعلانات ، ورقة امتحان مادة الهندسة

التحليلية التي علقها الأستاذ نزار مليئة بالرسوم لقلوب  
وكلمات غرامية مني إليه فتوجهت للوح ونزعته بغضب  
ونظرت جهة وجدان التي قالت بسخرية " هل رأيتم بأنفسكم  
هي من نزعها فجدي لنفسك جواب حين سيسأل أين الورقة"

قلت بغضب " وأنتي من كتب هذا عليها أليس كذلك"

قالت باستعلاء " بل أنتي من فعل هذا"

ثم نظرت للطالبات خلفها وقالت

" هل قلت كلاما غير صحيح ؟ من يشهد معها"

سكتن جميعهن ينظرن لي بصمت فقالت بسخرية

"ستصل الورقة للمدير ومطرودة يا سما"

لن تصل للمدير ولكن المصيبة أنها ستصل للأستاذ ، أي

فضيحة هذه وإن كان يعلم أنه ليس أنا من كتبها ولكن ما

أعرفه أن هذه الأشياء سيئة ولا تجوز ، دراستك آخر ما

تبقى لك يا سما وما خسرتة كان أعظم منها ، توجهت نحوها

وأمسكتها من شعرها بكلي يداي ودخلنا في عراقك شديد ، سألقنها

درسا قبل أن أغادر عليها تخاف من باقي الطالبات أو أخرجها

معي من المدرسة ويرتاح منها الجميع ، بعد قليل جاءت

المصلحة الاجتماعية ومعلمتان معها لأن الطالبات أبلغوهم بما

يجري وطبعا حليفنا وجدان لأن الباقي تمنين لها هذا منذ زمن

فكوا شعرها من يداي بصعوبة وبعدها على الفور كنا في

مكتب المدير الذي صرخ من فوره " لا مكان في المدرسة

لكما ولا تشرح أي منكما ما حدث وتتعب نفسها وتبرر

بسرعة تخرجان من هنا"

قلت بهدوء " أعطني ملفي لأن لا أحد سيأتي لأخذه"

أخرجه من المكتبة ورماه على الطاولة بغضب فأخذته وخرجت

وتوجهت لخلف مبنى المدرسة انتظر وقت قدوم الحافلة لأنني

لن أستطيع الذهاب سيرا فالمكان بعيد ، جلست أبكي كل ما

حل بي منذ داست قدماي هذه البلاد ، أبكي فقدي لعائلتي

ووحدي وخوفي ممن يطاردونني وفقدي لدراستي لحبي

الشديد لها فأني عام سيضيع منها يضيع من عمري ، كنت  
أضن أن الخالة عفراء ستبقى بجانبني وتبحث لي عن عائلتي  
ليأخذوني كما قالت لي وأن هذه المدرسة هي المكان الذي  
ستجدني فيه حين تلقاهم لكنها اختفت مثل الجميع وتركتني

وحدي، بعد وقت هدأت من بكائي وتذكرت كلام والدتي  
حين كانت تقول لي ( الله لا يموت ولا ينام يا سما يحمينا  
ويرانا ويدافع عنا فلا يجب أن نخاف أو نحزن أو نشعر  
بالوحدة والعجز ) وما هي إلا جزء من الثانية وكان  
الأستاذ نزار قادم باتجاهي فوقفت من فوري متمنية أن أشق  
الجدران وأهرب منها فقد يكون قادم لتوبيخي أيضا لعلمه  
بالورقة وما فيها

\*

\*

فتحت الباب بالمفتاح لأنني أعرف مكان وضعه له عند  
الباب ليدخل أي من معارفه للبقاء مع والدته في غيابه أو

إلقاء نظرة عليها من حين لآخر، عليا أن أعلم منها هي إن

كان ما قالته رهام صحيح أم تكذب عليا لتبعدني عنه

إن كان صحيحاً فستكون والدته علي علم بالتأكيد ، أغلقت

الباب ودخلت بهدوء حتى وصلت حجرتها وطرقت

الباب فقالت بابتسامة " ادخلي يا دعاء يا ابنتي "

اقتربت منها وقلت " صباح الخير كيف أنتي اليوم "

قالت مبتسمة " الحمد لله مادمت جالسة بأحسن حال أما

إن تحركت عانيت من ألم ساقي لبعض الوقت "

جلست أمامها وقلت " لا تتحركي إذا إلا للضرورة "

تنهدت وقالت " وهل أتحرك إلا للحمام وبصعوبة بالغة

كم حاولت ترتيب المنزل على الأقل ولم أنجح في ذلك

فيبقى نزار رجلا ولن يلتفت لكل الأمور الصغيرة ، زوجة

عوني باركها الله لا تقصر في تنظيفه لكنها أم لأبناء صغار "

قلت بابتسامة " وما الذي أفعله أنا أتركي الأمر لي "

أمسكت يدي وقالت " أقسمت عليك بالله لن تفعلني فلم أتحدث

معك من أجل هذا ، فقط كنت أفضفض عن خاطري "

قلت بلوم " لما حلفت يا خالة كنت سأفعل ذلك عن طيب خاطر "

قالت وهي تعدل جلستها على الوسائد " يكفيك مسؤولية

منزلك وأخواتك ، قريبة لي ستزورني هذه الفترة

لا تقلقي بشأن هذا "

نظرت للأسفل قليلا في صمت ثم قلت

" رهام قابلتي وتحدثت معي "

ساد الصمت من ناحيتها فرفعت نظري لها فكانت تنظر

لي بصدمة ثم قالت " وما الذي جاء برهام الآن!

أليست مسافرة منذ سنوات "

تنهدت وقلت " بل عادت منذ زمن وزارتنني في منزلي

عدة مرات وآخر مرة أمس في المستشفى وكانت " .....

قطعت كلامي فقالت بحيرة " كانت ماذا "

قلت بهدوء " كانت تريد مني معرفة إن كان نزار لازال يحبها "

بقيت مصدومة لوقت وصامته ثم قالت " وما تريده من نزار بعد

كل هذه السنوات وهي من تركته وهما مخطوبان وتزوجت بغيره "

تنهدت وقلت " طلقها ذاك منذ مدة وبقيت هناك مع خالها

وأنهت دراستها وعادت الآن وعلى ما يبدو تريد إرجاع

أوصال الحب القديم "

هزت رأسها وقالت بحزن " وما تريد منه الآن

بعدما تركته دون أسباب "

قلت بابتسامة سخرية " تقول أنه أخبرها أنه عقيم

ولن ينجب أبناء وترك الاختيار لها وطلبت

مني أن لا أخبر أحدا لكني أضنها تكذب "

نظرت لي برجفة وتغير لون وجهها وبدأت شفثاها بالارتجاف

فعلمت مباشرة أنه السكر ارتفع لديها فاقتربت منها وأمسكت

يدها وقلت " ما بك يا خالة أين حبوب السكر "

زاد العرق في وجهها واصفرار لونها فأمسكت بهاتفي

برجفة واتصلت بالإسعاف

\*

\*

توجهت نحوها فوقفت من فورها وعادت بخطواتها للوراء

فأمسكت يدها وأرجعتها حيث كانت جالسة وقلت

"ما الذي حدث يا سما"

سحبت يدها مني وضممتها لصدرها وقالت ببكاء

"لا شيء سأترك المدرسة وانتهى أرجوك لا تسألني عن السبب"

قلت بحدة " ما الذي جعلكما تتضاربان وأنتي تعلمين أن القوانين

تطرد من يفعل ذلك تحت أي سبب كان"

مسحت دموعها وقالت " كان عليا تلقينها ذاك الدرس لأنني

خارجة من هنا على كل حال وبمحض إرادتي"

هدئت نفسي لأنني أعلم كم تخاف من الجميع وقلت بهدوء

"سما ما حكايتك ستخبريني الآن وأنا من سيوصلك لمنزلك تفهمي"

هزت رأسها بلا وقالت " ستأتي الحافلة وتأخذني"

تنفست بقوة وقلت بهدوء " كل ما أريده مساعدتك فمما أنتي

خائفة وأين هم والداك وأين تعيشين ، الآن أجيبني لأنني

لن أتركك قبل أن أعلم"

بقت تنظر لي بصمت وريبة فقلت

"لا تخافي مني أقسم لن أؤذيك ، فقط أريد مساعدتك"

قالت بتوجس " ولما تريد مساعدتي"

قلت من فوري " لأنني متأكد من أن هناك خطرا يحدق

بك من خوفك من كل شيء"

قالت بريبة " وماذا إن كنت واحد منهم ؟ أنا لا أتق بك"

نظرت لها بحيرة وقلت " واحد ممن !! قلني من هم"

أغلقت أذناها بيديها وقالت برجفة ونظرها للأرض

"ممن يلاحقونني ويطرق بالعصا ليعلم أين مكاني"

كنت أنظر لها بصدمة وكأني أشاهد فيلما وليس واقع

أمامي ، أمسكت كتفيها وأجلستها حيث كانت جالسة

وجلست بجانبها وقلت " سما لا تخافي مني أقسم أني

لا أعرفهم ولا أريد أذيتك فقلني ما حكايتهك وسأساعدك"

نظرت لي بريبة فقلت بجدية " سأساعدك يا سما اقسم على ذلك"

قالت بتوجس " حقا ستساعدني"

هزرت رأسي بنعم دون كلام على صوت رنين هاتفي في

جيبى فأخرجته ونظرت للمتصل بحيرة ... غريب ماذا تريد

دعاء الآن هل هي عند والدتي هل حدث لها مكروه يا ترى

فتحت الخط ووضعت على أذني وقلت من فوري

"مابك يا دعاء هل والدتي بها مكروه"

وصلني صوتها صارخة " نزار تعال بسرعة أنا في

الإسعاف والدتك ارتفع عندها السكر ألحقنا للمستشفى"

وقفت بسرعة مغادرا ثم التفتت لها وكانت واقفة ، وضعت

يدي على كتفيها وقلت " ابقى هنا حتى أعود لا تتحركي مهما

حدث ، والدتي متعبة وعليها المغادرة ، لا تغادري

يا سما مهما حدث حسنا"

نظرت لي بصمت فقلت " عديني أنك لن

تغادري حتى أعود"

قالت بشبه همس " أعدك"

ثم غادرت ركضا وركبت سيارتي وتوجهت من فوري

للمستشفى تاركا المدرسة والحصص وكل شيء ورائي

وتوجهت إلى هناك من فوري ، وجدت دعاء عند أول

الممر فوقفتُ ما أن رأيتني فقلت بخوف

"مابها ما الذي حدث؟؟ لم يرتفع لديها السكر قبلا"

قالت " ارتفع فجأة وبنسبة كبيرة يحاولون خفض معدله

وصل حتى الـ600 وانخفض الآن للـ400 ستكون بخير

أعذرني لأنني كنت خائفة ومرتبكة وقد أفرعتك"

قلت بخوف " هل ستكون بخير هل سيؤثر عليها مستقبلا"

قالت " لا أعتقد مادامت لم تعاني منه قبلا وليس لديها

مشاكل في ضغط الدم والقلب"

تنهدت براحة وقلت " هل تستطيع رؤيتها"

سارت بجانبني وقالت وأنا أسير معها

"لازال سكرها مرتفعا ما أن ينخفض أكثر تستطيع الدخول لها"

بقيت هناك لساعات ألف على الأطباء وشرح حالتها

وأؤكد أنه لن يتسبب لها هذا بمضاعفات وأصررت عليهم

أن يجروا تخطيطا لقلبها وفحص لنظرها ودماعها ومر اليوم

أركض من ممر لممر ومن طبيب لآخر ولم يرتح لي بال

حتى اطمأنتت عليها وسمحوا لي بزيارتها فدخلت لها

واقتربت من سريرها وقبلت يدها وقلت " ما الذي جعل

سكرك يرتفع ، أمي لو فقط ترتاحي من الحركة"

قالت بابتسامة متعبة " لن يرتاح قلبي ولو ارتاح جسدي

نزار عد للمنزل وارتاح يكفي أنك أضعت

الحصص اليوم وتعبت النهار هنا"

وكان تلك الكلمة أيقظتني من سبات عميق ، حصص ومدرسة

و... ، نظرت لها بصدمة وقلت " سما"

قالت بتوجس " من سما !!"

خرجت مسرعا وأنا أردد " كيف نسيتها كيف "

خرجت ركضا من ممرات المستشفى وركبت سيارتي

ووصلت عند باب المدرسة ثم نزلت ووصلت عنده

وضربته بقدمي لأنه مقفل بالقفل والوقت ليل يستحيل أن

تكون انتظرتني حتى هذا الوقت ولكني طلبت منها البقاء

تحت أي ظرف ترى هل تكون في الداخل وأغلقوا عليها الباب

ولم تتمكن من الخروج ، عدت لسيارتي مسرعا وانطلقت

ساعدتها حقا يا نزار لو تركتها على الأقل عادت لمنزلها

مؤكد لن يقبل بها أحد بعد نهار كامل تقضيه في الخارج

آآآخ هذا إن كان لها منزل أو عائلة ، وصلت للمنطقة التي

يسكنها مدير المدرسة وتبعد النصف ساعة وهو يسكن مقابلا

لجابر فهوا عمه، وصلت المنزل وضربت الجرس ففتح لي

ونظر لي بتوجس وقال " نزار ما جاء بك هنا ولما خرجت

من المدرسة ولم تجب على اتصالاتي !! لقد شغلتنني عليك "

قلت من فوري " هاتفي بقي في فناء المدرسة وأريده

لأمر ضروري جدا هلا أعطيتني المفتاح الخارجي

فقط أرجوك سيد منصور"

نظر لي بحيرة ثم قال " لما لا تستخدم هاتفنا

عموميا أو هاتف والدتك"

تنهدت وقلت " أريد هاتفني تحديدا الأمر مهم ويمكنك مرافقتي

لن أدخل المدرسة فقط مفتاح الباب الخارجي"

دخل في صمت وكل رجائي أن لا يرافقتي هناك ، خرج

بعد وقت ومد لي بالمفتاح وقال " اتركه معك حتى

أخذه منك في الغد لديا نسخة احتياطية"

قلت بامتنان " شكرا لك يا سيد منصور وكن على ثقة ، فقط

سأخرج هاتفني وسأغلق الباب وأعيد المفتاح لك الليلة إن أحببت"

قال بابتسامة " لا تتعب نفسك غدا أخذه منك"

شكرته مجددا وغادرت ومن فوري ذهبت للمدرسة فتحت

الباب ودخلت متمنيا أنها أخلفت بوعدا وغادرت ولم تبقى  
كل هذا الوقت هنا وفي نفس الوقت متمنيا أن أجدها لأنها إن  
رحلت فلن تعود ولن أعلم من هم أولئك الذين يطاردونها  
وما يريدون منها ، توجهت من فوري لخلف المبنى ووقفت  
مصدوما حين رايتها تجلس مكانها الذي تركتها عنده في

### الصباح حين غادرت

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

وقفت أنظر له مصدومة ، من يضمن نفسه هذا ومن يسمح  
له بدخول منزلي في غيابي ، أي فوضى هذه هل لأنه ضابط  
جنائي يعطيه الأحقية في انتهاك حرمان الغير ، آخر ما لديك  
سمعتك يا أرجوان وهاهي تمرغت في التراب ، وقف عندما طال  
صمتي وتوجه للباب مجتازا لي وأغلقه فقلت ونظري يتبعه

" هل لك أن تشرح لي ما يجري أيها السيد المحترم "

وقف أمامي وقال " نتفاهم في مصلحة من تناديهم

بأبنائك إن كان أمرهم يعنك"

قلت بحدة " وأين تضننا ؟ في بلاد الغرب ، ينقص أن نشرب

النبيدّ معا ، أنت تعلم أنه منزل فتاة وحيدة ما سيقول عني

الناس وهم يرونك تدخل وتخرج"

قال ببرود " وما الذي قالوه وهم يرون سائق الحافلة

يفتح الباب ويدخل ويخرج"

قلت بذات الحدة " ذاك زوجته معه في الحافلة لأنها تدرس

في ذات المدرسة وينزل الأولاد أمام مرأى الجميع ويغادر"

قال بسخرية " هذا في مخيلتك فقط ، أربع مرات دخل

فيها ولم يخرج قبل الربع ساعة"

بقيت أنظر له بصدمة ثم قلت " ولما يفعل ذلك" !!

جلس مكانه السابق وقال " اسأليه هوا وليس أنا"

بقيت أنظر له بصمت لوقت ثم قلت " والمطلوب مني الآن"

قال بجمود " تعلمين المطلوب ... تتحدثين معهم وفورا"

قلت بذات جموده " ما لديا قلته أخبرني عن أمور خاطئة يفعلونها

تحت مسمى أي من أباحها أو حرّمها فأتكلم معهم حالا"

تهد بضيق وقال " نحن لدينا نظام حياة مختلف فوالدي لها

مظهر واحد تظهر به أمام الناس وتكره العبث وتخريب

النظام ، قد لا تكون أمور خاطئة لكنها تراها كذلك"

ابتسمت ابتسامة جانبية وقلت " آه فهمت تريدونهم أطفالا كبارا إذا"

قال بتبات " شيء من هذا القبيل ولو في أغلب الأمور"

قلت بسخرية " أنتم كمن يحرث في البحر هل لك أن تقتنع أن

تتصرف كطفل هل يستوعب عقلك ذلك وهل توافقه ، إن كنت

تفعلها الآن أمامي تأكد حينها أنهم سيفعلون ذلك ويتحولون

لكبار في ثوب أطفال"

قال ببرود " كنا أطفالا وتحكمتنا في تصرفاتنا كالكبار"

قلت بجدية " والنتيجة"

نظر لي بنظرة حارقة وقال " وما تريني أمامك صعلوك

أم خريج سجون أم مهرج"

قلت بهدوء " أعذر وقاحتي لكني أراك صخرة "

وقف ينظر لي بغضب فقلت ببرود " لن أكذب عليك أو

أجاملك لا أعترف بطفل يوضع له نظام قاتل يقتله في النهاية

فيفشل في جميع نواحي حياته مهما كان ظاهره ناجحاً "

قال بضيق " ما تقصدين بما قلته "

تنهدت وقلت " أقصد هل لك أن تشرح لي لما هربت حسناً

بأبنائها وأخفتهم عنك وهل يقتنع الأولاد الآن بما تطلبه مني ، هل

تقربت لهم خلال هذه الفترة ، جلست معهم لعبتم وضحكتم وعلمتهم

ما تريد تعليمهم بطرق يستوعبها الأطفال ؟ هل تعلم عن مشاكلهم

هل تجد لها حلولاً غير رميها على الغير ليحلوها لك "

قال بضيق " لن تعلميني أنتي كيف أربي أبنائي والمجرمين

يتحولون لقطط بين يداي ... لا تغتري بنفسك "

قلت بهدوء " أسفة ولكن الأطفال ليسوا كالمجرمين عليك أن

تقتنع بذلك فلا يمكنك تشكيلهم كما تريد خصوصاً أنهم عاشوا

وتربوا في غير البيئة التي تتحدث عنها الآن لأن النتيجة ستكون  
مؤسفة وإن نجا أحدهم لن ينجى الاثنان الآخران ، مستعدة الآن  
لتنفيذ ما تريد لكن تأكد أنه لن ينجح الأمر ولن تنتهي المشكلة  
فهم في النهاية بشر لهم عقول وليسوا حاسوبا فبالرغم من كل  
جهودهم حتى الآن لم استطع تعليم ترف الأكل دون فوضى  
والنوم لوحدها دون خوف وأن لا تغار من شقيقاها في كل شيء  
وخصوصا أمجد فالكمال لا يصل إليه أحد هو عند الله وحده"  
عاد لهوئه وقال " وما تريده والدتي ليس خاطئا وقابل للتجربة  
هي جدتهم ويحق لها ذلك ، أنا أتناقش معك كوالدة لهم وليس  
فتاة غريبة عنهم فسلوكيات كثيرة غرستها بهم تعجبني وما  
كانت حتى والدتهم ستهتم بها"

تنفست بهدوء بعدما وصلت لمرادي ، جيد علمت أنه من

هذا النوع يحتاج لعقل يتعامل معه وليس الغضب والحدة

والعناد، وكيف أستغرب هذا بل كان عليا توقعه منذ البداية

فضابط يتعامل مع القضايا ويحقق فيها ويفك غموضها

سيكون من الذكاء أن يفهمني دون كلام وأن يتحدث بما يأتي

له بالثمار فعلي التعامل معه من طبقتة العالية في التفكير

قلت بهدوء " أطلب منك فقط أن تنظر للأمر من منظورك

أنت بقلبك وعقلك أنت يوم كنت طفلا إن رأيت هذا تستسيغه

نفسك يمكنك الآن أن تتصل لي بهم ، وإن وجدت ريبة في

قلبك ولو ذرة فتيقن أنه لن ينجح ذلك وأنا تحت أمرك"

وقف في صمت وتوجه جهة الباب ليغادر فالتفتت له وقلت

"كنت أتردد في أن أطلب منك أن أتحدث معهم ولو مرة

ولو أسمع أصواتهم دون أن يعلموا بي لكني الآن

علمت أن ذلك مستحيل"

نظر لي مطولا بصمت ثم فتح الباب وغادر دون كلام

تنفست بقوة وأغمضت عياني ، لو نجح مخططي فسيتركني

أكلهم بمحض إرادته كي لا يظهر أمامي بمظهر من تتحكم

والدته بتصرفاته وتربيته لهم ، كان عليا اتخاذ الأساليب الملتوية

لأني إن قلت له حرفيا والدتك تتحكم بتربيتك لأبنائك لن تكون

النتائج مرضية أبدا ، هذا الرجل التعامل معه أمر يتعب الروح

فحتى حركة حدقتي عيناه توتر من أمامه ، لا أحسد حسناء

على السنين التي عاشتها معه فهو يحتاج لعقل أكبر من عقله

ليسيطر عليه ويروضه فهذا الرجل لا ينفع للنساء أبدا

\*

\*

خرجت من عندها صفر اليدين وأنا من كنت موقن من أنني

لن أخرج دون غرضي بالطيب أو بالإكراه ، هذه الفتاة

وضعت عقلي في لحظة بين نقطتين صعب علي ترجيح

إحدهما على الأخرى ، لا أنكر أنني في طفولتي كنت

أخالف والدتي وقوانينها الصارمة أحيانا وبالخلسة لكني

مقتنع بما ربتني عليه وصنعت مني الرجل الذي أنا

أريد لكن أبنائي تربوا في غير البيئة التي ولدوا فيها

وأخشى أن تكون النتائج سلبية ونصبح ليس في معتصم

جديد بل أسوء منه فلن أتخيل أن يصبح أمجد مجرما في

المستقبل وأنا من عليا سجنه أو أن تنحرف إحدى الفتاتان  
وأذهب بنفسى لاستلامها من قسم الشرطة ، يبدوا أنى لم  
أعدت تحمل مسئولية أبناى فلم أفكر لحظة أن أجلس معهم  
ونلعب ونتحدث ، هذه ترهات بالنسبة لى ولن أجد لها وقتا  
ولم أعرفها فى صغرى وكبرت بدونها ، كانت حسناء تلومنى  
دائما لأنى أنجبت أبناء لا أراهم ولكنها مسئوليتها هل سأتحمل  
معها حتى وظائفها فى الحياة ، كانت مشاكلى معها لا تنتهى  
وما أن أدخل جناحى حتى تستقبلنى من الباب ... أمك قالت  
أمك فعلت أختك قالت أبنتك فعل أبنتك فيها ولديها وتحملنى  
نتائج كل شىء حتى بات القصر بالنسبة لى جحيم لا أدخله  
إلا ليلا لأنام بعدما أتأكد أنها نامت حتى فوجئت بها اختفت  
وأبنى وابنتاى وكانت النتيجة أن اختفت بهم لسنين ، أوقفت  
السيارة ونزلت ودخلت المكتب أخذت بعض الأوراق وانتقلت  
بعدها لقسم الجوازات بالمطار كجولة تفقدية لسير بحتهم

وغادرت لموقع الشقة التي شهدت الجريمة الجديدة اليوم

وصلت هناك والشرطة تملئ المكان اجتزت الشرائط

الصفراء واقتربت منهم قائلا " هل أقترب أحد من شيء "

التفت لي الواقف أمامي وضرب التحية وقال

" كل شيء حسب الأوامر ولم نحرك شيئا "

اقتربت من جثة السيدة الملقاة أرضا نزلت عند مستواها

كان الدم يملئ شفاهها أمسكت ذقنها وفتحتها يبدوا تلقت

ضربة قوية على المعدة أو الصدر لكنها لن تكون سبب

الوفاة بالتأكد قلبت الجثة وكما توقعت كسر في الرقبة أي

وحش هذا الذي يفعل هكذا ، وقفت وقلت " انقلوها لقسم التشريح

ووافوني بالنتائج فورا وأريد الشهود عندي في المكتب ، توجهت

لداخل غرف الشقة وكل شيء مرتب ليست السرقة الغرض إذا

ولم يفكر القاتل في فعلها كتمويه ، اقتربت من المطبخ كان ثمة

كوبا قهوة في صينية تقديم اقتربت وتفحصت الفناجيل ، يبدوا

أنها شربت منذ وقت واستقبلت ضيفة من أحمر الشفاه على

الكوب ويستحيل أن تفعل امرأة ذلك بها ، خرجت لهم وقلت

"ثمة من زارها اليوم تقصوا من الشهود والجيران عن

الأمر واسألوهم من يزورها دائما و أوفوني بما جمعتموه الآن"

قال وهوا ينظر للورقة في يده " اسمها حياة عامر القصدي

أرملة لديها ابنة متزوجة وتعيش في منطقة بعيدة وابنان

متزوجان أحدهما يسكن قريبا منها ولديها شقيقة وشقيقين

الجيران يتحدثون عن إرث من زوجها ومشاكل مع عائلته

حواله ومشاكل بينهم وبين ابنيها"

قلت مغادرا " أغلقوا الشقة وامنعوا دخول أي أحد لها

أوفوني بأبنائها لمكتبي وكل من اشتبه الجيران بدخوله لها اليوم"

وقضيت النهار في القسم بين هذا وذاك وغيره وعند نهاية النهار

عدت لمدينتي ودخلت القصر منهكا تماما ولكني لم أرهم

منذ يومان وعليا رؤيتهم ، اقتربت من غرفة الفتاتين لأن

أصواتهم تخرج من هناك فهم لا يفترقون أبدا إما في غرفة

أوجد أو هوا معهم حتى أنه لا يتضايق من وجودهم ولا من  
عبثهم بأشيائه رغم أنانية ترف حياله هوا تحديدا ودونا حتى

عن بيسان ، اقتربت من الباب وكانت ترف تجلس معطية

ظهرها لي وبيسان تنام على بطنها على الأرض تلعب

بقدميها في الهواء وأمامها كتاب لقصص مصورة وأوجد

يجلس على مكتب بيسان في الغرفة ولا أحد منهم مقابل لي

سوى المربية التي أشرت لها بأصبعي أن تسكت لأن ترف

كانت تمسك جهاز التحكم الخاص بالتكييف وتضعه على

أذنها وكأنه هاتف وتقول " مرحبا ماما هل أنتي بخير أين

أنتي لم تأتي ، أوجد ضربني اليوم أليس هوا رجل والرجل

لا يضرب الفتيات تعالي وعاقبيه ، ماما العيد قريب هل ستأتي"

ثم سكتت لوقت وقالت " نعم بيسان بجانبني ها هي"

ثم رمت لها بالجهاز وهي تقول

"ويلك من ماما يا بيسان قالت ستغضب منك كثيرا"

ضحكت بيسان وقالت " هذا ليس هاتف لن تخذ عيني"

آآه حتى متى سيخفون مشاكلهم لتحلها هي لهم وما هذا الذي فعلته بيسان أيضا ، لا اعلم أي سحر ألقته في قلوبهم كي تعلقوا بها هكذا وبعنون ، تنهدت بيسان وقالت " ترى هل ستأتي ماما في العيد "

قال أمجد " مؤكد ستأتي وتكون معنا ككل عيد"

قالت ترف بمرح " وستشتري لنا الملابس التي نحبها وتأخذنا للسوق وتوقفنا في الصباح وتقبل جبيننا وتهنئنا بالعيد" قالت بيسان بسرور " نعم ونخرج للحديقة ككل عيد ونلعب كثيرا ونزور خالة سوسن ونلعب مع ماجد وعبير وستشتري لنا هدايا غير هدايا والدتنا ونلعب بالبالونات ونملئ بها المنزل"

هل ينتظرون كل هذا في يوم العيد ! يالا مخيلتهم فأنا أكون

في مكتبي في القسم حتى في هذا اليوم ووالدتي لن تفعل هذا

ولا زهور ولا المربيات ، سنكون في مشكلة كبيرة ذاك اليوم

بالتأكيد، فتحت الباب أكثر ودخلت فوقفت ترف مبتسمة

وتوجهت نحوي فرفعتها إلي وقبلت خدها ثم أنزلتها وقلت

"المربية تشتكي منك يا ترف هل تريدان أن اغضب منك"

قالت بعبوس " هي سينة لا تحفظ حكايات ولا تحب أن تلعب معي

لعبة الأصابع ولا تتركني استحم بنفسي ... أمجد ضربني بابا"

غريب لأول مرة تشتكي لي من أحدهما ! نظرت جهة

أمجد وقلت " لماذا ضربتها"

وقف من الكرسي وقال " خطت بالقلم في كراستي"  
نظرت لها بضيق فقالت بحزن " ماما كانت تعطيني

ورقة من كراسته لأكتب فيها ، هوا لا يريد الآن أن يعطيني"

تنهدت بضيق وقلت " أليس لديك كراسة وقلم وكتب تلوين وكل

ما يلزمك فما حاجتك بورقة من كراسته"

قالت بتذمر " بل من كراسته ... لا أريد التي لدي"

تأففت وقلت " بيسان أجلسي جيدا بسرعة"

جلست ثم نظرت لي وقالت

"أريد فستانا أحمر من أجل العيد أخبر ماما تحضره لي"

قلت بجدية " سيأخذكم السائق والمربية والحراس لتشتروا ما

تريدون، انتهى هذا الأمر عند هنا ولا نقاش فيه"

فتحت فمها لتتحدث فقلت بأمر

"ولا كلمة يا بيسان ستختارينه بنفسك ألن يرضيك هذا"

قالت عبوس " ولكن ماما تحضره لي من المصنع كما أحبه

لا أحب تلك التي في السوق"

قالت ترف وهي تنظر للأعلى حيث وجهي

"هل ستأتي ماما في العيد"

قلت ببرود " هي مشغولة في عملها وقد لا تأتي"

أمسكت جهاز التحكم المرمي أرضا وقالت

"سأتصل بها وأخبرها أن تأتي"

هزرت رأسي بياس وأخرجت هاتفي وجلست معهم على

الأرض وقلت " سأتصل لكم بها الآن وتحدثون واحدا واحدا

ولا تذكروا مشاكلكم التي لا تنتهي مفهوم أو لن تروها في العيد"

قالت بيسان بفرح " حقا سنكلمها"

قفز أمجد جالسا أمامي واحتضنت ترف جسدي من الخلف وهي

تقفز فقلت " ترف أجلسي معنا هنا أو لن تستطيعي محادثتها"

دارت أمامي ووقفت بين بيسان وأمجد وجلست بينهما تحرك

جسدها لتجلس بينهم فدفعها أمجد وقال " ابتعدي يا ترف"

ابتعدت بيسان جانبا وهي تقول " احترموا الإمبراطور يا همجين"

لم أستطع إمساك ضحكتي وقالت ترف " ستري إن لم أخبر

ماما الآن ، ألم تخبرك أن لا تقولي عنا همجين"

قالت بيسان " وأنا سأخبرها أنك" ....

قلت بضيق " يكفي أو لن نتحدثوا معها"

سكتوا عن الكلام نهائيا فاتصلت بها وأجابت بعد وقت بأن فتحت

الخط في صمت فشغلت مكبر الصوت ووضعت لهم الهاتف

أمامهم فبدئوا يتحدثون معا وترف تبعد رأسيهما لتتحدث هي

فقلت بحدة " ترف"

توقفوا جميعهم عن الكلام فقلت بغضب " ما هذا الذي تفعله"

قالت بدمعة محبوسة " أريد التحدث مع ماما"

جاء حينها صوت أرجوان من الهاتف قائلة

"ترف ماذا نفعل حين يغضب منا والدنا"

قالت بحزن " آسفة بابا لن أفعها مجددا"

قالت " لن أسامحك على إغضاب والدكم وسأغضب

منكم ولن أكلمكم"

قالت بيسان من فورها " لا ماما نحن لا نغضبه ترف فقد تفعل"

جاء صوتها قائلة " سأغضب منك يا ترف"

قالت ودمعتها سقطت من عينا " لن افعها مجددا أقسم لك"

جاء صوتها " أمجد كيف أنت بني"

قال بابتسامة " بخير ماما وأدرس جيدا وأستحم كل يوم ، الحمام

هنا كبير وجميل لكنهم لا يسمحون لنا باللعب فيه"

قالت من فورها " بيسان بنيتي كيف أنتي"

وتجنبت طبعاً أن تخبرهم أن ذلك خطأ ولا يفعلوه ، قالت

بيسان " بخير ماما متى ستأتي ؟ هل ستأتي في العيد"

قالت " لا اعلم ... لا تتعبوا جدتكم ووالدكم وكونوا عاقلين حسنا"

قالت ترف " أنا أنا ماما كيف حالي"

ضحكت وقالت " كيف حالك يا ترف"

قربت وجهها من الهاتف وقالت " بخير ماما"

قالت " لا تتعبي والدك بنيتي أو غضبت منك تسمعي"

قالت من فورها " لا والدي لا ... المربيات بلى"

سكتت وكأنها اختفت من الوجود ثم قالت

" هل المربيات من يعتنون بكم"

قالت ترف " نعم ... لا أحبها ماما ليست مثلك"

قالت بحدة " عيب يا ترف كيف تقولين هذا

أنتي متعبة ولا تتغيري"

قالت ببكاء " لا أريد لا تغضبي مني"

لأدت بالصمت فقالت بيسان " مشتاقة لك ماما متى

نراك ونعود لبيتنا"

قال أمجد " وأنا كذلك تعالي في العيد أرجوك"

سكتت سوى من صوت شهقتها الباكية ثم أغلقت الخط

نظروا لبعضهم ثم لي وقالت ترف " أين هي " !!

رفعت هاتفي وقلت " انقطعت المكالمة ستحدثونها لاحقا"

امتألت عينا بيسان بالدموع وقالت

" لا هي لم تجبنا إن كانت ستأتي في العيد"

قلت بضيق " انتهى عودوا لما كنتم تفعلونه

هيا أو لن تكلموها ثانيا"

وقفت وغادرت من عندهم وتوجهت لجناحي ، يبدوا

المشكلات لن تنتهي ، دخلت الغرفة استحمت ولبست ملابس

النوم ونمت من فوري بسبب الإنهاك

\*

\*

قلت وأنا أصعد الدرجات الطويلة القليلة

" لا لن أتأخر سأحدث معك لاحقا انتظر اتصالي"

قال ضاحكا " إن لم تكن هنا عصرا قصفت قصركم"

ضحكت وقلت " لا يا رجل ومن أي جبهة"

قال ببرود " معتصم لا أمزح ، علينا إنهاء ذلك بسرعة "

قلت من فوري " حسنا وداعا الآن "

دخلت القصر حاملا كيسا كبيرا في يدي وكانت العائلة السعيدة

تتناول الفطور معا فوقفت بالمقربة منهم وقلت

"بيسان تعالي لتري ما جلبت لك"

قفزت من الكرسي تركض نحوي ، هههه ستخفقها والدتي

بالتأكيد لمخالفتها الأصول واللباقة وسيصيب هؤلاء الأطفال جدتهم

بالجنون ويخرجون بحق الجميع منها وابنها ، وقفت أمامي وقالت

"ماذا أحضرت لي؟؟"

قالت أمي بحدة " بيسان "

التفتت لها فقالت " وهل الماما من تسمح بترك

طاولة الطعام قبل الانتهاء منه "

قالت بهدوء " لا "

قالت بسخرية " وكيف خالفتِ الدستور المقدس لديك "

كان جابر في صمت تام ويبدوا والدتي ترميه هوا بكلامها  
أمسكت يدها وقلت " هيا كونتيسة علينا تناول الفطور أولاً"  
عدت بها جهة طاولة الطعام وأجلستها بجواري فقالت ترف

"أنا بجوار عمي معتصم"

نظرت لها والدتي وقالت " ترف كم سنعيد هذا"

قالت بعبوس " ولكني كذ" ....

قالت أمي بحدة " كنتي وكان وكله في الماضي ولا يجب أن يكون هنا"

لاذت بالصمت فقلت بابتسامة " في المرة القادمة أجلس بجوارك حسناً"

ابتسمت وقالت " وتحضر لي كيساً مثلها"

ضحكت وقلت " بالتأكيد"

وقفت والدتي وغادرت متضايقة وقالت وهي تبتعد

" جابر وافني في غرفتي ما أن تنهي فطورك ومعتصم معك"

نظرت لي بيسان وقالت " ماذا ستفعلون"

ضحكت وهمست لها " سيرقصان على جثتي"

ضحكت ضحكة صغيرة وقالت " وأين تخبئ زوجتك"

ضحكت كثيرا ثم قلت " جثتي وليس زوجتي "

قال جابر " ترف توقفي عن اللعب بالزيتون حالا "

قالت بمرح " كنت أعدها فقط "

ضحكت وقلت " وكم وجدتها "

قالت من فورها " كثيرة "

قلت بجدية " ولكن اللعب بالطعام خطأ صحيح "

قالت بهدوء " صحيح لكني أحبه هكذا "

قال جابر " كلي بترتيب أو عاقبتك يا ترف "

قالت بحزن " حاضر "

جاءت إحدى الخاديمات وقالت بهدوء " سيد جابر المدرسون وصلوا "

قال من فورهِ " حسننا أدخلوهم لمكتبي وسأقابلهم الآن "

ثم وقف وقال " اسبقني لجناح والدتي وسأوافيك فوراً "

قلت ببرود " لا بل سأنتظرك في الاستقبال في الطابق هناك "

توجه هوا جهة مكتبه وصعدت أنا من فوري

\*

\*

توجهت لمكتبي حيث ينتظرنى مدرسا أمجد وبيسان

هناك، دخلت وألقيت التحية وتوجهت للمكتب وجلست

على الكرسي وقلت " سألت بنفسى عن مستواهما فى مدرستهم

السابقة ... بيسان كانت متفوقة فى الرياضيات وأمجد كان

مستواه فوق الممتاز ، أنسة وجد هلا فسرت لي سبب

تأخرها وأنت هل لاحظت عليه شىء فى تدريسيك له"

قالت بهدوء " ذات المشكلة سيدي لا تفهم منى أبدا مهما حاولت

وتقول أن والدتها تشرح لها عن جنود ومملكة وإمبراطورية

لا أعرف عن ذلك شيئا ولم أدرسه حياتي"

تهتدت وقلت " هذا الشىء لا يدرسونه فى المدارس ولكن

تلك الحقبة الرومانية تسيطر على عقل بيسان فعليك

استغلال هذه النقطة"

هزت رأسها وقالت " حاولت ولم أفجح حاولت فقط أن أفهم

منها طريققتها معها ولم ننجح أبدا ، لا حل سوى إرجاع الفتاة

لوالدها قبل فوات الأوان"

قلت بحدة " واضربيني بالعصا لتعلميني ما أفعله في حياتي "

أخفضت بصرها وقالت " أسفة لم أقصد "

نظرت للذي بجانبها وقلت " وأمجد "

قال بهدوء " يرفض التجاوب معي ، كل شيء يقول طريقتك

خاطئة هذا خطأ لم أفهم لم أتعلم وكأني أنا الطالب لديه ، هوا

يرفض الفهم وليس أنا من أقصر في تعليمه دروسه "

قلت بضيق " أريد أن أفهم أمرا ... كيف يكون مستواهم في

مدرستهم الجديدة سيئا هكذا ومدرستهم السابقة متفوقان فيها وهي

كانت مدرسة حكومية وبدون مدرسين خصوصيين ولا مشاكل كهذه "

قالت بهدوء " فعلت ما في وسعي ولم أنجح ، المواد الأخرى نسير

فيها بشكل جيد الرياضيات لم أعد أعرف حلالها "

قلت بضيق " وما الفائدة إن كانت مادة سيئة ستضيع كل المواد "

ثم تنهدت وقلت " يمكنكما المغادرة الآن "

خرجا من فورهما ومسحت وجهي بيدي وتهدت بضيق

كنت أهرب للقصر من هموم عملي وها قد بات هوا أيضا هم

جديد ولم يعد لدي أي مكان يجلب الراحة ، وقفت وغادرت المكتب

متوجها لجناح والدتي ، صعدت السلالم فأوقفني صوت بيسان قائلة

"بابا أنظر"

التفتت للخلف وقلت بصدمة " من أين لك بهذه الثياب !! "

قالت وهي تلف بفستانها ممسكة القبعة بالشعر المستعار بيد

والأخرى تمسك مضلة صغيرة " لورد معتصم أحضرها لي "

تهدت بضيق لا أعلم من أي متحف تحصل على هذه وعلى

حجمها تماما، قلت " إلى غرفتك كي لا تراك جدك وتغضب "

قالت بحزن " هل هي ليست جميلة "

ابتسمت وقلت " بلى جميلة بسرعة العبي بهم هناك "

قالت وهي تلعب بالمضلة " قل لماما لا تحضر لي فستان العيد "

قلت بضيق " بيسان هذا تلعبى به في غرفتك في العيد لا

تلبسي هكذا وكأنك خارجة من فيلم قديم"

مدت شفتيها باستياء فقلت " لا يجوز أن تظهرني هكذا أمام

العائلة والأصدقاء لأنهم سيجتمعون هنا حينها وجدتك

ستغضب وسيضحكون عليك"

قالت بتذمر وهي تضرب بقدمها الأرض " بلى أريد هذا"

قلت بأمر " قلت لا يعني لا وعودي لغرفتك بسرعة"

غادرت تمسح دموعها وتابعت أنا سيري أتأفف بغضب

ودخلت جناحها ولحق بي معتصم الذي كان يجلس خارجه

دخلنا وجلست بجوارها ومعتصم أماننا فقالت بجدية

"ثلاث سنوات ضاعت عليك إن كنت لا تترك"

قال ببرود " بل وشهران وخمسة أيام أعلمهم بالعدد

ولن أسامحكم عليهم"

قالت بضيق " ومن ضيعهم غيرك لقد خيرناك بين

ثلاث تخصصات ورفضتهم"

قال ببروده ذاته " أدرس ما أريد أو لن أدرس"

قالت بغضب " وهل تعي من هوا الخاسر ، إنه أنت يا معتصم

من المفترض بك أنك تخرجت الآن بدلا من أن تعيش

عالة علينا وعلى غيرنا"

وقف وقال بحدة " أنا لا أعيش عائلة على أحد هذا قصر والدي

وأمواله ولا أحد يمن عليا باللقمة وهناك مرحب بي في كل

وقت ولا أحد ذكرني أنني عالة عليه كما تفعلون يا عائلتي"

قالت بغضب أكبر " معتصم متى ستضع عقلك في رأسك"

قال بجمود " أتركوني أعيش كما أريد هذا هوا العقل في الرأس"

خرجت من صمتي وقلت بجدية " معتصم ذاك

التخصص لا يليق بك ولا يناسبك"

أشاح بوجهه جانبا وقال " لستم أدرى مني

بنفسي ثم ما فيه يعيب"

قالت أمي بحدة " كلية الفنون يا معتصم نهاية ذكائك

وتفوقك وسمعة عائلتك"

قال بتحدي " ولن أدخل غيرها وما بها كلية الفنون تعرفون

أني أحب هذا المجال من صغري ، والدي نمي

مواهبي وأتيتم أنتم لتقتلوها"

قالت بسخرية " يعجبك حالك تعيش في مزرعة خيول

ترسمهم ليل نهار"

قال بحسرة " حتى الخيول تشعر بي أكثر منكم"

قلت بحزم " علينا أن نجد حلا لهذه المسألة الآن إما تدرس

ما تريد أو ما تريد والدي ، أما أن توقف دراستك

لسنين أخرى هذا لن أرضاه بعد اليوم"

كل ما كنت أخشاه لحظتها أن تقول والدي إن درس ما يريد

لا هوا ابني ولا أعرفه ولا أريد أن أراه لأني أعرف معتصم

وعناده جيدا سيخرج من هنا ولن يعود لكنها خانت كل توقعاتي

ودخلت غرفتها وأغلقتها خلفها فنظرت له وقلت " معتصم عنادك

هذا لم يأتينا إلا بالمشاكل ، ما في الأمر إن درست ما تريد

هي وموهبتك بقيت كما هي عليه"

قال بسخرية " لن ترضى وقتها حتى بريشة الرسم هنا وغير

ذاك التخصص لن أدرس وبغير إكمال دراستي في الخارج

لن أرضى ولن يمنع ذلك إلا موتى "

وقفت وقلت بحدة " هل ترضى أنت أن تربي ابناً

ثم يخالفك حين يكبر "

قال ببرود " التربية شيء وقتل الأحلام شيء آخر "

قلت مغادرا " هذه المشكلة الأولى تخلصنا منها أخيراً

سجل في الجامعة والتحق بها بدلا من ضياع سنينك أكثر

رغم أنني لازلت لا أتمنى لك ذلك "

خرجت بعدها من القصر برمته وذهبت للقضايا والموتى

والمجرمين فهموم أرحم من هموم ، على الأقل أولئك إما

ميتين أو مجرمين ترميهم في السجن وترتاح ويرتاح رأسك

\*

\*

لا أعلم كيف أقنع عياني أن تشبع من النظر هناك

هل تجوع العينان يا ترى وإن كانت كذلك فلما لا تشبع

وتكتفي، هي كما هي لم يتغير فيها شيء سوى حزنها المغلف

بالبرود والصمت ... تقف في شرفة غرفتها ، رحمتي أخيرا

وخرجت رحمت ساقاي من الوقوف وانتظارها بالساعات

تقف بفستانها الطويل والشرائط السوداء عند أول خصره

الخصلات الذهبية المتناثرة والأنامل البيضاء تعبت بأزهار

الشفرة، كما كانت دائما حبيبي تعشق أزهار شرفتها وتغدهم

من عطرها ولمساتها ، كم زهرة أهديت إليك وكم مرة أخبرتني

أنك تعشقين اللون البنفسجي من الأزهار ، كم جمعتم لك وكم

حملتهم إليك حتى باتت حياتي كلها بنفسجية اللون والعيون

كلها عندي زرقاء والشعر إن لم يكن أشقر فليس بشعر

كم امتلكتني رغم أنني لم أملكك وكم عبثي بمشاعري رغم أنك

لا تعترفين بالحب وكم كنتي حلمي رغم أنك لم تخرجي سوى

من الحلم، مررت أناملني على زجاج النافذة التي أختبئ خلفها

وكأني أتلّس صورتها وكأني أريد أن أتأكد من الوهم أنه خيال

فهي باتت كخيال الخيال ، لماذا تزوجت به يا زهور وأنتي

تعلمي أن ذاك سيكون مصيرك معه لماذا قتلنتي مرتين مرة

بالزواج بغيري ومرة برويتي لك تعانين منه بسببي، لماذا وأنتي

تعلمي كل ذلك ... كيف أقيت بنفسك للجحيم!!

لم تترك عيناى تشبع منها بل لم يتركوها لي لأنها التفتت بسرعة

جهة باب الشرفة حيث أحدهم قد اجتاح عزلتها فغادرت بخطواتها

تتبعها حواف فستانها ودخلت وأغلقت أمام عيناى المشتاقة

ذاك الباب، أبعدت نظري عن الطيف الذي مات مع النور

ونظرت للأوراق الممزقة في يداى ، لكم تعشقين تمزيقي

يا زهور ، لما تقرنين كلماتي ثم تعودي وتمزقيها

"رضا"

التفتت للخلف حيث مصدر الصوت يد في جيب بنطالى

ترفع أحد طرفي قميصي الخارج منه بإهمال ويد تمسك

شراييني التي تمزق جزء منها ثم قلت بهدوء

"نعم يا أميرة"

قالت بابتسامة " الغداء جاهز اتصل بك منذ وقت ولا تجيب"

نظرت جهة الطاولة حيث هاتفني صدقوا أنني لم أسمع ، نظرت

لها وقلت " كنت أرسلت لي بتول أو عمر لما تتعبين نفسك"

قالت بابتسامة " وأي تعب هذا ! زيارتك لي تساوي عمري كله"

اكتفيت بالابتسام ونزلت معها بعدما وضعت الأوراق في حقيبتي

فلن تفارقني ما حبيت يكفي أنها باتت الذكرى الوحيدة منها

\*

\*

وضعت قطعة القماش من يدي وقلت

"يبدو أنني بدأت أفكر جديا في الدراسة"

رفعت رأسها عما في يديها ونظرت لي وقالت بسرور

"وأخيرا وضعت عقلك في رأسك"

ضحكت وقلت " وهل ترينني مجنونة ، لكن عليا أولا

أن أراجع المناهج التي نسيت أغلبها وسألتحق كمنتسبة

بالامتحانات فقط لأنه لن يتناسب عملي ودراستي ولا

يمكنني خسارته لأنه دخلي الوحيد"

قالت بابتسامة " أراك بثي أفضل بعدما تحدثي مع

الأطفال درجة أنك فكرتي في الدراسة"

قلت بابتسامة حزينة " شعرت أن جزءاً مما ضاع مني قد عاد"

تنهدت وقالت " جيد أنهم لم ينسوك لكنت صدمة كبيرة لك"

قلت من فوري " هي مدة قصيرة كيف ينسوني بسرعة هكذا"

قالت بابتسامة " غيرهم وجدوا أنفسهم في ثراء فاحش وعالم

جديد ينسون حتى أنفسهم"

قلت بسخرية " أولئك الكبار يفعلونها الأطفال لا"

ضحكت وقالت " معك حق"

ثم وقفت وقالت " انتهينا أخيراً هيا بسرعة أكاد أنام في مكاني"

ضحكت وقلت وأنا أقف معها " ألا تشبعين من النوم أبدا"

قالت بضيق ونحن نخرج " وهل يترك الأطفال لك وقتاً للنوم"

وتابعنا سيرنا كالعادة من حديث لآخر حتى وصلت المنزل وفتحت

الباب ودخلت ثم نظرت تحتي مستغربة ، قطعة السجاد هذه لم تكن هكذا يبدووا أحدهم سحبها بقدمه وهو داخل !! اقتربت للداخل بتوجس فوجدت المشهد ذاته قد تكرر السيد المحترم رئيس مكتب الشرطة الجنائية يجلس على الأريكة في الصالة ، لا ويمسك جهاز التحكم الخاص بالتلفاز ويقطب القنوات وكأنه في غرفته ، نظر لي ثم عاد بنظره للتلفاز وقال " قهوتي متوسطة"

### الفصل السابع

فتحت الباب بهدوء ودخلت غرفتها ببطء فبعد أن قضت ليلة البارحة سجيئة وحدثها يمكنني الاقتراب منها الآن والتحدث معها ، كانت متكئة على سريرها وتخبي وجهها تحت ذراعها فما أن اقتربت منها حتى رفعت رأسها ونظرت لي فابتسمت وقلت " أردت أن أفزعك وأسترجع ذكريات

الطفولة لكنك أمسكتي بي"

سندت نفسها بمرفقها لتقوم ونزلت من إحدى عيناها دمعة سقطت

على غطاء السرير ، وسن طبعها تبتسم صباحاً مهما كان ما

مرت به في اليوم الذي قبله فإن تستقبلني بدمعة يعني أن ما

حدث لا يبشر بالخير أبدا ، اقتربت أكثر وجلست على حافة

السرير وساعدتها لتجلس فصحتها يبدوا لي ليست جيدة ، استوت

جالسة ثم رفعت لها خصلات شعرها المتمردة دائما عن وجهها

وقلت بقلق " وسن ما الذي حدث؟؟ "

قالت بابتسامة مغصوبة " ما سيحدث غير الوجد تلو الوجد "

أقسم أن ما حدث بينهما كبير لأنها لم تجبني بكلمة لا شيء

كعادتها، قلت بتوجس " ما الذي قاله لك ذاك المغرور "

ابتسمت ابتسامة حزينة وقالت بدمعة تترنح على رموشها

الطويلة " قال موتي يا وسن "

ثم ضمت يدها لصدرها وقالت بدموع تنسكب لتتساقط عليها

" حضني يا فرح ، تصوري نواس الذي لم أسمع منه حتى

الكلمات الغرامية طيلة سنوات خطوبتنا ضمنى لحضنه "

ثم ضربت بقبضة يدها على صدرها ضربة خفيفة وتابعت بأسى

"ضمني لصدرة لحيت منفاي وعذابي وحلمي فما يكون ذلك

يا فرح غير الوداع الأخير وغير نهايتي على يديه"

أمسكت يدها بين يداي بقوة أبكي أكثر من بكائها فشدت بيدها

الأخرى على يداي واتكأت عليهم بجبينها وقالت بعبرة " رأيتك في

الحلم يا فرح ، رأيتك يُخرج أخرى من الوحل ويتركني فيه"

فككت يداي من يديها وحضنتها أبكي معها في صمت واطركها

تبت أوجاعها كي تخفف من الألم القاتل في أحشائها ، الألم

الواضح على ملامحها رغم صمتها عنه ، قالت بوجع

"ويريد أن يبقى يعيلني كالمتشردة ويذر بأفضاله علي ، يخاف

على دراستي ومستقبلي وهو يعلم أنني لم أعد سوى جثة

لا ويقول لي أنني قتلتك فما سأقول أنا عنه"

وبقيت على ذلك الحال تسرد ما قال لها بوجع وتعقب على كلماته

بوجع أكبر حتى سكتت ثم ابتعدت عن حضني واتكأت على ظهر

السريـر تتنفس بهدوء فيبدوـا لي باتت أفضل بتحدثها عما يضايقها

مسحت على وجهها بيدي وقلت " وسن هل أنتي أفضل

الآن؟؟ هل أحضر لك الحبوب المسكنة"

هزت رأسها بلا وقالت بهمس " أحضري لي كوب حليب بارد"

وقفت من فوري وتوجهت للمطبخ مسرعة وأخرجت الحليب من

الثلاجة وسكبت منه في كوب وأخذته لغرفتها وحين وصلت لها

لم تكن هناك، بحثت بنظري في الغرفة تم توجهت جهة باب

الحمام واقتربت أكثر فسمعت صوتها تتقيأ فطرقت الباب

وقلت " وسن هل أنتي بخير"

فتحت الباب بعد قليل وأخذت مني الكوب وقالت

"أنا بخير لا تقلقي"

وصلت للسريـر وجلست عليه وشربت كوب الحليب دفعة

واحدة ثم وضعت الكوب واستلقت على السريـر وقالت

"سأنام قليلا"

قلت من فوري " سأتصل بجواد ونأخذك للمستشفى"

قالت بهمس وهي تدس رأسها تحت اللحاف

"أنا بخير يا فرح لا تجعليني أغضب منك"

تنهدت بيأس وقلت " أنتي تضرين نفسك يا وسن فذاك

الجلمود لن يضره شيء فكوني مثله أو أقوى"

قالت من تحت اللحاف " أغلقي الباب خلفك سأنام وأكون بخير"

خرجت وأغلقت الباب ، كنت أود التحدث معها في موضوع سفر

جواد وأنه يريد أخذي معه لكن يبدوا الوقت غير مناسب

\*

\*

كنت اتكأ بمرفقاي على لوح السياج أراقب جواد

ومعتصم وهما يدربان الفرس ، لوحت لهما بيدي وقلت

"أنزل يا جواد ليركبها معتصم بعدك يكفيك هذا يجب

أن تتبادلا ركوبها"

لوح لي بيده ثم نزل وركبها معتصم ورن حينها هاتفني فوليتهم

ظهري وأجبت من فوري قائلا " أجل يا معاد ماذا حدث معك"

قال مباشرة " كل الأمور تسير على ما يرام حصلنا على كل

كمية النشارة والقش وبالسعر الذي نريده "

قلت بابتسامة صغيرة " جيد أترك الباقي لي وسأستلم

البضاعة منهم بنفسى ما أن تنزل الميناء "

قال " هي مقاربة لجودة البضاعة المحلية وبسعر أقل

منها وستوفر عليك الكثير "

ابتسمت وقلت " شكرا لك يا معاد أنت رجل يُعتمد عليه "

قال بصوت مبتسم " وأنت تستحق ، وداعا الآن وولتني قريبا "

قلت من فوري وأنا أنظر للقادم نحوي " وداعا واعتني بنفسك جيدا "

أغلقت منه الخط على وصول وليد عندي ، ضرب كتفي بيده

وقال " من يراك لا يصدق أنك تزوجت البارحة "

لكمته على كتفه لكمة صغيرة وقلت " أنت بالذات تسكت ولا تتحدث "

هز رأسه وقال " حتى الآن لم أقتنع بما تفعله يا نواس "

للفت للخلف وعدت للاتكاء على السياج ونظرت جهة معتصم

وجواد وقلت " بل هوا عين الصواب ليس من أجلك وحدك بل من

أجل الرجل الذي لو بعت سمعتي من أجله ما وفيته أفضاله"

قال بهدوء " والدها مات فما سيغير ذلك في الأمر"

أنزلت رأسي للأرض وقلت " لكن سمعة الرجل لا تموت مهما

طال الزمن وما طلبه مني مقابل لما فعل لي لا أستطيع رده

فيه ولا على رقبتي ثم هل كنت ترى فكرتك أنت لإخراجها

هي الصواب ، كنت ستزيد الأمر سوءً بتهورك ولا تفتح

الموضوع معي مجددا يا وليد كم مرة سأعيدها"

وقف بجانبني وتنهد وقال " لو لم يضمن أولئك الأوغاد أنها

شقيقتي ما حدث كل ذلك بسببي"

نظرت لوجهه وقلت " لآخر مرة أسالك يا وليد هل لهذا السبب

فقط كنت تريد إخراجها من هناك وإنقاذها من بطش إخوتها

أم ثمة شيء في قلبك لها"

أنزل رأسه للأرض وقال " نعم لذاك فقط ولا تجعل الأفكار

تتحكم في حياتكما وعش معها كزوجين حقيقيين ولا تذبحها

فوق ما هي مذبوحة يا نواس"

أبعدت نظري عنه ولذت بالصمت فقال بهدوء

"وكيف أفتعتهم أنك لن تطلقها من فورك"

قلت ونظري للبعيد " أمر تفاهمنا فيه بيني وبينهم "

توجه جواد ومعتصم حينها ناحيتنا فقلت بهمس

"أنا أتق بك يا وليد لا أحد يسمع بسبب زواجي بها مهما طال بنا العمر  
"

قال بذات الهمس " لا تقلق سأفعلها من أجلها وليس من أجلك طبعاً"

ابتسمت ابتسامة صغيرة ولذت بالصمت على وصول معتصم أولاً

قفز لخارج السياج وقال " هيا يا وليد إلى الإسطبل أمامي وفورا"

ضحك وليد وقال " أنت لا تنسى أبداً"

وضع يده على كتفه وقال وهما يسيران معا مبتعدان عني

"طبعاً لأنه دورك هذه المرة هل ستهرب"

اقترب مني جواد وقف مستنداً مثلي بالسياج وهو داخله واقفاً

بجانبي وقال بهدوء " هل أخبرت والدتي بزواجك "

قلت بذات الهدوء " وقبل أن اذهب إليهم "

تنهد واكتفى بالصمت فقلت بشبه همس " هل أخبرت فرح بذلك "

أنكس رأسه للأسفل وقال " لا طبعا فشقيقتها لم تتجاوز يوم

الأمس بعد لتخبرها بهذا الخبر "

قلت بابتسامة باهتة " لا أعتقد سيعنيها الأمر فوسن تغيرت كثيرا يا جواد "

قال بسخرية " بل قناع يلبسه كل واحد منكما أمام الآخر "

ثم نظر لوجهي وقال " لقد أدرجوا اسمي ضمن بعثة الطلبة للدراسة

في الخارج وسأبدأ بالإجراءات وأخذ زوجتي معي "

نظرت له وقلت بضيق " جواد سبق وأخبرتكم أنه علينا أن نقنع

والدتي بالعيش معي هنا أولا ومن ثم سأسفرك على حسابي "

وقف على طوله مبتعدا عن السياج وقال " ولما تكلف نفسك

والبعثة موجودة ولا تنسى أنها ستوفر لي ميزات

أكبر من دراستي على حسابك الشخصي "

ثم قفز خارج السياج وقال " ووالدتي كما تعلم لن تقنع بترك

منزلها مهما حاولنا وشيء آخر والدة فرح سيأخذها شقيقها معه

لقرية عائلتها حيث أشقائها جميعهم أي أن وسن بين أمرين أن

تذهب مع زوجة والدها أو تعيش مع والدتي ، هذا إن لم تترك

دماغها العنيد وأصرت على أن تبقى في شقتهم لوحدها"

قلت بحدة " أي هراء هذا لن تذهب لتعيش مع الغرب ولن

تعيش لوحدها وأنا حي وأتنفس ولن تكون إلا مع والدتي

فهي خالتها وقريبتها الوحيدة"

هز رأسه وقال بحيرة " إن كانت تكاليف دراسة وبعض النقود

والطعام لم تعد تقبلهم منك كيف ستأخذها هناك أو هنا وتبقى

وزوجتك معها ، ارحمها منك يا نواس"

قلت بضيق " لا تزدني على ما بي يا جواد أقسم أن النيران تلتهم

ضلوعي التهاما وها قد قلتها لك ولغيرك لم ولن أقلها ، وعلينا أن

نجد حلا أو لن تسافر لأي مكان وستعيش معك أنت وزوجتك"

نظر جانبا حيث منزل المزرعة وقال ببرود " أتركها تتزوج

إذا ، أنا أعلم أنها خُطبت منك أكثر من مرة وأنتك رفضت"

عدلت وقتي ونظرت باتجاهه وقلت بحزم

"لا فهذا ليس وقته الآن"

نظر لي وقال بضيق " أنت وتزوجت فاتركها تأخذ نصيبها"

قلت بحدة " ليس قبل أن تنهي دراستها وأقنعها

بالعلاج على حسابي تفهم"

ابتسم بسخرية وقال " تضحك على نفسك يا نواس ، أنت لا

تريد أن تزوجها لا لك ولا لغيرك فلن تستحملها نفسك

بينما أنت ضربتها بها ولم تكترث"

قلت ببرود " أسبابي مقتنع بها ولا يجب أن يقتنع غيري"

كان سيقول شيئا لولا رنين هاتفه بنغمة أعرف جيدا لمن

تكون، أخرج هاتفه وأجاب من فوره قائلا " نعم يا فرح"

سكت قليلا وعضن جبينه ثم قال " ما بها"

نظر بعدها نحوي ثم قال " نعم"

استمع قليلا ثم ابتعد عني بضع خطوات ، مؤكدة هي طلبت

منه أن يبتعد عني والموضوع يخص وسن بالتأكيد

\*

\*

ضربت الأرض بقدمها وقالت بحدة " وسن عليك أن

تليني دماغك هذا ، جواد في الطريق وسيأخذك حالا"

قلت بضيق " فرح أنتي تري بعينيك أنني بخير فأخبريه أن لا يأتي "

تأففت ثم قالت ببرود " هوا قادم في كل الأحوال فوالدته تعبت

البارحة وسأذهب ووالدتي لنراها فهل ستأتي معنا"

نظرت لها بحيرة وقلت " ما بها خالتي"

رفعت كتفيها وقالت مغادرة " قال تعبت كثيرا البارحة

وهي أفضل اليوم ، نواس في حظيرة بغاله يمكنك الذهاب معنا"

ابتسمت بحزن وأنا أراقبها تغادر ... فرح لن تحب نواس مستقبلا

مهما فعل لهما هي وشقيقه ، ليتهما تعطيني قلبها ولو بالمال

غيرت ملابسني ولبست حجابي وبعد نصف ساعة كان جواد

تحت العمارة ينتظرنا ، نزلنا وركبت وفرح في الخلف وزوجة

والدي في الأمام ثم انطلق بنا ونظر لي جواد في المرأة الأمامية

وقال " كيف حالك يا وسن"

قالت بابتسامة صغيرة " بخير لا تكثرث لفرح كثيرا فهي

تحب مشاهد أفلام الإثارة والغموض"

ضحك وقال " المهم أن تباعد عن أفلام الرعب"

ضربته بقبضة يدها على كتفه وقالت " أفلام القتل والإجرام

محطتي القادمة فما رأيك"

وعلى مشاكساتهما مرت الطريق ، لا أعلم كيف سيعيشان في بيت

واحد، وصلنا منزل خالتي وفتح لنا جواد الباب ودخلنا وقضينا

عند خالتي ساعتين ، كانت ملامحها متعبة ووجهها مصفر

لكنها تقول أنها بخير ، يبدووا لي حدث معها شيء البارحة

سبب لها كل هذا التعب فوق تعبها ، وقفنا جميعا لنغادر

بعدهما تناولنا العشاء فقالت خالتي " وسن ابقى معي الليلة

بنيتي مشتاقة لك وأنتي لم تزوريني منذ مدة"

قلت بعد صمت " حسنا"

ابتسمت ومدت لي بيدها لأجلس بجوارها وغادروا جميعهم  
فجلست بجانبها ونمت في حضنها ، الحزن الوحيد الحبيب  
لي بعد والدتي ووالدي فأنا بث أجهما فيه وأجد حتى نفسي  
فيه معهم ، كنت أنتظر أن أعيش معها بزواجي من نواس ولكن  
هكذا شأت الظروف ، كم أود أن أكون معها وأعتني بها ولكن  
هذا بات مستحيلا فلا أريد مقابله على الدوام هنا ويكفيني ما  
بي، كانت تمسح على شعري بحنان ثم قالت  
"وسن بنيتي كيف تتركين دراستك وتتعبيني فوق تعبي"  
قلت بحزن " فلنترك الحديث في هذا حتى الغد خالتي أرجوك"  
تنهدت واكتفت بالصمت وقضينا الليل نتسامر ونتجنب الحديث  
عن المواضيع بجميع أنواعها ونمت معها في غرفتها وجواد نام في  
المزرعة الليلة ، لا أعلم رغبة منه أم ليترك لي الحرية في المنزل  
عند الصباح استيقظت مبكرا ووجدت خالتي في الحمام والممرضة  
تنتظرها عند الباب فلبست حجابي وخرجت من الغرفة ودخلت  
الحمام الفردي ثم توجهت للمطبخ حيث الخادمة وهي محببة

لدي جدا لأنها عربية مسلمة تحافظ على صلاتها ومحترمة

دخلت ووجدها تعد الإفطار فقلت مبتسمة

"صباح الخير ما كل هذا النشاط"

ضحكت وقالت " وهل توجد خادمة كسولة"

ضحكنا معا وساعدتها ونحن نتبادل الأحاديث فسمعنا باب

المنزل يفتح ويغلق ، مؤكدا هذا جواد لأنه قال لوالدته أنه سيمر

بها صباحا ، أنهينا كل شيء وحملت صينية الفطور وقلت

"سأخذها أنا معي لا تتعبي نفسك"

خرجت بها من المطبخ وحين اقتربت لغرفة خالتي سمعت

صوت جواد وهو يقول لوالدته " وما الذي سيتغير في الأمر"

كنت سأعود أدراجي للمطبخ حين سمعت خالتي تقول بضيق

"يتغير الذي يتغير ... لما الاستعجال هكذا يتزوجها من أول

زيارة له لهم كان أجل الأمر قليلا ، شقيقك هذا قد فقد عقله"

أحسست حينها بالأرض تدور تحتي وقدماي تتخلى عني ، حاولت

تثبيتهما فانتقلت الرجفة حينها ليدي ووقعت الصينية مني على الأرض

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

اقتربت منها فوقفت من فورها فقلت مباشرة

"أمازلتِ هنا !! كيف لم تغادري"

قالت " ألم تطلب مني أن لا أغانر ووعدتك"

مررت أصابعي في شعري وقلت

"أنا آسف انشغلت ونسيت أنك هنا"

قالت بدموع تلمع في عينيها الواسعة تحت ضوء القمر

"كلكم تنسونني ، كل من يقول بأنه سيساعدني يتركني وينساني"

أمسكت كتفيها وأجلستها وجلست على مسافة منها ثم قلت

"كانت والدتي متعبة جدا وكنت معها في المستشفى

وما أن تذكرتك تركتها هناك وأتيت ... أنا آسف حقا"

هزت رأسها بحسنا وهي تمسح دموعها بطرف كم

زيها ، ليست فقط مراهقة بل تبدوا طفلة ، قلت بهدوء

"لما لم تنتقلي أماما حيت الأضواء ألم تخافي وحدك هنا"

هزت رأسها بلا وقالت " لم أخف ومما سأخاف"

قلت بابتسامة " ما أعرفه أن الفتيات يخفن من الظلام

فكيف إن كان ظلام وفي المدرسة"

قالت بنبرة حزينة " ليست أقل ظلما من هناك"

بقيت أنظر لها بحيرة فقالت " هل تؤمن بالأشباح"

قلت بعد صمت " لا قطعا ولكني أومن بالجن"

قالت " ومن يكونون هؤلاء"

قلت من فوري " مخلوقات مثلنا يعيشون معنا ولكنهم يروننا

ويسمعوننا ولا نراهم ولا نسمعهم سوى في بعض الحالات"

ضمت يداها لصدرها وقالت " إذا أنا أسمعهم"

بقيت أنظر لها بصدمة لوقت ثم قلت " سما ما قصتك"

أنزلت يديها وأمسكت بحقيبتها وقالت " هل ستصدقني وتساعدني حقا"

قلت بجدية " أعدك أن أساعدك يا سما ألا تثقين بوعدتي"

قالت " أمي كانت تقول لي أن من أخلف وعده

اكتسب إحدى صفات المنافقين "

هزرت رأسي بنعم مبتسما وقلت " أجل فهو إذا

حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أوّمن خان "

لأدت بالصمت فقلت " احكي لي حكايتك وسأصدقك وأساعذك "

قالت بهدوء " ولكن الخالة عفراء قالت لي أن لا أتق في الرجال

ولا أقول سري ومكاني لأحد منهم ومن سألني أهرب منه "

أقسم أنها طفلة أكثر من سنها وعليها كسب ثقتها أولا ، قلت

بهدوء " عليك أن تتقي بي لأساعذك ، لو كنت أعلم من

تكونين وأريد إيداعك ما سألتك ولا انتظرت حتى تحكي لي

سما لو بقيتي هكذا لن تجدي حلا لمشكلتك "

نظرت للبعيد بشرود وقالت بعد صمت " كنت ووالداي وشقيقي

سامي نعيش في الهند منذ ولدت ، والدي لديه مصنع هناك ولدينا

منزل كبير جدا وأموال كثيرة لكن والدي كان يخاف علينا كثيرا

حتى أنه لا يسمح لنا بالخروج وحدنا ولا الاحتكاك بأحد خصوصا

الرجال وحين نخرج يمنعا من ارتداء الحلي أو الثياب باهظة الثمن

حتى التلغاز لم يكن يتركنا نشاهده لأنه ضد ما يعرض فيه ، هذا

العام جئنا للعيش هنا ومعنا خادمة وابنتها لأنها أصرت إلا أن

تأتي معنا وتوفيت بعد وصولنا بقليل وابنتها بقيت معنا، والداي

كانا يحبانها ويعاملانها كأنها واحد منا ، سجلنا والدي في مدارس

خاصة وبعد شهرين بدأ والدي بجلب أمواله وباع مصنعه هناك

ووضع المال في قبو المنزل وعلمنا كيف نفتحه ونغلقه وكيف

ندخل ونخرج وأين ينتهي"

امتألت عيناها بالدموع فمسحتها وقالت " وبعد شهر كنت في

الفناء الخلفي للمنزل حيث هناك عش صناعي للحمام تطعمهم

والدتي فيه ويأتوه من كل مكان ، كانت والدتي تحب الحمام وفي

منزلنا في الهند كان لدينا واحد مثله يشبه البرج وأبيض اللون

كان الوقت عند المغيب وطلبت مني والدتي أن أضع الحبوب

لأن هذا الوقت يكون فارغا ولم يعد لدينا خدم لأن والدي صرفهم

جميعهم وقال بأننا سنسافر قريبا ، عندما كنت هناك سمعت أصوات

رجال فنظرت من باب البرج فكان ثمة رجال بملابس سوداء يخفون

وجوههم قفزوا من سور المنزل وبدؤوا بالدوران حوله"

ارتجفت يداها فضمتهم لصدرها ونظرت للأسفل وقالت

"كنت خائفة كثيرا ولم أتمكن من الخروج ، تمنيت أن نبهت

والدي ليخرجوا أو ذهبت إليهم ليحدث لي ما سيحدث لهم"

مسحت دمعة نزلت من عيناها وتابعت " بعد وقت قصير اختفى

أولئك الرجال وسمعت جلبة كثيرة في الداخل ثم هدا كل شيء

فانتظرت أن يخرجوا من حيث جاءوا وطال الوقت ولم يخرج

أحد وبعد ذلك بوقت طويل سمعت أصوات لصفارات سيارات

الشرطة تقترب وتقترب حتى بات صوتها داخل أذناي وعاد

الضجيج وصوت كسر للباب ، خرجت من البرج واقتربت من

المنزل لأنني ضننت أن الشرطة جاءت لتمسك باللصوص الذين

ظننت أنهم جاءوا لسرقة المال ولم أتخيل أنهم جاءوا لسرقة

عائلي مني، اقتربت من إحدى نوافذ الطابق الأرضي لأنه كان

مليء بالنوافذ ورأيت رجال الشرطة يخرجون والداي وشقيقي

وابنة الخادمة على حمالات ويغطونهم بأغطية بيضاء"

بدأت دموعها بالنزول وقالت بحقد " كانوا يكشفون وجه والدتي

ويقول أحدهم ( تعالوا وانظروا للجمال الميت ) ويضحك

ويضحكون معه وكأنهم يحملون دمي وليس عائلة قُلت بدم

بارد بل ولم يكلفوا أنفسهم عناء القبض على المجرمين الذين

لازالوا يلاحقونني ولم يتساءلوا أين أنا"

قلت بشبه همس " هل قتلوهم جميعهم " !!

مسحت دموعها وقالت " لست تصدقني أليس كذلك"

هزرت رأسي بلا وقلت بجدية " بل أصدقك يا سما تابعي ما حدث

وأين ذهبت بعدها ولما لم تتحدثي مع الشرطة ليأخذوك معهم ويحموك"

قالت بضيق " لن يحدث أبدا ، لن يحموني أولئك ميتين القلوب ، لما

لم يفتقدوا هم ابنة هذه العائلة ، كل ما فعلوه أنهم بقوا في المنزل لأكثر

من يوم وأخذوا عائلتي ثم أغلقوا الباب الخارجي فقط وغادروا

أكرههم وما كنت سأطلب مساعدة أمثالهم"

قلت بهدوء " وما حدث معك بعدها وكيف تعرفتِ على

المدعوة عفراء وهل هي قريبتك "

هزت رأسها بلا وقالت " لا هي ليست قريبتني ولم أرها سابقا

فبعد مغادرة الشرطة دخلت المنزل ، كانت تعمه الفوضى

وكأنهم بحثوا عن شيء فيه ، رتبت المنزل وأنا أبكي ولا أعلم ما

أبكي بالتحديد ثم جلست في الصلاة وحدي أحضن المصحف حتى

صباح اليوم التالي حين دخلت عليا سيدة لا أعرفها قالت أنها صديقة

والدتي وأخذتني معها لشقتها البعيدة عن منزلنا ، حكيت لها كل ما

حدث معي فقالت لي أنها ستبحث عن عائلتي ليأخذوني وأن لا أخبر

أحد بما يجري معي وأن لا أخرج أو أتحدث مع أحد ، يبدوا لي

كانت تعرف أشياء عنهم وكان زوجها سيئا يضربها دائما ويرجع

في الليل يغني ويتمايل ولا أعرف لما يكون كذلك في الليل فقط

كانت تطلب مني أن أسجن نفسي في غرفتي ليلا ولا أفتح الباب

مهما حدث ومهما ضربها وصرخت ، كنت أتجنبه طوال الوقت

وأسجن نفسي في غرفتي كلما كان في المنزل ، الخالة عفراء هي

من سجلتني في مدرستي الجديدة ولا اعلم كيف استطاعت ذلك

وهي من كانت تهتم بي وتحبني وطلبت مني أن لا أترك دراستي

أبدا لكي تجدني هنا عندما تعرف مكان أهلي ، بقيت معها لشهرين

وفي إحدى الليالي فتح زوجها باب غرفتي ولا أعلم من أين جلب

المفتاح ، كان يترنح في مشيته ويقول كلمات لم أفهمها ، حاولت

الهرب منه فأمسك ساقي وأوقعني أرضاً

سكنت ترتجف فقلت بصدمة " ماذا حدث يا سما ماذا فعل "

هزت رأسها وقالت " كان يسحبني ولا أعلم لما لا " ....

توقفت عن الكلام فتأففت وقلت بضيق " ماذا؟؟ قولي "

قالت بعد صمت " لا أعلم لما كان يسحبني "

قلت بضيق أكبر " ماذا فعل أيضا سما تكلمي "

قالت بهمس " لا شيء "

قلت بعد صمت " لا شيء أبدا " !!

بقيت تنظر لي باستغراب ثم قالت " ما تقصد !! ما

الذي كان يريد فعله"

تنهدت وقلت " شيء يبدو أنك لا تعرفينه وكنت ستتعرفين

عليه بطريقته النجسة لولا" ...

بترت جملي ثم قلت بحيرة " وماذا حدث وكيف ابتعد عنك"

رفعت يداها وكأنها تمسك شيئا وأنزلتهما للأسفل وقالت " جاءت

الخالة عفراء وضربته بالمزهريّة على رأسه ووقع أرضاً"

قلت من فوري " وما حدث بعد ذلك"

قالت بهدوء " طلبت مني مغادرة منزلها حالا والهرب والعودة

للمنزل والبقاء في القبو وأنها ستفاهم مع سائق الحافلة يأتيني

أيّما أنا أعدد له فخرجت من شقتها وركضت في الشوارع كثيرا

كي لا يستيقظ زوجها ويلحق بي ، نمت تلك الليلة في الشارع عند

سور أحد المباني وفي الصباح ركبت سيارة أجرة بالأموال التي

معي وطلبت منه وضعي حيث يمكنني الوصول للباب الخارجي

للقبو حيث يبعد عن منزلنا بعض الشيء وهوا بين الأشجار

وبقيت هناك أعيش فيه حتى اليوم لشهرين كاملان ، لم أرى

الخالة عفراء بعدها ولم تزرني ولم تعد تجيب على اتصالاتي

وهاتفها مقفل دائما ولا أعرف عنوان شقتها"

قلت " ولما لم تخبر هي الشرطة عنك"

رفعت كتفيها وقالت " لا أعلم"

بقيت لوقت أنظر للأرض أستجمع في رأسي ما قالته ثم

نظرت لها وقلت " وكيف تعيشين وحدك هناك"

قالت " لا مكان لي غيره وتوجد هناك نقود كثيرة جدا أشتري

طعامي من مقصف المدرسة وتوجد إنارة موزعة في جميع

أماكن القبو ولكل جهة منه مفتاح وحدها ، كنت أعيش جهة

السلام التي تأخذ للمنزل والباقي مظلم"

ثم تابعت بخوف " هناك أشخاص يتهامسون في الليل في

تلك الجهة أسمعهم بوضوح"

نظرت لها بصدمة وقلت " من ؟" !

قالت " كنت أضنهم أشباح وأنت قلت أنه لا وجود لهم"

بقيت أنظر لها بحيرة ثم قلت " وما قصة الذين يبحثون

عنك والعصا والطرق "

حضنت نفسها بيديها وقالت " هناك من يبحث عني في المنزل

ليلا ويطرق بعصا على الأرضية ليعلم أين باب القبو لكنه

لا يُفتح إلا ببصمات أيدي عائلتنا "

تنفست بقوة ... يا إلهي وكأني في قصة من الخيال !! صحيح

أني أتعاون مع جابر في حل بعض قضاياهم لكن هذه كلها ألغاز

محيرة ، كنت سأسرد عليها الملايين من الأسئلة التي أحتاج

إجابتها لكن هذا المكان ليس مناسباً أبداً ، وقفت وقلت

" هيا قفي معي يا سما لنغادر "

وقفت وقالت " أين ؟ " !

قلت من فوري " ألم أعدك أن أساعدك وأنا

سأساعدك حتى نجد عائلتك "

قالت من فورها " ولكن أين سنذهب "

قلت بهدوء " لمنزلي الليلة وفي الغد نرى ما سنفعل "

بقيت تنظر لي بصمت فقلت " سما لا تخافي مني

أنا لست من الذين يطاردونك تأكدي من ذلك "

اعلم أن هذا مصدر خوفها الوحيد أما أن تخاف مني كرجل هذا لا

تعرفه ولا تفكر فيه أبدا ، مددت يدي وأمسكت يدها وسرت بها

بخطوات سريعة وهي في صمتها لم تتحدث ، خرجنا من المدرسة

وأغلقت الباب وفتحت لها باب السيارة وقلت " اركبي يا سما ولا تخافي

والدتي ستخرج غدا من المستشفى وتبقين معها حتى نجد أهلك "

ركبت السيارة بتردد كبير فأغلقت بابها وركبت أنا أيضا وما

أن أغلقت بابي حتى فتحت بابها ونزلت ، خرجت من السيارة

وقلت " سما لا تخافي مني ما بك "

هزت رأسها وقالت " لا أريد سأعود لمنزلنا لتأتي الخالة عفراء "

تنهدت وقلت " ولما تثقين بها و بي لا "

لأدت بالصمت فأخرجت المسدس المرخص الذي أعطاه

لي جابر وحركت زناده ثم مددته لها وقلت " جاهز للإطلاق

إن فعلت لك شيئاً فاقتليني به"

بقيت تنظر ليدي بحيرة ثم فتحت باب السيارة وركبت دون أن  
تأخذه مني فركبت السيارة وأعدت المسدس مكانه ، لقد تصرفت  
كما توقعت فما كنت سأعطي المسدس لمراهقة صغيرة قد تؤدي  
به نفسها قبلي ، انطلقنا في صمت من كلينا لأن بالي كان مشوشا  
وكل الأفكار تأخذه وترجعه ، أتمنى أن لا أكون تهورت وسأجلب  
لنفسي مشاكل أنا في غنى عنها ووالدي لا أحد لها غيري ، لكن  
هل كنت سأترك هذه الفتاة بعدما علمت منها ما علمت ، نظرت  
لها فكانت تنظر ليديها في حجرها وتمسك حقيبتها فقلت بهدوء  
"سوف آخذك للمنزل الآن تنامي وترتاحي وغدا عليا معرفة

أمر كثيرة منك ولدي صديق في المباحث الجنائية

سيساعدنا كثيرا"

نظرت لي وقالت " يعني شرطي"

تنهدت وقلت ونظري للطريق " سيساعدنا فقط يا سما لن

يأخذك ولن يستلم هوا زمام الأمور حسناً"

عادت بنظرها لحقيبتها وقالت " لا أريد مقابله"

قلت بضيق " سما كيف سنعلم حقيقة ما حدث إذا"

قالت بعبرة " خذني لقبو منزلنا إذا"

تتهدت واكتفيت بالصمت فليس هذا وقتاً مناسباً لنناقش هذا فيبدووا

أن عناد المراهقات مركز لديها ولكن عليها التجاوب مع جابر

وسأعلم منه مجريات الجريمة فمؤكد هوا استلمها ، ما يحيرني

وهوا كثير كيف لم تبحث الشرطة عنها هل ظنوها تلك الفتاة

الهندية ولكن يستحيل مؤكداً تلك ستكون طفلة ، وما قصة عفراء

تلك وكيف علمت عن مكانها وكيف دخلت المنزل وما صلتها

بالذين يبحثون عنها بل وكيف تحصلت على ورقة تثبت أن

والدا سما أعطاهما تصريحاً بإدخال ابنتهم لثانوية السيد منصور

ولما لم تستخدمها في إخراجها من مدرستها الأولى وغيره

الكثير والكثير ، نظرت لها مجدداً وقلت " هل تريدن

شيئاً أشتريه لك يا سما ، أقصد شيء تحتاجينه الليلة

حتى نذهب غدا لجلب أغراضك"

أنزلت رأسها أكثر وقالت " جائعة فقط وأريد النوم"

نعم يالا غبائي كيف نسيت أنها لم تأكل شيئا اليوم

نزلت لأحد المطاعم واشترت عشاءً لها وعدت للسيارة

وغادرنا للمنزل لأنه بات قريبا

\*

\*

لا اعلم لما أشعر بالأمان معه بقدر شعوري بالخوف منه!!

ماذا لو كان أحد أولئك المجرمين وسيسلمني لهم وماذا إن

كان يكذب علي وسيسلمني للشرطة ليهملوا القضية ثم يرموني

في دار الأيتام ، وصلنا منزلا صغيرا جدا بالمقارنة بمنزلنا ، نزل

من السيارة وتوجه لبابي وفتحه وقال " انزلي يا سما هنا منزلي

الليلة فقط وغدا ستأتي والدتي من المستشفى"

ترددت كثيرا لكن ما باليد حيلة سأسلم قدرتي لهذا الرجل يصلحه

أو يدمر ما تبقى منه ، نزلت أتبعه فتح الباب بالمفتاح ودخلنا ، كان

هناك ممر طويل قليلا اجتزناه فكنا في صالة متوسطة الحجم بها

باب واحد يمينا يبدوا غرفة ودرج ملاصق لها يؤدي للأعلى

وفي اليسار بابين يبدوان واحدا مطبخ والآخر حمام ، شغل

الإضاءة وقال " لا يوجد في هذا الطابق سوى غرفة والدتي

بسرير طبي ، الغرف في الأعلى الحقي بي "

ثم توجه من فوره لتلك السلالم وتبعته ببطء وصعدنا للأعلى

كان في الأعلى ممر طويل به أربع أبواب فتح ثاني باب ودخل

ووضع الكيس هناك وقال " هذه غرفتي نامي هنا الليلة حتى أجهز

لك الغرفة الأخرى غدا أو تنامي مع والدتي ، الطعام في الكيس

والمطبخ في الأسفل فيه كل ما تحتاجينه ، يوجد حمام في الغرفة

هنا وفي الأسفل ، سأذهب لوالدتي الآن لأراها وحين أعود

سأنام في الطابق السفلي حسنا "

هزرت رأسي بحسنا فقال " إن كنتي خائفة اتصلت بها

فقط وغادرت صباحا "

هزرت رأسي بلا دون كلام فخرج من الغرفة ونزل السلالم

وغادر، دخلت الغرفة أحضن حقيبتى ونظرت لها كانت نظيفة  
ومرتبة وهناك صور على الحائط لمخططات هندسية وأدوات  
هندسية أيضا ، كانت بسرير واسع ومكتب ومكتبة متوسطة الحجم  
مليئة بالكتب والمذكرات الهندسية والأوراق الملفوفة وكأنها مكتب  
مهندس وليس غرفة نوم ، اقتربت من السرير ووضعت حقيبتى  
عليه وضحكت في نفسي ... من كان يتصور أن أدخل منزل  
الأستاذ نزار وأنام في غرفته ، ترى لو تعلم وجدان ما ستفعل  
لا أعلم لما دائما مخططاتها تنقلب ضدها ، سمعت صوت معدتى  
تتحرك من الجوع فأمسكتها وابتسمت وحمدت الله أنه ليس هنا  
وسمعتها ، ماذا لو كانت قصة والدته غير حقيقية وذهب لجلبهم  
لي أو تسليمي لهم ؟ لا أعلم لما لا أثق به ! وكيف سأثق بأحد  
بعدهما رأيت ، ولكنه قال أن له صديق في الجنائية وتحدث مع  
تلك المرأة المسماة دعاء أمامى وأخبرته عن والدته ، من تكون  
تلك يا ترى هل هي زوجته ! لكن أين تكون إذا وهو قال يعيش

ووالدته فقط قد تكون خطيبته أو .... آه لا أعلم وما علاقتي أنا

نزلت للأسفل حاملة معي كيس الطعام ، دخلت المطبخ كان

صغيرا ومررتا وضعت الكيس على الطاولة وبحثت عن الأطباق

وباقى الأدوات وفتحت الثلاجة وأخرجت العصير وجهزت الطعام

على الطاولة وجلست أتناوله وقد عادت الهواجس والمخاوف

تسيطر على عقلي وكل خوفي أن أكون سلمتهم نفسي بنفسي

\*

\*

فتحت باب غرفتها ببطء ودخلت وما أن وقع نظري عليها

حتى ابتسمت وقلت " ظننتك نائمة !! كيف تشعرين الآن "

قالت بابتسامة صغيرة " بخير بني هل نمت وارتحت "

اقتربت منها وقبلت رأسها وقلت " لم يغمض لي

جفن حتى الآن "

قالت بلوم " نزار لما تحب إتعابي على تعبي "

جلست على طرف السرير وأمسكت يدها وقبلتها وقلت

"ولما تُتعبني نفسك فأنا بخير "

تنهدت وقالت " لو كنت أم ولك ابن لعلمت معنى ما أقول"

لذت بالصمت أنظر للأرض فقالت " نزار لما تركتك رهام"

نظرت لها مطولا بصدمة ثم قلت " أمي ما مناسبة هذا

الموضوع الآن"

قالت بتعب " أجبني يا نزار هوا سؤال خطر في بالي"

تنهدت وقلت " يمكنك السفر لها وسؤالها هذا السؤال

فحتى أنا لا أملك جوابه ولا يعنيني"

قالت من فورها " ألم تتحدثا قبل تركها لك ؟ أصدقني

القول بني وأقسم قبل أن تتحدث"

قبلت يدها وقلت " أقسم أنها الحقيقة وأني لا أعرف السبب

ولا أريد معرفته لأنني خمنتته دون أن تقول"

قالت " وما هوا ؟" !

ابتسمت وقلت " يبدووا جابر أصابك بعدواه"

ابتسمت وقالت بحنان " أين هوا لم يعد يزورنا

هذا على أساس وعدني أن أتعرف على أبناءه"

قلت مبادلاً لها الابتسامة " تجديه الآن يشد شعر رأسه منهم

الأطفال ليسوا مسئولية سهلة خصوصاً من غير زوجة ولا أم"

قالت ببرود " أمامه الزوجة والأم ولكنه يغمض عينيه"

ضحكت وقلت " يبدووا لي أنك وراءه ورائه حتى تزوجه بها"

قالت بضيق " ولما لا ... هي ربتهم وتحبهم وتعودوا عليها وفتاة

وصغيرة فما المانع غير أنكم أنتم الرجال رؤوسكم كالصخر

وأجبنى بسرعة عن السؤال الذي تهربت من إجابته"

قلت بابتسامة " حسناً فقط لا تتضايقي من أجل صحتك أُمي

رهام تزوجت غيري من أجل المال والسلطة ، وجدت بي

فرصة لها وحين وجدت الأفضل مني تركتني"

قالت بضيق " لو كان أفضل منك ما طلقها"

نظرت لها بحيرة وقلت " وما يدريك أنه طلقها"

قالت بضيق " نزار هل مازلت تفكر بها"

ضحكت وقلت " لا طبعاً فلما فسرت هذا التفسير"

قالت بذات ضيقها " ولما إذا سألت هذا السؤال "

قلت من فوري " أنا استغربت فقط كيف علمت

وهي مسافرة من سنوات "

قالت بلامبالاة " علمت ولا يهم كيف ، إنسا الموضوع هي

لم تستحقك يوما بني "

قبلت يدها مجددا وقلت بابتسامة " وحدك تستحقيني أليس كذلك "

ضحكت ضحكة متعبة وقالت " بل بنات الكون

ملايين وفيهم الكثير يستحقونك وليس أنا "

نظرت ليدها في يدي وقلت بهدوء

" أمي ثمة فتاة نائمة الليلة في منزلنا "

طال صمتها فنظرت لها فكانت تنظر لي بصدمة فتابعت

" هي يتيمة وتمر بظروف صعبة بل بمشاكل كبيرة وأنا

وعدتها أن أساعدها قبل حتى أن أعلم قصتها "

قالت بصدمة " فتاة وفي منزلنا " !!

قلت " نعم هي الآن " ....

قاطعتني بضيق " نزار أين عقلك كيف تجلب فتاة لا تعرفها وقد

تكون ورائها مصيبة وتلصقها بك وأضنك تفهم ما أقول "

قلت بجدية " لا أمي لا مصائب ورائها من النوع الذي في

بالك ولكني لن أتخلي عن مساعدتها حتى أجد أقارب

والدها أو والدتها وأسلمها لهم "

قالت بضيق " نزار تتوقف عن الجنون فوراً

وتعيد الفتاة من حيث جنت بها "

قلت بضيق مماثل " أمي الفتاة قتلوا والداها وشقيقها أمام عينيها

ويطاردونها هي أيضاً فهل أتركها وهي وثقت بمساعدتي لها "

قالت بحدة " وهل كل ما نسمعه نصدقه ؟ ماذا لو كانت لعبة

منها وتجد نفسك غداً في قسم الشرطة بتهمة شرف أو

تسرق المنزل وتهرب "

ضحكت وقلت " أمي من أين لك بكل هذه الأفكار يبدو أن

جابر أثر عليك بما نقوله أمامك "

تأففت ولم تتحدث فقلت بهدوء " قصتها حقيقية

ومتأكد منها اطمئني"

ثم وقفت وقلت " الطبيب قال بإمكانك الخروج غدا ، ساتي

مبكرا لأخذك قبل ذهابي للمدرسة ولا تخبري أحد ولا حتى

دعاء بقصة الفتاة لأنني سأقول للجميع أنها قريبة لنا"

فتحت فمها لتتحدث فقلت " أمي اتركي كل شيء للغد حسناً"

تنهدت بضيق ولذت بالصمت فقبلت رأسها وخرجت وعدت

من فوري للمنزل ، دخلت وكان هادئاً تماماً فتوجهت من

فوري لغرفتي حيث تكون سما ، عليا إخبارها أنني سأقول

أنها قريبتي وأن لا تتحدث مع والدي حتى أعود من المدرسة

كي لا تقسوا عليها أمي بكلماتها وترحل ، طرقت الباب عدة

مرات ولا جواب ، هل نامت يا ترى !؟

طرقت الباب بقوة أكبر ولا شيء ، فتحتة ببطء ونظرت للسريير

فكان فارغاً ، فتحت الباب بوسعه فلم تكن في الغرفة والحمام

مفتوح فنزلت للأسفل ركضا وتوجهت للمطبخ ولم تكن هناك

ما كان عليا تركها وحدها كيف لم يخطر في بالي أن تُغير

رأيها وتترك المنزل

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

وقفت أنظر له بغيض ، ما الذي يريد هذا الرجل وها هو في

كل مرة يتمادى أكثر من سابقتها ، عملي ثم منزلي والآن يطلب

القهوة وكأنه منزله أو مقهى ، قلت بضيق " أود سؤالك فقط

لو كانت شقيقتك أو إحدى ابنتيك مكاني هل كنت ترضى

لهما ما يحدث الآن"

قال ببرود ونظره على التلفاز " هل يرضيك أن اجلب معي

سيارات المباحث وأفراد مكتبي ونحدث شوشرة في الحي

زيارتي لك في المصنع لم تعجبك فكيف تريدان أن أتحدث معك"

قلت من بين أسناني " هناك اختراع اسمه هاتف إن كنت لا تعلم"

رمى جهاز التحكم وقال " هذا أمر لا يكون التحدث فيه في الهاتف

ولا تنسي أني في المرة الماضية حدثتك في الهاتف ولم نصل

لنتيجة فأنتي الملامة الوحيدة فلا تلقي باللوم علي"

قلت بسخرية " يا سلام أصبح كل شيء الآن بسببي ما رأيك

لو أزورك في مكتبك فكرة أفضل أليس كذلك"

قال بحدة " أرجوان انتهى النقاش في هذه النقطة"

نظرت له بصدمة كادت تخرج معها عينايا ، يا عيني وأرجوان

حاف هكذا ، ما هذا الهمجي صدقت بيسان حين كانت تردد هذه

الكلمة على تصرفات إخوتها لأن البعض يستحقها

قلت ببرود " حاضر يا سيد جابر"

نظر لي مطولا بصمت فذكاءه كفيل بفهم مغزى كلامي

أشاح بنظره عني للتلفاز وقال ببرود " رأسي يؤلمني

فلم أشرب القهوة اليوم"

لا أعلم قالها ليتجاهل ما قلت أو ليذكرني أنه طلب القهوة

سابقا أو ليوضح لي سبب قوله اسمي دون رسميات ، تنفست

بقوة بل بغيض ودخلت المطبخ وأعدت له كوبا من القهوة

أتأفف كل حين ، انظري ما ألتى إليه يا أرجوان رجل غريب

في منزلك لا وتضيفينه أيضا ، لا ينقص الآن إلا أن يدخل

علي أحد الجيران وتكون نهايتي ، لابد وأنه عاد ليقنعني

مجددا بالتحدث معهم ، هوا ووالدته لن يرتاحا حتى يأتيا

بأجلي، خرجت له بكوب القهوة ووضعته أمامه على الطاولة

وقلت " في المرة القادمة اشرب قهوتك في منزلك "

ثم قلت مغادرة جهة السلام " أغلق الباب حين تغادر "

وصلني صوته قائلا " سوف آخذك لزيارة الأطفال "

وقفت جامدة مكاني ثم التفتت ناحيته وكان ظهره لي

يشرب القهوة فقلت بهدوء " ولما " !!

وضع الكوب على الطاولة وقال " عليك زيارتهم سريعا "

كل الأفكار حينها سافرت بي وأعادتي وتلتها مخاوفي فقلت بتوجس

" هل أحدهم به مكروه هل ستتركون البلاد؟! ماذا هناك "

وقف وقال " بيسان تراجعت للصف في الرياضيات وأمجد بدأ

مستواه يتراجع تدريجيا وترف تتعب الجميع ، كل مخالفتهم يتسترون  
بها

على بعض ليحكوها لك ما أن يروك والمشاكل تتراكم في السر ولا تُعالج  
"

قلت بهدوء وأنا أنظر له معطيا ظهره لي " بيسان لا تفهم الرياضيات

إلا بطريقة واحدة وقد تحدثت عنها في الورق ، أمجد كان متفوقا دائما

كيف تتراجع درجاته هكذا أما ترف فما تزال صغيرة وتحتاج لوقت

لتصبح كأخويها فبيسان في سن ترف كانت أسوء منها"

التفت ناحيتي وقال " المعلمة الخصوصية لبيسان حاولت وعجزت

معها أريدك أن تفهميها على الطريقة وأمجد يُتعب المدرسين وينتقدهم

وكأنهم طلبة لديه وأصبحت تصرفاته عدوانية في المدرسة ، ترف تشتد

عنادا يوما بعد يوم وتتعب المربية حتى في تدريسها ، لم ألك

إلا لأنني جربت كل الطرق ولم تنجح"

لذت بالصمت فقال " هم يُصرون على وجودك في العيد

معهم فهي فرصة لنبحث سبيلا لحل مشاكلهم"

هزرت رأسي بلا وقلت بعينان تمتلئ بالدموع

"آسفة يا سيد ، أن أحاول معك لحل مشاكلهم لا بأس لكن أن

تقتلني وأنا ميتة لا ، أنت لا تعلم ما أقاسي حتى الآن ولم أعتد

على غيابهم فأن تأخذني لهم لأيام ثم ترمي بي خارج منزلك وترجع

بي لنقطة الصفر أبدا لن يحدث ، سأذهب من أجلهم لكن أن أبقى

لأيام لا وألف لا ... يكفيني عذاب أرجوك"

تنفس بقوة ثم قال " والحل ، لقد تعبت معهم لا والدتي انصاعوا

لها ولا أنا يعتبرونني والدهم ، يعيشون عالم هم فيه لوحدهم

وينتظرون أن تجتاحيه لتجبري كسوره، إن لم أكن

خائفا على مصلحتهم ما أتيت"

لذت بالصمت فقال " لما لا نجري اتفاقا ... أنتي تعلمي الآن

لتوفري لقمة العيش لك لما لا تكوني في القصر عندنا بدلا من

المدرسين والمربيات وتتقاضى راتبهم جميعا لكن بشرط

كل شيء على نظام والدتي"

قلت ببرود " أعذرنى لن أدوس النار بقدماي مجددا فهم في

النهاية ليسوا لي وفي أي يوم ستطردونني إن أنت أو والدتك

وأعود أسوء مما كنت"

قال بضيق " لا أخرج منك بنتيجة أبدا ، تعلمين أن الأطفال

متعلقين بك كثيرا وتستغلين ذلك يا آنسة"

قلت بضيق أكبر " لا يا أناني أنا أفكر بنفسى أيضا لأنها

ستكون المتضرر الوحيد ، ثم ما تعني بأنى أستغل

ذلك لما لا تتكلم بوضوح"

قال بحدة " أعنى تضغطين على لأرجعهم لك"

قلت بغضب " واهم لن آخذهم من والدهم وهوا أحق منى بهم

وسيحميهم مما أعجز أنا عن حمايتهم منه ، أقسم أنى بقدر

حزنى عليهم سررت أن لهم أبا مثلك"

نظر لي نظرة غريبة في صمت ، ويحي ما هذا الذى قلته كيف

سيفهمه الآن ، قلت بهدوء وخجل " أعنى رجلا في مركزك

سيحميهم وخصوصا الفتاتين"

غادر من أمامي ووقف بالمقربة من الباب وقال ونصف وجهه

مقابل لي " أنتظر في السيارة عند أول الشارع ، أعلم أنك

لن ترضي أن يكون لأحدهم مشكلة لديك حلها وتبخلي ، سوف

أخذك وسأعيدك متى أردت ذلك وعرضي ما يزال قائماً"

قلت بهدوء " سأذهب ونرى حلاً لذلك وأعود اليوم وعرضك

لن أفكر فيه مطلقاً ، وابتعد بسيارتك قدر الإمكان

أرجوك لا أريد مشاكل"

التفت إلي وقال " إن تكلم معك أحد بسوء أعطني اسمه فقط"

قلت بسخرية " لن أدخل المنازل لأسمع الأحاديث الخفية ولولا

الأولاد ما قبلت بكل هذا ولو كان ثمنه موتي أو قتلتك"

ابتسم ابتسامة صغيرة وقال " لو لم أكن أعلم أنك من هذا

النوع ما دخلت منزلك في غيابك ولا أخذتك لأولادي

سأنتظر أمام باب منزلك ومن له لسان ليتحدث"

ثم خرج من المنزل وتركني أغلي كالبركان ، يفعل ما في

رأسه ولا يهتم مهما شرحت وقلت وأعدت ، أخذت حقيبة يدي  
من على الأريكة حيث وضعتها عند دخولي وخرجت من المنزل  
وكان كما قال أمام الباب بسيارته ، نعم فهو لن يمس سمعته شيء  
ولما سيهتم بي وبما سيقال عني فلست أقرب له ولا اعنيه في شيء  
هذه نهايتك يا أرجوان وتركبين معه السيارة أيضا ، تنهدت بضيق  
وأغلقت باب المنزل ، سأعتبره سائق تكسي فكلاهما رجل ولم  
أفعل شيئا جديدا ، ركبت السيارة في صمت وانطلق يتحدث  
بهاتفه طوال الطريق ويصرخ ويتأفف بغضب ، مما مخلوق  
هذا الرجل لا يعرف حتى الابتسامة ، منذ قليل في منزلي حين  
ابتسم تغيرت كل ملامحه وظهرت وسامته فلما يعشق أن يكون  
بشعا ومخيفا هكذا ، أعان الله من ستتزوجه عليه بل علمت الآن  
من قتل حسناء بالبطيء ، بعد مسافة لا بأس بها وصلنا للمدينة  
المجاورة للعاصمة ودخلناها وسار بعض المسافة ثم دخلنا  
شارعا بمنازل راقية جدا وبه قصر كبير على الطراز القديم  
في نهاية الخمسينيات ، لا يشبههم تماما ولكنه يقرب أن يكون

مثلهم، هل يسكن في هذا الحي يا ترى؟؟ لا بد وأن بيسان  
ملتصقة بالنافذة طوال الوقت تشاهد هذا القصر فهذه الحقبة  
من الزمن جنونها الحقيقي ولكن المفاجأة أنه دخل بي لسور

**القصر ذاته !! هل هذا هو منزله!؟**

كنت أنظر لكل شيء بدهشة ... ما كل هذا العالم الخيالي  
والخدم والحراس ، صدقت سوسن حين قالت أنه من الجيد  
أن الأطفال لم ينسوني ، هذا ونحن في الخارج ففي الداخل كيف  
سيكون ! وقفت السيارة عند باب القصر وفتح لنا الأبواب  
الحرس الشخصي أو لا أعلم ما يكونون ، نزل من فوره  
ووقف ينتظرني فنزلت ببطء وتوجه هوا للداخل يقول  
"اتبعيني يا أنسه وأنت يا علاء جهز لي السيارة

**الخاصة بعلمي لأنني سأعود هناك حالا"**

دخلت أتبعه ... كل شيء في الداخل لا يقل فخامة عن الخارج

كتلك القصور تماما ، الخشب المحفور والأثاث وحتى اللمسات

البسيطة ، اللوحات وتوزيع الأثاث ونقوش الأعمدة والأقواس

وأشكال الأبواب ، غريب من هذا الذي ورثت منه بيسان

هذا الهوس ! هل تكون هذه الصخرة أم والدته وقد يكون

والده فهوا لم يتحدث عنه ويبدوا ميتا

توجه بعدها ناحية السلالم الضخمة بل المخيفة أعمدته وكأنها

جذوع أشجار عالية ... النقوش في خشبه العريض وكأنه سلالم

لوحده ، توجهت خلفه أصعد ببطء ووقع نظري على الثريا المعلقة

في الجزء الموجود خلف السلالم ، كانت وكأنها نجوم تتدلى من

السماء ، غريب هذا القصر يبدوا مزيجا بين الحاضر والماضي

أي فنان هذا الذي صممه هكذا وفكر فيه بهذه الطريقة!

تجاوزنا الطابق الثاني وصعد بي للثالث ، لا أعلم لما يكون

قصرهم بكل هذه الفخامة ولا يوجد مصعد يوصلك للأعلى

مباشرة أم يريد أن يتعبني ، لكنه رغم ضخامته درجاته متقاربة

ومريحة ، وصلنا الطابق وتوجه بي لممر معين وما أن وصلناه

حتى خرجت ترف تركض من إحدى الأبواب تبدوا هاربة من



تعود ، كنت أحضنهم بقوة وأبكي ... كم اشتقت لكم يا أبنائي

وكم اشتاق لكم هذا الحزن وكم تعبت من فراقكم ، بعدها

همست لهم بصوت مبجوح من البكاء " حيوا والدكم بسرعة"

ابتعدا أمجد وبيسان عني وقالوا معا " مرحبا بابا"

وبقت ترف متعلقة في حضني فقلت " ترف بسرعة تحركي"

ابتعدت عني ورفعت يداها له وقالت " مرحبا بابا"

رفعتها من ذراعيها وقبل خدها وأعادها للأرض ويبدوا

اعتادت على هذه الحركة منه ، قال بعدها " سأغادر الآن

لأمور ضرورية وسأعود وقت حضور المدرسين

لا تتعبوا والدتكم مفهوم"

قالوا معا بمرح " مفهوموووم"

ثم غادر على صدمتي من كلماته فلم أتوقع منه أن يبقى يعترف

أمامهم أنني والدتهم رغم أنهم هم ذاتهم يعلمون أنني لم أكن أهم

ويضنونني شقيقتهم ، سحبتني بيسان من يدي وهي تقول

"تعالى ماما لتري غرفنا"

وقفت معها أسير ببطء ... نعم هم لم ينسوني لكن هذا العالم

سينسيهم منزلنا ذاك بالتأكيد ، دخلنا غرفة فخمة بسريرين

كانت واسعة جدا حتى أن السريران بالكاد يظهران فيها

بها مكتب صغير للدراسة وخزانات كبيرة وأريكة طويلة

وكراسي تجلس على أحدهم فتاة تبدوا في نهاية العشرين

وقفت وحيثني باحترام فأجبت تحيتها ، لابد وأنها المربية

لكن الغريب أنها لم تلحق بالأطفال وقت خروجهم

هل هي ممنوعة من مغادرة الغرفة أم ماذا !!؟

جلست على الأريكة وبدأ ترف و بيسان بجلب كتب التلوين

ومجلات الأطفال والحلي الصغيرة المناسبة لهم ويروني

إياها فقلت بابتسامة وعيناى تمتلئ بالدموع

"جميل كل شيء رائع هنا أليس كذلك"

هزوا رأسيهما بنعم وقال أمجد من فوره " لكن منزلنا هناك أجمل"

نظرت له باستغراب فقال " هنا كل شيء ممنوع هناك أفضل"

قالت بيسان " لا يسمحون لنا باللعب في الحديقة ، جدتي تغضب  
إن ركضنا في غير ممر غرفنا ولا تريد أن ننزل السلالم بسرعة  
أمجد ترحلق عليها فوبخته ولا تتركنا نأكل البطيخ وحبوب

الرمان بأيدينا ولا أن" .....

قاطعتها قائلة " بيسان لا يجوز أن تتحدثي عن جدتك هكذا"

قالت بدمعة محبوسة " هي لا تحبك ماما وتقول كلمات لا أفهمها"

قلت بضيق " بيسان لا تجعليني أغضب منك

جدتك تحبكم لا تغضبوها"

لأنوا بالصمت ثم قالت ترف " لا أحب المربية ماما"

نظرت لها حيث جالسة بعيدا فابتسمت وهزت رأسها وقالت

"لم أعرف كيف أتصرف معها وأجعلها تتقبلني"

نظرت لترف وقلت بهدوء " ولما لا تحبينها بنيتي انظري

لها جميلة وعيناها جميلتان وتحبك"

هزت رأسها بلا وقالت " هي لا تتركني ألعب في الحمام وأتوضأ

كثيرا مثلك ولا تحب القصص والحكايات وتغضب مني دائما

وتقول أُنِي مُتعبَةٌ وتهددني وتخبر والدي عني فيغضب مني "

مددت يداي لها فنامت في حضني فحضنتها بقوة وقلت

"إن لم تحببها فيعني أنك لا تحبينني "

طوقت خصري بيدها الصغيرتان وقالت " لا أحبك ماما"

قبلت رأسها وقلت " إذا لا تتعبها حبيبتي وستحكي لك

القصص وتتركك تتوضئي كما تريدين "

ابتعدت عني وقالت بمرح " إذا أحبها وعليها أيضا أن لا تمسك

لي شعري بالمشابك لا أحبهم وتلعب معي لعبة الأصابع مثلك

ولا أريد أن تمسكني وأنا أشاهد من الشرفة و" ....

واشتغلت كالمذيعة دون توقف ، نظرت للمربية فهزت رأسها

بقلة حيلة وقالت " ليس الأمر بيدي أوامر السيدة الكبيرة كثيرة

وصارمة وهم لم يستوعبوها"

لذت بالصمت فقالت " انفصال الوالدان يتعب الأبناء دائما"

قلت بابتسامة " لست والدتهم ولا انفصال بيننا"

قالت بإحراج " آسفة ظننتك والدتهم "

رن بعدها هاتفها فأجابت عليه ثم وقفت وقالت

" السيد سمح لي بالمغادرة اليوم لقد سررت بمعرفتك "

قلت بابتسامة " وأنا كذلك شكرا لك "

وما أن خرجت حتى قالت ترف " ماما امجد

يضر بني ولا يعطيني ورقة من كشكوله "

نظرت لأمجد وقلت " أمجد ألم نقل أنك رجل وهي صغيرة "

قال بتذمر " لديها كتب تلوين كثيرة أحضرها بابا لها

وحدها لما تأخذ مني "

قلت بجدية " عليك إعطائها إياها "

ثم نظرت لترف وقلت " سأخبر والدك يأخذ

كتب التلوين لأنك لا تحتاجينها "

قالت باعتراض " لا .... أنا أريدها "

قلت " لا .... ستأخذين من كراسة أمجد وتلك لم تعد لك "

قالت بعبوس " لا ماما "

قلت " إذا "

قالت بحزن " لا أريد ورق كراسته "

ثم نظرتُ جهة أمجد وقالت " أمجد يسهر على التلفاز ماما "

نظرت له بضيق فقال من فوره " لا ماما هي مرتان فقط "

ووبخني والدي ولم أعدها "

فنظر لبيسان وقال " هي تقول عنا همجيين وتأكل الشكلاتة "

كثيرا وكسرت علبة التلوين الخاصة بي و " .. "

قاطعته بيسان قائلة " أنت رميتني بها وقلت للمربية أنني من كسرهما "

من تلقاء نفسي ، أنا رميتها عليك وارتطمت بالحائط و " ... "

قلت بضيق " ولما تتركون كل هذا لتخبروني به "

ولا تخبروا والدكم "

لأنوا بالصمت فقلت " بعض المشاكل تافهة المربية تتصرف فيها "

أما الأمور الكبيرة تخبروا والدكم عنها فأنا لن أكون هنا دائما تفهموا "

قال أمجد " والدي دائما غير موجود لا نراه أبدا إلا لوقت قليل جدا "

قالت بيسان " نعم هوا لا يجلس معنا"

قلت " هذا لأنه مشغول دائما ليوفر لكم كل هذه الأشياء الجميلة

التي لديكم ، هوا يسهر ويتعب هل تضنونه يحب التعب

هذا من أجلكم لأنه يحبكم"

قالت ترف " ماما لما لا تبقي معنا"

قلت بهدوء " لا أستطيع حببتي لا يمكن

هذا منزلكم وليس منزلي"

قالت بيسان " إذا نذهب معك"

قالا أمجد وترف معا " نعم"

قلت بحدة " بيسان لا تكرري هذا ولا أسمعنه من أي منكم

ولا تعيدوه خصوصا لوالدكم تفهموا"

ثم قلت بحزم " إن علمت أنكم قلتم هذا لأحد لن آتي إليكم أبدا"

لأنوا بالصمت وقالت بيسان " آسفة ماما"

قلت بلوم " والدكم يحبكم ويريدكم لو سمع هذا سيغضب"

قال أمجد بهدوء " ونحن نحبه أيضا ولكننا نريدك معنا"

تهدت بيأس فيبدوا لن نجتاز هذه النقطة أبدا ، ثم فتحت

ذراعي لهم وقلت بحب " لما لا نترك المشاكل تعالوا

لحظني لعلني أشبع منكم"

بقوا قليلا في حضني يتحدثون عن كل شيء حتى رن

جرس في الغرفة فوقفوا وقالوا " الغداء"

نظرت لهم بحيرة وقلت " هل ينادونكم بالجرس هكذا"

هزوا رؤوسهم بنعم فنظرت للساعة في الحائط ، يبدوا أنهم

يتناولونه متأخرا ! قلت " مع من تتناولون الغداء دائما"

قالت بيسان " مع جدتي وبابا وعمي معتصم أحيانا"

ابتسمت وقلت " لكم عم"

قالت ترف " نعم وهو يحبنا ويحضر لنا الهدايا"

قالت بيسان وهي تلف بيديها " ويطيرني هكذا ويقول

لي كونتيسة ويقبل يدي مثلهم"

ابتسمت بعفوية فيبدوا في هذه العائلة طفرة وراثية ، واحد لا

يشبه شقيقه ووالدته ، قلت " ومن لديكم هنا أيضا"

قال أمجد " عمتي زهور لكننا لم نراها"

غريب كل هذه الفترة ولم يروها هل هي مريضة !! قالت

بيسان " يبدووا لا تظهر إلا في الليل هي شبح ماما"

قلت بهدوء " وهل هذا جيد بيسان كيف تقولي عنها شبح"

قالت بحيرة " ولما هل هم سيئين"

قلت بجدية " نعم ولا يقولون عن شيء أنه شبح إلا سيء"

قالت " حسنا لن أقولها"

قلت بابتسامة " بسرعة انزلوا للأسفل لتتناولوا الغداء"

قال أمجد " وأنتي أئن تنزلي معنا"

فتحت فمي لأتحدث على صوت طرقات على الباب ثم فتحته

امرأة يبدووا أنها الخادمة وقالت " أنسة السيد يطلب نزولكم جميعا للغداء

"

آه من هذا السيد الذي أوامره لا تنتهي ، وقفت وقلت " حسنا"

نزلت معهم وصلنا لطاولة طويلة تجلس في رأسها سيدة يبدووا

عليها الشموخ والتعالي وكأنها جبل ، مؤكد هي كذلك فمن ستتجب

هذا الصخرة غير واحدة مثلها ، كان جابر يجلس في الكرسي

المجاور لها وهناك ثلاث خادمت يقفن بعيدا وما أن اقترب

الأولاد حتى اقتربت إحداهن وقالت ترف " أجلس بجوار ماما"

رفعتها الخادمة ووضعته على الكرسي واقتربت أنا أكثر

وأقيت التحية وقلت " سرني التعرف عليك سيدتي"

قالت ببرود دون أن تنظر إلي " شكرا"

يا إلهي ما هذه الجلدية ؟ سحبت الكرسي بجوار ترف

وجلست فتوجهت بيسان للكرسي بجانبها فقالت ترف

"كرسيك هناك أنا فقط بجانب ماما"

تحدثت حينها جدتهم بحدة " فوضى ككل يوم وها هي تزداد"

ما الذي تقصده هذه المتعجرفة هل أنا ربيتهم على الفوضى وأزيدها

بوجودي ، تكلم حينها والدهم قائلا " بيسان لكرسيك فورا"

توجهت للكرسي المجاور لأمجد الذي يفصلها عنه وجلست

حزينة وبدأ الجميع بتناول الطعام في صمت تام ، ما هذا النظام

المتجبر ! ما في الأمر إن جلست بيسان بجواري ، ترف أخطأت  
وهذه خصلة سيئة فيها لم أستطع تغييرها لكن ما ذنب بيسان ولما  
لم تترك الأمر لي كنت سأحل المشكلة بطريقتي ككل حياتهم معي  
نظرت جهة ترف وقلت " عليك أن تتخلصي من أنانيتك يا  
ترف ما في الأمر إن جلست بيسان هنا لقد أغضبت جدتك"  
قالت بهدوء " آسفة ماما"  
قالت جدتهم بسخرية " جيد تعرفون عبارات الأسف"  
نظرت لها بصدمة وهي على حالها تنظر لطبقها ... أعانكم الله  
يا أبنائي على كل هذا هل تريد أن تعقدهم أم ماذا ، قد تكون تتعمد  
هذا فقط بسبب وجودي ، وهذا التمثال أين لسانه ؟ نصف  
قوتها تستمدها منه وهو لا يتكلم معها أبدا ، عدت للصمت  
دون تعليق فقالت بيسان " ماما ترف لم تأكل الخضار هنا أبدا  
ألم تقولي أنه علينا أكلها لنكبر بسرعة"  
نظرت لها فقالت " لا أحبها ماما وهم لا يصنعون طائرات من

الجزر مثلك ويغمسون رأسها في الشكلاته لأطيرها وأكلها"  
آه لابد وان ترميني هذه العجوز بقدمها خارج القصر ، ابتسمت  
وقلت " سنصنعها معا فيما بعد بنيتي"

قالت بمرح " حسنا"

قالت جدتهم ببرود " كم مرة قلت كثرة الكلام

على الطعام عادة سيئة"

ثم وقفت وقالت مغادرة " جابر عليكما أن تتحدثا في حل

مشاكل بعض السلوكيات وليس الدروس فقط"

ثم غادرت مبتعدة وهوا لم يتحدث بحرف وكأن الأمر لا

يعنيه ، رن حينها هاتفه فأجاب عليه وقالت ترف هامسة لي

"لما بابا يتحدث على الطعام ؟ جيد أن جدتي ليست هنا لوبخته"

لم استطع إمساك ضحكتي وقلت بهمس " ترف كلي في صمت"

خبئت فمها بيدها الصغيرة بضحكة صامتة فنظرت لوالدها فكان

ينظر لنا ، لابد يعتقد أننا نضحك عليه أو على والدته وهذه نهايتك

يا أرجوان، وقف حينها وقال " سيصل المدرسون بعد ساعة"

ثم غادر في صمت فنظرت لهم وقلت " هل انتهيتم "

قالوا معا " نعم "

قلت بابتسامة " وماذا نقول "

قالوا " الحمد لله "

وقفت ووقفوا معي وأنزلت ترف وصعدنا لغرفتهم

\*

\*

توجهت لمكتبي جلست وشغلت حاسوبي المحمول فلم أفوت

اليوم شيء مما يجري في غرفتيهما لأنني الفترة الماضية زودت

الغرف بكميرات مراقبة كي لا يفوتني شيء مما يجري وخصوصا

المربيات، تبادر لذهني الشك للحظات أنها ستستغل تعلقهم بها وتقلبهم

علينا لكنها خانت تلك الظنون ، ركزت الكميرة عليهم حيث استقروا

على أحد أسرتهم وجلسوا جميعهم ، رفعت بيسان القبعة والمضلة

وقالت " انظري ماما أحضره لي عمي معتصم "

ثم قالت بعبوس " لكن بابا قال لا تلبسيه في العيد بل في غرفتك فقط "

قالت أرجوان " وعندما يقول بابا لا يعني لا"

قالت بتذمر " لماذا"

قالت ببعض الضيق " بيسان حبيبتي عمك لم يحضره إلا لأن

والدك موافق ، إن خالفته لن يتركه يحضر لك غيره"

قالت بهدوء " حقاً؟"

قالت أرجوان " نعم لا تخالفوا والدكم ولا تغضبوه سيغضب الله منكم"

بعد ذلك نزعت أرجوان حجابها ونزل شعرها الأسود بانسياب

يغطي ظهرها كشلال حريري فوقفت ترف على السرير تمسده

لها بيديها وقالت " ماما هيا نمشطه لك كما كنا نفعل"

جمعته للأمام وقالت " لا ترف هذا ليس منزلنا وقد يأتي والدك

في أي وقت ، أنا شعرت برقبتني تؤلمني من الحرارة بسببه

فقط وسأعيد حجابي بعد قليل ، هذا ليس وقت التسريح"

قالت ترف بعفوية " حسنا وإن رآه والدي ها نحن نراه"

كتمت ابتسامتي وأنا أراقبهم ، يالا سذاجة الأطفال كيف ستشرح

لهم الآن، قالت أرجوان " أنتم صغار أما والدكم كبير لا يجوز"

قالت بيسان " ولكنه يرى شعري "

ضحكتُ وانطلقت ضحكتي معها ثم قالت

"وأنا والدي كان يرى شعري "

قالت ترف " ولما والدي لا "

قالت بهدوء " أنتم صغار حين تكبرون ستفهمون لما لا يرى

الرجال شعرنا ما عدا رجال محددين "

بقيتا تنظران لها باستغراب فقال أمجد " يا غبيتان لا يراه سوى

الأطفال والنساء وزوجها ووالدي ليس زوجها "

قالت أرجوان بحدة " أمجد كم مرة أقول هذه الأمور لا تتحدث

عنها خصوصا أمام شقيقتك ، أنت كبير وتفهم هما لا "

قال بهدوء " آسف ماما لكن معلمة التربية الإسلامية قالت لنا هذا "

تنفست بقوة ولمت شعرها وأعدت حجابها وقالت

"لن تروه أنتم أيضا "

قالت ترف بضيق " هل ارتحت الآن لن نراه

حتى تصبح ماما عجوز وتموت"

وقد عادت أرجوان للضحك مجددا ، لا أعلم كيف جعلتهم يعتذرون

من أي شيء يضايقها واستطاعت حل أي مشكلة تحدث أمامها

بسرعة ، أنا حين اشتكت لي ترف من أن أمجد ضربها ولم

يعطيها الورقة أسكتهما وتركت المشكلة مُعلقة وهي وجدت لها

حلا في ثواني ، هل هي كثرة احتكاكها بهم أم حبها لهم يجعلها

تخرج بالحلول من تحت الأرض ، ومر الوقت بعدها تتحدث

وأمجد ولا أسمع شيئا لأن الفتاتان تقفزان على السرير

وتغنيان ولم تنهاهما طبعاً كالمربية التي تكبلها الأوامر

بعد وقت نظرت لهما وقالت " ترف بيسان يكفي ستقعان

أرضا قفزتما بما فيه الكفاية"

توقفت بيسان ونزلت من السرير وترف الغنيدة طبعاً وكأن

الكلام لا يعينها فقالت أرجوان ببرود " ترف لا حلوى اليوم

ولا لعبة أصابع ولا حـ" ....

توقفت وقالت بصراخ " ها قد توقفت ماما لا تتابعي"

قالت بهدوء " جيد تداركتِ الأمر ولم تخسري غير اللعبة

والحلوى، عنادك يزعج الجميع ترف هل تعلمي بهذا"

قالت بعبوس " أنا لست سيئة كلكم لا تحبونني"

فتحت ذراعاها لها وقالت " بل أنا أحبك أكثر

من كل شيء إلا أمجد و بيسان"

قفزت في حضنها وقالت " وأنا أحبك أكثر من أمجد"

ضحكت وقالت " لو أعلم ما عقدتك من أمجد"

ثم نظرت جهة أمجد وقالت " ولحسن حضك امجد

بعقل كبير ورجل رائع يستحملك دائماً"

ابتسم أمجد وقال " هل تحبينني كثيرا"

مسحت بيدها على وجهه وقالت " لا تتصور كم يكون ذلك بني"

بهذا إذا تكسب قلب أمجد بالتشجيع والرفع من معنوياته

قالت بيسان " ماما لما تبكي"

طرق أحدهم باب مكتبي فأوقفت الصوت وابتعدت عن

الحاسوب وقلت " تفضل "

دخلت الخادمة وقالت " المدرسان وصلا سيدي "

نظرت للساعة في يدي ، هل مر الوقت بسرعة هكذا!!

قلت " اتركيهما يدخلان "

دخلا بعد قليل وقفا أمامي فقلت " الفتاة التي كانت تدرس

الأطفال هنا اليوم وستتعلمون منها طرق تدريسها حسنا "

قالا معا " حسنا "

وقفت وقلت " آنسة وجد ستأخذك الخادمة للمكان المخصص

بتدريسهم دائما وأنت أستاذ ربيع ستأخذك لغرفة الضيوف حتى تنتهي

الآنسة لأنني أريد حضور دروس اليوم معكم لأعرف أين المشكلة "

قال من فوره " كما تأمر سيدي "

ثم ناديت الخادمة الواقفة في الخارج وسارا معها

وصعدت لهم إحدى الخادما لتخبرهم وينزلا ، بعد قليل

توجهت لغرفة الدروس كانت غرفة بطاولة طويلة وكراسي

كانت سابقا غرفة طعام واستبدلتها بأخرى ، فتحت الباب

ودخلت فكانت المعلمة تجلس بجانب أرجوان و بيسان بجانبها

توجهت نحوهم وجلست مبتعدة عنهم بعض الشيء ، أمسكت

أرجوان الكتاب وقالت " لنرى ما هو الدرس الأول لك

معها لأن كل الدروس مرتبطة ببعضها"

قالت وجد " جمع الكسور"

فتحت كراسة كشكلها وأمسكت القلم وقالت

"بيسان ماذا قلنا عن تقسيم الجيش قبل الخروج من القلعة"

قالت من فورها " كل صفوف متشابهة مع بعضها ويترأسها واحد"

قالت " جيد .... وكما قلنا سابقا عن طريقة خروجهم"

قالت " المتشابه مع بعضه"

قالت " ممتاز ... إن خرجت كهذه مجموعة من أربع جنود

يترأسها واحد وأخرى من أربع يترأسها واحد كم يكون

مجموعهم في الحرب"

قالت من فورها " اثنان على أربعة كل اثنان يقاتلان بالتبادل

ورؤسائهم يقاتلون جميعا"

قالت " رائع هكذا جمعنا الكسر المتشابه أليس كذلك"

قالت " نعم هكذا سهل جدا"

وأعطتها بعدها أمثلة أخرى ثم قالت

"والآن سيستدعون الاحتياط وأولئك ليسوا متشابهين"

قالت بيسان ناظرة لها بصدمة " ولما !! هل سيخسرون

الحرب وهل سيموت الإمبراطور"

قالت بابتسامة " لا حبيبي سنحاول جهدنا حسنا"

هزت رأسها بحسنا فقالت أرجوان وهي تكتب في الكراس

"مجموعة من ست جنود وحارسان وأخرى ثلاث جنود وحارس

أنظري كيف سنفعل ليكونوا متشابهين ويهزموا العدو ، هنا

ست جنود وهنا ثلاثة كم يلزمهم ليصبحوا كهؤلاء"

قالت من فورها " ثلاثة"

قالت " جيد ولكن لا جمع فيهم ما الذي سنفعله ، نريد كيف

نطعمهم ليزيدوا كما تعلمنا السنة الماضية"

قالت بيسان من فورها " اثنان يطعمونهم يصبحون ستة"

قالت أرجوان " ممتاز يعني يطعموهم اثنان بالشوكة والسكين"

وكتبت لها علامة الضرب ثم قالت " ولكن الحارسان سيأكلان أيضا"

واستمرت معها هكذا حتى انتهت من درس الكسور بجمعها وطرحها

بيسان مثل أمجد تم رفعها سنة فوق سنها فمن المفترض أنها

في الثانية لكنها الآن في الثالثة الابتدائية وكانت ستخسر هذه

السنة وكل التي تليها بالتأكيد ، نظرت بعدها أرجوان للمعلمة

وقالت " الأمر سهل إن اعتدت عليه"

هزت رأسها وقالت " مستحيل هناك أساسيات لكم لا أعلمها

ولكي أصدقك القول لم أفهم مما قلتما شيئا وكأني أشاهد لغزا

هذا صعب ولا يمكن لغيرك شرحه لها سأحتاج

لجامعة تدرسه لي من جديد"

قلت حينها بضيق " وهل احتاجت الأنسة أرجوان

لجامعة ؟ هي الرغبة فقط"

وقفت وقالت " أعذرنى وابتح عن غيرى عن إنكم "

ثم خرجت من فورها فتأففت وقلت " بيسان اصعدي لغرفتك "

وأخبري أمجد أن ينزل حالا وأخبري الخادمة

ترافق مدرسه إلى هنا "

وقفت وقالت " حسناً "

ثم غادرت وأغلقت الباب خلفها ولم يبق غيري وأرجوان

التي كانت تجمع الأوراق والكتب ثم قالت بهدوء ونظرها

عليهم " تحتاج بعض الوقت لتستوعب الطريقة

ليست صعبة لكنها تحتاج وقتاً "

قلت بضيق " لو كانت ابنتها لاخترعت أفضل منها ولم

تتركها ترسب ولكنهم لا يهتمون سوى بالرواتب "

لأذت بالصمت ولم تعلق على كلامي ودخل حينها أمجد

يتبعه معلمه وأعتقد أن هذه الجلسة ستفشل كتلك ، اقتربا فوقف

أرجوان مبتعدة وجلسا هما الاثنان وقلت " أمجد ما مشكلتك مع الفهم "

قال أمجد من فوره " طريقته مختلفة ولا يريد أن أتعلم غيرها

وفي الامتحانات أربكتني ولم أستطع الإجابة عن شيء

قالت أرجوان " أنا وكما تعلم لم أنهي دراستي بعد الثانوية

وتخصصي كان أدبي والمناهج تغيرت السنيتين الماضيتين

وازدادت تعقيدا لذلك أتخذ أساليب سهلة لتعليمه مما

درسته في كتب تعليم الطالب

قال ربيع " ولكن تلك الكتب لا تتماشى مع طرق

دراستنا إنها أسلوب مختلف

قالت أرجوان " ولكنه صحيح وسهل ولا علاقة له بالمسألة

هوا في خطوات الحل فقط وتكون في ذهن الطالب أثناء الحل

فقط ثم هوا في السنة الرابعة الابتدائية وليس في الثانوية

قال بهدوء " سأحاول الإطلاع عليها بنفسى وأرى رغم

أن الأمر سيكون صعبا لكنى سأحاول

وقفت حينها وقلت " يمكنك المغادرة الآن

وقف ورفع كتابه وغادر فقلت " أمجد عد لغرفتك

خرج من فوره فقلت " يمكنك البقاء حتى الليل سأذهب وأعود مساءً

وأرجعك لمنزلك وإن كنت تريدين الذهاب معي الآن فلا بأس"

قالت بهدوء " المساء أفضل سأشرح لبيسان المزيد من الدروس"

غادرت حينها في صمت وخرجت من القصر ومن المدينة للمركز

\*

\*

كنت جالسة على السرير وأصابعي تلعب على ضفاف تك

الصفحات أقرأ البقية المتبقية من الكتاب

(القصاصه الخامسة - على أعتاب الخريف)

( عند تلك الطاولة الدائرية بأغطية بنفسجية اللون ومزهريه

وزهرة بنفسجية وحكاية من بنفسج وقصيدة في جريدة ملقاة على

تلك الطاولة، هل تعلمين أين أنتي هناك ؟ أنتي الزهرة والغطاء

أنتي البنفسج في الحكاية أنتي الخيال والطائر الحزين الذي يعني

على تلك الشجرة فوق تلك الجريدة ، لكنك لستِ القصيدة أتعلمين

لما !! لأنها ليست بحبر بنفسجي اللون وأتعلمين أنا أين أكون ؟

أنا المزهريه لتلك الزهرة أنا الطاولة لذاك الغطاء وأنا حكاية البنفسج

وطبعا لست الورقة الصفراء التي سقطت على تلك الجريدة أتعلمين لما  
!!

لأنك لستِ تلك القصيدة ، إذاً أنا الغصن حيث يقف ذاك العصفور)

سمعت حينها طرقات على الباب فقلت بهدوء " تفضل"

دخلت الخادمة وقالت " سيدة زهور هناك طرد بريدي وصلك"

نظرت لها باستغراب وقلت " وصلني أنا؟" !

قالت من فورها " بعم"

قلت باختصار " ضعيه هناك"

وضعتة على الطاولة وقالت " السيدة الكبيرة قالت أسألك إن"

قاطعتها ببرود " سأتناوله في غرفتي كم مرة

سأقولها وأغلق الباب خلفك"

قالت من فورها " حاضر سيدتي كما تريدين"

ثم خرجت وأغلقت الباب ، بعد وقت غادرت السرير وتوجهت

للطرد ، كان شيئا مغلفا وكأنه علبة مسطحة بلا طابع بريدية

ولا عنوان ، أي طرد هذا !! ، أزلت الغلاف من عليه فكانت

علبة بنفسجية فتحتها برفع غطاها فكان فيها كتاب وزهرة بنفسجية

من النوع المفضل لي ، رفعت الزهرة ثم الكتاب فكان كتاب

(قصاصات من ألم ) للكاتب ( رضا أسعد الحارث)

وبطاقة داخل الصندوق رفعتها فكان مكتوب فيها

(لا تمزقيني مع كتاباتي يا زهور ليس من العدل

قتل قلب كاتب يعشق بجنون)

رميت البطاقة والزهرة وحتى الكتاب في الصندوق وعدت

لسريري، كاذب ... أنا لم أعدك بشيء يوما كنا أطفال نعبث

ونلعب ، كنت تقوم بتهريبي من نافذة غرفتي كي لا تراني

والدتي ونلعب في الخارج ، تحضر لي الأشياء الممنوعة عني

والتي أحبها ، تغني لي كثيرا رغم أنني لا افهم كلمات أغانيك

كنت معتادة عليك وكنت تعبت ... أجل عبثت كثيرا حتى

دمرت كل شيء لكنك لست عاشق ولم أعدك أنا بشيء

مررت حينها أصابعي على الجرح القديم في عنقي وعاد

الألم لقلبي المكسور ، أنت تعي يا رضا أي أذى سببته لي

في زواجي بذاك لكنك لا تعلم حجم الألم في داخلي من

تسترك عن أمر كذلك الأمر ، لقد شوهتني من

الداخل يا رضا ... لقد دمرتني

\*

\*

مر بي الوقت من مركز الشرطة لمكتبي للمصنع الذي تتكرر

فيه الجرائم الغامضة حتى سرقتي الليل وسرقت منه الكثير

رن هاتفي نظرت للمتصل ثم أجبت قائلاً " نعم يا نزار "

قال من فوره " أريد مقابلتك سريعاً "

قلت بتوجس " لما ما الذي حدث معك هل والدتك بخير "

قال " تعبت اليوم لكنها أفضل وستخرج غداً من المستشفى أريدك

في أمر مختلف وشيء آخر والدتي تسال عنك وعن

وعدك بإحضار أطفالك لها "

قلت من فوري " سنزورها خلال أيام العيد ، أخبرني أنت ما بك "

قال على عجلة " نتقابل في أسرع وقت ماذا قلت"

قلت " أنا الآن منكم وأكاد أنام واقفا وورائي مشوار للقصر

وعودة هنا ثم عودة هناك ، غدا نتقابل حسنا"

قال من فوره " حسنا وياكرا اتفقنا"

قلت بابتسامة " لا أعدك بذلك ولكن سأحاول ، تصبح على خير"

أغلقت الخط منه وركبت سيارتي وعدت من فوري للقصر ودخلت

مسرعا فعليا أخذها والعودة ، كم أنا منهك ولا تدري عني لرحمتي

ونامت هنا، وصلت غرفة الفتاتين وطرقت الباب عدة طرقات ولم

يجب أحد ففتحته ولم يكن في الغرفة أحد ، غريب أين يكونون!!

لو لم يكن القصر محاطا بالحراسة المشددة لقلت أنها كررت فعلة

حسنا ، توجهت لغرفة امجد وطرقت الباب وأيضا لا مجيب ففتحته

ببطء فكانوا ينامون جميعهم معها على ذات السرير ... ترف وبيسان

في حضنها وامجد نائم فوقهم شبه بالعرض ، ابتسمت على منظرهم

وبقيت واقفا مكاني لوقت حتى سمعت صوت والدتي من خلفي

قائلة " يبدوا أنك تفكر في مشروع زواج"

أغلت الباب بهدوء ونظرت لها وقلت بصوت

منخفض " لا أعلم "

ثم هممت بالمغادرة جهة جناحي حين استوقفني صوتها قائلة

" أخبرتك سابقا عن ابنة راضية فما يميز هذه عن تلك "

التفتت لها وقلت " أمي أنا إن تزوجت فمن أجل أبنائي

ابنة راضية غيرها لا يهم وهذه لديها سبب يرجحها "

نظرت لي نظرة أفهمها جيدا فقلت " لا شيء مما في رأسك "

قالت مغادرة " أتمنى ذلك لأن الرجل إن ابتلي بعشق

امرأة تحول لأرجوحة في يدها "

تنهدت بضيق ولحقتها لجناحها تحدثنا قليلا ثم توجهت

لجناحي استحممت ونمت فورا

\*

\*

استيقظت مبكرا وغادرت غرفة الأطفال ونزلت للأسفل

وسألت إحدى الخادמות عنه فقالت لم ينزل من جناحه بعد

فجلست انتظر حتى مر بجواري فوقفت وقلت " سيد جابر"  
التفت لي في صمت فقلت " هلا أعدتني لمنزلي من فضلك"  
سكت لوقت ثم قال " أمازلتِ مصرة على رفض عرضي لك"  
قلت بهدوء " نعم وأسبابي وحدي أفهمها ، يمكنني تقديم المساعدة  
من أجلهم في أي شيء وغير ذلك لا أستطيع ، يمكنك التعاقد مع  
معلمة جديدة لبيسان وتأتيني يوميا لأعلمها طريقتنا ومعلم  
أمجد و عدك أنه سيحاول مع الكتاب المساعد للطالب"  
قال مغادرا جهة الباب " اتبعيني للسيارة"  
سرت خلفه أردد بهمس " ياله من متحجر ومغرور حتى أنه لم  
يشكرني أو يعتذر لأنه لم يأتي مساء أمس ليأخذني لمنزلي"  
وخيرا فعل فهكذا أفضل لي ولهم أن أذهب وهم نيام ، ركب  
السيارة وركبت أنا أيضا وانطلقنا من فورنا خارجين من القصر  
كان لا شيء طوال الطريق إلا الصمت وهاتفه كان يضيء طوال  
الوقت وهو لا يجيب عليه ، عندما اقتربنا من المنزل قال

"خلال هذا الأسبوع سنكتب كتابنا"

ثم رفع هاتفه وأجاب على المتصل وكان شيء لم يكن

نهاية الفصل السابع أتمنى يكون نال إعجابكم

طبعا همس الريح من توقعت إن جابر بياخذ أرجوان لأولاده يومين

وتوقعها فاجأني ما تخيلت بيخطر على بالكم فهدية الفصل من

نصيبتها وهي أي جزئية من الفصل الجاي تحب تنكشف لها

طبعا حدث واحد بحواره والاختيار ليك هموسة وتستاھلي

وأعتذر من إلي راحت توقعاتهم هدر لكننا في البداية والجاي

أكثر من إلي راح إن شاء الله

ودمتم في رعاية الله وحفظه أخواتي الحبيبات على قلبي

الفصل الثامن

سمعنا صوت تحطم لأواني فوقفت وتوجهت لخارج الغرفة

ركضا، كانت وسن تجمع الأطباق والطعام من الأرض وتضعه

في الصينية... يالا الكارثة هل سمعت ما دار بيننا يا ترى

اقتربت منها ورفعت يدها التي تنزف وهي وكأنها لا تراها وقلت

"وسن يدك مجروحة أتركي كل شيء و فتحية ستأتي لتنظيفه"

انصاعت لي وكأنها دميمة تتحرك دون ردة فعل ، وصلت بها

للمطبخ وفتحت صنوبر المياه لأغسل الدم وأرى الجرح ، كان

بسيطا وسطحيا، ناديت على فتحية فجاءت من فورها وقالت " نعم"

قلت وأنا أغلق الصنوبر " هاتي لي شاشا ومعقم جروح واجمعي

الأطباق المكسورة والطعام من الأرض أمام غرفة والدتي"

خرجت من فورها ، كنت ضاغطا على الجرح بيدي كي لا ينزف

أكثر وقلت " جرح بسيط سنعقمه ونلفه بالشاش وينتهي الأمر"

وطبعا لا مجيب ولا أي رد فعل ، أحضرت فتحية ما طلبت منها

ولففت الجرح فخرجت قبلي من المطبخ وتوجهت لغرفة والدتي

وأنا أسير خلفها ، دخلتُ فقالت والدتي مباشرة

"وسن ما بك يا ابنتي"

لم تجبها بل أخذت حقيبة يدها من على الأريكة وقالت ببحة

## "جواد خذني لمنزلنا"

نظرت لوالدتي ثم لها فقالت أُمي " أين يا وسن ! ستقضين

النهار معي وسنتحدث فيما تركناه البارحة"

كانت تتنفس بقوة وتنظر لنا وكأنها تائهة في الصحراء

فقلت " أجلسي يا وسن وسوف آخذك فيما بعد

هل سترفضين طلب والدتي منك"

جلست في صمت ... لو أعرف فيما تفكر وما سر هذا الصمت

المخيف، أشعر وكأنها ستقع ميتة في أي لحظة ، تكلمتُ ووالدتي

أمامها عن موضوع سفري وعن كل ما يخصه وهي كالكرسي

الذي تجلس عليه عيناها في الأرض وكأنها منفصلة عن عالمنا وتهز

رأسها بنعم كلما قلت ( ما رأيك يا وسن ) كنت أريد أن أحثها على

الحديث ولكن على ما يبدووا لي هي لا تعي حتى ما نقول حتى أنها

لم تنتبه أنني قلت بأنني سوف آخذ فرح معي رغم أنها لا تعلم

بالموضوع حتى الآن ، نظرتُ جهة والدتي وأشرت لها بعيناي

على وسن وأشرت بأصبعي على أذني لتفهم أنها سمعت حديثنا السابق

فأشارت لي بعيناها أن أخرج وأتركهما وحدهما ففعلت على الفور

خرجت من المنزل فوصلتني رسالة من والدتي وفيها باختصار

(أخبر نواس يأتي هنا بعد الغداء ولا تخبره عن شيء)

ترى ما الذي تخطط له والدتي ! وسن لن نستطيع رؤيته في

هذه الحالة، أرسلت لها

(سأكون قريبا من المنزل اتصلي بي فورا إن تعبت وسن)

\*

\*

ربّنتُ بيدي على السرير بجانبتي وقلت

"تعالى اجلسى بجانبى يا وسن"

امتثلت لي من فورها وجلست حيث قلت واتكأت برأسها

على كتفى فقلت ماسحة على كتفها " حين كنت في سنك كنت

أحب ابن عمى كثيرا ، كنا نجلس معا ونتحدث بالساعات ، كان

يغدقنى بكلماته الغرامية وأنا فتاة بقلب حالم فتعلقت به حد الإدمان

ثم سافر للخارج من أجل إكمال دراسته ولم يرجع حتى اليوم بل

وتزوج بواحدة من هناك بعد عام من سفره ، لقد تعبت كثيرا بادئ

الأمر حتى أنني وصلت لمرحلة كرهت فيها الرجال وأصبحت

أراهم صنف واحد لا يختلفون عن بعض حتى تزوجت من

زوجي رحمه الله وعلمت أن نظريتي كانت خاطئة

وأنني أرهقت نفسي بلا داعي وأكتشف " ...

قاطعتني قائلة بهمس " نواس تزوج يا خالتي "

تنهدت وقلت بحزن " أعلم يا وسن وهذا سبب تعبي بالأمس

وسن يا ابنتي أنتما جربتما شيئا لم ينجح فلا تقف الحياة هناك "

قالت بهمس خافت " قتلني يا خالتي قتلني "

قبلت رأسها وقلت " لازال يحبك يا وسن لازال كما كان "

هذه العبارة آخر ما كنت أود قوله لها لكننا سنفقدنا على هذه

الحال، قالت بعبارة " كذب .... لا يحبني أبدا "

أشرت بيدي للممرضة وهمست لها بشفتاي أن تحضر الحبوب

المسكنة لأنني لاحظتها منذ وقت تمسك معدتها بين الحين

والآخر ، ناولتني إياهم فقلت " لا تكوني مثلي في الماضي يا وسن

لا تدمري نفسك فالحياة ستمضي والناس ستعيش أنتي فقط من

ستبقي في الخلف وكل عام سيضيع منك ستندمين عليه فيما بعد"

قالت بهمس " تزوج .... قال لن أكون لغيرها ، قالها

لوالدي مرارا ... وسن لي ولن أكون لغيرها"

قلت بهدوء " أنا أريد وأنت تريد والله يفعل ما يريد يا وسن

تلك هي الحياة وأنتي كنتي ستتزوجين بغيره ولم تريدي ذلك"

قالت بحزن " كنت مجبرة أما هوا فلا ، هوا تركني من نفسه

وتزوج بغيري ، لم يُقدر ظروفِي .... حتى أنه لم يبرر

لي سبب ما فعل ولم يصدق عذري"

قلت بهدوء " هوا لم يُكذبك يا وسن هوا مجروح منك بشدة

إن كان هوا من تركك وأنتما مخطوبان وزواجكما قريب وبدون

أن يعلمك وخطب أخرى هل كنتي ستسامحينه حين يعود إليك ومهما

كان العذر الذي سيقدمه لك ؟ حتى الناس لن تتقبل عودتك إليه حينها

لا أحد يرضى بها يا ابنتي ، لبيتك أخبرته وقتها يا وسن

لو فقط وضعته في الصورة لما حدث ما حدث"

قالت ببكاء " ليثني مت يا خالتي ولم أدرك هذا اليوم"

ثم جلست مبتعدة عن حضني وقالت " لا أريد أن يصرف علي

لا أريد نقوده ، لا أريده في حياتي ولا بأي شكل"

تنهدت وقلت " وهل يرضيك أن تتركي دراستك وأنتي في سنتك

الأخيرة وأن تعلمي ونحن عائلتك موجودين ، أنا لن أرضى بذلك

يا وسن ولازال بي نفس في الحياة وبعد موتي أحرقوا الدنيا

أنتي ونواس والمنتصر يفعل ما يريد"

أمسكت وجهي بيدها وقالت بدمعة تتدلى من رموشها

"لا خالتي لا تقولي هذا ، لا تتركيني أنتي أيضا فيكفيني من

فراق الأموات والأحياء ... أمي ثم والدي وشقيقي ثم نواس

فزوجة والدي وفرح من يبقى لي بعدك من"

أمسكت يدها قبلتها وقلت " لن أتركك يا وسن إلا إن نفذ أمر الله

وأنتي تري صحتي من رديء لأردأ منه ، أريد أن أطمئن عليك

أريد أن أحفظ أمانة شقيقتي التي أوصتني بها قبل أن تموت"

ثم رفعتُ علبة الحبوب وقلت " خذي يا وسن المسكن"

هزت رأسها بلا وقالت " أنا أفضل الآن لا أريدها"

تنهدت وقلت " هذا لأنك تحدثت ولم تسجني ألمك في نفسك كعادتك"

هزت رأسها مجددا وقالت بدمعة تدرجت من عيناها

"لما أنا لازلت في وعيي ولم أجن ، لما لم أفقد عقلي حتى

الآن أو يغمى علي ، كنت أتصور أن أموت إن تزوج نواس يوما

بأخرى ، لما لم أمت حتى الآن لما"

مسحتُ دمعة تمردت من عيني ثم مدت يدي ومسحت دمعتها

وقلت " هذا لأن الحياة تريدك ولا زال لديها المزيد من

الأشياء التي تستحق لتعيشي من أجلها"

هزت رأسها بلا وقالت " بل لأنه جرعتها لي على جرعات

دفعة دفعة كي لا أموت قبل أن أرى زوجته في

حضنه وأبنائه منها يلعبون حولهم"

قاطعتها بضيق " وسن لا تحقدي عليه ، لا تحاولي

قتل قلبك بل اقتلي حبه فيه"

ابتسمت بسخرية ولم تعلق فقلت بهدوء

"هيا قفي واحضري لي اللعبة الخشبية في أسفل خزانتي"

وقفت وأحضرتها وعادت للجلوس ففتحتها وقلت

"في هذا الجزء حلي والدتك أحضرتهم لي قبل موتها بيومين

سبحان الله وكان ثمة من أخبرها أنها ستترك الحياة ، أوصتني

عليك كثيرا وطلبت مني أن أترك حليها لك ولا أعطيهم لك إلا

حين تحتاجهم بشدة ولا حتى حين تتزوجي ، لم تكن ستكفي ديون

والدك لكنت أعطيها لك وبعد وفاته رفض نواس أن يأخذها

ويزيد عليها باقي ثمن الدين"

ثم أشرت للجزء الآخر منه وقلت " وهذه حليي أنا خدي كل هذا

وأكملي دراستك ثم اعلمي بشهادتك ولا تضيعي مستقبلك يا وسن"

لأنت بالصمت وعيناها في عيناى فقلت

"لن تدرسي من ماله أليس هذا ما تريدينه"

هزت رأسها بنعم فقلت " بقي موضوع سفر فرح وجواد سنتناقش

فيما يخصه لاحقاً والآن هيا لنتناول إفطارنا المتأخر "

جلبت الممرضة الفطور وجلسنا نفطر معا وحاولنا فتح مواضيع

عدة أنا والممرضة ولكن وسن كانت وكأنها ليست معنا

كانت جثة بلا روح مجرد خيال ، وهذا المتوقع فلن

تجتاز الصدمة في يوم واحد وقدم نواس قد يزيد الأمور

سوءً لكن علينا حل كل هذه المشكلات التي تدفع وسن نمنها

\*

\*

قال وهو يكشف عن مكان أسنانها " كم عمرها قلت لي "

ابتسمت وقلت " قلت لك سبع سنين هل ستتأكد من أسنانها "

ضحك وقال وهو يمسخ على وجهها " لا يحتاج الأمر أن افحصها

يكفي الغرة التي تدل على أنها من النوع النادر الذي أريده "

ضربت بيدي بخفة على عنقها وقلت " والسعر هل سنرسي على ما قلت

"

نظر جهة ساحة التدريب حيث الوسن تحرك رأسها ويتطاير شعرها

الأسود مع الهواء وقال " أعطني تلك الشعلاء الشهباء

وسأعطيك في هذه فوق ما تريد"

قلت بابتسامة صغيرة ونظري عليها " تلك لا أبيعها لك ولا بكل ثروتك"

ضحك وقال " هل تضع تلك الفرس فوق هذه النادرة"

قلت من فوري " هي عندي لا أخرى مثلها"

عاد بنظره للفرس أمامنا وقال وهو يلعب بشعرها

"إذا اتفقنا وأريد مولودة معها ولن آخذها الآن"

قلت " إذا السعر سيزيد"

ضحك وقال " ولما وهما ستزدادان عمرا"

قلت بعد ضحكة صغيرة " أنت تعلم أنهما سيكلفان

أعني لا فنادق بالمجان هنا"

ضحك وقال " اعتبرني لم أشتريهم بعد"

ضربت على ظهرها وقلت " إذا إن جاء غيرك بعت له"

هز رأسه وقال " أنت لا يمكن التغلب عليك أبدا ، حسنا

اتفقنا سيبقيان لشهور قليلة فاحسب كل تكلفة طعامهما والاهتمام

بهما ولك ما تريد"

ثم قال بمكر " اخبرني ما تطعم خيولك"

ضحكت وقلت " هل تريد حساب التكلفة"

قال بعد ضحكة عالية " لا بل أريد أن أعرف فقط"

قلت وأنا أمسح على عنق الفرس أمامي

"أكثر ما يحب الفرس ورق الرودس وكميات لا بأس بها

من التفاح والتمر والذرة"

قال بابتسامة " البرسيم والشعير أقل كلفة لهذا هي مدللة وقوية"

ثم غمز بعينه جهة الوسن وقال " وما تأكل تلك"

ضحكت وقلت " تلك لا يخلوا يومها من السكر النباتي"

أمسك كتفي وقال ضاحكا " يبدوا أنك مبتلى بعشق امرأة

بيضاء وبشعر أسود كفرسك تلك"

قلت بابتسامة صغيرة " أعشقها وأعشق حتى اسمها"

بقي ينظر لي بصدمة فقلت بعد ضحكة " أعني الفرس فهي فرسي

الأولى رغبت بها ما أن رأيته وسميتها قبل أن أشتريها"

ربت على كتفي وقال " إذا اشتريت واتفقتنا سأدفع لك عربونك

وسأكون لديك هنا الأسبوع القادم ونكمل كل شيء"

قلت من فوري " ألن تتناول الغداء معي"

قال متوجها جهة سيارته " في المرة القادمة"

ثم ركب وأغلق الباب وفتح النافذة وقال مبتسما وهو يحرك سيارته

" لا تنسى أن تطعم فرسي السكر والحلويات"

ثم ضحكنا معا وغادر المزرعة ، توجهت بعدها لمنزل المزرعة

دخلت وقابلني وليد فقلت مجتازا له " تأكد من أنهم نظفوا

أعنة ورشوم الخيول جيدا أنا سأغادر الآن"

قال بصوت مرتفع لأسمعه " ألن تتناول الغداء"

قلت وأنا أصعد السلالم " لا رغبة لي في الطعام ، تغذى

أنت وجواد فهوا في طريقه إلى هنا"

صعدت لغرفتي أخذت بعض الأوراق ونزلت فكان ينتظرنني في

الأسفل فقلت بضحكة " ما بك وكأنك زوجتي"

ضحك كثيرا ثم قال " لو كنت زوجتك للحتت بك

للغرفة ولم أتركك تخرج منها"

لكمته على خده وضحكنا سويا ثم قال وهو يلحقتني لأنني

غادرت من عنده " اتصلت بعائلة الشعاب كما طلبت"

قلت وأنا اركب السيارة " جيد وما قالت لك جاسوستك هناك"

ضحك وقال وهو يتكأ بذراعه على باب السيارة المفتوح

"تلك الخادمة الجشعة لم يعد يرضيها ما أدفعه لها وتريد المزيد

وقالت لم يعودوا يسجنوها وتوقفوا عن ضربها أيضا"

سحبت الباب من تحت ذراعه وقلت " ذلك أفضل وداعا الآن"

ثم غادرت المزرعة لمدينتي لأرى ما تريد والدتي مني وغريب

أنها طلبت من جواد إخباري ولم تتصل بي بنفسها

\*

\*

طرقت عليا الخادمة الباب لتخبرني أن شقيقي الأكبر يريدني في

الأسفل ، وما سيصنعه بي ولما توقفت زياراتهم لي منذ أمس!

هل الزواج وحده الذي كان سيحررني منهم ، لما ليس ثقتهم بي

ولا حبهام لي ، نزلت للأسفل ببيجامة النوم على غير عاداتي...  
مي المحترمة التي تخجل من أن تظهر أمام أشقائها بملابس النوم  
وشعري مفتوح تتدلى خصلاته على وجهي وجبيني وهم لم يروه  
مفتوحا يوما ، لكن مي ماتت ... نعم ماتت مع ماضيها النظيف وبقيت

النجسة فقط ، وصلت للأسفل وكانوا ثلاثتهم هناك مجتمعين  
وصلت في صمت وجلست مبتعدة عنهم وعينا في أعينهم  
بعدها قتلوا نظرة الاحترام المكسورة التي اعتدت عليها أمامهم  
قال رافع وهو الأكبر " مدير أعمال زوجك اتصل وقال أنه  
أودع نقود جهازك في حساب عمي سعيد كما مهرك"  
هه يبدوا ذاك الزوج يفكر جيدا ولم يسلم لهم المال ليسددوا به  
ما تبقى من ديون خسارتهم بعدما عبثوا بتجارتنا بعد وفاة

والدي، قال بعدما طال صمتي " أخرجني برفقة

أسماء أو عالية لتشتري ما يلزمك"

قلت ببرود " لن أخرج ولن أشتري"

نظروا لي بصدمة ... نعم نوقوا مي الجديدة التي صنعتموها

بأنفسكم، قال عصام " وكيف تذهبين له من غير جهاز"

قلت بذات برودي " وما الحاجة له ، نجسة تتجهز يالا

المسخرة ، ولمن !! لعجوز قد لا يراها"

قال عاصم " عجوز !! بل شاب ولم يسبق له الزواج"

قلت بضيق " وما الذي يجعلكم توافقون على شاب يتزوج بي

لما لم تفكروا في عواقب هذا الأمر ؟ سوف يرميني لكم من

جديد ولن نجني شيئا سوى المزيد من الهرج والشائعات"

قال رافع " لن يطلقك لأنه وضع شرطا بأنه من يكتب ورقة طلاقه

منك سيكتب ورقة زواجك بغيره وبموافقتك أو لن يطلق أبدا"

وقفت وقلت " ما هذه المهزلة كيف يرضى بي ويضع

شرطا كهذا هل لأحدكم أن يشرح لي"

وقف رافع وقال بحدة " لم نعرفك ترفعي صوتك علينا

وتخالفينا أم سقطت القشرة يا مدللة والدك"

قلت بحسرة " ومدلتك حتى أنت في الماضي يا رافع إن نسيت"

ضغط قبضة يده ثم قال بغضب " قلت تتجهزي يعني تتجهزي

ولا تفضحيننا مع الرجل بلسانك الطويل الجديد"

قلت بسخرية " لا تخف لن أفرط في الزوج العزيز

فلن يكون أسوء مما رأيت هنا"

تقدم ناحيتي عدة خطوات يقبض يده وقال بغضب

"مي لا تطريني لضربك مجددا"

قلت بحدة " مد يدك علي وسأخبر عمي سعيد ليخبر

زوجي فلم أعد للسبيل يضربني من مر من أمامي"

ثم صعدت لغرفتي وتركتهم وارتيمت على السرير أبكي

حياتي الضائعة والمتبقي منها والله وحده يعلم ما سيكون

\*

\*

دخلت المنزل وتوجهت من فوري لغرفة والدتي طرقت الباب

وفتحته وصدمت بوجوده وسن معها وهي نظرت لي بصدمة لا تقل

عن صدمتي ويبدووا أنها لا تعلم بقدمي ، نظرت بعدها لوالدتي

فقالته بهدوء " ادخل واجلس يا نواس"

بقيت أنظر لها كالتائه ... ما قصة ما تفعله أُمي وما الذي يجري

وقفت حينها وسن وحملت حقيبة يدها تريد المغادرة فقالت أُمي

"أجلسي يا وسن وأنت تجلس أم لا كلمة لي لدى أي منكما"

كانت وسن ستتحدث فأسكتتها قائلة

"من لا يجلس الآن ويستمع لي لا أعرفه ولا أعترف به"

جلستُ مشيخةً بوجهها جانباً وتقدمت أنا وجلستُ مقابلاً

لها في صمت فقالت أُمي " لن نترك المشاكل عالقة ولن أسمح

لعنادكما أن يدمر مستقبل ابنة شقيقتي ، وسن ستكمل دراستها

من مالها وحين تتخرج لها الخيار"

قاطعتها محاولاً الكلام فقالت بحدة

"لا أحد منكما يتحدث حتى أنهى كلامي"

عدت للصمت ونظري على وسن لم يفارقها وهذا حالي في

كل مرة أشعر أنني أودعها للأبد ، تابعت أُمي

"وستعيش وسن هنا معي بعد سفر جواد وفرح"

نظرت لها وسن بصدمة فقالت " هنا منزل خالتك إلا إن كنتي

لا تعتبريني خالة لك ، هذا ليس منزل أحد غيري وستبقي معي

فيه حتى تخرجي منه عروسا لبيت زوجك أو أموت"

كل خيار منهما كان كالسم ، وسن من حقها أن تتزوج وتعيش

حياتها لكن كيف لما لا أستطيع تقبل الفكرة ولا بأي شكل

نعم مجروح منها حد الوجد وأعشقها حد أني لا أريد أن يلمس

رجل غيري ولا خصلة من شعرها لأنني سوف أجن حينها بالتأكيد

رفعت حينها وسن عيناها لتلتقي بعيناي ونزلت منهما دمعة تتدلى

على رموشها الطويلة ... لغة لا تتقنها سواها ودموع لا يعرف

غيرها كيف يبكيها ، أخفضت بعدها نظرها وقالت ببحة

"لم أرضى أن يتصدق عليا بالمال فلن يتصدق عليا بالمأوى

فإن بقيت معك هنا لن أخرج لمكان غيره"

هي تعلم أني أريد من والدتي أن تنتقل للعيش معي في المزرعة

وهذا ما ترمي إليه بالتأكيد ، وسن الجديدة وسن التي تقتل وسني

يوما بعد يوم حتى نجد أنفسنا في يوم أندم فيه أنني قتلتها ووقتها

قد أتمكن من أن أغفر لها ، قلت ببرود " أعتقد يا وسن

أني المسئول عنك بعيدا عن كل مشاكلنا وتراكمات

الماضي فأنا وليك وأنا كلمتي النافذة"

نظرت لي بجمود وقالت " كلمتك على زوجتك وليس علي"

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

وقفت وسط المنزل ولم أعرف في أي اتجاه سأتحرك

هل أخرج أم أبحث عنها هنا ؟ فكان أول ما فعلته ولا إراديا

أن ناديت " سما أين أنتي"

كانت فكرة غبية ولكن ليس لي غيرها ، هل والدتي معها حق

وأنها لعبت تلك اللعبة لتسرقني أو تلتقط صور لغرفتي وتفعل

بها ما تريد ، لكنها لا تعلم أنني راقبت حافلتها ونزلت كما قالت

في مكان مقطوع واجتازت الأشجار

توجهت نحو باب المنزل وخرجت ووقفت أمامه لا أعلم ما سأفعل

سوى أنه عليا الخروج ، أخرجت هاتفي واتصلت بجابر لأقابه في

أقرب وقت فإن كانت قصة ما حدث لعائلتها حقيقية سيكون على

علم بها بالتأكيد ، عدت ودخلت المنزل فلا خيارات لدي في هذا

الليل المتأخر سوى جابر ولكن مهلا هي تحدثت عن قبوا يفتح

لخارج منزلهم بمسافة لهذا لم أجدها ذاك اليوم واختفت بين الأشجار

المتباعدة وهذا يعني أن ما قالته حقيقة ، ولكن ذاك المكان بعيد عن

هنا هل ستنام الليلة في الشارع كما حدث حين تركت منزل تلك السيدة!

هممت بالخروج مجددا ووصلت عند الباب فاستوقفتني حينها صوتا يقول

"أستاذ نزار"

التفتت للخلف مباشرة وكانت هي خلفي تحتضن حقيبتها المدرسية

ولم تغادر المنزل ، بقيت أنظر لها مطولا بصدمة ثم قلت

"سما أين كنتِ" !!

أشارت بإصبعها للمطبخ وقالت

"في الخزانة ، خفت أنك تكذب علي وستسلمني لهم"

أخفظت رأسي وهزرتة ضاحكا ثم نظرت لها وقلت

"وأنا ظننتك هربتِ وكنتِ تكذبين علي"

ضمت حقيبتها أكثر وقالت بحزن " أخبرتك أنك لن تصدقني "

يا إلهي كيف نسيت أنني أتعامل مع مراهقة طفولية ، قلت بجدية

"بلى أصدقك فقط لعبت بي الظنون قليلا بادئ الأمر ثم لو لم

أصدقك ما كنت سأخرج للتو للبحث عنك"

بقيت تنظر لي بصمت فقلت بابتسامة " وأين أخفيتي كيس الطعام"

أخفضت بصرها وضحكت ضحكة صغيرة ثم قالت " في حقيبتني "

قلت مبتسما " حسنا عودي الآن للغرفة ونامي وغدا سنتحدث حسنا"

هزت رأسها بحسنا ثم توجهت ناحية السلالم وصعدت في صمت

وتوجهت أنا لغرفة والدتي ونمت هناك ولم أتذكر إلا وقت الفجر أنني

لم أخبرها بما كنت سأقوله لها فكتبته في ورقة وتركته لها عند الباب

\*

\*

كنت أحاول ترتيب مفرش السرير تحتي حين طرق أحدهم الباب

ودخلت دعاء وقالت مبتسمة " صباح الخير ما كل هذا النشاط"

قلت مبادلة لها لابتسامة " هكذا نحن العجائز نمرض في

الليل وتنشط أسننتنا في الصباح"

ضحكت وقالت وهي تأخذ كيس الأدوية

"ليت الكل بطيبتك ، ثم أنتي لست عجوز"

قلت وأنا أساعدها في جمع أدويتي " أي لست عجوز هذه ، لو نزار

تزوج منذ ذاك الوقت لكان ابنه الآن سيدخل الثانوية قريبا"

ابتسمت حينها دعاء بأريحية لأنها فهمت أن ما قالته رهام

محض كذب، لو أفهم فقط أي لعبة يلعبانها هما الاثنان وكم

أخشى من عواقب هذا فيكفي ابني عقد لم تشفى بعد ليزيدوها

على ما فيها ، دخل حينها نزار بعدما طرق الباب

وقال بابتسامة ونظره علي " صباح الخير"

قلنا معا " صباح النور"

اقترب بالكرسي وقال " هيا منزلك اشتاق لك أم أنك تريدين البقاء هنا"

ابتسمت وأنزلت قدمي من على السرير وقلت

"ومن يحب البقاء في المستشفى غير الأطباء والممرضين"

قالت دعاء بعد ضحكة " ومن قال أننا نحبه هي لقمة العيش فقط "

ثم تابعت ونزار يجلسني على الكرسي

"يمكنني أخذها في طريقي لتلحق حصصك"

قال وهو يعدل ثيابه ونظره عليهم

"وكيف علمت أن عندي الحصص الأولى"

أخفضت بصرها وقالت خجلة

"من زيارتي لوالدتك في نفس اليوم من الأسبوع الماضي"

نظر لها وقال " وأنتي متعبة من سهرك البارحة في مناوبتك

فلا تتعبي نفسك أكثر وشكرا لك على كل شيء "

ثم غادر يسحبني معه على ابتسامة الدهشة والرضا منها لأنه

انتبه لأوقات عملها هنا ، دعاء فتاة طيبة ومحبوبة فما في الأمر

إن تحركت مشاعره لها ولكن الخوف يبقى من رهام لأنها

وعلى ما يبدووا تعرف شيئا وتريد إبعاد دعاء عنه بأي طريقة

ركبنا المصعد فرفعت رأسي ونظرت له وقلت

"ماذا حدث في أمر الفتاة"

قال ونظره على أرقام المصعد " حين أعود من

المدرسة نتحدث أُمي حسناً"

تنهدت بضيق ولذت بالصمت ، وصل بي المنزل وأوصلني حتى

سريري وساعدني للجلوس عليه وغادر في صمت ، غريب أين تلك

التي قال عنها !! المنزل لا يبدووا به أحد ، ويحك يا نزار هل

تنام الفتاة في الأعلى ؟ أمسكت المصحف وبقيت أقرأ فيه لوقت حتى

سمعت صوتاً خفيفاً جهة الباب فرفعت نظري فكانت ثمة فتاة....

لا لم تكن كما تخيلتها هذه صغيرة جداً أعتقد لم تتجاوز الرابعة

أو الخامسة عشر من عمرها بعينان زرقاء واسعة وشعر

كسنتائي ممسوك للخلف شفتان صغيرتان وملامح طفولية جداً

ونظرتها كانت بريئة جداً وحزينة وترتدي زياً مدرسياً ، فهمت

الآن هوا جلبها من المدرسة ، قالت بهدوء " صباح الخير يا خالة"

قلت بعد صمت " تعالي اقتربي"

اقتربت مني بخطوات بطيئة ثم قالت بأدب " آسفة سيدتي إن

سببت لك إزعاجا بوجودي هنا ، إن كنتي لا تريدي بقائي

غادرت حالا ... أقسم لك"

أجزم أن هذه الفتاة من عائلة غنية وعاشت كل حياتها بين الأثرياء

أسلوبها وأدبها وحتى نبرة حديثها تدل على ذلك ولا أعلم لما تدخل

القلب بسهولة ، قلت بابتسامة " اقتربي يا ابنتي واجلسي هنا على  
الكرسي"

اقتربت أكثر ثم جلست على الكرسي أمامي وقالت

" حمدا لله على سلامتكم قال لي الأستاذ نزار أنك في

المستشفى وسيخرجك اليوم من هناك"

قلت بهدوء " هل أنتي إحدى طالباته"

أخفضت نظرها وقالت " نعم"

قلت " ما أسمك وأين هم عائلتك"

قالت بدمعة غلبتها تمسحها بكمها " أسمى سما وعائلتي ماتوا جميعهم  
"

أحسست حينها بغصة في صدري ، مسكينة هذه الفتاة إن كانت

كما قال نزار فهم ماتوا مقتولين ويبدوا أمامها

قلت بحنان " الله لا يموت يا سما فلا تحزني "

نظرت لي وقالت بابتسامة حزينة وعينان دامعتان

"امي كانت تقول لي هذا دائما"

ربتُ بيدي على السرير وقلت " تعالي اجلسي بجانبني "

وقفت من فورها وجلست حيث قلت فمسحت على شعرها وقلت

" احكي لي قصتك يا سما "

اتكأت على كتفي وبدأت بسرد قصة أشبه للخيال من الواقع وهي

تبكي كل حين وتمسح دموعها ، مسكينة يا صغيرة كيف تعيشين

بعقلك حتى الآن ! يبدوا لي قد فعل نزار الصواب بجلبها إلى هنا

قلت بحنان ماسحة على شعرها " نزار وعدك أنه

سيساعدك وسيفعل فاطمئني "

هزت رأسها بحسنا دون كلام فقلت " هل تناولت إفطارك "

جلست مبتعدة عني وقالت " لا "

قلت بابتسامة " ولا أنا هل تجيدين طهوا الطعام ؟ تبدين صغيرة

لذلك علينا أن ننتظر نزار ليطعم السيدتان الكسولتان"

ابتسمت ابتسامة صغيرة ثم قالت " بلى أعرف كيف أطهوا

أطباقا كثيرة عربية وحتى هندية أُمي كانت تتركني أساعدها

لأن والدي لم يكن يحب أن يأكل غير طعامها"

قلت بحزن " لما لا تقولي رحمهما الله كلما ذكرت اسمهما

يا سما ، ذاك الدعاء يفيدهما حيث هما الآن"

تدحرجت دموعها وقالت بحزن " لا استطيع أشعر أنهما على قيد

الحياة وهذه الجملة تسبب لي اليأس والحزن"

تنهدت وقلت " سما أنتي امرأة عاقلة ومسلمة عليك الإيمان بالموت

والرضا بحكم الله لأنه العدل في السماء والأرض"

مسحت دموعها وهزت رأسها بحسنا ثم وقفت وقالت

" هل تسمح لي أن أقبل رأسك يا خالة"

قلت بابتسامة " ولي الشرف يا سما أنتي فتاة مؤدبة حقا"

قبلت رأسي ثم قالت " ساعد لنا إفطارا سيعجبك"

قلت بضحكة " لا تسرفي في المطبخ وراعي جيب نزار هوا ليس كوالدك

ابتسمت وهزت رأسها بحسنا وغادرت بهدوء ، أتمنى أن يجد لها  
أهلها ولا تجلب لنا مشاكل كثيرة فهي تبقى فتاة مطاردة من أناس الله  
وحده يعلم من يكونون ، ولكن ليس من العدل تركها وحيدة تواجه

كل هذا الرعب ، كم في الحياة من قصص كالخيال

\*

\*

ما أن انتهيت من حصصي خرجت من المدرسة فورا فعليا  
العودة للمنزل قبل أن تقابلها والدتي ، أعلم أنها تفكر في مصلحتي  
لكنها قد تجرحها بما قالتها عنها البارحة فأنا أعرف أمي جيدا  
طيبة القلب وحنونة لكن خوفها علي قد يجعلها تتصرف معها  
بخشونة ، كتبت لسما في الورقة أن لا تنزل وتتحدث معها  
أو أن تتقبل ما قد تقوله لها ولا تغادر ، وصلت المنزل  
فتحت الباب ودخلت على صوت ضحكات خارجة من

غرفة والدتي لابد وأنها دعاء جاءت لتفقدتها ، دخلت وتوجهت

لغرفتها من فوري ووقفت عند الباب مصدوما من المنظر

ثم قلت بابتسامة " سبقتماي وتعرفتما على بعض "

التفتت سما من فورها ما أن سمعت صوتي ووقفت مبتعدة

قليلًا وقالت أمي بابتسامة " لم تخبرني أنها صغيرة وجميلة

ومؤدبة وابنة عائلة مرموقة ، ظننتك أحضرتها من الشارع "

دخلت الغرفة وقلت " لم تتركيني أقول شيئاً "

ثم قلت ناظراً لصينية الطعام " ما هذا !! من أعد الإفطار "

قالت أمي بابتسامة ناظرة جهة سما " طالبتك النجبية طبعاً إنها ماهرة

ها قد وجدت من سترفع عنك حمل إعداد الطعام من اليوم "

قلت ضاحكاً " جلبتها لأساعدها لا لتساعدني "

ضحكت وقالت " يكفيك عجوز كسولة واحدة

هيا تعال تذوق إنه رائع "

ثم نظرت جهة سما وقالت " ما بك هربتِ هناك يبدوا

أستاذك هذا يشكل لكم رعباً في الحصة "

نظرت لي ثم أخفضت بصرها وقالت بحياء

"لم أره يضحك إلا هنا"

ضحكت والدتي وقالت " ستتسبب بعقد للفتيات

خف عليهن قليلا"

قلت مغادرا الغرفة " لن يجدي غير هذا الأسلوب

سأستحم وأنزل لكما"

دخلت غرفتي فكانت مرتبة وكأنه لم يكن بها أحد ، توجهت

للحمام فكان نظيفا ومعطرا أيضا ، تبدوا فتاة نشيطة وليست

كباقي الثريات لا تعرف إلا إحداث الفوضى ، استحمت

ولبست ثياب المنزل ونزلت للغرفة فكانت والدتي وحدها

فجلست بجوارها على السرير وقلت

" جيد تغير كلامك ورأيك عنها البارحة"

تنهدت وقالت " يا لها من فتاة مسكينة أتمنى أن تجد حلا

لمشاكلها لا أن تجلب لنا مشاكل أخرى"

قبلت يدها وقلت " قد يكون الله وضعني في طريقها لأجد لها أهلها"

قالت بابتسامة " ها هي المسكينة ترتب المطبخ منذ وقت

من يراها لا يصدق أنها ابنة أثرياء"

قلت بهدوء " يبدوا والداها لم يربيانها على الترفع والدلال"

قالت " بالتأكيد ولكن أين هي ملابسها هل ستبقى

بزي المدرسة طوال النهار"

قلت من فوري " سأخذها حالا حيث كانت تعيش

ونحظر كل ثيابها وحاجياتها "

قالت " وما ستفعل في أمرها"

نظرت للساعة في يدي وقلت " كنت سأقابل جابر وأتحدث

معه لكنه لم يتصل بي يبدوا ثمة ما يشغله ، عليا أولا فهم بعض

الأمر منها وزيارة ذاك المكان الذي حكى لي عنه ثم أتحدث

وجابر فمؤكد مرت به قضية عائلتها وسنرى ما سنفعل"

دخلت حينها سما تمسح الماء من يديها في زيها فقلت

"تعالى اجلسى يا سما واتركى عنك التنظيف ، علينا أن نتحدث

في أمور أخرى أهم من المطبخ"

اقتربت ببطء فقلت " اجلسي على الكرسي لا تخجلي يا سما"

رفعت نظرها وقالت " هل يمكنني الجلوس بجوار الخالة على سريرها"

مدت والدتي لها يدها وقالت " بالطبع تعالي هيا وقم

أنت واجلس على الكرسي"

وقفت وقلت " أمري لله تبيعينني في يوم واحد يا أمي"

قالت ضاحكة " إكرام الضيف واجب"

جلست أنا على الكرسي المقابل لسرير والدتي وجلست سما

بجوارها ونظرت لها وقلت " أخبريني يا سما ما كنتي تلاحظين على

تجارة والدك، أعدائه مثلا وما الذي جاء به إلى هنا بعد كل هذه السنوات  
"

هزت رأسها وقالت " كل ما أعلمه وما لاحظته كثرة اللقاءات بينه

وبين شريكه في الهند قبل مجيئنا ، كان والدي مستاءً كثيرا في الآونة

الأخيرة ثم قال أنه سيبيع حصته وسنرجع للوطن ، اشترى هنا

مصنعا له ومن ثم باعه وجلب كل نقوده"

قلت " كيف علمت أن عفراء تعلم شيئا عنهم"

نظرت للفراغ بشرود ثم قالت " سمعتها مرة تتشاجر وزوجها

وقالت له إن دلتهم على مكان الفتاة سلمتك للشرطة وأنت

تعلم أنك لن تخرج من السجن ما حبيت"

قلت بحيرة " ترى ما علاقة زوجها بهم" !!

رفعت كتفاها وقالت " لا أعلم ما أعرفه أنه يسرق أوراق

وأشياء من أحد ما ويبتز به"

مررت أصابعي في شعري وقلت " الأمور تزداد تعقيدا

بدل أن نجد لها حلا"

ثم تنهدت وقلت " وكيف حصلت عفراء على ورقة تثبت

مسئوليتها المؤقتة عنك وبتوقيع من والدك"

قالت " لا أعلم قد تكون سرقتها من الأوراق لدى زوجها

لأن جميع أوراق ومستندات والدي سرقت"

قلت من فوري " ما الذي تعرفيه عن عائلتي والداك أو قالاه أمامك"

قالت " لا أعلم شيئا لم أرى أحدا منهم في حياتي ، أذكر في مرة

حين كنت في العاشرة تقريبا سألت والدي لما ليس لديا أعمام

وعمات كباقي الفتيات هناك فقال هم لا يريدوننا

ونحن في غنى عنهم"

نظرت للأرض بشرود لوقت ثم وقفت وقلت " هيا سنغادر

معا لقبو منزلكم حيث كنتي تعيشين ونجلب أغراضك وثيابك

وسأجهز لك الغرفة في الأعلى وستبقي معنا حتى نجد عائلتك"

هزت رأسها بحسنا ثم وقفت وخرجنا معا فقالت والدتي

"كونا حذرين"

قالت مغادرا " لا تقلقي يا أمي سنعود حالا"

خرجنا وركبنا السيارة فقلت ونحن ننطلق " أخفضي رأسك يا

سما ولا تنظري لشيء لا السيارات ولا المارة ولا أي شيء فإن

نجوت في السابق قد لا تنجي في القادم ومؤكد زوج تلك السيدة

دلهم عليك وهو يعرف شكلك"

قالت بهمس " حسنا"

سرت لمسافة لا بأس بها حتى وصلت المكان الذي تنزل

عنده ووقفت مبتعدا عنه قليلا وقلت " وصلنا "

رفعت رأسها ونظرت لي بصدمة ثم قالت " كيف علمت "

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت

"لست منهم طبعاً لكنك أمسكت بك من وقت"

بقت تنظر لي بحيرة ودهشة فقلت " تبعت حافلتك منذ أيام

حين شككت في أمرك ورأيتك تنزلين هنا "

تنهدت ونظرت للأسفل وقالت بعبوس " آه يعني أني كنت

لقمة سهلة لو أحدهم علم أني في تلك المدرسة "

قلت وأنا أفتح باب السيارة " وأستغرب كيف لم يجدوك

حتى الآن ، هيا أنزلي سنقترب للمكان من هنا "

نزلت وتوجهنا لداخل المكان وسارت أمامي وأنا أتبعها حتى

وصلت لجهة معينة ثم نزلت للأرض وأزالت الأوراق عنها

وظهر لوح وكأنه زجاجي ووضعت يدها عليه فأصدر صوتا

وكانه سحب لشيء حديدي على الأرض ، كنت أضن أن هذه

الأمور توجد في الأفلام فقط لكنها ها هي حقيقة أمام عيني

استوت بعدها واقفة وأشارت بأصبعها وقالت

"الباب هناك لقد فتحته"

إذا الصوت كان لفتح الباب وليس من هذا الشيء ، يبدوا والدها  
فكر في حمايتهم جيدا حتى أن باب القبو لا يفتح إلا ببصمة أيدي  
عائلته أي إن دخلت هناك وانغلق خلفها لن يصلوا إليها مهما حاولوا  
توجهت نحو الباب وأنا أسير خلفها مباشرة وكان فتحة مربعة الشكل  
وبه درجات للنزول عند فتحته مباشرة ، نزلت هي ونزلت خلفها  
حتى كنا في الأسفل ثم وضعت يدها على زر مماثل فانغلق الباب  
مباشرة وأصبحنا في الظلام الدامس وأخرجت حينها مصباحا من  
حقيبتها وشغلته فقلت بحيرة " ألا إنارة في الممر هنا"  
قالت وهي تسير وأنا أتبعها " زر الإنارة في مقدمة الممر فقط"

قلت بحيرة " ولما"

قالت " لا أعلم هكذا التصميم"

قلت وأنا أتجول بنظري على جدران الممر

"ولما هوا ليس مضاء من المفترض أنك شغلته حين مغادرتك"

قالت " بلى شغلته ولكنه ينطفئ بعد تشغيله بعشر دقائق"

غريب لما يا ترى !! بعد مسافة وقفت عن السير ووجهت

مصباحها للجدار وضغطت بيدها على زر آخر فصدر ذات الصوت

هناك وقالت " هنا توجد فتحة عميقة في الأرض ستغلق حالا"

ومن ثم سرنا فوقها وتابعا سيرنا ، هكذا إذا لهذا لا إضاءة هناك فإن

كانت مطاردة ونزلت وأحدهم خلفها يقع في الحفرة لأن مصباحه

سيكون موجه للأمام وليس الأرض هذا إن كان معه مصباح

تصميم غريب وذكي ليس أي أحد يمكنه التفكير فيه ، قلت

"ألا يوجد زر لفتح الحفرة من جديد"

قالت من فورها " بلى وتفتح من تلقاء نفسها بعد دقائق أيضا"

وصلنا حينها لمكان واسع جدا بأعمدة ومضاء في جهة واحدة

فقط كما قالت وجهتان به مظلمتان ، توجهت من فورها للجهة

المضاءة وأنا أتبعها كان هناك فراش وبطانية وصناديق وخزانة

أيضا وبعض الأثاث الغير مستعمل وباب في نهاية الجدار

يبدوا حماما وهناك توجد مغسلة وصنبور مياه ، اقتربت سما

من الصناديق وفتحت إحداها وهي تقول " هذه كلها أموال

بقيت هي وذهبت عائلتي ، كريهة لما يعيش المال

ويموت البشر في المقابل"

كان الصندوق مليء بالرزم قلت بدهشة " الصناديق كلها كهذه"

قالت " نعم كل أموال والدي رحمه الله"

ثم رفعت أصبعها وقالت " وهناك فتحة تأخذ لوسط المنزل

تفتح وتغلق من هنا ومن هناك"

ثم أشارت بأصبعها للجهة المظلمة وقالت

"وهناك يتهامسون في الليل .... في الليل فقط"

قلت بحيرة " ولما لا تشغلي أنوار تلك الجهة أيضا كي لا تخافي"

قالت من فورها " لأنني لا أريد أن أراهم يكفي أصواتهم"

أخذت المصباح من يدها وقلت " أجمعي كل أغراضك وثيابك"

ثم توجهت جهة الجانب المظلم وتجولت فيه بالمصباح ، كان

المكان فارغا تماما وتوجد بعض صناديق للكهرباء وفتحات

تهوية لا أعلم أين تنتهي وفقط لا شيء آخر ، قلت بصوت

مرتفع " ومن أي جهة كنتي تسمعين الطرق "

قالت بصوت بالكاد أسمعها " من أكثر من جهة خصوصا هنا "

بعد وقت عدت ناحيتها فكانت قد جمعت أغراضها في كيس

كبير بعض الشيء فقلت " والمال ما ستفعلين فيه "

قالت بحزن " لا أريده وأكرهه ، بسببه خسرت عائلتي "

قلت بهدوء " ولكنها أموالك ومستقبلك لا تخسري

الاثنان معا ، لن نأخذهم معنا الآن حسنا "

قالت مغادرة أمامي تجر الكيس بصعوبة

" لا أحتاجهم خدتم أنت كلهم أكرههم قلت أكرههم "

هزرت رأسي بياس وتبعتها ، الشرطة والمال أكثر ما باتت

تكره وهما أكثر ما ستحتاج في حياتها ، وصلت عندها وأخذت

منها الكيس وغادرنا المكان وتوجهنا للسيارة وركبنا متوجهين

للمنزل ، لو لم أرى كل هذا بعيني لقلت أنه كذب وأستغرب حتى

الآن كيف صدقتها بادئ الأمر ، مقتل عائلتها أمور تحدث كثيرا  
لكن القبو وألغازه شيء غريب جدا ويبدو والدها كان خائفا من  
شيء ما من قبل قدومه لذلك اشترى هكذا منزل ، هذا إن لم يكن  
بناه بنفسه، عليا مقابلة جابر بسرعة وبحث ما علينا فعله

نظرت لها وكانت تنظر للأسفل كما طلبت منها عند

قدومنا فقلت بهدوء " هل تحتاجين شيئا أشتريه لك"

هزت رأسها بلا دون كلام ثم قالت " يكفي أنك صدقتني منذ

البداية وتريد مساعدتي ، لن أنسى لك هذا أبدا ما حييت"

عدت بنظري للطريق وقلت " لا تشكريني يا سما حتى نجد

عائلتك وتنجي من الخطر المحدق بك ، تأكدي بأني لن

أتخلى عن مساعدتك أبدا"

لأذت بالصمت حتى وصلنا للمنزل نزلت وأنزلت كيس

ملابسها ودخلنا المنزل وتوجهت من فوري لغرفة والدتي وهي

تتبعني ودخلت ملقيا التحية وأجابت والدتي مبتسمة ثم دخلت

سما فقلت " سأشتري اليوم سريرا وخزانة للغرفة الشاغرة

في الأعلى يمكنك البقاء في غرفتي يا سما"

هزت رأسها بلا وقالت ونظرها للأرض " سأبقى اليوم هنا مع

خالتي وأستخدم الحمام الأرضي أنا لا أنام بعد الظهر"

قلت متوجها نحو الباب " كما تريدي سأصلي الظهر ثم أعد لكما الغداء"

قالت من فورها " بل أنا من ستطبخ الطعام منذ اليوم ، أنا أحب الطبخ

كثيرا وسأنظف المنزل أيضا لا تقلق بشأن كل هذا"

التفتت لها وقلت " ولكن " ...

قالت والدتي رامية بيدها " اذهب هيا انتهى الأمر طعامها لذيذ

وأذ من طعامك وستنظف المنزل بعناية أكثر منك"

ضحكت وقلت " أين كنتي تسكتين على كل هذه

العيوب التي ترينها بي"

ضحكت وقالت " ليست عيوب بك ولكن الرجال

لا يمكنهم إتقان عمل النساء مهما حاولوا"

غادرت من عندهما وتوجهت لغرفتي صليت الظهر واتصلت

بجابر كثيرا ولم يجب ثم أرسل لي ( نتقابل بعد العصر )

جلست على السرير وفتحت حاسوبي وشغلت الانترنت وبقيت

لوقت أبحث عن اسم عائلتها في ملفات الجرائم ، المشكلة أنه

لا لقب لها ولا يوجد بينهم ولا حتى في الاسمان الأولان مشابه

بحثت عن احمد عبد الله فيهم ولا نتيجة بحثت حتى عن سما

أحمد عبد الله ونفس الشيء غير موجود ، بعد وقت سمعت

طرقات خفيفة على باب غرفتي فوقفت وفتحت الباب

فكانت سما ، نظرت للأرض وقالت بهدوء " الغداء " ..

قلت قبل أن تنهي كلامها وأنا أخرج وأغلق الباب

" هيا لنتذوق مديح والدتي فلن أطهوا لها بعد اليوم

إن كان طعامك سيئ "

قالت وهي تنزل السلالم أمامي " وإن كان جيد "

ضحكت وقلت " سأكون في مشكلة حين نجد عائلتك وتغادري "

وصلنا عند الباب فالتفتت لي ونظرت باتجاه نهاية الصلاة

وقالت مشيرة بأصبعها " لما لا نجلب تلك الطاولة والكراسي هنا

لتكون كطاولة أكل في الغرفة ولا تأكل والدتك وحدها"

نظرت للطاولة وقلت " ولكن سيتعبها كثرة انتقالها من السرير للكرسي  
"

قالت ونظرها هناك " ولما تجلس على الكرسي سنقرب الطاولة

من السرير وتنزل ساقها فقط"

حككت حاجبي بتفكير وقلت " فكرة لا بأس بها ولكن سيكون

علينا إدخالها وإخراجها في كل مرة لأن البعض

يزورون والدتي في غرفتها"

قالت بعد صمت " تلك مشكلة ولكن قد نجد لها

حلا دعنا ندخلها الآن"

قلت متوجها نحوها " حسننا ستساعديني في إدخال

الطاولة أما الكراسي سأدخلهم أنا"

نقلنا الطاولة للغرفة ثم خرجت وأدخلت كرسيين فقالت

والدتي " ماذا ستفعلون بهم"

وضعتها وقلت " سما ستغير ترتيب أثاث المنزل أيضا"

ضحكت والدتي وقالت سما ونظرها للأرض " آسفة إن أزعجك

هذا ونعيدهم حالا إن كنت لا تريدها هنا"

قلت من فوري " لا أبدا فكرة جيدة أن نأكل مع

والدتي بدلا من وحدتها الدائمة"

قربنا الطاولة من السرير وجلست والدتي مقابلة لها وأحضرت

سما كل ما يلزم تحت إصرارها أن لا أساعدها ، آه غداء مريح

وأخيرا وبدون زوجة وأبناء وتدمر وإزعاجات ومصاريق زائدة

حتى ترتيبها للأطباق والملاعق والشوك كان مختلف عني وكما

قالت والدتي أمور النساء لن نجيدها نحن الرجال مهما حاولنا

كان الطعام مرتبا ومزيننا وكأنا في مطعم ، من يُصدق أن هذه

الفتاة الصغيرة من فعلت كل هذا ، تناولنا الطعام ثم أخرجنا الطاولة

ووضعناها بجانب الباب لتكون قريبة لنقلها وإرجاعها ثم قلت

"سأصعد لأنام قليلا هل تحتاجين شيء"

هزت رأسها بلا في صمت فابتسمت وتركتها وصعدت ، والميزة

الأخرى فيها قليلة الثرثرة حتى نعم ولا لديها بالإشارات

نمت حتى العصر ثم استيقظت استحمت واصلت ونزلت للأسفل

وتوجهت لغرفة والدتي فكانت نائمة وسما تجلس وتقرأ كتابا من كتبها

المدرسية فقلت بهمس " هل صلت والدتي العصر "

نظرت لي وهزت رأسها بلا فقلت " أيقظيها إذا لتصلي سأخرج

لأمر مهم هل ينقص المنزل شيء "

قالت بصوت منخفض " بعض منظفات السيراميك وملمع

للزجاج وللخشب أيضا "

هزرت رأسي بحسنا ثم غادرت من عندها وخرجت من المنزل

وتوجهت من فوري لمكتب جابر أخذت إذنا للدخول ودخلت له

وأغلقت الباب خلفي فرفع رأسه من حاسوبه وقال بضيق

"أخرتني يا مستهتر هل تزوجت ولا أعلم "

ضحكت وقلت " إن تزوجت فلن تراني طوال اليوم "

قال بضيق " يالك من مدعاة للشفقة هل ستلتصق بها من أول يوم "

جلست أمامه وقلت " لا مدعاة للشفقة غير التي قد تتزوجها"

قال بلامبالاة " قل ما لديك هيا وخلصني ليس ورائي إلا أنت"

ابتسمت وقلت " أريد سؤالك عن قضية مقتل لعائلة من رجل

وزوجته وطفل وطفلة هندية واختفاء ابنة في الرابعة عشرة"

نظر لي بحيرة مطولا ثم قال " ما علاقتك بهذه القضية"

قلت من فوري " مرت عليك إذا ، كيف أهملتها أيها المحقق الفاشل"

قال بضيق " قل ما لديك ولا تتدخل في عملي"

قلت " الفتاة لد" .....

وقف على طوله وقال بصدمة " سما رفعت الشاطر لديك"

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

وضعت الوسادة على وجهي مجددا فلم يستوعب عقلي تلك

الفكرة المجنونة منذ قال تلك العبارة ونحن في السيارة

عائدا بي من القصر فبقيت أنظر له بصدمة ودون حتى

أن أرمش ثم قلت بهمس " أعد أعد ما قلت"

أعاد هاتفه لجيبه وقال بجمود ونظره على الطريق

"سنتزوج هذا الأسبوع"

قلت بذات جموده " أوقف السيارة"

نظر لي بصمت فقلت بحدة " أوقف السيارة"

توقف وقال بغضب " هذه آخر مرة تصرخي بي تفهمين

وصوتك هذا لن يرتفع عليا لاحقا"

فتحت الباب وأنا أقول " هذا إن كان هناك لاحقا يا سيادة المحقق"

ونزلت وضربت باب سيارته بكل قوتي وتوجهت لمنزلي لأنه

أصبح قريب جدا ، يالا السخافة قال نتزوج قال لا وبالأوامر

ما يحسبني خادمة لديه وحتى الخادمة يحترمونها ويحترمون

رأيها ، لم يحضا بموافقتي كمربية ومعلمة قال أتزوجها

وأرميها هناك تتفاهم معهم ، لا ومع من مع والدته تلك

فتحت باب المنزل ودخلت وأغلقت خلفي بقوة ورميت

الحقيبة بطول يدي وقلت بغيض " وما الغريب يا أرجوان

دخل منزلك مرغمة وشرب القهوة ركبتى سيارته ما

تتوقعين أن يفعل غير أن يأمرك حتى بالزواج به"

توجهت للأعلى ودخلت غرفتي استحممت ودخلت السرير

أحاول النوم أو الهرب ، ومنذ ذاك الوقت وأنا على هذا الحال

تقلبت كثيرا أفس رأسي في الوسادة أثنيها بيدي عليه محاولة

أن لا استمع لأفكار رأسي ، صحيح أحب أبنائه ولا أريد أن

يضيعوا أو يضيع مستقبلهم وأتمنى أن يكونوا معي كما كنا

لكن أن أتزوج بهذه الصخرة الميتة وأعيش مع والدته

المتوحشة التي لا يرفض لها أمرا ولا يناقشها في شيء لا

وألف لا وزد عليها شقيقة مختفية الله وحده يعلم عاقلة أم

مجنونة وكلهم في كفة وأن ينغلق باب غرفة عليا أنا وهذا

المتحجر في كفة أخرى ، لن أجن وأفعلها أبدا ولو ذبحني

نمت بعد وقت وجهد كبيرين ولم أستيقظ إلا وقت الظهر ، صليت

ونزلت من غرفتي توجهت للحقيبة وأخرجت هاتفى كانت هناك

مكالمات كثيرة من سوسن ورسالة فتحتها فكانت منه وكان فيها

(قررت وانتهى الأمر يا أرجوان وحسب علمك من

أجل الأولاد ليس من أجلك ولا من أجلي)

رمى الهاتف على الأريكة ودخلت المطبخ لأعد شيئاً آكله

\*

\*

أبعدت ريشة الرسم وقلت " لا تتحركي يا بيسان كم مرة قلتها لك"

حكمت أذنها ثم ساقه ثم عنقها وقالت " كله يحكني كله ، كيف لا أتحرك"

قلت بابتسامة وأنا انظر للوحة أمامي " هذا لأنني طلبت أن لا

تتحركي فأصابك الجرب يا مجروبة"

قالت " ما تعني مجروبة"

ضحكت بصوت مرتفع ثم قلت " تعني كل شيء فيك يحكك"

مدت شفيتها مستاءة فقلت " لا تبقي هكذا أو رسمتهما ممدودتان"

حركت المضلة وقالت " ارسمني وهي تتحرك هكذا في الصورة"

ضحكت وقلت " هذه لوحة وليست كميرة فيديو توقفي عن

الحركة أو رسمت ترف وتركتك أنتي"

جمدت مكانها وقالت " حسنا لن أتحرك لكن إن

حكني شيء سأتحرك"

قلت وأنا أمزج اللونين " حسنا ولا تكثري الحركة"

سمعنا حينها طرقات خفيفة على الباب وصوت ترف تقول

"أفتحوا لي الباب لما تغلقونه ماذا تفعلون في الداخل"

ضحكت بيسان بصمت وهي تخفي فمها في يدها وقالت

"أنظر كيف تطرق كالمسولين"

ضحكت كثيرا ثم قلت " لو تسمعك جدتك قطعت لسانك"

قالت باستياء " لما جدتي لا تحبنا"

قلت ببرود وأنا ألون الفستان في اللوحة

"هي لا تحبني حتى أنا ، لا تكثري لها"

قالت باستغراب " ماما تقول لا تغضبوها لكنها

لا تحبنا ولا تحب ماما"

قلت بابتسامة " هذا لأن ماما سندريلا وجدتك

زوجة والدها الشريرة"

قالت من فورها وبغفوية " وهل ستتزوج ماما من الأمير

في النهاية وجدتي ستصبح خادمة لديها في قصرهم"

ضحكت وقلت " نعم لكن هذا سرنا لا تخبري به أحد حسنا"

قالت " حسنا ولكن أين بنات زوجة والدها اللتان ستعملان

في القصر أيضا ، لا توجد سوى عمتي زهور

فقط إذا الأخرى ستكون أنت"

نظرت لها بصدمة وقلت " ها قد انقلب السحر على

الساحر، اسمعي كله مزاح ولا تفكري فيه مفهوم"

هزت رأسها بحسنا فوضعت الريشة وقلت

"يكفي لهذا اليوم سنتابع في يوم آخر هيا حكي ما تريدين"

وقفت وقالت " لم يعد يحكني"

ضحكتُ وفتحتُ الباب وكانت ترف تجلس أمامه فوقفت

وقالت بدمعة محبوسة " أنت تحب بيسان فقط ، تدخلها

غرفتك وتغلق الباب وتركني في الخارج"

حملتها عن الأرض ودخلت بها وأنا أقول

"الآن دورك سترسميني أنتي وسنغلق الباب

ونترك بيسان في الخارج"

دخلت بها وأغلقت الباب وبدأت بيسان تطرق وتنادي

فقلت بضحكة " أنظري كيف تطرق كالمسولين"

ضحكت وصرخت قائلة " ليس لدينا مال"

ضحكت وأعطيتها لوحة بيضاء وألوان وجلست أتحدث بالهاتف

\*

\*

دخلت القصر أحمل مصعب بين يداي سأتركه يلعب مع ترف

وبيسان لتحل لي المربية واجب اللغة الانجليزية لأنها ماهرة فيها

ولأهرب قليلا من أعمال المنزل ، أُمي لا أعرف كيف تفكر لما

ترفض أن تكون لدينا خادمة هل تغار على والدي ! ولما من جماله

أو صغر سنه فهما لم ينجباني إلا بعد عشر سنين من زواجهما

وأنجبا عمر وعمرى تسع سنين ليتبعانه بعدها بخمس سنين باثنين

وراء بعض، لا وتريد والدتي أن تنجب أيضا وهي في الخامسة

والأربعين الآن !وصلت السلاالم ويالا الحظ السعيد ... معتصم  
نازلا من الأعلى ولكن الحل عندي هوا يسخر من طريقة  
كلامي وتصرفاتي إذا سأغيرها أمامه لأنجو منه ومن سخريته  
لا أعلم ما علاقته بي أخته أمه زوجته أكون ما أكون فيما  
سأضره ثم لا أفهم ما الخطأ بي هل يريدني كالرجل مثله أم  
كوالدته وشقيقته الصامته طوال الوقت ، مررت بجانبه دون  
أن أنظر له بكبر ككل مرة وقلت ونظري على أعلى السلاالم  
بصوت جعلته جديا قدر الإمكان " مرحبا معتصم كيف حالك"  
وتابعت سعودي على نظراته المصدومة وأنا اضحك في صمت  
مبتعدة عنه ، لعله يرتاح الآن إلا إن لم تكن المسألة في صوتي  
وكلامي بل يكرهني دون سبب ، وصلت لغرفة الفتاتين  
وطرقت الباب ودخلت واستقبلتا مصعب بفرح طبعا فهوا وعمر  
الوحيدان اللذان يزورونهم للعب معهم وتوجهت أنا للجلوس  
مع المربية لتحل لي واجبي وما هي إلا لحظات ووصلتني رسالة

على هاتفى أخرجته وفتحتها فكان من المتعجرف معتم وفيها

(إن كان ثمة جني سكنك فأخبرينا لنحضر لك قارئ يقرأ عليك

يكفينا علكة لا نريد علكة مسكونة)

أوف ما به هذا لا أعجبه في كل الأحوال ويقتنص الفرص ليهيني

, أرسلت له ( علكة أعجب من حولي والداي يحبانني هكذا ومن

سأتزوجه يحب العلكة وخصوصا بالفراولة أنت ما شأنك بي)

أرسل على الفور ( من تقصدي بمن سيتزوجك)

أرسلت ( أقصد لن أتزوج إلا ممن يحب العلكة مثلي)

أرسل بعد قليل ( إن قلتها مجددا قطعت لسانك)

أرسلت ( أنت لما لا تعطيني مواعيد قدومك للقصر لأقطع

ساقى إن عتبه وأنت فيه)

ثم أغلقت الهاتف نهائيا وانشغلت مع المربية في حل الواجب

\*

\*

استيقظت متأخرة جهزت نفسي بسرعة كي أدرك وقت دخول

العاملات للمصنع فلست بمزاج توبيخ من ذاك المدير المتعجرف

حملت حجابي وحقيبتني في يدي ونزلت مسرعة ألف الحجاب على  
رأسي وما أن وصلت للأسفل حتى رأيت المنظر الذي توقعت أن  
أراه وقت عودتي وليس ذهابي ، لا وينام على الأريكة واضعا ساق  
على الأخرى ويخفي عيناه بذراعه ، كيف أتصرف مع هذا الرجل كيف  
اقتربت منه وقلت بضيق " هل ضاق بك ذاك القصر الضخم ولم  
تجد أين تنام أم استحليت هذا ، لعلمك سأبلغ عنك الشرطة حالا"  
ضحك ضحكة واحدة غلبته فقلت بسخرية " نعم تعجبك النكتة كثيرا"  
قال وهو على حاله " كيف تكون هكذا نكته ولا تعجبني  
من هذا الذي سيأتي ليسجنني"  
قلت " نعم هذا ما يجعلك تفعل كل هذا بثقة ، ورائي عمل أريد  
الذهاب إليه فليس لدي وقت لأعد لك الإفطار ونجلس نتسامر"  
أبعد ذراعه وقال ونظره للسقف " لم يعد هناك عمل"  
نظرت له بصدمة وقلت " ما تعني بهذا" !!  
نظر لي مسندا رأسه بذراعه للأمام وقال ببرود

"أعني صرفك مدير المصنع من العمل نهائيا"

قلت بصدمة أشد " وبأي حق يصرفني ومن أخبرك أنت"

جلس وقال " بحق أنك لم تعودي تحتاجينه وعلمت

لأني من طلب منه ذلك"

رميت الحقيبة من يدي وقلت بغضب

"حتى هنا ويكفي يا سيد ، أخبرني بأي حق تقطع رزقي"

قال بهدوء وهو يتكى بمرفقيه على ركبتيه ونظره للأسفل

"لا داعي للصراخ والغضب أخبرتك أنني قررت وانتهى والمصنع

لست بحاجة للذهاب إليه أبناءك يحتاجونك أكثر إن كنتي تحبينهم بالفعل  
"

قلت بضيق " وكيف وافقتك والدتك على المستهتره التي ربتم

على الاستهتار ، ولا تقل أنك تريد أن أربيهم عل طريققتها"

قال بحدة ورأسه ما يزال للأسفل " لا تخطني معي في الكلام يا

آنسة ، أنا من قررت رضيت والدتي أم كرهت تفهمي"

قلت بسخرية " لدي سؤال واحد فقط لو كان لي والد أو شقيق

هل كنت ستأمرني بالزواج بك هكذا"

نظر لي وقال بجمود " لو كان لك أحدهما أو حتى كلاهما ما كانا

سيرفضاني ولو أمرتهم أمرا وأنتي أذكي من أن تفوتك هذه النقطة"

قلت بابتسامة جانبية " ولما كل هذه الثقة وأخبرني كيف تتزوج بابنة

الرجل الذي هربت معه زوجتك"

عاد بنظره للأرض وقال ببرود " هذه مسألة شخصية"

كتفت يداي لصدري وقلت " وهل لي أن اعلم خبايا

هذه المسألة لأنني لم أقتنع بها بعد"

رفع رأسه وتنفس بنفاد صبر وقال " الزواج سيتم يا أرجوان نبشت

في دفاتر الماضي أم لا وأضنك تحبين الأولاد ولا تريدي أن تكوني

معهم إلا للأبد وها هي أتتك حتى عندك أم ستجدي حجة أخرى"

قلت بهدوء ممزوج بالضيق " هل لي بسؤال تجيبني عليه بصراحة"

نظر لي وقال " ما هوا"

قلت من فوري " ما هي مكانة الزوجة لديك"

وقف وقال " أخبرتك أن كلانا يعلم أن هذا الزواج من أجل الأبناء"

قلت ببرود " وإن رفضت "

قال مارا من أمامي " لست هنا لأخذ رأيك ولا تتعبي نفسك

بالذهاب للمصنع لأنه لن يقبلك فيه "

ثم خرج وأغلق الباب خلفه فجلست منهارة فوق الكرسي وبدأت  
بالبكاء ولا اعلم لما وعلى ماذا بالتحديد وبقيت أبكي مكاني لوقت  
طويل وهاتفي يرن في حقيبتي طوال الوقت ولم أجب عليه ولم أرى  
من يكون ، مؤكدا هذه سوسن تظمان لما لم أذهب للمصنع  
ذاك المتعجرف المتحجر الصخرة الميتة الأحاسيس حتى عملي  
حرمني منه ولا أستبعد أن يخرجني للشارع أو يهددني بالسجن  
لأوافق ، لو أعرف فقط كيف يفكر ... يتزوج بي ووالدته تكرهني  
وتكره طريقة تربيتي للأطفال لا ويقولها بصريح العبارة من أجل  
الأولاد فقط ، أي سأعيش حياتي كلها مربية لأبنائه أعيش في  
غرفة في نهاية ممر غرفهم مهمشة وخادمة ليس إلا  
لم أحلم حياتي بزواج كهذا وما كنت أَرْضَى به ، كان مناي

زوج محب عطوف رومانسي ينسيني سنين وحدتي وفقدي لأبنائي  
اللذين رببتهم وليس ذاك الصخرة الخالية من المشاعر والأحاسيس  
جلست لساعات أفكر في مخرج من هذه الورطة التي لا مخرج  
منها فإن هربت من المدينة وعشت في أخرى سيحضرني طبعاً  
وبسهولة وحتى إن بقيت هنا واستمررت في رفضي له لن أجد  
المال حتى لأكل ولن أحضاً بفرصة عمل أخرى لأنني من دون  
شهادة وحتى إن تحصلت عليه سيخرجني منه كسابقه ، ما هذه  
الورطة هل هذا ثمن اعتنائي بأبنائه وتربيتي لهم يريد دفني  
بالحياة ، لو كنت وافقت على عرضه السابق لما حدث كل هذا  
ولكني محقة في رفضي أقسم أن قلبي يتشقق عليهم ولست أحبهم  
فقط بل وأدمنهم لكن والدهم ذاك مستحيل لا يمكنني إدخال  
الفكرة لرأسي ولا بأي شكل ، بعد وقت طويل قضيته مكاني  
ولم أتحرك إلا لصلاة الظهر سمعت طرقات على باب المنزل  
ومؤكد هذه سوسن إن لم يكن أحد الجيران جاء ليسألني من  
هذا الذي نام في منزلك البارحة فلا شيء لدى الناس سوى

تهويل الأمور ، وقفت وفتحت الباب فكانت سوسن ، دخلتُ

وهي تتبغني قائلة " أين أنتي لا ذهبتِ للمصنع ولا تجيبي

على اتصالاتي ؟ ماذا حدث وكيف لم يأتينا مدير

المصنع يزمرر غاضبا لتغيبك"

جلست وقلت بضيق " لأنه تم صرفي من العمل وانتهى دوري هناك"

جلست ونظرها المصدوم علي وقالت " كيف ولما" !!

أمسكت وسادة الأريكة وقلت بغضب " قال لم أعد أحتاجه"

قالت باستغراب " من ؟" !

قلت بحدة " ومن غيره مصيبة ابتليت بها في حياتي"

قالت بحيرة " ولما يخرجك من المصنع ويقول أنك لا

تحتاجينه، هل سيصرف عليك من ماله"

ابتسمت بسخرية وقلت بحسرة

"ليتها كذلك ، الحقيقة أقسى من كل هذا يا سوسن"

قالت بتذمر " أرجوان بربك لا تنفخي لي رأسي بالألغاز

أحكي لي ما حدث معك بالتفصيل"

تهدت وحكيت لها كل ما حدث فضحكت كثيرا ثم

قالت " يالك من محضوذة يا أرجوان"

قلت بضيق " أي محضوذة هذه أقسم أن الحظ

لم يعرف لي طريقا في يوم"

قالت ببرود " أتركي عنك كل هذه السخافات هذا زوج تتمناه

كل امرأة في البلاد حتى أنا إن طلبني للزواج تطلقت

من زوجي وتزوجته"

قلت بصدمة " مجنونة تبيعين زوجك بهذا المتحجر"

قالت بابتسامة " وسيم وطويل وعريض ورئيس الشرطة

الجنائية ولديه قصر وخدم وحرس وشخصية مدمرة

لما لا أبيع زوجي من أجله"

قلت بضيق " أقسم أنك فقدت عقلك ولا تنسي أن تضيفي

للانحة متعجرف ومتحجر ووالدته تهرب منها الجدران ويحترمها

حد أنه لا يعصي لها أمرا ولا يمد للرومانسية بصلة وزيديها

يريدني مربية لأبنائه فقط"

قالت بلامبالاة " لا رجل بلا مشاعر وحجر ... فقط من لديها

العقل ستحركه وتحرك المشاعر داخله ، لا تكوني غبية

هذه فرصتك لتكوني مع الأطفال اللذين أفيتي خمس سنين

من عمرك تربيتهم ولتحضي بزواج تتمناه كل امرأة

حركي عقلك واكسبيه في صفك"

قلت ببرود " نعم معك حق فأنت لا تعرفينه ووالدته"

قالت بضيق " أرجوان لعلمك هوا سيفعل ما يريد إن بالطيب أو

الإكراه وعنادك هذا لن يزيد الأمور إلا ضدك فستتزوجينه في

النهاية فلا تكثري المشاكل بينكما لتكبر الفجوة من قبل أن تتزوجا"

أغلقت أدناي وقلت " لا تقولي تتزوجا أصمتي يا سوسن"

قالت بضيق " غبية ستكونين اكبر غبية إن أكثرث من المشاكل

بينكما ليكرهك من الآن ، حركي عقل الأنثى لديك واكسبيه ولو

بالبطيء وستكسبين كل شيء في النهاية"

اتكأت بمرفقاي على ركبتي و رأسي بين يداي وقلت بحزن

"لما أنا من تدفع ثمن أخطاء الغير ؟ لما يجلبون لي أبناء ليسوا أبنائي

لأربيبهم ثم يأخذونهم مني ليحرقوا قلبي عليهم ويرموهم في الجحيم

ويرموني معهم وعليا إخراجهم ، ذاك ليس قصرا يا سوسن ذاك جحيم"

وضعت يدها على كتفي وقالت بجدية " وهل ستتركينهم في ذاك

الجحيم حتى يدمروهم وأنتي بإمكانك إنقاذهم ، هي فرصتك يا

أرجوان لتكوني معهم وتربيهم كما تريدي "

تتهدت وقلت " ومن سيسمح لي هناك بذلك سيجنون علي معهم"

وقفت وقالت " ها أنا أقولها للمرة العاشرة يا أرجوان كوني

ذكية وأكسبي كل شيء لصفك فأنا لا أصدق أن ثمة رجل بلا قلب

ولا مشاعر ، فقط هوا ينقصه امرأة بعقل وسيصبح تحت جناحك

وتصرفك وتضربين كل القوانين حينها عرض الحائط وأولهم والدته

أما رفضك وإصرارك لن تجني منه شيء سوى كرهه لك

وأنتي الخاسر في النهاية ، هذه فرصتك يا صديقتي وفكري لما

تزوجك أنتي بالتحديد وليس غيرك "

نظرت لها وقلت " لأن أطفاله ستضيع دراستهم

وإلا ما كان سيتزوجني "

قالت ببرود " غبية يمكنه حل ذلك بسهولة لكنه بالفعل يعتمد

عليك، لن نقول يحبك ولكنه يثق بك الخطوة الأولى كانت

منه الثانية وحتى العاشرة يجب أن تكون منك ، أعرفك

أذكي من غبائك هذا يا أرجوان "

هزرت رأسي وقلت " مستحيل مستحيل "

قالت مغادرة " ما لدي قلته ولا أريدك أن تتدمي يوماً حين

تريهم ضاعوا أمامك وأنتي جاءتك فرصة ولم تستغليها "

ثم خرجت وغادرت وتركتني أسوأ مما كان بي

\*

\*

كنت واقفاً ويدي في جيب بنطالي متكأً على حافة باب

المنزل وانتظر تلك المشاكسة التي لم تأتي بعد ، هل كل هذا

بحث تحت نافذة غرفتها والشرفة ، بعد قليل دخلت من الباب

الخارجي فسويت وقفتي وقلت " ها ما حدث معك يا بتول"

اقتربت مني ونزعت حجابها وقالت " لا شيء لم أجد شيء"

قلت " ولا أي شيء أبدا هل أنتي متأكدة"

قالت بغنجها المعتاد وهي تبرم خصلة من شعرها بين أصابعها

"لا شيء خالي رضا أنت تعلم أني أحرك الحراس هناك

للبحث ولم يروا شيئا والخادمة قالت لم تُخرج أي أوراق

ممزقة من غرفتها حين نظفتها"

ابتسمت وقلت " وكيف جعلت الحراس يبحثون لك"

ضحكت وقالت " أنتم الرجال حمقى كلمتين بغنج منا

نحن تلبون كل أوامرنا"

ضحكت وقلت " لهذا إذا تكرهين معتصم لأنه لا يتأثر بميعاتك"

تأففت وقالت بصوتها الرقيق " ذاك مريض نفسيا

لا أعلم ما الذي يكرهه بي"

قلت بابتسامة جانبية " قد لا يكون كرها"

قالت بتذمر " وما سيكون إذا وأنا لم أعجبه في كل الأحوال ، لو

فقط يبتعد عن طريقي لا أريد منه أن يحبني "

قلت بابتسامة " عليك أن لا تكرهيه هكذا فقد تتزوجينه يوما "

قالت بصدمة " ماذا !!! أنا أتزوج ذاك "

ضحكت وقلت " لا تنسي أنه ابن عمك وأن والدك حين

رزق بك بعد سنين انتظار وعد شقيقه إن رغب

بك أحد أبنائه لن تكوني إلا له "

قالت بضيق " ذاك كلام في الماضي هل أنا سلعة يبيعونها "

ثم تابعت وهي تدخل المنزل " قال أتزوجه قال

يع ألم أجد من أتزوج "

راقبتها تدخل بابتسامة على اقتراب والدتها المتدمرة منها

وصلت عندي وقالت بابتسامة " ألن تغير رأيك

يا رضا وتبقى معنا مزيدا بعد "

قلت بهدوء " لا فعليا الذهاب ولكن قد أوجله للغد

لأني سأقابل جابر أولاً"

قالت باستغراب " جابر !! ولما ؟"

نظرت للأرض وقلت " سأحدثه في موضوع زهور"

قالت بضيق " رضا لما لا تنسى تلك الزهور أخبرتك

أنها لا تليق بك ووالدتها لن توافق"

نظرت جانباً وقلت " أعلم وحتى إن وافقت والدتها

لن توافق هي لكني لن أياس"

قالت ببرود " لا أعلم ما تحبه فيها ، رضا هي كوالدتها اقتنع بهذا"

قلت بهدوء وقد عدت بنظري للأرض " لا هي ليست كوالدتها يا

أميرة هي فقط كانت تفعل ما تطلبه والدتها منها كي لا تغضب

عليها ، أنا أكثر من كان يعرف زهور هي تربت على طريقي

وليس طريقة والدتها وأنتي أكثر من يعلم لكن زواجها بذاك جعلها

تصبح هكذا صامتة ومنعزلة طوال الوقت حتى أنها لا تتبادل

الأحاديث إلا مع خادمة واحدة ومعينة ، هي ليست

كوالدتها هي فقط مصدومة ومجروحة"

تنهدت وقالت " وهل أنت من عليه شفاءها ، صحيح أنك كنت

تهربها من غرفتها في صغركم والممنوع عنها معك يصبح

مباحا لكنها لم تتذكر لك كل ذلك ، ببساطة وافقت على

غيرك وتزوجته وتركتك رغم عشرات الرسائل التي

كنت ترسلها لها"

نظرت للبعيد وقلت " بعض الأمور تحتاج لتفسير كبير

يا أميرة، فقط لو أعلم لما فعلتها وهي تعلم !! لما"

قالت بحيرة " تعلم ماذا يا رضا ! ما الذي كان بينكما"

تنفست وقلت ببرود " لا شيء مهم"

ثم دخلت وصعدت لغرفتي وتركتها

\*

\*

فتحت خزانتي وأخرجت ذاك الصندوق البنفسجي

ولا أعلم لما لم أتخلص منه حتى الآن ! لما لم أرمه خارج

غرفتي والقصر كله ، فتحت الصندوق وأخرجت الزهرة

## لتعود بي الذكرى لتلك السنين

(( ... طرقات خفيفة على النافذة لأركض مسرعة وأفتحها وأقول

بابتسامة للفتى الواقف خارجها " رضا لما تأخرت "

مد يداه لي وقال " هيا بسرعة مدي يديك "

مددت يداي له وأخرجني من النافذة ككل يوم وسار بي حتى

صرنا في آخر الحديقة وقال " انظري هنا "

قفزت من الفرحة وقلت " حمامة من أين أحضرتها "

قال وهو يخرجها من القفص " أحضرتها من صديق لي لهذا

تأخرت لقد اشتريتها من مصروفي طوال الشهر الماضي لتصبح لك "

ضممت يداي الصغيرتان لصدري وقلت " صحيح هي لي ... لي أنا "

قال بابتسامة " نعم لك أنتي وهل لدي غيرك أذفع عمري كله له )) "

رميت الزهرة في الصندوق وأغلقت الخزانة عليهم ، كنت

صغيرة لكن كلماتك كانت كبيرة يا رضا وأعجز عن فهمها ، تعلم

أني صغيرة ولم تشرح لي حقيقة تلك الحادثة بل تركتني أكتشف

لوحدى وبأبشع الطرق ، لمتت خصلات شعري وأمسكته بمشبك  
وفتحت باب غرقتى ، لم أفكر أن أفعلها منذ زمن ولكن هذه الأصوات  
الصغيرة تبعث فينى الفضول ولا أعلم لما ، سرت بضع خطوات  
حتى نهاية الممر فتقابلت وطفلة صغيرة بل تقابلت مع نفسى فى  
صغرى ... نعم نسخة عنى تماما ، نظرت لها مطولا بصمت  
وهى تنظر لى باستغراب ثم قلت " من أنتى "  
نزلت قليلا للأسفل ترفع فستانها الطويل وقالت بابتسامة جميلة  
" الأميرة بيسان "

### نهاية الفصل

طبعاً الحدث إلى تم توقعوه هو أختباء سما فى المنزل  
أول من فاز بهاتوقع طعون لكن فيتامين سى توقعت إنها فى الخزانة  
فاحترت منو بينهم بختار وأي وحدة بختارها بظلم الثانية فاثينهم فازوا  
بهدية الفصل وفيتامين سى لىها الخيار تاخذها هالفصل أو الفصل القادم  
والهدية مثل السابقة حدث تبون أكشفه لكم من الفصل التاسع

وألف مبروك حبيباتي وتستاهلوا وترى في القادم أول من بيتوقع هوا  
بس

بياخذ الهدية ..... ودمتم في رعاية الله

### الفصل التاسع

لم يستطع نواس قطعا إخفاء الصدمة في ملامحه من كلام  
وسن القوي الثابت عن زوجته وكأنها ليست من كانت قبل  
قليل تبكي زواجه بغيرها فهكذا هوا الحب حتى القوة فيه ضعف  
وهكذا هم العشاق لا تصدق منهم شي وهم يتواجهون بألمهم  
ففي الفترة الماضية حين كانا يلتقيان عندي في زيارة وسن لي  
نهاية الأسبوع يحاول نواس أن يكون هادئا ولا مبالي بعض الأحيان  
لكن ابني نواس لا يعرف كيف يخفي ما في نفسه مهما حاول فأراه  
طوال الوقت يحاول سرقة نظره إليها وهي في كل لقاء تبحث في  
ملامحه عن أمل جديد يعيد ما كان بينهما لكن اللذان أمامي الآن

مختلفان تماما هي يائسة من الشيء الذي كانت تبحث عنه وتقاوم

مشاعرها بعنف المرأة المجروحة وهوا لم يعد يختلس النظر لها

بل أصبحت لا تفارق عيناه ملامحها وانقلبت الأدوار وباتت وسن

هي من تخفي مشاعرها ونواس هوا من يعطي مشاعره كامل

التصريح دون أن يجاهد نفسه لإخفائها

وقفت وسن وقالت " أعيش مع خالتي لأجل أن المنزل لها

ومن أجلها فقط غيره لا ولو نمت في الشارع"

بقي ينظر لعينيها بهدوء غريب وهي تنظر له بثبات حتى

قال بهدونه ذاته " والدتي هي من تمنعني من نقلها للعيش

معي في المزرعة وأنتظر أن توافق فقط عندها كل

من هنا سينتقل هناك يا وسن"

قالت بحدة مشيرة بإصبعها له " لا لن أعطيها لك يا نواس

لن تأخذني لأعيش معها ، لن تفرح بها يا ابن خالتي"

ثم أخذت حقيبتها وخرجت وتركت باب الغرفة مفتوحا ومارست

هوايتها الجديدة على باب المنزل ، استند نواس بمرفقيه على ركبتيه

ونظره للأرض وقال بهدوء " أرأيتِ ابنة شقيقتك وأفكارها "

اتكأت على ظهر السرير وتنهدت وقلت " رأيتها ورأيت قراراتك

أيضا ، كيف تأخذها للعيش معك وزوجتك هناك ، عليك

أن تقدر مشاعرها أو حتى صحتها على الأقل "

نظر لي وقال بضيق " وهل سأتركها تسكن وحدها هناك

لا وألف لا وأخبريها أن ترفع تلك الفكرة من دماغها نهائيا

أي جنون هذا أقسم أن ما يمنعني هو رفضك أنتي الذهاب

للعيش معي ولا أرى ذاك الرفض منطقيا بعد أن قرر

جواد السفر فأفهمي ابنة شقيقتك هذا ، وما تحدثت عنه

لا أعتقد أنه بات يعنيها والدليل كان واضحا أمامك "

قلت ببرود " وهل ترضى أنت أن تعيش معها وزوجها

في منزل واحد يا نواس ؟ هل تستحملها نفسك رغم

أنك من رفض مسامحتها من شهور "

أشاح بوجهه جانبا وقال بحزن " أمي يكفيني ما بي أرجوك "

تنفست بقوة وقلت بجديّة " وسن أمانتك يا نواس لا تقتلها بذلك

عدني أنها لن تخرج من هذا المنزل إلا بعد موتي ولا تغادره

إلا لمنزل زوجها حية كنت أنا أو ميتة"

نظر لي بسرعة نظرة قوية لم أفهم مغزاها ثم وقف

على طوله وقال " مستحيل"

قلت " وما المستحيل بينهم ... حدد لأفهم"

قال مغادرا " قلت مستحيل يعني مستحيل"

ثم خرج وتوجه لغرفته وأغلقها خلفه بقوة

\*

\*

أخرجت هاتفي ثم أعدته لجيبي مجددا ، عليا أن أنسى أمرها

بعد أن أصبحت زوجته يكفي ما تسببت به لها حتى الآن ، ترى

هل تفغري لي يا مي إن علمت أنني من أوصلك لتلك المصيبة

دون قصد مني ، مي الفتاة التي تحجبت عن الجميع قبل وقتها ولم

تعد تقابلنا أو تتحدث معنا إلا بالمصادفة ، مي رمز الاحترام والعفة في

كل العائلة ، حتى في مشيتها رأسها لا يرتفع عن الأرض تنتهي هكذا

نهاية وعلى يد أحد أصدقائي المقربين من كنت أحكي له عن مشاعري  
نحوها ليحرمني حتى من أن أفكر في خطبتها لأنهم لن يرضوا بي بعدما  
حدث وسأزيد الأمور سوءاً ، ترى هل ستحبين نواس يا مي وأبقى أنا  
لحسرتي التي وحدي أستحقها ، وحتى إن لم يحبها ولم تحبه لن  
يطلقها كما قال فهي ضاعت مني وللأبد ، نظرت للجانب  
الآخر وقلت بابتسامة " ألا تشبع من رسم الخيول  
جد لك شيء آخر غيرها"  
وضع ريشته خلف أذنه وأمسك وسطه بيديه وقال  
بسخرية " مثل ماذا يا أبو العريف ، أنت مثلاً"  
ضحكت وقلت " وما المانع في الأمر ستكون لوحة الموسم"  
ضحك وقال " أضحكنتي يا أبو القناعة"  
تجاهلته وقلت " وما تلك اللوحة بجانبك وكأن فيلا رسمها بخرطومه"  
ضحك وقال " لو تسمعك صاحبة اللوحة ستجعلك تكره اسمك"  
غمزت بعيني وقلت " ومن هذه ها"

ضحك كثيرا ثم قال " يالها من مخيلة التي لديك هذه ابنة

جابر رسمتني وأنا مضجع على السرير "

ضحكت حتى تعبت ثم قلت " ظننته صرصور أو نملة فوق

السرير وليس أنت ، لقد أبدعت في رسمك "

نظر لي بضيق فقلت ببرود " دعني أرفه عن

نفسي قليلا يا معتصم فقلبي مسود "

قال بحيرة " ما بك يا وليد "

تهدت ونظرت جهة الخيول وقلت " لا تكثرث للأمر "

\*

\*

تأففت وقلت " فرح وما الداعي للبكاء الآن "

شهقت شهقة صغيرة وقالت " كيف لا تريد مني أن أبكي وأنت

تخبرني أن حفل زواجنا سيكون بعد ثلاث أيام والسفر خلال نهاية

الأسبوع القادم ، منذ وقت وأنت تجهز للأمر ولم تخبرني بسفرنا إلا

الآن ، متى سأشتري ما يلزمي ومتى سنجهز للحفل وأدعو زميلاتي "

قلت بضيق " فرح أنتي تعلمي أن صحة والدتي لا تسمح أن نقيم

أي حفل كبير ، كم مرة سنتناقش في هذا"

لوحث بيدها وقالت بتذمر " لا شأن لي كيف أتزوج بدون

حفل يكفي لا حفل خطوبة ولا قران وكأني أرملة أو

مطلقة، لما لا تراعي مشاعري أبدا"

تنفست بقوة مهدأ لنفسي ثم أمسكت وجهها بيدي وقلت

"فرح حبيبتي ما الداعي لكل تلك الشكليات لن نشترى الكثير من

التياب وسأشترى لك هناك كل ما تريدينه ، هل يرضيك أن نقيم حفلا

في صالة فندق ووالدي تبقى وحدها في المنزل ، ضعي نفسك مكاني"

قالت بحزن " ولما لم تخبرني منذ وقت عن كل هذا لما ؟ ألسنتُ شريكة

حياتك ومن المفترض أن أعلم منذ وقت وأرتب أموري"

قبلت خدها وقلت " حبيبتي أنتي يا فرح كنتي تعلمين أي ظروف

نمر بها كلانا فلما أشغلك بكل هذا ، لا تعقدي الأمر أكثر

حبيبتي ودعينا نسعد كغيرنا"

نامت في حضني برفق وقالت بهمس باكي " لما زواجي محاط بكل

هذه التعاسة ، لما لست كباقي صديقاتي فليس لدي حتى صورة

لحفل خطوبة مثلهن وكأنك مجبر على الزواج بي"

شددتها لحضني بقوة وقلت " ما رأيك لو أذهب لك في الجامعة

وأحملك بين ذراعي أمامهم وألف بك الجامعة كلها ليصدقوا أنني

أحبك ومتيم بك ولست مجبرا عليك"

قالت بصوت مبتسم " موافقة وفي الغد"

ضحكت وقلت " مشكلتي أنني لا أستطيع ولا حتى التنفس بدونك

سأفعلها غدا وإن طردوك من هناك لا تلقي باللوم علي"

ابتعدت عن حضني وقالت بحزن " أنا قلقة بشأن وسن يا جواد"

تنهدت وقلت " يبدوا والدتي ستجد حلا لكل هذا

خصوصا بعد أن تزوج نواس"

وضعت يدها على فمها مصدومة وقالت " تزوج"

تنهدت وهزرت رأسي بنعم وقلت بهدوء " ووسن علمت بذلك"

وقفت وقالت بصدمة " ونحن نجلس نتبادل الغراميات هنا

انهض هيا لنذهب لها ، هذا إن كانت في المنزل أساسا"

نظرت لها فوقي وقلت بعبوس " لا أعلم لما أنا دائما في المقام الأخير

لديك حتى زميلاتك ومظهرك أمامهم أهم من ظروفني "

وضعت يداها وسطها وقالت بضيق " جواد قف هيا وخذني

لشقيقتي أو ذهبت وحدي وتبقى أنت هنا وحدك "

زدت عبوسا أكثر ماداً شففتاي بزعل فضحكت على شكلي

ثم أمسكت وجهي وقبلت شففتاي قبلة سريعة وقالت

"قم هيا يا قلب فرح "

مثلت الإغماء على الأريكة وقلت وعينايا مغمضتان

" هل أنا في حلم وزوجتي قبلت شففتاي أخيرا "

سمعت ضحكتها ثم قالت " جواد هيا وأنت كالمراهقين "

قلت " أنا مغمى علي ولا يمكنني الاستيقاظ دون قبلة

جديدة ولكن ليس بخيلة كتلك "

سحبتني من يدي وهي تقول " لا تجعلني أندم حتى

على تلك ، بسرعة تحرك "

تحركت معها وأنا أقول " أمري لله كلها أيام

قليلة وسنتصافى يا فرح"

خرجنا من الشقة ووجدنا وسن تصعد السلالم ، تخطتنا في

صمت ودخلت الشقة فنظرنا لبعضنا ثم قلت بهمس

" اذهبي لها لقد تقابلت ونواس عند والدتي ، أنا

في الأسفل إن احتجتما شيء ... حسناً"

هزت رأسها بحسنا ولحقت بها وأغلقت الباب

ونزلت أنا لسيارتي

\*

\*

سمعت طرقات على الباب ثم دخل أخي عاطف وقال

" عمي سعيد يريدك في الأسفل"

وقفت دون كلام ولا حتى أن أرفع عياني فيه ونزلت

أمامه وتوجهت من فوري لمجلس الرجال حيث سيكون

ودخل خلفي عاطف فقال عمي " دعنا وحدنا يا عاطف"

خرج من فوره وأغلق الباب خلفه وقال عمي بحنان

"تعالى اجلسى يا مى"

توجهت نحوه وجلست بجواره فقال بهدوء

"أخبرنى شقيقك أنك ترفضين شراء جهازك يا مى هل هذا

صحيح لأن زوجك يصر على أن أعرف ذلك منك شخصيا"

هزرت رأسى بنعم وقلت " أجل أنا قلت ذلك ولم

يجبرنى أحد أو يكذبوا عليك"

تنهد وقال " ولما يا ابنتى أنتى عروس كغيرك

لا تنقصى من قدر نفسك"

نزلت دمعى فمسحتها ولذت بالصمت فقال

"نواس اتصل بى وقال أن زواج شقيقه بعد ثلاث أيام سيكون زواجا

عائليا بسبب مرض والدته إن كنتى تريدى الحضور ولتتعرفى والدته

أخذتك معى لأنى مدعوا وشقيقك عاطف أيضا وزوجك طلب سؤالك"

هزرت رأسى بلا وقلت " أى زواج سأحضره بهذه العلامات فى كل

جسدى ثم بأى وجه أذهب لهم المشوه أم الملطخ بالعار"

قال بضيق " مى لا تعطى الأمر أكثر من حجمه زوجك ليس من

هنا ومدينته تبعد كثيرا ولا يعرف غيره بما حدث فلا تُرخصي

نفسك أمامهم أنتي أشرف من الشرف ذاته"

قلت بحسرة " يكفي أنه هوا يعلم"

قال بجدية " يعلم وراضٍ أيضاً"

لذت بالصمت أمسح الدموع التي غلبتني فوقف يستند بعكازه

وقال " سأخبره أنك متعبة قليلا ولا تستطيعين الذهاب و عليك أن

تشتري كل ما يلزمك يا مي وحسابي مفتوح لك فوق المال الكثير

الذي دفعه زوجك ومهرك محفوظ لك متى ما أردت كان بين يديك"

غادرت المجلس ركضا للأعلى وعدت لغرفتي وأغلقت الباب واتكأت

عليه ، لما أنا من ماتت كل أحلامها في مهدها ؟ ترى ما تخبئ لي الحياة

من تعاسة ونكبات جديدة ، مسحت دموعي واستغفرت الله ثم توجهت

لخزانتى وأخرجت الصندوق الصغير الذي يعيش في قلبي قبل الخزانة

جلست على الأرض أمامها وفتحته وأخرجت علاقة المفاتيح الموجودة

فيه يتدلى منها حرفي الواو والميم بالإنجليزية مرتبطان ببعضهما

مرصعان بفصوص من الكريستال وفصوص ملونة تتدلى منهما  
العلاقة التي عاشت معي لوقت طويل منذ أن أخذتها من مجلس الرجال  
بعدها نسيها وليد في مجلسنا ولم تطاوعني نفسي أن أعيدها له رغم  
علمي بأنها غالية على قلبه وأنه بحث عنها وعاصم شقيقي كثيرا في  
كل المجلس وهي عندي ولا أحد يعلم كما مشاعري نحوه منذ صغري  
المشاعر النظيفة التي لا أحد يعلم عنها غيري وقلبي وخالقي  
حركتها أمام عيناى الدامعتان أودعها أيضا مع كل أحلامي الجميلة  
تُرى من تكون هذه التي حرفها مرتبط بحرفه ومتعلق به هكذا أم أنه  
أسمه هوا وليد مختار فقط ، حضنتها بقوة أبكي حتى الأحلام التي  
لم أكن أجزم أنها ستتحقق ، لو أني فقط أجد ذاك الشخص الذي  
سرق مني كل هذا ودمر حياتي ، صاحب الرسائل الخفية  
لو ألتقي به فقط ولو ليوم في حياتي لأخذ بحقي منه  
أعدت العلاقة للصندوق ووضعت معها الرسائل ليحتضن الحلم  
ومن أحرقه وأغلقتة ، إن طاوعتني نفسي سأتركه هنا قبل ذهابي

\*\*\*\*\* \*\*

قلت بحيرة " ولكن التي معي اسمها سما أحمد عبد الله "

توجه للرفوف في مكتبه وأخرج ملفا بحث عنه لوقت ثم اقترب

مني وفتحه وأراني صورة فيه وقال " أليست هذه الفتاة "

نظرت لها وقلت " نعم هي "

قال مشيرا بإصبعه " انظر للاسم تحتها "

نظرت وقرأت " سما رفعت عمران الشاطر "

قال بجدية " هل تأكدت الآن "

قلت بحيرة " ولكن كيف !! "

عاد للجلوس على مكتبه وقال " احكي لي كل ما حدث

معك وكيف وجدتها وسأحكي لك كل شيء "

سردت عليه كل ما حدث معي للحظة وهو يسمع باهتمام حتى

انتهيت فhez رأسه وقال بضيق " آخر ما كنت أتوقع أن

تكون تعيش هنا تحت اسم مزور "

قلت " حتى هي لا تعرف غيره "

تنهد وقال " قضية معقدة ولا تزداد إلا تعقيدا"

بقيت أنظر له بحيرة لوقت ثم قلت " ولما لم تعمموا صورتها

وتبحثوا عنها مادتم تملكون الصورة"

قال بجديية " ستكون فكرة غبية أن نعطيهم شكلها واسمها"

قلت بهدوء " جابر هلا شرحت لي ما سر هذه القضية"

أغلق ملفها أمامه وقال " قضايا المصانع ذاتها مقتل شخص فيهم

أو صاحبه والنقطة المشتركة هي الهند إما تصدير أو استيراد

أو شراكة أو نقل أو أي صلة ، الجرائم غامضة والأسباب

غامضة والسلسلة تجر بعضها ولم نكتشف السبب حتى الآن"

قلت بهدوء " سما ذكرت أنها كانت تلاحظ نقاشات كبيرة بين

والدها وشريكه ثم قرر الانتقال هنا بعدما باع حصته"

قال بضيق " والمشكلة أن جميع أوراقه مسروقة ككل

قضية فلا نعرف الشريك ولا ما حدث"

قلت بشرود " ولما زور أسماء أبنائه حتى أنهم هم

لا يعرفون أسمائهم الحقيقية"

قال بهدوء " يبدووا رجلا حذرا جدا وكان يتوقع كل هذا الخطر"

ثم وقف وقال " هيا خذني إليها عليا معرفة المزيد منها وزيارة القبو"

وقفت وقلت " مهلك يا جابر الفتاة رأت أفراد الشرطة يسخرون من جثث

عائلتها ويضحكون ، هي لا تتقبلكم بل وتكرهكم ولن تتجاوب معك بسهولة"

قال بضيق " هل سنساير مراهقة صغيرة ، عليها أن تتكلم ليس

من أجلها فقط بل ومن أجل غيرها"

قلت بضيق " جابر لا تستهين بالأمر وضع نفسك مكانها هم

عائلتها جميعهم وكل ما لديها ، الخطأ على رجالكم لأنهم مستهترين

ولا يحترمون الموتى وكأنهم يخرجون قطط ميتة وليست

عائلة قتلت بدم بارد"

قال باستياء " وما سأفعله لهم برأيك أعاقبهم وأسجنهم ، هم في

النهاية اعتادوا على رؤية هذه المناظر وماتت قلوبهم"

قلت بغضب " وهل تموت قلوبهم درجة أن يتغزلوا في امرأة

ميتة ، هذا ليس موت قلوب هذا موت حياء"

قال ببرود " وهل سنجلب لها سرك التحقيق كاملا ليعتذر منها بربك

يا نزار الرجال تحت يداي يعترفون بسهولة لن أعجز من فتاة"

قلت بصدمة " ما قصدك بهذا هل ستعذبها لتعترف بما تريد"

قال بنفاد صبر " نزار كم مرة سأقول وأعيد أني لا أضرب النساء"

قلت بسخرية " وكيف تحقق معهن يا حضرة المحقق"

قال بضيق " أرسلهن للقسم النسائي طبعاً يا ذكي"

قلت ببرود " ما لديا قلته علينا أن نقتعها بالتعاون معكم أولاً

أنا وعدتها بأن أساعدها لا أن أرغمها على مالا تريد"

قال بسخرية " نزار هل لعبت تلك الصغيرة بعقلك أم

بقلبك أم بكلاهما معا"

ضحكت وقلت " لن تنال مني بهذه يا ذكي فأنا أعرف

الأعيبك جيداً ، هي طفلة أمامي يا نبيه فيما ستلعب وتلعب"

قال بضيق " نزار قد يكون لدى الفتاة الخيط الذي سيحل

لنا كل هذه المشكلة فلا تتعب لي رأسي"

قلت مغادرا " أخرج الفتاة حاليا من القضية سنتناقش أنا

وأنت فقط وأجلب لك منها كل ما تريد ، وداعا"

\*

\*

تركتها أنهت صلاتها على سريرها ثم أحضرت صينية الشاي

والكعك وقلت " لقد حضرت كعكا لنأكله مع الشاي ، والدتي رحمها الله

كانت تفعل هكذا دائما بعد أن نصلي العصر ، سيعجبك كثيرا فأنا

أكثر ما أحب أعداده هوا الكعك"

قالت بابتسامة " حمدا لله الذي رزقني بابنة كبيرة على كبر

ورزق نزار بمن ستفضي له جيوبه"

قلت بحزن " آسفة يا خالتي لم أقصد أن أكلفه"

ضحكت وقالت " لا تخافي عليه إن نفذ ما لديه لن يخجل

منك ، هيا دعيني أتذوق كعكك"

وضعت لها قطعة في الطبق وقلت

"لدي في قبو منزلنا أموال كثيرة لا أريدها ليأخذها هوا"

ضحكت وقالت وهي تأخذه مني " أنتي لا تعرفين نزار يا

سما هوا حتى من الرجال لا يأخذ النقود كيف سيأخذها

منك أنتي فلا تجرحي كرامته بقول هذا له "

قلت بهدوء حزين " ولكني لا أريدها فعلا وأكرهها

فبسببها خسرت عائلتي "

تنهدت وقالت " لو كل من فقد أحد تخلص من السبب لضاعت

البشر يا سما، المال سند للإنسان يا ابنتي رغم كل عيوبه "

سمعنا حينها صوت باب المنزل انفتح وأنغلق فقالت مبتسمة

" ها هوا أستاذك قد جاءت به رائحة كعك اللذيذ "

وقفت من فوري مبتعدة عن الكرسي ووقف هوا عند الباب

متكأ بحافته وقال بابتسامة " ما هذه الرائحة هل

تأكلون شيئا من ورائي "

أخفضت رأسي خجلا وقالت والدته " هذه سما قررت سحق

أموالك وأعدت كعكا لم أتذوق مثيله فتعال قبل أن لا تجد منه شيئا "

دخل وقال " جيد والحكم على الطعم وليس الرائحة وأنتي ستدفعين

ثمن كل هذا يا أمي حين تعود سما لعائلتها لأنك ستُحرمين منه"

ضحكت وقالت " لم أفكر في هذه النقطة"

جلس وأخذ قطعة صغيرة من طبق والدته وأكلها وقال

"ممتاز هل حقا أنتي من أعدها ولم تشتريها من الخارج"

أخفضت رأسي ولم أستطع قول شيء من حيائي فضحكت

خالتي وقالت " طالبتك هذه تبدووا تخاف منك كثيرا"

خرجت حينها مسرعة من الغرفة للمطبخ فأنا حقا غير معتادة

على الاحتكاك بالرجال والأستاذ نزار كان جديا معنا كثيرا

في الحصص وما أن أراه حتى تتوتر جميع مفاصلي

دونا عن غيره من الرجال

\*

\*

ضحكت وقلت " الفتاة تخجل كثيرا أو تخاف منك"

أكل قطعة أخرى وقال " هي تخجل مني وغير معتادة

علي فوالدها رباهم في معزل عن الجميع خصوصا

الرجال فستحتاج وقت لتتعود"

قلت بهدوء " ماذا فعلت بشأنها"

قال بذات الهدوء " تحدثت وجابر ، لديها اسم حقيقي غير اسمها

ذاك وسنبحث في أمرها فيما بعد لأنني كدت أتشاجر معه"

قلت بحيرة " ولما تتشاجران !!"

قال بصوت منخفض " الفتاة تكره رجال الشرطة ولا تتق بهم

وهوا يريد استجوابها ومعرفة المزيد منها وأنا رفضت

حتى نقتعها بالتحدث معه"

تتهدت وقلت " خيرا صنعت فهي ناقمة عليهم حقا من

حديثها حين حكمت لي عن قصتها"

ساد الصمت قليلا ثم كسرتة قائلة " الفتاة معتادة على

حياة مرفهة وكل ما تريده تجده لذلك أفهمتها بطريقتي

أنك لن تستطيع توفير كل ما يلزم المطبخ"

نظر لي بضيق وقال " أمي ما هذا الذي فعلته

أنا لن أعجز عن توفير ما تحتاج"

قلت بهدوء " ولكنك توفر المال وهذا" ....

قاطعني باستياء " وإن يكن فليس من اللائق أن تخبريها

أني عاجز عن توفير ما ستحتاجه"

ابتسمت وقلت " آسفة بني كان قصدي خيرا"

وقف وقال " لا بأس أُمي أنا هوا الآسف ولكن

ما كان عليك قول هذا لها"

ثم خرج من الغرفة ، ويحي كيف نسيت أنه في النهاية رجل

ولا يحب أن يظهر عاجزا أمام امرأة عن توفير ما سيلزمها

\*

\*

دخلت المطبخ ووجدتها خلف باب الخزانة لا يظهر منها سوى

المنتصف من جسدها تقف على حافة الخزانة السفلية المفتوحة وترفع

نفسها على رؤوس أصابعها لتحضر شيئا من الخزانة العلوية

اقتربت منها وقلت " أنا سأنزل لك ما تريدينه"

ارتعدت حتى كادت تسقط وتمسكت بباب الخزانة السفلية

فأمسكتها من ذراعها وقلت " حاذري من أن تقعي يا سما"

ابتعدت عن الخزانة وعدلت من شعرها تخفي ما تناثر منه خلف

أذنها تنظر للأرض وقالت بشبه همس

"أسفة أردت جلب الصينية من الأعلى"

أنزلتها لها وقلت " الرفوف مرتفعة عليك سأجلب مع الأثاث

شيئا يساعذك في الصعود فلا تصعدي هكذا ثانيًا"

هزت رأسها بحسنا دون كلام فقلت مبتسما " يبدو أنه لديك

مشكلة مع كلمة نعم ولا ، ما رأيك أن تقولها بالإنجليزية"

نظرت لي بصدمة فقلت بذات ابتسامتي " كلما سألت عن

شيء أو مات لي برأسك سلبا أو إيجابا"

ابتسمت وأنزلت رأسها وقالت بحياء " أسفة لم أقصد"

ضحكت وقلت " ولما تعتذري أردت فقط أن أمارحك

كي تعتادي على الحياة معنا هنا"

وضعت الصينية على الطاولة وقلت " سأجلب أثاث غرفتك

وما طلبته مني لأنني تركته لأجلهم معا ، إن كنتي تحتاجين

لأبي شيء في المطبخ اكتبه في ورقة حسنا"

هزت رأسها بحسنا ثم ضحكت ضحكة صغيرة وقالت

"أعني حسنا سأكتب لك"

ضحكت وقالت " أخشى أن تتحولي لثرثرة بسببي ، يمكنك

قولها كما تريدن كنت أمزح فقط"

هممت بالخروج حين استوقفني صوتها قائلة " أستاذ نزار"

التفت لها وقالت " وأستاذ هذه لم يعد لها لزوم حسنا"

أحمرت خداهما وشتت نظرها وقالت " لا أستطيع" ...

كم هي طفلة هذه الفتاة وكأنها لم تخرج للعالم بعد ، قلت بابتسامة

"ستعتادين ذلك أنا لا أريد أن تنادينني أستاذ اتفقنا"

قالت بهمس " سأحاول"

قلت " نعم يا سما ماذا كنتي تريدن قوله"

قالت بهدوء وعيناها في عيناى " هل فصلوا

وجدان أيضا من المدرسة"

لذت بالصمت للحظات ثم تنهدت وقالت " هذا ما حدث

أمامي لكن والدها أعادها"

نظرت للأرض وقالت بحزن " علمت أني

سأكون الخاسر الوحيد"

وضعت يدي على كتفها وقلت

"لا تقلقي يا سما لن يضيع من دراستك شيء كوني أكيدة"

رفعت رأسها لي وقالت بسرور " حقا لن تضيع دراستي"

هزرت رأسي لها بنعم وقلت " أعدك لن يحدث ذلك"

ضحكت وقالت " ها أنت أيضا لم تقل نعم بل هزرت رأسك"

حككت شعري وقلت ضاحكا " يبدووا أني أصبت بالعدوى منك"

ثم قلت خارجا من المطبخ " سأصعد لغرفتي قليلا

ثم أخرج للسوق فلا تنسي كتابة ما تريدين"

صعدت من فوري لغرفتي وفتحت الإنترنت مجددا أبحث

عن عائلتها الحقيقية وصعقت بأنها عائلة كبيرة ومعروفة في بيع

وتجارة قطع غيار الآلات الكبيرة كالمصانع والشاحنات وما إلى

ذلك، لديها ثلاث أعمام واحد مقيم في الخارج وآخران هنا أحدهم

الأكبر وهو متوفى وأبنائه يديرون كل أعمالهم ، رفعت هاتفني

واتصلت من فوري بجابر فأجاب بعد وقت فقلت مباشرة

" عائلة الفتاة معروفة وفاحشة الثراء "

قال " أعلم "

قلت " ما سر إخفاء والدها هويتهم يا ترى "

قال من فوره " في الهند كان أحمد عبد الله الجهري وهنا

أحمد عبد الله فقط وكأته أخفى هويته مجددا والسبب مؤكد

أولئك العصابة لكن المخاوف أين يصل علمهم عن العائلة

فقد يكونوا يعلمون الاسم الحقيقي لهم ويبدوا يبحثون عن الفتاة

لسبب ما قد يكون مخاوف لديهم من أن يكون لديها أي معلومات

عنهم فحسب تحليلي للقضية المجموعة التي أرسلوها قتلت

الجميع ضنا أن الطفلة الهندية هي ابنتهم والأوامر كانت بقتل

الوالدين وابن والابنة ثم تبين لهم غير ذلك وعادوا للبحث عنها "

قلت بحيرة " ولما غير والدها حتى اسمه الأول ومن سنين

طويلة ومنقطع عن عائلته تماما"

قال بعد صمت " مشاكل شخصية بينهم لا يحق لي قولها لأحد"

قلت " وهل تصل به لتغيير اسمه !! غريب حقا أمره"

قال " أتركنا من هذا ودعني أقابل الفتاة سريعا"

قلت بضيق " جابر ما لدي قلته فلا تجعل الأمور تسوء بيني وبينك"

قال بحدة " علينا أن نعلم منها وعلينا حمايتها منهم تفهم"

قلت " عائلتها هي الكفيلة بذلك الآن مادمت وجدتهم"

قال من فوره " إياك أن تتهور يا نزار ستضعها في الخطر بعينه

تكتم عن كل ما علمت مني ولا تخبر حتى الفتاة مفهوم"

قلت بتوجس " ولما لا تعلم ولما ستكون في خطر"

قال بضيق " احتمال علمهم بهويتها الحقيقية كبير وهم يبحثون

عنها فأنت بهذا تقول لهم ها هي تعالوا خذوها"

تنهدت وقلت " والحل إذا"

قال " لا تفعل شيء حتى أراها حسنا"

قلت بهدوء " حسنا ولكن ليس الآن "

تأفف وقال " ليس الآن أمري لله ستسيرنا فتاة

صغيرة على مزاجها "

قلت ببرود " أخبرتك أنني لن أجبرها على شيء

وأنني سأساعدنها للنهاية "

قال " ولا تلوم إلا نفسك إن عرضتها للخطر "

قلت " لا تقلق وداعا "

أنهيت الاتصال منه وفتحت الدرج وأخرجت كل ما كنت مقررا

صرفه لهذا الشهر ، يبدو أنني لن أوفر شيئا هذه المرة لأن أثاث

الغرفة سيكلفني لا بأس هذا الشهر سألغيه من حساباتي ، والدتي

تعيش شبه مقعدة من سنين تنتظر الابن الفاشل الذي يجمع ثمن

عمليتها ولم تجني سوى الأمل الكاذب ، العملية كبيرة ومكلفة كثيرا

حتى لو أخذت المال من جابر لن أعطي كل تكاليف العلاج والسكن

والرحلة وأمي أيضا لا توافق أن آخذ المال منه ، آه سامحيني يا

أمي لو بيدي شيء لفعلته ، لو لم تخذلني رهام وتتركني في الماضي

لكنت سافرت ودرست وتخرجت منذ سنوات وأجريت لها العملية  
منذ زمن ولم أنتهي هذه النهاية المأساوية .... مدرس يجمع القليل  
من رواتبه على أمل أن يصبح ثريا ويجري لها العملية ، تنهدت  
بضيق ثم وقفت وغادرت الغرفة ونزلت للأسفل وكنت اسمع همسا  
وضحكا من غرفة والدتي ، جيد أنها تقبلت سما وأحببتها من أول  
يوم ، أعرف أمي قلبها طيب ولا يمكنها الحقد على أحد، وها  
هي وجدت من يونس وحدثها وتتسلى معه ، وقفت عند  
الباب وقلت " سأخرج هل توصيان شيئا"  
قالت أمي بابتسامة " سلامتك بني وأعتني بنفسك"  
بينما لاذت سما بالصمت تنظر للأرض ، هذه الفتاة تشعرني أنني  
أضايقها ولا تأخذ راحتها وكل ما أخشاه أن أطر لسجن نفسي في  
غرفتي من أجلها ، قلت بهدوء " سما هل كتبتي ما تحتاجينه"  
رفعت نظرها لي وقالت " كل شيء موجود لم أجد شيئا ناقصا"  
مؤكد كلام والدتي معها هوا السبب فمنذ قليل قالت أنها ستكتب

ما تحتاجه ، قلت " ولكن العيد سيكون بعد يومين قد لا أخرج

قبله لأن الأسواق تكون مزدحمة وأنا أكره الازدحام فيها"

قالت ونظرها لوالدتي " هل تستقبلون ضيوفا كثر"

قالت أمي " ليس كثيرا ولكن عدد لا بأس به"

نظرت لي وقالت " إذا أنا من سيعد كعك العيد

كل شيء متوفر ولا ينقص شيء"

قلت " والعصير والقهوة"

قالت " سأعد العصير أيضا بالفواكه الموجودة

أحتاج فقط لثمرة أناناس واحدة"

قلت مغادرا " حسنا"

أوقفني صوت والدتي قائلة " نزار ما ستفعل بشأن الأضحية هذا العام"

التفت لها وقلت " سنتشارك والجيران ككل عام"

قالت بابتسامة " أجعل جزء مما تتصدق به من أجل عائلة سما"

هزرت رأسي بحسناً مبادلاً لها لابتسامة وخرجت وركبت

سيارتي وتوجهت لسوق كبير لبيع الأثاث ، لففت المكان كثيرا

ولم أجد السعر المناسب لأشترتهم معا ، تلك مشكلة فأنا لا أريد

أخذ شيء من المال الذي أوفره ، توجهت للقسم المخصص

بالأثاث المستعمل فهوا حلي الوحيد كي أشترى كل ما

سيلزم غرفتها وأوفر مصروفا لباقي الشهر

تجولت فيه واخترت سريراً وخزانة صغيرة ومكتب للدراسة

هذا يكفي مؤقتا وسأكمل البقية الشهر القادم فقد تطول قضيتها

وتبقى معنا مدة طويلة ، تعاقدت معهم لإيصاله للمنزل وعدت

قبلهم لإدخاله بعدما اشتريت باقي ما طلبته مني ، من الجيد

أنها وفرت علي ثمن العصير وحلويات العيد فالأسعار

هذا الوقت تكون مرتفعة جداً

وصلت المنزل وتقابلت ودعاء بالمقربة من الباب فقالت مبتسمة

ما أن رأته " مساء الخير كنت عند صديقة لي هنا وقررت

زيارة والدتك لأطمأن على صحتها الآن وإن كانت

تحتاج شيئاً في المنزل من أجل العيد "

وضعت الأكياس على الأرض وقلت وأنا أفتح الباب

"شكرا لك وجدنا حلا مؤقتا لكل مشاكلنا العالقة"

رفعت هي الأكياس من الأرض ونظرت لي باستغراب وعلى

شفتيها سؤال لكني دخلت قبلها قائلا " سترتاحين منا مؤقتا"

ودخلت ضاحكا وهي تتبعني على خروج سما من المطبخ

\*

\*

شعرت قلبي هوى للأرض من سماع جملته وأول ما فكرت فيه

أنه تزوج وقد حذف دماغي كلمة مؤقتا من الجملة التي قالها

واكتملت صدمتي على الفتاة التي خرجت لنا من المطبخ ترتدي مريولا

فوق ثيابها بملامح طفولية جدا وجميلة وعينان زرقاء واسعة ، نظرت  
لي

بحيرة ثم للأكياس التي في يدي فقلت من فوري لأفهم ما يجري

"نزار لم تخبرني أنك تقصد أنكم أحضرتم خادمة"

تغير وجه الفتاة وتوقفت أنفاسها فنظرت له مباشرة فكان ينظر لي

باستياء واضح أما الفتاة فركضت مسرعة عائدة للمطبخ

فقلت بتوتر " آسفة هل أخطأت في شيء "

قال بضيق " تعلمي أني لا أحب الخادمتك ثم أنا أخبرتك أن

قريبة لي ستأتي إلينا ، أي إهانة هذه التي وجهتها لها "

ثم توجه من فوره خلفها للمطبخ وتركني واقفة مصدومة من كلماته

وطريقته في التحدث معي فلأول مرة يكلمني هكذا فهو كان مهذبا

معني دائما كما الجميع ، لو لم أكن أعرف نزار جيدا وأنه لا يرى

الفتيات الصغيرات مثلها أكثر من كونهن مراهنات لقلت أن ثمة شيء

بينهما ، دخلت خلفه للمطبخ ، كانت الفتاة تقف عند المغسلة تمسح

دموعها وهو يقف بجانبها مستندا بيده على المغسلة ويقول بهدوء

" دعاء فهمت الأمر خطأ فأنا لم أخبرها أنك "

معنا .... توقفي عن البكاء يا سما "

سما ... اسمها غريب ومميز مثلها ، جيد أنها صغيرة لكنت

منافسا وندا قويا لن أقدر عليه ، حممت قليلا وقلت

" أنا آسفة يا سما لم أقصد "

وضع نزار يده على كتفها وقال بابتسامة

"وها هي اعتذرت منك هل ننسى كل ما حدث"

هزت رأسها بنعم دون كلام ودون أن ترفع رأسها ، غريب من  
تكون يا ترى هذه التي يلمسها بيده فأنا أعرفه من أعوام معرفة  
جيدة لم يسبق أن اقتربت يده مني ولا بالخطأ ، هوا بالفعل يعاملها

كطفلة وليس كامرأة لما كان تركها تبقى دون حجاب معهم

نظر لي ثم لها ثم قال مغادرا " ابقيا في غرفة والدتي

فالعمال سيأخذون الأثاث للأعلى"

ثم خرج فوضعت الأكياس على الطاولة وخرجت في صمت

متوجهة لغرفة والدته ودخلت ملقبة الحية بابتسامة فقالت بترحاب

"مرحبا بك يا دعاء ما هذه الزيارة المفاجأة"

اقتربت منها وقلت بابتسامة " كنت عند ماجدة وفكرت في

زيارتك في طريقي لأرى إن كنتي تحتاجين شيئا قبل العيد"

قالت بابتسامة ناظرة للداخلة من الباب " سما ستقوم

بالواجب وزيادة شكرا لك يا دعاء دائما ما نتعبك معنا"

قلت بابتسامة " لا تقولي هذا يا خالة أنتي في مقام والدتي "

توجهت الفتاة من فورها لسرير الخالة وجلست بجوارها عليه

وقالت الخالة " سما قريبة زوجي رحمه الله من والدته وهي فقدت

عائلتها في حادث وستبقى معنا حتى تذهب مع عائلة والدها "

قلت بابتسامة " سرني التعرف عليك يا سما "

اكتفت بابتسامة دون رد فتبدوا قليلة الكلام وقالت الخالة

" تذوقي كعك سما يا دعاء طعمه طيب وسيعجبك "

تحركت الفتاة سريعا وأخذت قطعة في طبق وقدمتها لي مع

الشوكة فشكرتها وأكلت منها قطعة صغيرة فكانت رائعة الطعم

بالفعل ويعجز مقاومتها لكن غصت نفسي من فكرة أن هذه الفتاة

قد تحوز على اهتمام نزار رغم فارق السن الكبير بينهما

أعدت الطبق على الطاولة فقالت الخالة " مآبك يا دعاء ألم تعجبك "

قلت بابتسامة صغيرة " أبدا هي رائعة ، فقط أنا لا أحب الحلويات كثيرا

"

فتح عندها نزار باب الغرفة وقال

"سما تعالي لتختاري أين أضع لك السرير والخزانة"

قالت بصوت منخفض " هل غادر الجميع"

قال مغادرا " نعم أنا من سيحركها ، فقط اختاري المكان"

وغادرت من فورها خلفه وأنا كالعادة لم ينظر ناحيتي

وكأني لست موجودة في الغرفة

وقفت من فوري فقالت والدته " ما بك يا دعاء لازال الوقت مبكرا"

قلت بهدوء " اقترب وقت المغيب وورائي أعمال كثيرة فقد أكون

مناوبة يوم عرفة أو العيد ، عمتي مساءً يا خالة وكل عام وأنتي بخير  
مقدما"

قالت بابتسامة حنونة " وأنتي بخير يا ابنتي ولا تنسي تبليغي سلامي

وتهننتي لوالدتك وشقيقتيك وزورينا لو لم تناوبي في المستشفى"

قلت مغادرة الغرفة " بالتأكيد ... وداعا"

غادرت منزلهم وركبت سيارتي وعدت لمنزلي ودخلت على صوت

تذمر شقيقتي فقلت بضجر " هيام متى تتوقفين عن التذمر كالأطفال"

قالت باستياء " لما أنا المنحوسة بين الجميع ، امتحان في ثالث

أيام العيد لا وفي الهندسة التحليلية ولمن للأستاذ نزار ، اسمعي

أخرجوني من المدرسة الخاصة أريد الحكومية أفضل"

قلت وأنا أنزع حجابي " ومن هذا النزار أيضا ، متى

ستحبين أستاذ واحد من أساتذتك"

تأففت وقالت " لا أعلم من أين أحضروه لنا لا يعرف حتى

الابتساماة وازداد معنا سوءاً من يوم طرد المدير سما

وأرجع وجدان وكأنا من طرد طالبتة النابغة"

قلت بصدمة " ما هوا اسمه كاملاً!!"

قالت مغادرة بضيق " نزار وجدي الأحمدى"

ماذا!!! نزار وسما طالبتة ومطرودة من المدرسة أيضا

لم يخبروني بهذا

\*\*\*\*\*

نزلت بفستانها الطويل وقالت بابتساماة جميلة

"الأميرة بيسان"

ابتسمت ابتساماة صغيرة ، إذا هذه ابنة جابر الكبرى

قالت بذات ابتسامتها " وما أسمك أنتي "

قلت بهدوء " زهور "

قالت بسرور " أنتي عمتي زهور "

قلت باستغراب " نعم أنا هي "

ضمت يداها الصغيرتان لصدرها وقالت بسعادة

" كم أنتي جميلة عمتي "

ابتسمت ابتسامة حزينة وقلت " وأنتي جميلة وحين

تكبرين ستصبحين مثلي تماما "

قالت بدهشة " حقا سأصبح مثلك هكذا وأرتدي فستانا

حريريا طويلا مثلك "

اقترب حينها صوت أحدهم يناديها فقلت عائدة جهة غرفتي

" نعم ستصبحين مثلي لأنني كنت مثلك في صغري "

ثم دخلت غرفتي وأغلقتها خلفي وعدت لعالمي الوحيد الذي

يحويني ويحتملني ، ما كان عليهم جلبكم هنا لأن هذا المكان

لا يفعل للأطفال سوى أنه يقتل طفولتهم وحتى من سيحاول إخراجهم

منه سيؤذيهم أكثر مما سينفعهم لأن البشر هكذا متشابهون

\*

\*

فتحت باب الغرفة لأرى سبب كل هذا الصراخ والضحك واتكأت

على حافة الباب انظر لأمجد وهو يحمل بيسان على ظهره ويحبوا

بها وترف تصفق منتظرة دورها فقلت بحدة " بيسان انزلي حالا"

نظرت لي بصدمة وقد عم الصمت المكان ثم نزلت وجلس

امجد فقلت بضيق " أمجد ما هذا الذي تفعله ؟ هل تريد كسر ظهرك"

نظرت بعدها جهة المربية وقلت بحدة " وأنتي تتفرجين عليهم هل

تعلمي خطورة هذا على صحته وأنه في المستقبل سيكون

رجلا وسيدفع ثمن هذا العبث"

قالت بتوتر " لم أعلم أنه" ....

قلت بغضب " ماذا تعلمين إذا"

ثم نظرت لهم وقلت بذات الغضب " من علمكم هذه اللعبة السيئة"

قالت بيسان بصوت منخفض " عمي معتصم"

تأفت وقلت " معتصم معتصم كل شيء أصبحتم تتعلمونه منه  
ووالدي ستأكل لي رأسي منكم ومنه ، هل كنتم تفعلون هذا سابقاً"  
هزوا رؤوسهم بلا فقلت بضيق " إذا والدتكم لم تكن توافق فعل هذا"  
قالت بيسان " نعم كانت تقول هذا لعب سيئ ولا تسمح لنا به"  
قالت ترف " بابا أمجد ضربني"  
قلت بضيق " ولما هذه المرة"  
قالت بدمعة محبوسة " قال لي أنتي سيئة وبابا يغضب منك دائماً  
والمربية لا تحبك وماما غاضبة منك"  
نظرت له بضيق فقال " هي تفعل أمور سيئة وأخبرتها أنكم  
ستغضبون منها فقالت أني فاشل وسأرسب هذا العالم"  
ثم رمى يده في الهواء وقال ببرود " فضربتها"  
قلت بضيق " كنت أخبرتني بدلا عن ضربها"  
قالت بيسان بهدوء " هل سنرى ماما في العيد"  
أسوء ما في الأطفال أنهم يغيرون المواضيع في لحظة وكأنهم

لا يكثرثون لما تقول ويتجاهلونك ، قلت ببرود

"أخبرتها وقالت لن تأتي لا تريد القدوم إليكم"

ثم غادرت على نظراتهم المصدومة ، ما كان عليا قول هذا لهم ولكني

ذقت ذرعا بهذا الحال ، أمي وانتقادها لهم ولقراري الزواج بأرجوان

وهم ومشاكلهم التي لا تنتهي وأرجوان وعنادها وغبائها ، معتصم

والغرفة التي يخفي أمرها عني هذا غير مشاكل المكتب والتحقيق

أشعر أن رأسي سينفجر ، دخلت جناحي وتوجهت لغرفتي فتحت

ربطة العنق ورميتها بعيدا رميت السترة وفتحت جهازي الحاسوب

وجلست أعمل عليه لوقت حتى رن هاتفي ونظرت للمتصل

باستغراب ثم فتحت الخط وقلت " مرحبا رضا كيف أنت"

قال من فوره " بخير كيف حالك يا جابر أين أنت لا أجداك في أي

مكان ولم أستطع حتى اصطياذك في القصر"

ضحكت وقلت " أبعد عني الشبّاك وبنادق الصيد رجاءً ، لم

أكن اعلم أنك هنا ، متى عدت"

قال بصوت مبتسم " منذ أيام وأنا عند عمك منصور لكنك منقطع

عن العائلة بسبب عمك الذي سيقتلك في النهاية"

قلت بابتسامة " لم أجد موهبة الكتابة مثلك لكنت وجدت نفسي مخرجاً"

قال بعد ضحكة " كنت ستلقى مصير معتصم ولن ترضى

والدتك أن تدرس في كلية الآداب"

قلت ببرود " وما كنت سأتصرف بغباء مثله طبعاً"

قال " أريدك في أمر فكيف أجذك"

ضحكت وقلت " قل متى أجذك وليس كيف"

ضحك وقال " بل أنت لا يُعرف لك مكان وليس وقت"

قلت ونظري على الحاسوب " أنا في القصر الآن سأطلب من

الخادمة أن تدخلك لجناحي"

قال بعد صمت " لما لا تنزل لي قد يتضايق أحد من دخولي"

قلت " لن يتضايق أحد والدتي عند صديقة لها وزهور في غرفتها

ثم أنت ربيت مع العائلة من سيعترض دخولك هيا ولا تكبر

المسألة أم تراني طفلاً أمامك ولا كلمة لي في هذا المكان"

قال من فوره " أبدا لم أقصد ذلك فقط أنا" ....

قاطعته قائلا " سأخبر الخادمة لتوصلك لجناحي وانتهى الأمر"

قال بهدوء " حسنا سأصل القصر بعد لحظات"

\*

\*

جابر سيزيد توتري بأن أفتح معه الموضوع عنده ، أعرف الرد

جيذا ولن تكون هذه الأولى فلم أرجع من سفري إلا لشيء واحد

أن تكون زهور لي أو أهاجر للأبد هذه المرة

وصلت القصر ووجدت الخادمة في انتظاري عند الباب فقلت

"مرحبا أنا رضا"

قالت من فورها مشيرة بيدها للداخل " نعم تفضل السيد بانتظارك"

دخلت أتبعها ببطء ، لم أدخل هذا القصر منذ سنوات وما زال كما كان

هم يحافظون عليه كما بناه والدهم تماما ، سعدت بي الخادمة للأعلى

لا أكذب لو قلت أنني تمنيت مقابلتها ولو بالمصادفة رغم علمي أنها

لا تغادر غرفتها أبدا ، وصلنا الجناح فوقفت الخادمة وقالت

" هنا جناح السيد يمكنك الدخول"

ثم غادرت من فورها وطرقت أنا على الباب عدة طرقات وفتحته

ثم دخلت كانت الردهة فارغة تماما ولا أحد بها ، أغلقت الباب

واقتربت للداخل وكان صوت المياه يخرج من جهة الحمام الفردي

لابد وأنه يستحم ، جلست على الأريكة وشغلت التلفاز ، بعد قليل

انفتح باب الحمام وخرج منه يلف المنشفة على خصره فقلت بضحكة

"من قال لك أن إحدى النساء هي من ستزورك الآن لتغريها بعضلاتك"

ضحك واقترب مني فوقفت وتصافحنا وقال ضاحكا

"العضلات لا تغري يا وقح هي تخيف فقط"

جلست وقلت بابتسامة " غبي ولا تعرف عن عالم النساء

شيئا فهلا سألت نفسك لما ننام جميعنا في أندية الرياضة

ونربي ولو عضلة صغيرة"

ضحك وقال وهو يجفف شعره بالمنشفة الأخرى

"ظننتكم تبحثون عن الصحة لا التباهي أمام النساء"

ثم توجه لغرفته وأغلق الباب خلفه وغاب لوقت قليل ثم خرج

مرتديا ملابس عمله فقلت " يبدوا جئت في وقت غير مناسب"

فتح الثلاجة الصغيرة في الزاوية وقال " أبدا أمامي وقت

كافي ، ماذا تشرب"

قلت ونظري على التلفاز " لا شيء دعنا نتحدث قليلا فقط"

جلس بجواري وقال وهو يأخذ مني جهاز التحكم

"ألزمت كعادتك مدمن للبرامج الوثائقية"

وضعت ساق على الأخرى وقلت بضحكة " وما الذي سيغيرني"

قال بابتسامة " ضننت الحياة في الخارج ستغيرك"

تنهدت وقلت " الحياة في الخارج لا تغير هي تحطم فقط"

نظر لي باستغراب فقلت بابتسامة " لا تفهم قصدي كما يحلو لك

أقصد تحطم النفسية فالغربة عن الوطن والأهل أمر صعب ومدمر"

قال وقد عاد بنظره للتلفاز " وما أطرك لهذا إذا"

قلت بهدوء " هروب من مرارة لأمر منها"

قال بضيق " أترك عنك حركات الأدباء وأخبرني

ماذا تريد قبل أن أطرده"

ضحكت وقلت " ستكون طردة مقبولة منك وأستحقها ، كنت

أود التحدث معك في موضوع شقيقتك زهور "

قال ونظره لم يغادر التلفاز " مجددا يا رضا "

نظرت للأرض وقلت بشبه همس " لم يرغب الأمر عن بالي يوما يا جابر "

تنهد وقال " هذه المرة لن تقف والدتي فيه ... أعدك "

نظرت له بصدمة فقال بهدوء " في المرة السابقة طاوعتها وتركتها

تختار هي من تريد من العدد الكبير الذي تقدم لخطبة زهور وكانت

النتيجة مؤسفة ، هذه المرة زهور وحدها من ستقرر "

بقيت أنظر له غير مصدق فنظر لي وقال " لكن لن أضمن لك موافقة

زهور فحالتها منذ زواجها الفاشل ذاك لا تسر أحدا وعليك أن تعلم "

غادرت بنظري منه للتلفاز وقلت بهدوء

" أعلم كل شيء ولا أمانع ، فقط لتوافق هي أولا "

ضحك وقال " سحقا للحب وأفعاله "

نظرت له وقلت بضيق " جابر احترم نفسك أفضل لك "

ضحك وأشار لي بأصابعه كشكل سلاح وقال " تصمت أو قتلتك "

ضحكت وقلت " أراني الله فيك يوما وقد دمرك عشق امرأة "

وقف وقال وهو يثبت سلاحه في الحزام

" إن فقدت عقلي وفعلتها سأستحق ما يأتييني حينها ، عشق النساء

لكم أنتم معشر الكلام والغرام نحن لا نفع منا سوى لإنجاب الأولاد "

وقفت وقلت ضاحكا " لا تتزوج أبدا رجاء "

لكمني على عضلة صدري بقبضته وقال " بل يبدوا أنني سأفعلها قريبا "

ضحكت كثيرا ثم قلت " وأين كلامك السابق "

رفع قبعته وقال " للضرورة أحكام وأخبرتك أنني لست

للنساء ومقتنع تماما بذلك "

ثم قال مغادرا " سأتحدث مع زهور في الأمر وسنلتقي

يوم العيد ونتحدث حسنا "

ثم خرج وتركني دون حتى أن يسمع ردي ، أغلقت التلفاز

وخرجت من الجناح وأغلقت الباب ، أعلم أن زهور لن توافق

لكن لا بأس المهم والدتها ابتعدت عن الموضوع ، سلكت الممر  
حتى نهايته ولمحت في الممر الآخر شيء شد انتباهي وجعلني  
أقف متسمرًا لوقت ثم غيرت وجهتي وعبرت ذاك الممر وكان  
ما رأيته حقيقة فعلا ... زهور بل ليست زهور هي طفلة كزهور

لا بل زهور حين كانت طفلة ، آه هل وصل بك الجنون هذا  
الحد يا رضا بقيت الطفلة تنظر لي باستغراب لوقت مختبئة  
خلف الباب ثم ابتسمت ولوحت لي بيدها فمدت يدي

وقلت " تعالي "

هزت رأسها بلا دون كلام فقلت بابتسامة

" أنا صديق جابر لا تخافي مني لن أؤذيك "

خرجت من خلف الباب واقتربت مني ببطء حتى وصلت عندي

فنزلت لها للأرض وأمسكت ذراعها وقلت

" من أنتي أيتها الجميلة "

قالت بابتسامة " بيسان "

هي ابنة جابر إذا لهذا تشبه زهور بل هي نسخة عنها في

صغرها يا آآآآه لو تعلمي يا صغيرة أنك عدت بي سنين كثيرة للوراء  
ضممتها لصدري بقوة وكأني أحضن تلك الطفلة التي رحلت مع السنين  
وكأني أضم الماضي والحلم الذي ضاع مع الريح ، طوقتها بذراعي  
أشدها لحضني بقوة أستنشق رائحة الفراولة من خصلات شعرها الذهبية  
حتى الرائحة ذاتها الصوت الابتسامة الجسد كل شيء ... كل شيء  
كنت احضنها وأتلفس عطر شعرها بخدر كالمدمنين حتى  
قالت بهمس مخنوق " أنت تخنفتي "  
أبعدتها عن حضني وأمسكت وجهها وقلت " هل تحبين الطيور يا بيسان  
"  
قالت بسرور وهي تجمع كفاهما معا " نعم كان لدينا عصفورا صغيرا  
أحبه جدا أحضرته ماما لي ولكن ترف حممته بالماء والصابون  
فمات وبكيت عليه كثيرا ثم دفناه نحن وماما"  
قلت بابتسامة حزينة " وتحبين الحلوى وتسرقينها  
لتأكلها لأنها ممنوعة عنك "  
قالت بعد ضحكة " كيف علمت "

مسحت على خدها بظهر أصابعي وقلت بابتسامة

حزينة " نعم تشبهينها في كل شيء "

قالت باستغراب " من هي " !!

قلت وأنا ألعب بخصلات شعرها بين أصابع يدي

" حبيبتي وأميرتي التي تسكن وحدها في قلبي "

نظرت لي مطولا بحيرة ثم قالت " لم أفهم "

وقفت وقلت بابتسامة " هذا أفضل ... وداعا الآن يا بيسان "

هممت بالمغادرة حين قالت " وما أسمك أنت "

قلت مغادرا " رضا "

\*

\*

غادرت القصر والمدينة لمكتبي فورا ، هذه المرة الجريمة ليست

في المصنع لكن ذات الحلقة المفقودة صلة المقتول بالمصانع والهند

أيضا في الحكاية ، سيكون عليا المغادرة لتلك المدينة لأتبع القضية

دخلت المكتب لأجمع بعض الأوراق ورفعت الهاتف وقلت

"من غادر من الفريق إلى هناك"

قال من فوره " لا أحد لم تصلنا الأوامر منك"

قلت " إذا انتقلوا للمكان فورا الطريق طويل وسيأخذ

وقتا ، هل نقلو الجثة لمعمل التشريح"

قال من فوره " نعم سيدي"

أغلقت الخط منه على طرقات على الباب ثم دخل من كان

خلفه ضرب التحية فقلت " ماذا حدث معك"

نظر للأوراق في يده وقال " خرجت من منزلها عند السابعة

وبحثت عن عمل ، تجولت في خمس محال لبيع الملابس مدونة

عندي جميعها ، وسوق لبيع الخضار ومجمع للتسوق ثم

عادت لمنزلها عند الظهر وعند الخامسة خرجت وزارت

المدعوة سوسن ، لم تدخل بل تحدثنا معا قليلا عند الباب ثم

عادت للمنزل وعند السابعة والنصف زارتها الجارة التي

تقطن في المنزل الثالث يمين منزلها وأسمها أحلام النصري

متزوجة ولديها ثلاث أطفال بقيت عندها حتى التاسعة

وغادرت من عندها وهذا كل شيء"

غادرت من أمامه في صمت فقال وهو يستدير لوجهتي

"هل نقوم بالخطوة الثانية سيدي"

قلت مغادرا المكتب " لا ليس الآن"

غادرت بعدها المكتب والمدينة ولم ارجع إلا منتصف الليل

ودخلت القصر منهاكا حد الانهيار ولكن عليا مقابلتها الآن فالعيد

بعد الغد وقد لا أجد غدا الوقت المناسب ، توجهت لغرفتها دون حتى

أن أغير ملابسي طرقت باب الجناح ولا مجيب فتحت الباب ودخلت

ولم يكن هناك احد توجهت جهة الغرفة وطرقت الباب عدة طرقات

فوصلني صوتها قائلة " تفضل"

فتحت الباب ببطء وكانت تجلس على حاسوبها ، نظرت لي

بصدمة وحيرة فقلت بهدوء " هل نتحدث قليلا يا زهور"

بقيت لوقت تنظر لي دون أي رد فعل ثم أومأت برأسها موافقة

فدخلت وأغلقت الباب وجلست على الكرسي الأقرب لها ، لن افتح

معها موضوع عزلتها طبعاً لأنني أعرف النتيجة ، قلت بعد صمت

"أحدهم تقدم لخطبتك وأنا جننتك مباشرة والرأي لك وحدك"

نظرت لي بحيرة ثم قالت " ولم تخبر والدتي " !!

هزرت رأسي بلا فقالت باختصار " ولما"

قلت وقد شررت بنظري بعيداً عنها " لن يتدخل أحد في هذا

الأمر من اليوم وصاعداً والقرار لك وحدك يا زهور"

قالت مباشرة " وهل تعلم كم سيغضبها هذا"

غريب أن زهور تأخذ وتعطي معي في الكلام على غير

عادتها مؤخراً حين تختصر اللقاء بصمتها التام مهما قلت

لتفهم أنه عليك المغادرة وتركها وحدها

تنفست بقوة وقلت " أمور الزواج في هذا القصر ستخرج

من روتينها الفاسد فجميع اختياراتها باءت

بالفشل سواء أنتي أو أنا"

لأنت بالصمت فقلت " مؤكداً أنك تعلمي أنه خطبك أكثر من

شخص بعد طلاقك وأمي رفضت الجميع أليس كذلك"

نظرت جهة الحاسوب وقالت بهمس " نعم "

ضغظت على عيناى محاولا تبديد بعض الإرهاق منهما

ثم قلت " ما رأيك أنتى الآن "

نظرت لأصابعها وقالت " من الخاطب "

قلت بهدوء " رضا شقيق أميرة "

بقيت تنظر لشاشة حاسوبها دون كلام لوقت فقلت " هوا شاب

جيد خطبك فى السابق مرارا لكن والذى رفضت وهوا عاد

الآن من سفره وفتحنى فى الموضوع صباح اليوم "

بقيت على حالها وصمتها فقلت

" أنا أخبرته أنى سأعطيه رأيك يوم العيد "

والحال كما هوا عليه الصمت التام فوقفت وقلت

" خدى وقتك فى التفكير يا زهور وسأؤجل حديثى معه

لبعد العيد وأعطنى رأيك متى أردت ذلك "

ثم غادرت غرفتها وجناحها وتوجهت لجناحى استحمت

ولبست ثياب النوم وللسرير مباشرة ونمت من فوري

\*

\*

كنت أرى خمس خراف يقفزون حولي وأنا أنظر لهم بسرور

حتى قفز عليا واحد منهم وأمسكني من عنقي ثم بدأ يقول بتذمر

"بتول استيقظي بسرعة ما كل هذا الكسل عليك مساعدتي"

قلت بهمهمة "أمممم أمي اتركيني"

وصلني صوتها الغاضب "أنهضي بسرعة الأعمال كثيرة وسيأتي

والدك بعد قليل من المسجد ليغادر مع جابر ومعتصم وخالك لذبح  
الأضاحي

وأنتي كالبانده لا تعرفين سوى النوم ، انهضي لتعيدي عليهم"

وضعت الوسادة على رأسي وقلت " اتركيني أنام قليلا لقد كسرت

لي ظهري البارحة بالأعمال ، أمي الرحمة أرجوك الرحمة"

سحبت مني الوسادة وقالت " انهضي بسرعة وغيري ثيابك لنجهز

الحلويات والعصائر لأنهم سيأتون بعد قليل ، بسرعة هم

يعرفون أنك كسولة لا داعي لأن يرو بأنفسهم"

جلست وقلت باستياء " كسولة كسولة ولا أنفع لشيء حفظتها

أمي استبدليها بغيرها من أجل الروتين فقط"

بقيت واضعة يديها وسط جسدها تنظر لي بضيق فقلت وأنا أعد

على أصابعي " عليا أن أحمم مصعب وعدي وألبسهما ملابس العيد وأن

أجهز الحلويات وأعطر المجلس وأن أغير ثيابي وأعيد عليهم

حاضر أمي ولكن الأخيرة امسحيتها من القائمة لأنني لن أصافح

يد ذاك المتعجرف ولن يسمع مني تهنئة بالعيد"

قالت بحدة " رغما عنك ستعيدين عليه هل تريدي إحراج والدك أمامهم"

غادرت السرير وأنا أتمتم بضيق " كم أتمنى أن تنكسر ساقه ولا يأتي  
إلينا"

نزلت للأسفل ووجدت مصعب يلعب بوسائد الأرائك كعادته فضربته

طبعا كعادتي وسحبته من يده لغرفتهم حممته وألبسته ثيابه على صوت

توعده لي أن يخبر أمي أنني أضربه ، نظرت للخلف وقلت

" عمر لما لم تغير ثيابك حتى الآن"

قال بلامبالاة " قلت من البداية أنني لا أريدها ولن البسها"

وقفت واضعة يداي وسط جسدي وقلت " تعلم أن والدي سيغضب

منك ومعه حق في أن لا تشتري ثياب الشحاذين تلك"

قال بضيق " ليست ملابس شحاذين أنا أحب ذاك اللاعب فما المانع أن

أرتدي ثياب فيها صورته الجميع يلبسها"

أوقفت مصعب أعدل له قميصه وقلت ببرود

"تحمل النتائج إذا ولا دخل لي فأنت لست من ضمن لائحة أعمال اليوم  
"

غادرت بعدها من الغرفة وأنهيت باقي أعمالى وغيرت ثيابى ولبست

حجابى وما هي إلا لحظات ودخل والدي وخالى وابنى عمى

قبلت رأس والدي وهناته فقال ماسحا على رأسى

"وأنتى بخير يا بتول يحفظك الله يا ابنتى"

قبلت يده وقلت " ويحفظك لي دائما فوحدك تحبني"

عيدت بعدها على خالى رضا كما أحب حين كنت صغيرة بأن

حضنته وقبلت كتفه فضحك وقال

"وأنتى بخير يا بتول أرانى الله لك عروسا"

مددت شفتاي مستاءة وقلت " ما بك كالعجائز هكذا"

ضحكوا وقال جابر " أمازلت كما في صغرك تكرهين هذه الدعوة"

قلت ببرود " نعم لقد كرهت الرجال بالضعفين أيضا"

ثم مددت يدي له وصافحته قائلة " كل عام وأنت بخير"

قال بابتسامة " وأنتي بخير يا بتول"

ثم مددت يدي جهة معتصم فمد يده وعابذته بتمتمة وسحبت يدي منه

بسرعة لكنه امسكها بقوة وقال " لم أسمعك أعيدي"

قلت بضيق " كل عام وأنت بخير يا معتصم"

ترك يدي وقال بابتسامة جانبية " جيد ظننتك دعيتي علي"

قلت باستغراب مصطنع " أبدأ ... أنا أدعوا عليك"

قال بابتسامة جانبية " أقسمي أنك لا تدعين علي دائماً"

ضحك خالي رضا وقال " زوجوهما لبعضهما عليهما يرحمان بعض"

نظرت له بصدمة وضحكوا جميعهم والسيد معتصم أول الضاحكين طبعاً

فغادرت قائلة " أنا لن أتزوج أبداً أبحثوا له عن زوجة غيري تعجبه

وليست علكة"

وتركتهم ووالدتي وخرجت ، لا أعلم لما خالي رضا يحب فتح هذا  
الموضوع

السيئ ويضعني في مثل هذا الموقف المحرج أمامهم

\*

\*

ما أسوء صباح هذا العيد لا ضحكاتهم ولا أصواتهم ولا ملابسهم  
في كل مكان ، وحدة ... لا شيء حولي سوى الفراغ حتى كلمة كل

عام وأنتي بخير ماما حرمت منها وضاعت كما الكثير غيرها  
وآخرهم وضيفتي التي لم أجد بديلا لها مهما بحثت ، منذ أن دخل  
ذاك الرجل حياتي حولها لكابوس مخيف بل لسلسلة من الكوابيس  
أقسم أنني أحب الأطفال وأريدهم لكن ليس زوجة لذاك ولا زوجة  
ابن لوالدته تلك ، مسحت بقايا دموعي وتنهدت بحزن ووقفت  
ودخلت المطبخ أجهز أي شيء أتسلى به بعدما أمضيت اغلب

الصباح نائمة هربا من هذه الوحدة

ترى كيف قضوا اليوم ، من اهتم بهم وحممهم وألبسهم ثيابهم

أم المربيات كالعادة مؤكد هم ومن غيرهم مثلا تلك الصخرى العظمى

أم ابنا الصخرة الصغرى ، خرجت من المطبخ دون أن أفعل شيء فيه

وتوجهت نحو السلالم لأصعد لغرفتي فسمعت خطوات كثيرة تركض

خلفي وأصواتهم ينادونني بماما ، خفت أن ألتفت وأجده حلم صورته

لي عقلي فالتفت ببطء وشهقت من الصدمة وأنا أراهم أمامي ثلاثتهم

فنزلت للأرض على ركبتاي وفتحت ذراعي لهم وضممتهم لحضني

ثم حضنتهم وقبلتهم واحدا واحدا وكأني في حلم تحول لحقيقة

ما أقساه من شعور شعور الفقد وما أجمله حين يختفي في لحظة

انتبهت من غمرة احتضاني وتقبيلي لهم للساقان الواقفتان بالمقربة

منا فوقفتم ومسحت دموعي وقلت ونظري للأرض

"آسفة لم أنتبه أنك دخلت معهم كل عام وأنت بخير وشكرا

لإحضارهم لي هذه كانت أجمل مفاجأة اليوم"

عليا أن أتصرف كما قالت سوسن فقد يصبح أبعد الله عني

زوجي بالفعل وأكون بنيت المشاكل بيننا منذ الآن

قال بجدية " وأنتي بخير ، سأتركهم معك لدي أعمال كثيرة

في مكتبي وسأمر بهم عند العصر"

قلت بامتان " شكرا لك وكن مطمئنا عليهم"

قال مغادرا " أعلم أنهم في أيدي أمينة لما كنت أحضرتهم"

قلت موقفة إياه " سيد جابر"

وقف والتفت لي فقلت " هل يمكنني أخذهم لصديقتي وطفليها

ككل عام وأخرجهم معنا للحديقة"

قال مغادرا من جديد " لا بأس ، لا تتعبوا والدتكم مفهوم"

قالوا معا " مفهوم بابا"

وخرج من المنزل وأغلقه ، طبعاً لا حسيب ولا رقيب عليه يدخل

ويخرج كيفما يريد ووقت ما يشاء

عدت لاحتضانهم مجدداً غير مصدقة لما أراه أمامي حمداً لله الذي

أبدل هذا اليوم المليء بالبؤس في لحظة لسعادة وسرور

دخلت بهم للمطبخ وهم يتحدثون عن كل شيء وأنا أستمع لهم بحب

أجلست ترف على الكرسي فقالت بحيرة

"ماما بابا رأى شعرك" !!

وضعت يدي على شعري وتذكرت حينها فقط أنني كنت بلا حجاب

لكن اللوم ليس علي بل على ذاك الأحمق والدكم ، تنهدت بضيق

وقلت " لم أكن أعلم أنكم ستأتون الآن لكنت ارتديت حجابي"

قالت بيسان " ولما لم يخبرك والدي أننا قادمون"

آه ليتك تساليه هوا هذا السؤال عله يقتنع أنه يخطئ بما يفعل

قالت ترف من فورها بابتسامة ومغيرة مجرى الحديث

"جدتي يأتيها الكثيبيير من النساء فيهم واحدة مخيفة جدا"

ثم تمايلت بجسدها وقالت " تلك التي تمشي هكذا ... الطويلة"

قلت بعتب " ترف عيب بنيتي كيف تقولين ذلك"

قالت بيسان وهي تكتم ضحكتها بيدها الصغيرة

"ترف سكبت لها العصير على ثوبها وغضبت جدتي كثيرا"

قالت ترف بضيق " لم أسكبه عليها بل كم فستانها الطويل

سحب كأسه فأمسكته لكي لا يقع"

ثم لوحت بيدها وقالت " فوقع على فستانها"

لم أستطع إمساك ضحكتي ، تلك العجوز لن تصنع منهم ما

تريد مهما حاولت فلن تسبب لنفسها ولهم سوى المتاعب

قال أمجد " يذبحون الكثير من الخراف ماما ، ذبح والدي ثلاثة

وعمي معتصم واحد وعمي منصور اثنان وخال بتول واحد"

قالت بيسان بضيق " بابا أخذ أمجد فقط معه ونحن لا"

مسحت على شعرها وقلت " أمجد رجل حبيبي أنتم لا تذهبون

حيث العمال والخراف والأوساخ"

قال أمجد بهدوء " العيد ليس جميلا بدونك أبدا"

ابتسمت وامتلت عيني بالدموع وغمرتني السعادة أنهم افتقدوني

ورأوا العيد ناقصا بدوني رغم الأجواء الجديدة التي عاشها أمجد تحديدا

أكلنا الحلوى وخرجنا لزيارة سوسن ككل عام ، وصلت لمنزلها قرعت

الجرس ففتحت لي وشهقت بصدمة وهي تنظر لهم معي ثم

نظرت لي وقالت " هل تزوجتِ والدهم دون علمي"

عضضت شفتي مهددة لها لتسكت أمام الأطفال فضحكت واحتضنتهم

واحدا واحدا ودخلنا منزلها فهي تقضي العيد مع زوجها وأبنائها

لتذهب في الغد لمدينة عائلتيهما لأنها بعيدة عن هنا

\*

\*

اتصلت به للمرة العاشرة بعد المئة فأجاب أخيرا فقلت بتذمر

"ما بك يا رجل لو كنت رئيس البلاد لأجبت عليا منذ وقت"

ضحك وقال " كنت مشغولا قليلا آسف"

قلت بضيق " نعم جد لي تصريحه ككل مرة ، قل الآن ما كان جوابها"

قال " لاشيء"

قلت بصدمة " ما تعني بلا شيء!!"

قال " دعنا نتحدث لاحقا"

قلت من فوري " هيه جابر تحدث الآن أعلم أنني لن أراك قبل أيام"

ثم أنا سأغادر المدينة اليوم"

قال بهدوء " لقد تحدثت معها ذات اليوم الذي حدثتني فيه"

قلت " نعم وما كان ردها"

قال " لم تجب علي بشيء"

قلت بحيرة " وما معنى هذا هل هي موافقة"

قال " لا أعلم زهور حين تسكت ولا تجيب عن الكلام يعني أنها

لم تعد تريد السماع ولا التحدث ، أخبرتها أنني سأنتظر جوابها متى

ما قررت فعليك بالصبر فقط"

قلت بتذمر " بربك جابر لا تتركني معلق هكذا بين السماء والأرض"

قال باستعجال " بالنسبة لي لم أتوقع منها حتى الصمت بل الرفض

التام لأنني اعرف حالتها جيدا وما مرت به لم يكن سهلا ، وداعا الآن  
عليا

أخذ الأطفال والعودة بهم الآن للقصر نتحدث عندما تعود حسناً"

تنهدت وقلت " ولما لا نتحدث الآن"

قال من فوره " سأنزلهم عند الباب وأغادر فورا لا يمكن ذلك اليوم هيا  
وداعا"

قلت بهدوء " أمري لله وداعا"

دست هاتفي في جيبتي واقتربت من باب القصر الخارجي

ترى أمازالت تزور حديقة والدها تلك كل عيد وتسقيها من ماء زمزم

كما كان هوا يفعل ، أذكر في آخر عيد قبل زواجها وسفري فعلت ذلك

ترى هل أجدها هناك أم العزلة أنستها حتى هذا

دخلت وتوجهت من فوري لذاك المكان في وسط الحديقة تحديدا ووجدتها

بالفعل هناك .... زهور حبيبتني أرها عن قرب لأول مرة منذ أعوام

تجلس على حافة حوض الأزهار ويدها تلعب بالماء في النافورة التي

تتوسط الحديقة وبجانبها المسقاة النحاسية الخاصة بوالدها ، إذا هي

لم تنسى فعل ذلك وخرجت من سجنها أخيرا ، اقتربت ببطء

كانت خصلات شعرها تخفي وجهها وملامحها ولا أرى سوى

جسدها وذراعاها المكشوفان من فستانها الطويل الحريري كعادتها التي

حبيبها والدها فيها ، شعرت بخطواتي فنظرت باتجاهي مباشرة وبصدمة  
ثم

وقفت تنظر لي فقلت بهمس المشتاق المتلهف " زهور "

بقيت على صمتها وعيناها في عيناها ذاك البحر الأزرق الجميل

الهادئ الذي يهيج موج مشاعري بأعاصيره ، حبيبتني وحدي

جميلتي وفاتنتي ، اقتربت منها حتى بات لا يفصلنا سوى خطوة واحدة

ومددت يدي دون أدنى تفكير وكأنها لازالت الطفلة المسموح لي

بالاقتراب منها كل حين ، لمست بأطراف ظهر أصابعي خدها الناعم

وأغمضت عيناى بهدوء وقلت بلهفة وهمس

"مشتاق لك يا زهور لا تتصوري كم أنا مشتاق"

قالت بهمس وصلني بوضوح " كاذب"

فتحت عيناى أتقل بهما بين عيناها وقلت بحزن ويدي تحتضن خدها

"بل تعلمين أنى لا أكذب يا زهور"

ابتعدت عني للخلف بضع خطوات وابتسمت بسخرية وقالت

"بل كاذب ولم أعرف منك إلا الكذب ، أنت حدودك مخيلتك فقط يا

رضا ، حدودك غرفتك وأوراقك وحبير أقلامك ، تكتب

الأكاذيب والجميع يصدقك عداى أنا"

لم يلتقط دماغى من عبارتها المليئة بالشتائم سوى اسمى

نعم اسمى من شفيتها بعد كل هذه السنين وأخيرا

نظرت للأرض وقلت بابتسامة حزينة

"بل أحبك يا زهور وليس اليوم ولا الأمس بل من سنين طويلة"

ثم أشرت بأصبعى على جزء معين والأبعد من الحديقة وقلت

"وذاك المكان يشهد وتلك الشجرة

وحتى السور والطيور وحشائش الأرض كلها

عاشت معي حبي لك منذ كنتي طفلة"

أبعدت خصلات شعرها الذهبية عن عنقها لتكشف عن جرح في

نهاية فكها تحت أذنها وقالت بألم " وهذه عن ماذا تشهد ؟

هل تعلم ما يكون هذا ومن السبب فيه"

ثم ابتسمت بسخرية وقالت " سببه الزوج الذي اختارته لي أمي

ومن أول ليلة لي معه ، لا بل أنت السبب فيه"

ثم أبعدت يدها عن شعرها وقالت " وتريد أن تتزوجني يا رضا

تريد أن ترى باقي هذه العلامات في كل جسدي"

أحسست حينها بألم يضرب قلبي بقوة حتى كادت أنفاسي تتوقف وأنا  
أتخيل ما

حدث لها وما لقيت من ألم ، لماذا يا زهور لما فعلت ذلك لماذا

قلت بهمس خافت " لماذا تزوجته لما"

قالت بضيق " وما كنت تنتظر مني وما كنت سأتظر منك ، لقد دمرتني

قضيت علي تماما لم أرى منك سوى الرسائل التي تخبرني فيها  
أن لا أتزوجه وأني لا يمكن أن أكون إلا لك ولا يمكنني الزواج بغيرك  
ولم تكلف نفسك في إحدى أوراقك تلك أن تشرح لي ما حدث يومها  
بل تركتني أعرفه من ذاك الرجل"

نظرت لها بصدمة ، ما تعني بأني لم أكلف نفسي شرح ما حدث  
كيف وما معنى كلامها ، فتحت فمي لأتحدث فمدت يدها أمام وجهي  
وقالت " لا تتعب نفسك لا أريد سماع أي تبرير على جرمك نحوي  
كنت طفلة ولم تكن أنت سوى عابث تحت قناع عاشق وسقط  
القناع وكسرني أنا وحطم جسدي قبل قلبي"

ثم غادرت من أمامي واختفت في لمح البصر ، انتظري يا زهور  
ما معنى ما تقولي انتظري فلن أجد فرصة غيرها لأتحدث معك  
ركضت جهة اختفائها ولم أجدها ، غريب أين ذهبت ومن  
سيشرح لي ما عنته بأنها لم تكن تعلم وأني لم أشرح لها  
أمسكت رأسي بيدي وأغمضت عيني بألم

لهذا تزوجته إذاً ، لهذا انصاعت لأمر والدتها ... كانت لا

تعلم أو لم تفهم ، سحقا لك يا رضا ومن سيفهمها وهي لم تعرف

غيرك ووالدتها وإخوتها

\*

\*

كان اليوم لا ينسى بالنسبة لي ... يوم كأيامي السابقة معهم ولكن

لكل شيء جميل نهاية فعند العصر كان والدهم هنا كما قال

ليته يختفي من حياتنا ويتركهم لي هنا لكنه إن اختفى لن تعطيه

لي جدتهم وسأحرم حتى من هذه الزيارات البسيطة ولو كل عيد

وقف عند منتصف المنزل وقال ماذا مفاتيح السيارة لأجد

"أركبوا السيارة وأغلق الباب جيدا كما علمتك سابقا

سأتحدث ووالدتك قليلا"

نهاية الفصل

طبعا الفائزة بهدية التوقع هي طالبة هندسة إلي توقعت إن جابر

بيطلب مقابلة سما يعني ندوش وفيتامين بيخاروا هديتهم وينكشف

لهم أي حدث يختاروه في أي جزئية فيا لفصل القادم وتستهالوا يا حلوين

## الفصل العاشر

يوم العيد اسم أصبح على غير مسمى بالنسبة لي ، أشياء كثيرة  
وجميلة كانت فيه وتبخرت ... أبي وشقيقي اللذان غابا عنا منذ عام  
والدتي التي لا أذكرها لموتها وأنا صغيرة ، كانت زوجة والدي معي  
بحنانها وأكثر لكنها في النهاية ليست أمي ، وحتى نواس فقدته هذا  
العيد لأنني لم أخرج حين جاء مع جواد لمعايدة والدتي وفرح ، لم نكن  
في سنين خطبتنا كجواد وفرح الآن اللذان يجلسان هناك منذ وقت طويل  
يتهامسان ويضحكان لكنه كان طعاما رائعا لعيدي أرى الحب والشوق  
واللهفة في نظراته لي وكلماته البسيطة بابتسامته في ذلك اليوم شبيه  
هذا اليوم بالاسم فقط ، كان ببساطة عيدي والآن لا يعنيني العيد ولا  
هوا أعنيه فلم يعد عيده يحتاج لوجودي فيه لأنه ملئه بأخرى فمؤكد  
زارها وعايدها وجلس معها مثل هذان الزوجان وحضنها وقبلها  
شعرت بأحشائي تقطعها سكاكين من هذه الفكرة فأمسكت معدتي  
بقوة ثم وقفت وتوجهت من فوري للمطبخ وشربت بعض الحليب البارد  
من كأس ولم يخفف ألمها فجلست على الكرسي وشربت من القارورة

مباشرة وكأني أحاول إطفاء نار متأججة ببعض الماء ولم تزد إلا اشتعالا

فخرجت ركضا للحمام وأغلقت خلفي وتوجهت للمغسلة وأفرغت كل

ما في جوفي من حليب ممزوج بالدماء حتى فرغت تماما ثم اتكأت على

طرف المغسلة بذراعي وجبيني فوقها واستسلمت لبكائي ، ليس من ألم

معدتي بل من الأم في قلبي وروحي ، سمعت بعدها طرقات على

الباب وصوت فرح وهي تقول " وسن هل أنتي بخير

وسن افتحي الباب"

وقفت على طولي ومسحت وجهي بالمنشفة وقلت

"أنا بخير فرح لا تقلقي سأخرج حالا"

ووقفت بعدها متكئة على باب الحمام أستمع لهمسها وجواد عن

أخذي للمستشفى ولو مر غمة وكلماته المكتومة موبخا لها لكلامها

السيئ عن نواس ودعائها عليه وكلماتها المغمورة بالدموع وهي تبكي

من قسوة شقيقه ، هكذا أردتني يا نواس ويا أبي ويا كل من رقصتم

على روحي الميتة ، هكذا أردتموني مدعاة للشفقة من الجميع

بعد وقت مسحت دموعي وخرجت ووجدتهم على حالهم

عند الباب فقالت فرح بقلق " وسن هل أنتي بخير "

قلت بابتسامة " ما بكما وكأني طفلة تعششون لي عند

الباب ، أنا بخير لا تخافا سأنام قليلا وأكون أفضل "

قال جواد من فوره " ألن تذهبي معنا لوالدتي لمعايدتها "

قلت متوجهة جهة غرفتي " سأذهب لها في الغد "

اليوم يكون نواس عندها ولا أريد مقابلته سأقضي يوم الغد

عندها بالرغم من أني متأكدة أنها ستغضب مني

\*

\*

"متى قال لك جواد أنهم قادمون "

أخرجني صوت والدتي من معمعة أفكارتي التي لا تجدي في

شيء سوى تعقيد المشاكل أكثر من حلها وأنا جالس معها منذ

وقت على حالي مرفقاي على ركبتي أنظر للأرض بصمت

وشرود، مررت أصابعي في شعري وقلت " قال أنه قادم الآن "

قالت بهدوء " ما بك يا نواس حالك اليوم لا يعجبني "

قلت ونظري بعيد عنها " لا شيء ... مشاكل بسيطة في

تجارتني ولكنها تشغلني قليلا"

لأذت بالصمت وأضنها لا تصدق كلمة مما قلت

بعد قليل قالت بهدوء " نواس ماذا عن كلامنا سابقا"

قلت ببرود " ما لدي قلته يا أمي وسن لن تسكن لوحدها وأنتي

عليك الانتقال من هنا للمزرعة ، سيكون صعبا عليا التنقل بين

هنا وهناك وجواد لن يكون موجودا ، فلما لا تفكري بي مثلها"

تنهدت وقالت " لن ترضى وسن وأنت تعرفها جيدا وأنا لا

أريد إرغامها ولا أن أترك منزلي أيضا"

نظرت لها وقلت بضيق " ولما لا ترغميها على أمر فيه

مصلحتها ، أمي وسن لم تعد طفلة تحضا بكل دلالك ذاك لها"

قالت بضيق مماثل " نواس أي جنون هذا كيف

تأخذها تعيش معك هناك"

نظرت للجانب الآخر وقلت بسخرية " أمازلت تعتقدين أن

الأمر سيعنيها ، وسن القديمة ماتت يا أمي"

قالت ببرود " ونواس القديم هل مات أيضا"

لذت بالصمت ولم أعرف بما أجيب فقالت " وسن ستبقى معي

هنا مادمت حية لكن مخاوفي كلها يوم أموت وأترك الحياة فأنا

أدرى الناس بحالي وأن مرضي لا يرحم فوسن أمانتك يا نواس

أعرف أنك لازلت تحبها كالسابق فلا تظلمها وسلمها لمن يستحقها

ويرعاها مادمت قررت بترها من حياتك وتزوجت بغيرها"

وقفت كالمسوع ولا اعرف لما لا أتحكم بنفسي كلما سمعت هذه

العبارة ... وسن تتزوج وأزوجها بنفسي لغيري ، أين ستنام تلك

الليلة يا نواس وأي أرض ستتسع لك وأي نهار ينتظرك وهي تبات

في حضن أحدهم ، وصلني صوتها قائلة " لما وقفت يا نواس"

نظرت لها كالتائه ولا أملك لا جوابا ولا كلاما ، كنت أنظر لها

وكأني أراها للمرة الأولى ، ترى أتفكر وسن في فعل هذا وكلام

والدتي ما هوا إلا تمهيد للأمر ؟ نظرت لساعتي وقلت

" عليا الذهاب الآن الرحلة للبر تستلزم وقتا لأعود باكرا

في الغد وسآتي لزيارتك هل توصيني شيئاً

قالت بابتسامة " سلامتک فقط بني وبلغ خاطر وزوجته سلامي"

قبلت رأسها وخرجت في صمت ، عليا المغادرة ماداموا سيأتون الآن

بعدها علمت من جواد أنها ليست معهم ، تحرميني حتى من رؤيتك

في العيد يا وسن وأنا من لم أستطع مطاوعة عقلي أن لا أراك

كيف استطعت التحكم في قلبك يا وسن علميني كيف!!

أول عيد يمر بدونك يا عشقي وجرحي ونزيف أحشائي المتوجعة

يا حلمي وألمي يا ماضيا الجميل وحاضري التعيس ومستقبلي القاتل

نعم قاتل أن تكوني لغيري وعبثا أحاول إخفاء ذلك ، زواجي بمي

حكمته الظروف لما كنت تزوجت بغيرك ولا بك فلست لأي امرأة

أخرى لأنني مع غيرك بلا قلب ومعك سأكون بلا كرامة

\*

\*

خرج نواس من عندي وحاله اليوم لا يبشر بخير ، الأم لا أحد يكذب

عليها وليست تجارته ما تكدر صفوه ، حتى زوجته لم يزرها اليوم

ولا تحدث معها في الهاتف فما ذنب الفتاة يتزوجها ويهمشها لأنها يتيمة

ولا أحد يلومه عليها ، إن كان لا يريد لها فلما ربطها به ؟ أمر زواجه  
هذا لا يريحني أبدا وثمة قصة ورائه ، نظرت ليدي حيث الورقة التي  
فيها رقمها وتنهدت بضيق ، عليا أن أكلمها أنا على الأقل فمن غير  
اللائق حتى أمام أهلها أن لا يزورها أحد منا في العيد ، كم تتقلب  
أقدار البشر في هذه الحياة فبالأمس كان نواس خطيبا لوسن ويحكي  
لي بلهفة ما يخطط لحياتهما ما أن يتزوجها واليوم هوا زوج لغيرها  
وهي الله وحده يعلم إلى ما ستؤول إليه وأين سيرميها قدرها ، فتح  
جواد الباب ودخل تتبعه فرح ووالدتها فالمرضة اليوم لدى أصدقائها  
من دولتها تمضي العيد برفقتهم لذلك لم يترك نواس المنزل  
إلا وجواد عند أول الشارع ، تبادلنا المعايدات وبعد السؤال  
عن الحال قلت بعتب " وسن فعلتها إذا كما توقعت ولم تأتي"  
نظروا لبعضهم ولم يتكلم أحد فقلت " ما بكم ما الذي تخفونه" !!  
قال جواد بهدوء " لم تخرج حتى لنواس صباحا"  
نظرت له بصدمة ، معقول وسن تفعلها هوا ابن خالتها مهما حدث!!

علمت الآن ما هوا سبب تدهور مزاج نواس اليوم ، تلك ضربة قوية

لقلبه لا تعادلها سوى صفعته لها ، تنهدت وهزرت رأسي بيأس فقالت

فرح " حال وسن اليوم لا يعجبني لم تأكل شيئا أبدا وتقيأت كثيرا

وقالت أنها تريد النوم وكالعادة سجنت نفسها في غرفتها والله

وحده يعلم تنام أم تكذب علينا فقط"

نظرت لجواد وقلت " ولما لم تأخذها للمستشفى"

هز رأسه بقلة حيلة وقال " لا نريد مخالفة ما قال الطبيب

حتى نأخذها لمتخصص"

قلت من فوري " ومتى سيكون ذلك"

نظر جهة فرح ثم لي وقال " نواس قال بأنه سيتكفل بالأمر"

لوت فرح شفيتها بعدم رضا ويبدوا أنها وجواد متخالفان في هذا الأمر

فرح متعلقة بوسن كثيرا ومنذ صغرهما وجواد يكن احتراما كبيرا

لنواس ويعده والده وليس شقيقه الأكبر وكل واحد منهما يقف في

صف شقيقه ، قلت بهدوء " وما خططتما ليوم الغد"

قال جواد " لا شيء حفلا صغيرا هنا لعائلتنا وسنغادر للفندق"

قلت بهدوء " يبارك الله لكما بني "

وأمضينا بعض الوقت من حديث لآخر وغادرت فرح للمطبخ

لإعداد العشاء فحتى فتحية تركناها اليوم تغادر فمن حقها أن ترتاح

في يوم العيد وجواد طبعاً لم تخرج زوجته من الغرفة إلا وهو خلفها

لا أعلم ما سيترك لبعدهم الزواج سوى مشاهدة التلفاز معاً فما لديهما

قالاه وبزيادة ، نظرت لوالدة فرح وقلت بابتسامة

"حمداً لله أن بلغنا من العمر أن نفرح بأبنائنا"

قالت مبادلة لي الابتسامة " أجل فأعظم إنجاز للأم ليس أن تنجب

وتربي بل أن ترى أبنائها يستقرون مع أزواجهم "

ثم تنهدت ونظرت للأرض بحزن وقالت " ولكن الفرحة ناقصة ما

لم تتزوج وسن وتفرح مثل البقية ، كم يشغلني أمرها يا ودا "

قلت بهدوء " ويشغلني أكثر منك وأخاف أن أترك

الحياة وقلبي مشغول عليها "

قالت من فورها " أطل الله في عمرك حتى تري أبنائها "

قلت بابتسامة " لن أكذب على نفسي فليس هناك من مرض بمرضي

وشفي منه وكل يوم أتقدم فيه من قبري أكثر وأنا مؤمنة بقضاء

الله وقدره لكن بالي مشغول عليهما"

قالت بهدوء " سامح الله من كان السبب ، لو فقط رضي شقيقي أن أبقى

في شقة زوجي لبقيت معها فأنا ألحظ جيدا أنها لا تريد ترك الشقة"

غيرت جلستي واتكأت على السرير وقلت " تبقيان امرأتان وحدكما

وفي كل الأحوال لن يرضى إخوتك ولا حتى أبنائي ببقائكم لوحكم

خاصة بعد سفر جواد الذي كان يتردد عليكم دائما"

تنهدت وقالت " لن يسمح نواس بذلك لكنت أخذتها معي ، شقيقي كل

أبناءه تزوجوا ويعيش وحيدا وأخبرني أن احضرها معي"

قلت بابتسامة " بارك الله في عمره ولكن من سيرضى بذلك حتى

هوا لو كانت ابنته مكانها ما رضي بهذا ، أنا خالتها والأولى ببقائها

معي ونواس وكيلها ووليها فمن الحكمة أن تكون معنا"

قالت بحزن " لكن من المتعب أيضا لو سن أن تكون معكم وتلك هي

الحقيقة المرة ، يعز عليا فراقها كفراق ابنتي تماما وقلبي يتقطع

لابتعادهما عني والله وحده يعلم متى سترجع فرح فكل من درس

في الخارج حضا بفرصة للعمل هناك ولم يرجع حتى اليوم"

تنهدت وقلت " هكذا حكمت ظروف الجميع وليس لنا إلا الرضا"

\*

\*

كنت متكنة على سريري انظر بهدوء للصندوق الموضوع في

وسط الغرفة ، صندوق هدايا كبير ومزركش يحوي ملابس راقية

وجميلة و عطر فاخر وبعض الحلوي وحتى مجموعة الاستحمام من

شركة معروفة ومشهورة ..... هدية العيد التي أرسلها الزوج المجهول

الذي لا أعرف سوى اسمه ولا يعرف سوى سمعتي الجديدة ، لو افهم

سر هذا الزوج وهذا الزواج فلم يخبرني عمي سوى أنه

كان صديقا لوالدي وساعده في تجارته

يوم عيد لم يحمل لي سوى هذا الصندوق لا أخوتي لا والدي لا كل

عام وأنتي بخير يا مي من أي أحد وكأنه ليس يوم عيد وحتى عمي

مرض بالأمس ولم يتمكن اليوم من الخروج من منزله ليأتي وأراه

تنهدت بأسى على صوت رنين هاتفي بعدما فكوا الحصار عني قليلا  
وأعادوا لي هاتفي بأوامر من نواس ، نظرت للمتصل فكان رقما غريبا  
غريب من يكون يا ترى ! لم أجب عليه فليس ينقصني سمعة سوداء  
تجاهلته تماما حتى وصلتني رسالة فتحتها فكان فيها

(أجيبني عليا يا مي أنا والدة زوجك)

بقيت أنظر للأحرف بصدمة فهذا شيء لم أتوقعه ولم أفكر فيه  
عاد الرقم للاتصال ففتحت الخط ووضعت الهاتف على أذني  
فوصلني صوتها المتعب قائلة " كل عام وأنتي بخير يا ابنتي "  
نزلت دمعتي رغما عني ولا أعلم لما ! يبداوا لأنه أول تهنئة بالعيد  
جاءتني اليوم من شخص يكلمني للمرة الأولى ولم أره حياتي وليست  
من أهلي الذين يسكنون معي في ذات المنزل أو لأنها صادرة من  
القلب ، هكذا شعرت بها أو هوا الشعور بالفقد جعلني أتخيلها هكذا  
مسحت دموعي وقلت بصوت هادئ " وأنتي بخير يا خالتي  
شكرا لك واعذريني من المفترض أن أكون أنا من يكلمك "  
قالت بهدوء " لا عليك يا ابنتي أنا من يفترض بي زيارتكم

منذ أيام لكن حالتي الصحية لا تسمح بذلك"

قلت " بارك الله في عمرك"

قالت بعد صمت " نواس كان اليوم بطوله معي لأن الممرضة

الخاصة بي غير موجودة اليوم وتعسر علينا زيارتكم في العيد"

قلت بابتسامة " لا عليك يا خالة لا ألومه ولا ألومك ومدك الله بالعافية"

قالت من فورها " أردت أن أهنيك بنفسي وأعتذر عن تقصيرنا

معك فالأصول تبقى أصولا لكن الظروف هكذا حكمت"

قلت بابتسامة حزينة " شكرا لك يا خالة لا تعلمي كم

سرني اتصالك بي واهتمامك"

قالت بحنان " هذا واجبنا يا مي سلمي لي على عائلتك

وهنيهم نيابة عني"

قلت بهدوء " باركك الله شكرا لك خالتي"

قالت " العفو يا ابنتي وداعا الآن"

قلت بهمس " وداعا"

أنهيت الاتصال منها وحضنت الهاتف وبكيت بحسرة على شعور  
الغريب بي بينما ماتت مشاعر أهلي ، قد لا تكون تعلم عن قصتي  
وهذا ما أكده لي عمي أن نواس لن يخبر أحدا ومؤكد لا تعلم وإلا ما  
كانت حدثتني من أساسه ولا وافقته الزواج بي ، طرق أحدهم

الباب فمسحت دموعي وقلت " تفضل "

دخلت الخادمة وأغلقت الباب وأدخلت يدها في ياقة قميصها كعادتها  
حين تجلب شيئا سريا وأخرجت ورقة من ثيابها ووضعتها في يدي  
وخرجت بسرعة وأغلقت الباب ، رسالة جديدة إذا من المجرم  
المجهول قاتلي وقاتل براءتي ، فتحت الورقة فكان فيها  
(كل عام وأنتي بخير يا مي ..... سامحيني أرجوك)

قبضت على الورقة بقوة وبمرارة وعادت دموعي للنزول مجددا  
أنت آخر من كان عليه تهنئتي بالعيد لبتك بقيت صامتا مثلهم  
المشكلة أن الخادمة لا تريد قول شيء كل ما تقوله لي أنها  
لا تعرفه وتراه للمرة الأولى ولكن لا بد وأن يأتي يوم وأجده

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

مسحت دمعتي واحتضنت صورتهم ودعوت الله لهم كثيرا

أن يجعل عيدهم في الجنة أفضل من كل عيد ، سمعت

طرقات خفيفة على الباب فوضعت الصورة في الخزانة

وفتحت الباب فكان نزار نظر لعيناي مطولا حتى أخفضت

نظري وقلت بابتسامة صغيرة " كل عام وأنت بخير "

وصلني صوته قائلا " وأنتي بخير يا سما "

لдна بالصمت قليلا ثم قال " لن أقول لك لا تبكي في يوم العيد يا

سما لأنه يوم فرح ولا ألومك ولكن عليك أن تكوني قوية من أجلهم

وتساعدي العدالة في تخليص باقي العائلات منهم لأن جرائمهم

لا تتوقف ، أدعي لهم بالرحمة وانزلي معي فوالدتي أكلت لي

رأسي ولم ترتاح إلا حين سعدت لأطمأن عليك "

نزلت دمعتي مجددا فمسحتها وقلت " شكرا لكل ما تفعلوه من

اجلي ففي عيد الفطر كنت في القبو وحدي أبكي عائلتي في أول

عيد لي من دونهم ولا أحد ينشغل باله علي ولا أحد يتفقدني "

وضع يده على كتفي وقال " هيا انزلي إذا وعيشي عيدا أفضل من ذاك"

رفعت رأسي ونظرت له بابتسامة حزينة وقلت " شكرا لك"

ابتسم لي ونزل أمامي وأنا أتبعه حتى دخل غرفة والدته وأنا خلفه

وما أن دخلت حتى مدت لي ذراعاها قائلة " ضننت العيد سيكون

أجمل هذا العام لأن ثمة فتاة جميلة صغيرة تشاركنا فيه

لكنها سجنّت نفسها بعيدا عنا"

توجهت نحوها من فوري ونمت في حضنها وقلت ببكاء

"شكرا لك يا خالة ففي العيد الماضي لم أجد هذا الحزن"

مسحت على شعري وقالت " الله لا ينسأك يا سما سيعوضك إن في

الدنيا أو الآخرة فاحمديه ولا تتسخطي كي لا يضيع منك الأجر"

ابتعدت عن حضنها ومسحت دموعي وحمدت الله هامسة

ثم قبلت رأسها وقلت " كل عام وأنتي بخير"

قالت بحنان " وأنتي بخير يا سما أسعدك الله يا ابنتي وحمالك"

نظرتُ جهة نزار وقالت " طبعا أحدثت فوضى

في المطبخ وتركتها لسما"

رفع يديه وقال " وما سأفعل هي من أقسمت أن لا

أنظف شيئا في المطبخ بعد حضورها"

قالت بضيق مصطنع " وأنت فرحت بذلك طبعاً"

ضحك وقال " ومن يجد الراحة ويكره ذلك"

تنهدت وقالت " لو سمعت كلامي وتزوجت لارتحت منذ زمن"

لا أعلم لما أحسست أن هذا الأمر لا تستسيغه نفسي .... يتزوج حسنا

وما في الأمر كل الرجال أراهم يتزوجون والناس تفرح لهم ، قفزت

في ذهني فجأة الفتاة التي دخلت معه المنزل أول أمس يضحك لها

وتحمل هي أكياس الحاجيات وعادت التساؤلات لذهني مجددا

ولا أعلم لما ، اقتربت من الخالة وهمست لها في أذنها

" هل تلك الفتاة التي زارتك خطيبته وسيتزوجان "

نظرت لي مطولا بابتسامة ثم قالت " لا لا شيء من هذا"

شعرت بالخجل من نظرتها وطريقة جوابها ولا أفهم لما تنتابني كل

هذه المشاعر ، قال نزار " أتمنى أن لا يكون كل هذا الهمس والألغاز

عني "

أحسست أن قدرا من الماء البارد انسكب فوق جسدي ثم ارتفعت  
حرارتي، لو أفهم ما يجري لي فقط ! كان سوألا غبيا ما كان عليا  
أن أسأله أبدا ، قالت والدته " ألا يوجد شيء غيرك نتهامس

فيه ثم ما تفعل هنا مرابط عندنا"

ضحك كثيرا ثم قال " أمي لا تبيعيني بمدلتك الجديدة

سترحل وتتركك يوما"

عادت تلك المشاعر الغريبة لاجتياحي ، هل سأترك يوما هذا المنزل  
الذي أشعر حقا أنه لعائلي رغم بساطته ورغم أنهم لا يقربون لي  
وأني لم آتي إلا من أيام ... لما أتعلق بهذا العالم شيئا فشيئا، قال نزار  
بابتسامة " ثم ما تريدي مني أن أفعل ، الجيران عايدتهم منذ وقت

عند الذبائح عوني وجابر يأتيان هنا لأجل رؤيتك ولا مدرسة اليوم

ولا عمل غيره لي هل أخرج أتجول في الشوارع لتتهامسا براحتكما"

ضحكت خالتي وقالت " يحفظك الله لي بني فعيدي من دونك لا يساوي

شيئا ، فقط لأنه كل عام تقضيه مرابط عندي ولا تخرج كغيرك

من الشبان وهذا العيد سما معي وأردتك أن تتحرر من مسئولياتك"

قال بابتسامة " لا تشغلي بالك ، عند العصر ستأتيك جاراتك

كعادتكم وأخرج أنا كعادتي كل عيد"

وقفت في صمت وتوجهت للمطبخ دخلت ونظرت لعالم الفوضى

المقلاة متسخة والفرن أيضا الزيت في كل مكان والصينية التي

أكلا فيها سكاكين كثيرة وكأنهم ذبحوا هنا الأواني التي كان فيها

اللحم والدماء ، صدقت خالتي حين قالت أن الرجال لن يكونوا

كالنساء في أعمال المنزل مهما حاولوا، رتبت كل شيء بعد

وقت وجهد ثم فتحت الثلاجة لأخرج قالب الحلوى التي أعدتها

البارحة لأنها تحتاج لأكثر من يوم في الثلاجة وفوجئت بجزء

مقطوع منها .... آه أكثر ما أكره تقطيع الكعكة على غير

طريقتي وقبل وقتها

\*

\*

كنت أقلب هاتفي في صمت ووالدتي تبحث في قنوات المذياع فهي

تكره التلفاز وترى أنه مدعاة للفجور والعري ومعها حق فيما تقول

كانت تستمع لكل شيء في المذياع فقط ولم تتركني أجلب لها تلفازا

أغلقتة بعد وقت وقالت " لا شيء اليوم سوى أغاني العيد"

ضحكت وقلت وعيناى على هاتفى " وما تتوقعين سيعرضون اليوم"

قالت بتذمر " أي شيء هل خلت الدنيا .. مسرحية على الأقل"

ضحكت أكثر وقلت " مسرحية في مذياع كيف ستعرفينهم من بعض"

قالت بضيق " فليعرضوها هم ولا شأن لهم بي أعرف كيف أفهمهم"

ثم تنهدت بحزن وقالت " كم أشعر بما تشعر به سما اليوم وهو الشعور

بالفقد فحين مات والداى في ذاك الحادث كنت صغيرة مثلها وعانيت كثيرا

في أيام العيد فكيف بها هي وهم ماتوا مقتولين أمامها والمجرمين طلقاء

"

قلت بهدوء " تبدوا لي سما فتاة قوية جدا رغم صغر سنها فمن

مرت بما مرت به لن تستحمل مثلها"

ثم نصرت لها وقلت " تصوري أنها كانت تسمع تهامس

الجن في ذاك القبو المظلم"

شهقت بقوة واضعة يدها على صدرها وقالت بصدمة

"تسمع الجن هناك .... سلام قول من رب رحيم"

ابتسمت وقلت " هل خفتِ وهي لم تخف"

قالت بأسى " كيف لها أن تكون بعقلها حتى الآن"

أعدت هاتفي لجيبي وقلت " أخبرتك أنها أقوى مما تتصوري"

قالت بعد صمت " هل أخبرك جابر أنه سيحضر أبنائه أم ضحك علي"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " بل سيحضرهم لك بكل تأكيد"

وقفت حينها سما عند الباب وقالت واضعة يدها وسط جسدها

"من قطع من الحلوى في الثلاجة"

قلت بابتسامة " ومن غيري طبعا فوالدتي لم تغادر سريرها"

قالت بضيق " وكيف سأقطعها الآن ، لن تكون كما

أريد ثم هي لم تجهز بعد"

كنت أنظر لها بصدمة وكأنها ليست سما ذاتها الخجلة مني التي

لا ترفع عيناها بي إلا نادرا ، يبدووا أنني ارتكبت جرما كبيرا جدا

لدرجة أن أخرجتها من قوقعة حياؤها الكبير، أمسكت قفا عنقي

بيدي وقلت بإحراج " آسف لكني لم استطع مقاومة شكلها ولم

أتوقع أنه لها طريقة في التقطيع وأنها لم تجهز "

نظرت لوالدتي وقالت بحزن " أرائتي خالتي ، ما الحل الآن "

ضحكت أمي وقالت " لا حل لدينا سوا معاقبته كي لا يعيد فعلته "

قلت بصدمة " ماذا تعاقبانني .... ولماذا "

قالت سما مغادرة بتذمر " لن تجدي معاقبته لقد ضاعت الكعكة "

ضحكت والدتي بعدما غادرت وقالت

" تخجل منك في كل شيء إلا وقت الغضب "

قلت بابتسامة " وما يدريني أن هذا سيحدث أنا حقا لم أقاوم شكل الكعكة "

قالت بلوم " ولكنك المخطئ في كل الأحوال هي سهرت الليل

في إعدادها وأنت لم تأخذ حتى الإذن منها "

تنهدت وقلت " والحل الآن الفتاة تبدو مستاءة جدا حد

أنها كسرت الحاجز الذي بنته بيننا "

قالت بضحكة " تصرف أنت في الأمر لا دخل لي "

وقفت وقلت " تستطيعين حل المشكلة لكنك تحبين توريطي دائما يا أمي  
"

ثم غادرت الغرفة على ابتسامتها الشامتة وتوجهت للمطبخ ، كانت  
تقف عند الطاولة تمسك السكين وأمامها الكعكة تحاول رسم مخطط  
لتقطيعها في الهواء وتتأفف ، اقتربت من الباب ووقفت أمامه وقلت

"أنا آسف حقا هل يمكنني إصلاح الأمر"

قالت بحزن " لن نستطيع أبدا تقطيعها بالطريقة الصحيحة

ولا يمكن تقديمها بغير تلك الطريقة"

دخلت واقتربت منها وأخذت السكين من يدها وأنا أقول

"لا تنسي أنني خريج هندسه ، أخبريني كيف تريدين شكل القطع"

أبعدت يدي وقالت " لا أرجوك لا تفسدها أكثر"

ضحكت وقلت " حسنا أنا أفسدتها في كل الأحوال

فدعيني أصلح الأمر على الأقل"

قالت مشيرة بأصبعها فوق الكعكة " أريدها هكذا قطع شكل معينات

وأن تكون حبة كرز في منتصف كل قطعة فجد حلا لها"

حككت شعري بيدي الأخرى وقلت " ستخسرين الكثير منها هكذا

لكي نصلح الأمر لأن الجهة التي قصصتها أنا كلها ستلغى "

رمت يدها في الهواء بحركة طفولية وقالت بعبوس

" لن تكفي أحدا ولا وقت لإعادتها من جديد "

قلت بعد صمت ونظري على الكعكة " لدي فكرة نأخذ الأجزاء

التي سنستبدها ونقطعها وحدها للأطفال "

عدت بأصابعها ثم قالت " أريد عشر قطع سليمة منها فتصرف حالا "

ضحكت وقلت " أمري لله ، ولكن إن لم أنجح ؟ "

قالت " لن نقدم منها لصديقك طبعاً إن خرجت بثمانية قطع "

ضحكت وقلت " وإن كانت أقل من ثمانية "

قالت ببرود " ستبقى تلك التي أسمها دعاء طبعاً بلا حصة "

نظرت لها بصدمة ثم قلت بابتسامة

" ولما هي تحديدا هل كرهتها لما قالت عنك "

لم تجب وتجنبت النظر لي ولا أعلم لما ، قطعت الكعكة محاولاً

إنقاذ ما يمكن إنقاذه وخرجت بتسع قطع سليمة وجيدة فأحضرت

سما الأطباق لنقلها فيها فقلت " ولكن بقي واحد ناقص "

قالت وهي تنقلهم للأطباق " من سيأتي متأخرا لن نقدم له الكعك "

ضحكت وقلت " ياله من تعيس "

نظرت للأرض بخجل وابتعدت تشغل نفسها بالشوك وها قد عدت

للحماقات مجددا ، ليس عليا أن أعتبرها صغيرة لهذه الدرجة

نظرت للقطع التي خصصناها للأطفال وقلت

" يعني أنه لا حصة أخرى لي "

نظرت لي بصدمة فقلت ضاحكا

" طبعا لن تكون لي أي حصة كنت أمزح "

ثم قلت مغادرا المطبخ " آسف حقا يا سما على ما فعلت بكعكتك "

\*

\*

رتبت الكعكة في الأطباق وغطيتهم لتكون جاهزة للتقديم وبدأت

بتحضير الغداء كي يجهز باكرا فعليا تنظيف المنزل مجددا قبل

مجيء الضيوف ، بعدما انتهيت خرجت من المطبخ وذهبت

لغرفة خالتي ووقفت عند الباب وقلت " هل خرج نزار "

قالت بابتسامة " قال عليا أن ابتعد عنكم كي لا أفسد

تجهيزاتكم للعيد أكثر "

نظرت للأرض بحزن وقلت " يبدو غضب من كلامي ، أنا حقا

لم أقصد جرحه لكني لا أحب أن يعبت أحد بما أصنعه "

وصلني صوتها الحنون " أبدا يا سما هوا لم يغضب منك

ومستاء حقا لأنه أفسد كعكتك "

خرجت من غرفتها وسمعت صوت باب المنزل يفتح اقتربت من

هناك وكان نزار داخلا منه فنظرت له مطولا ثم نظرت للأرض

وقلت " أنا حمقاء حقا وآسفة ما كان عليا أن اغضب من شيء

تافه كهذا ، فقط أنا اعتدت أن لا يلمس أحد ما أصنعه

حتى ينتهي لكني غبية و " ....

قاطعني قائلا " لا تعتذري يا سما أنتي لم تخطئي "

ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها مدها لي مفتوحة وفيها سلسالا

فضيا يحوي زهرة حمراء صغيرة وقال بابتسامة

" هذا اعتذار مني لك "

ثم ضحك وقال " ولن أكل من كعكتك مرة أخرى

حتى تعطيها لي بنفسك "

لم اعرف ما أقول بقيت انظر لعيناه بحيرة وصمت ثم هزرت

رأسي بلا فقال بحيرة " ألن تقبلي اعتذاري "

قلت بهدوء " بل لن أقبلها مادمت لن تأخذ من كعكي إلا بأذني "

قال مبتسما " حسنا لن آخذ من الكعك الذي فوقه كرز والباقي آخذه "

ضحكت ضحكة صغيرة غلبتني فمد يده أكثر وقال

" هيا اقبلها مني لأتأكد أنك لست غاضبة "

مددت يدي له فوضعها فيها وقلت ونظري أرضاً

" شكرا لك "

قال بهدوء " ليس سوا سلسال بسيط أمام خطني "

ثم قال وهو يتجه للسلاالم " سأنام قليلا أيقظيني عند الغداء "

تبعته بنظري حتى ابتعد ثم نظرت للسلسال في يدي ، كان والدي

يشترى لي الحلي وكنت أحبهم كثيرا رغم أنه لا يسمح لنا بالخروج  
بهم لكن هذه أراها مختلفة رغم أنها ليست من الذهب كتلك ، أطبقت  
يدي عليها وضممتها لصدري ولا أعرف لما أيضا وكم كثرت الأمور

المبهمة عندي ، توجهت لغرفة والدته ودخلت وفتحت يدي لها

وقلت وأنا أقرب منها " أنظري خالتي لم يغضب مني

بل جلب لي سلسالا كاعتذار "

رفعته من كف يدي وقالت وهي تنظر له بتفحص

"جميل يا سما و عرف نزار أخيرا عند من يضعه"

نظرت لها بحيرة فقالت مبتسمة " هيا دعيني أساعدك في إغلاقه"

جلست أمامها عند السرير ورفعت جديتي فلفته حول عنقي

وأغلقتة ثم قالت " لا تنزعيه أبدا يا سما عديني بذلك"

التفت لها وقلت " أعدك ولكن لما وما قصة هذا السلسال"

تنهدت وقالت " قصته جرح قديم كنت أنتظر أن يتخلص

نزار من بقاياها وها هو تخلص منه أخيرا"

بقيت أنظر لها باستغراب ثم قلت " هل يخص فتاة أخرى "

ضحكت وقالت " سما لا تحاولي تفسير كل شيء هو لا يخص

فتاة أخرى ولم يخرج من عند نزار إلا اليوم ومنذ أعوام لأنه

كان سيهديه لخطيبته في عيد ميلادها ولم يحدث "

نظرت للزهرة في عنقي ثم لها وقلت " هل كانت له خطيبة "

تنهدت وقالت " نعم ولم تعرف قيمته وأضاعته من يديها "

قلت بهدوء وعينا في عينيها " ولكني هكذا سأذكره بها أليس كذلك "

هزت رأسها بلا دون كلام فابتسمت لها ولذت بالصمت لأنني

تماديت في التدخل فيما لا يعني ولكني حقا أريد معرفة لما تركته

ولما احتفظ بالسلسال ولما أعطاه لي وليس لدعاء أو غيرها ولما

خرج من المنزل ليجلبه هل لأضن أنه أحضره من الخارج

ووالدته أفسدت كل شيء!!

أخرجني من أفكاري صوتها قائلة وهي تمسح على شعري

" لا تنزعيه من رقبتك يا سما فنزار لا يعنيه أمرها وإلا ما كان

أعطاه لك فلا تضني أنه يريد تذكرها بك ، هو يحترمك حقا

ويعد نفسه مسئولاً عنك"

ابتسمت لها وغادرت الغرفة أنهى تجهيز الغداء وترتيب باقي  
المنزل وعندما أصبح الغداء جاهزاً صعدت لغرفته وطرقت الباب  
عدة مرات ولم يجب فطرقت بقوة أكبر فوصلني صوته غليظاً من

أثر النوم " استيقظت يا سما وسأزل حالاً"

نزلت وبعد قليل سمعت خطواته ينزل من الأعلى فخرجت من  
المطبخ وقلت " علينا إدخال طاولة الطعام ، الغداء جاهز"  
توجه من فوره نحوها قائلاً " حسناً هيا لندخلها معاً"  
أدخلناها وأنا منذ نزوله أركز على نظره إن نظر للسلسلة ولكنه لم  
يهتم له ويبدو كما قالت والدته لم يعد يعنيه أمرها ولكن لما أعطاه لي!!

تناولنا الغداء سوياً وخرج نزار وبعد العصر جاءت جارات والدته  
وقدمتني لهم على أني قريبة زوجها وكن لطيفات وبشوشات وأعجبهم  
كعكي والعصير أيضاً وكلهن طلبن مني طريقة إعداده ، بعد وقت

طرق أحدهم باب المنزل فتوجهت له وفتحته فكانت دعاء

سلمت عليا ودخلتُ وأغلقتُ أنا الباب خلفها ودخلت، جلسنا مع  
البقية ولم أجلب لها من كعكي ، لا اعلم لما ربما لأنها قالت لا تحب  
الحلويات ، بل أحضرت لها العصير وشطائر مملحة مع اللحم هي  
والبقية وقالت إحداهن مبتسمة " ها قد وجدتِ لابنك نزار زوجة  
جميلة وربة منزل فقومي بواجبك وأقنعيه"

أحسست حينها بكم هائل من الخجل مما قالت فلم أفكر للحظة أن  
يكون تفكير الناس بي أن أكون زوجة له وما هي الزوجة وما دورها  
في حياته غير رباط يربطه بها وأبناء ، قالت دعاء بابتسامة ونبرة  
لم أفمها " نزار لا يرى الارتباط بالصغيرات في السن أمر عقلائي وقالها  
مرارا فهوا يعترض على زواج القاصرات فيستحيل أن يطاوعها"

لو أعلم ما الذي ترمي إليه وتفكر فيه ؟ هل تخشى حقا أن تقنعه والدته  
بالزواج بي ؟ لكن كلام المرأة كان مجرد مزحة ولا أعتقد أن أي منهم  
أخده على محمل الجد ، غيرت خالتي الموضوع من فورها وكأنها  
تعمدت ذلك ولا أفهم شيء مما يجري هنا ومر بعدها الوقت حتى  
غادر كل الضيوف ولم تبقى سوى دعاء، كنت أشعر بالنعاس من

شدة التعب وسأنام مكاني وهذه لا تفكر في المغادرة على ما

يبدوا حتى قالت خالتي " سما بنيتي أنتي تعبت كثيرا

اليوم اصعدي لغرفتك وارتاحي ونامي "

قلت بابتسامه " لا بأس خالتي قد تحتاجون شيئا "

قالت دعاء ببرود " لست غريبة وأحفظ المنزل كاسمي

يمكنك أن تنامي وترتاحي "

وقفت مستاءة من لهجتها معي فوقف حينها نزار عند الباب بعد

دخوله من الخارج فهوا لم يرجع منذ الغداء ، ألقى التحية وقال

مبتسما " كيف حالك يا دعاء وكل عام وأنتي بخير "

أجابته بابتسامه " وأنت بخير "

نظر لي وقال " صديقي وأبنائه سيكونون هنا غدا قد يأتي

باكرا وقد يأتي بعد غد حسب ظروفه "

هزرت رأسي بحسنا دون كلام فغادر من فوره وصعد للأعلى

ووقفت حينها دعاء وقالت " يبدوا لن تنامي قبل أن أذهب

لن أتعبك أكثر من هذا"

ثم أقلت علينا التحية وغادرت ، نظرت لخالتي وقلت باستغراب

"لماذا غضبت مني هل أخطأت في شيء"

ضحكت وقالت " لا لم تخطئي ولكن لا شيء يطرأ للبقاء أكثر"

ابتسمت وقلت " لم أفهم"

قالت مبادلة لي الابتسامة " من الأفضل للإنسان أن لا يفهم

كل شيء ، هيا اصعدي لغرفتك وارتاحي"

وقفت بالقرب منها وقلت " هل تريدين شيئا قبل أن أصعد"

قالت بحب " لا بنيتي أطفني النور فقط"

ابتسمت لها وتوجهت لمفتاح النور أطفأته وقلت " تصبحين على خير"

وصلني صوتها قائلة " وأنتي بخير يا ابنتي"

صعدت بعدها السلالم وفوجئت بنزار يقف في الأعلى ينتظرني

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

حينما طلب من أمجد أن يساعد شقيقته بركوب السيارة ويتركونا وحدنا

علمت أنه سيفتح موضوع الزواج مجددا وقد يجرجرني من شعري  
هذه المرة ليأخذني معه رغما عني ، بقينا ننظر لبعضنا بصمت ثم قال  
"كيف كانت رحلة بحثك عن العمل ، يبدووا لم توفقي في إيجاده"  
نظرت له بصدمة وقلت " هل تراقبني يا سيادة المحقق "  
قال بابتسامة جانبية " وأعرف متى تنامي ومتى تستيقظي "  
قلت بسخرية " نعم فلا شيء ورائك غيري فكل المجرمين في  
السجون وكل القضايا محلولة ولم يعد يموت أحد "  
تغيرت ملامحه ويبدووا من حماقتي أهنته كثيرا ، قال بحدة  
"ليس أنتي من يعلمني حدود مهنتي يا أرجوان وليس  
من مصلحتك أن أضعك في دماغي "  
قلت بضيق " ولما تضعني في دماغك بما أذيتك أنا "  
تنفس بقوة حتى كدت أشعر بحرق أنفاسه الغاضبة وهو  
يحاول تهدئة نفسه ثم قال بجدية " أريد جوابا واضحا هل  
تعنيك مصلحة الأطفال وتريدي أن تكوني معهم أم لا "  
قلت من فوري " بالطبع أهتم لمصلحتهم والسؤال الثاني لا

يحتاج أن أجيبك عنه لأنك تعرف جوابه"

قال مباشرة " ولما العناد إذا"

قلت بهدوء لأنني بالحدة لن أكسب شيئا " أن أخاف على مصلحتهم

وأحبهم وأريدهم شيء وأن تجعلوا مني حاسوبا تُدخلون لها

البرنامج الذي تريدونه لأطبقه عليهم شيء آخر فهل ستتركني

أربيهم على طريقي ولن يتدخل أحد بي وبهم"

قال ببرود " لا تنسي أني والدهم ومن في القصر عائلتهم

كيف لا يتدخل أحد اشرح لي هذه النقطة"

قلت بذات هدوئي " والدهم على العين والرأس تأمرهم تنهاهم

توبخهم إن أخطئوا أما البقية لا دخل لهم بهم"

قال بابتسامة جانبية " لما لا تتكلمي بوضوح"

قلت بجديّة " تعلم ما أعني وعلياً أن أكون واضحة معك أن تتزوجني

كمربية لأبنائك شيء قد تقبله نفسي لأنني أساساً كنت مكرسة كل حياتي

لأجلهم قبل أن تظهر أنت وكنت قد رفعت فكرة الزواج من أساسها من

أجلهم لكن أن تقوموا بانتقادي وخصوصا أمامهم وتجعلوني كجهاز

التحكم الذي تحركون به الأبناء كيف تشاءون هذا أمر لا

أحد يقبله ولا حتى أنت لنفسك"

تتهد وقال " أمي من ربنا وأفنت شبابها من أجلنا وواجهت الرجال

في أموال والدي وتجارته من أجل أن تضمن مستقبلنا فهل نكافئها أن

نقول لها أبنائنا ولا دخل لك بهم أنتي لا تعرفين كيف تربيين الأطفال"

قلت من فوري " إذا تجعل حدا بيني وبينها"

بقي ينظر لي بصمت وأضنه من الذكاء أن يفهم لما كنت

أرمي ثم قال " وبنود هذا الحد"

قلت من فوري " مكانة لي مثلها هناك"

تبت نظره على عياني دون كلام فقلت " عليها أن لا تعاملني كخادمة

لديكم بل كزوجة لابنها وأم لأبنائه تتناقش معك ومعها فيما لا يعجبها

ولا ترميني بكلامها أمامهم وكأني أعمل لديها وأضنك تذكر جيدا ما حدث

"

قال بجدية " وإن أخبرتك أنها غير راضية عن زواجي بك من أساسه"

صدمت لكلامه ليس لأنني لم أتوقع أن ترفضني والدته لكن أن يقولها لي

الآن وما يريد بهذا ، أنا لست ندا لمواجهة هذا الرجل أعترف بهذا

تابع قائلاً " أنا رجل ملتزم بعلمي وليس عملاً سهلاً ، أرجع آخر النهار

رأسي لحظة وينفجر فأجد مشاكل الأبناء ووالدي أمامي ولا أريد أن

أجد ثلاثتكم بمشاكلكم تنتظرونني ، جدي حلاً لهذه النقطة

وستضعين لنفسك بنفسك المكانة التي تريدي "

قلت بصدمة " ما تعني بهذا هل تتركني وحدي لمواجهتها

دون من أستند به " !!

قال ببرود " والدتي لن أقول أنها خط احمر في حياتي

ولكني أحترمها أكثر مما تتخيلي "

قلت بجدية " هل أفهم صمتك يومها عن إهانتني أمام الأطفال احتراماً "

قال باختصار " نعم "

قلت بسخرية " يعني لن تحترمني أنا كزوجة أمامها "

قال بهدوء ممزوج بالضيق " أرجوان أنا قلت كلاماً واضحاً

وأضنك أنكى من أن لا تفهميه ، لا أريد أن أدخل في مشاكلكم

هذا ما أطلبه منك في كل هذا الزواج"

قلت ببرود " ولا حتى أن تقف معها ضدي هل أنت متأكد

أنك لن تتدخل حتى لو طلبت منك هي هذا"

قال من فوره " إلا فيما أرى أنا أنه صحيح ويصب في مصلحة الجميع"

قلت " ومعني نفس الشيء أم لا"

قال بجدية " ومعك نفس الشيء إن رأيت رأيك صواباً"

بقيت أنظر له بصمت فقال " هل ننتهي من هذه

المسألة التي أصبحت لعب أطفال"

شعرت بالأبخرة تتصاعد من دماغي ، هل يرى هذا الموضوع

الحساس لعب أطفال ! هل يستهين بالأمر لهذه الدرجة ، كنت

سأصرخ به ولكني هدأت نفسي فعليا إنهاء المسألة كما أريد

قلت " وهل ترى إجباري على الزواج بك أمر لائق"

تأفف وقال " هل سنعود لنقطة البداية بعدما اجتزنا كل هذه المسافة"

قلت بجدية " نعم لأنها النقطة الأهم في الموضوع فكيف أثق في

باقي كلامك وأساس الموضوع إجبار"

قال بنفاذ صبر " والمطلوب"

قلت من فوري " تطلب رأي في الزواج بك وتتقبل

رفضي إن رفضت"

قال بضيق " لا أعلم كيف تفكرين يا أرجوان تحبين الأبناء وترين

أنهم بحاجة لك وتتججي وكأنك تناقضين نفسك"

قلت ببرود " أنا في النهاية إنسانة ويحق لي أن تحترمني"

قال متوجها ناحية الباب " إذا أنتظر جوابك"

ثم خرج وأغلق الباب خلفه فجلست على الأريكة بل انهزت عليها

كيف أعيش مع هذا الوحش وأعاشره ووالدته التي لم تدخل خط الحرب

حتى الآن ، لا ويريد أن يخرج نفسه من خط المواجهة ويتركني وهي

وحدنا ، لا يكسرني شيء سوى هؤلاء الأبرياء الذين يحتاجون لي في

حياتهم هناك أكثر من دراستهم وكل ما أخشاه أن يخبرهم أنه طلب مني

العيش معهم هناك للأبد وأني رفضت ، لا أريد أن يأخذوا عني

تلك الفكرة... آه يا رب ساعدني في هذا

وقفت بعدها وصعدت لغرفتي ورأسي بدأ يؤلمني من مواجهة هذا  
المخيف ، على الأقل تعلم أنه لن يأخذ شيء مني بالإجبار لتكون  
هذه النقطة حدا في حياتنا إن وافقت على الزواج به ، أحسست بألم  
رأسي ازداد من هذه الفكرة فأمسكته بيدي صاعدة للأعلى ، كيف  
سيكون التطبيق هناك أجزم أنها ستكون نهايتك يا أرجوان

\*

\*

خرجت من عندها وركبت السيارة ضاربا الباب خلفي بقوة

لأجد بكاء ترف ينتظرني مزلزلا المكان فقلت بضيق

"ما الذي يبكيك يا ترف"

قالت ببكاء " بيسان ضربتني على عيني"

قلت بحدة " بيسان ظننتك كبرت"

قالت من فورها " لم أضربها كان بالخطأ"

قالت ترف " بل ضربتني"

قالت " أنتي لديك نافذتك هناك لما تأتين لنافذي ، أردت

إبعادك لأرى ولم أضربك"

قالت ترف ببكاء " لا سيارات من هنا ، الطريق من جهتك"

تأففت وقلت " انتهى الأمر سنتحرك بالسيارة وتصبح السيارات

جهتك أيضا فأنهيا هذا الجدل لا ينقصني أنتما"

ثم انطلقت عائدا بهم للقصر وكل واحدة منهما ملتصقة بنافذة

تغني وأمجد جالس بجواري وهادئ تماما ، لا أعلم متى ستكبران

وتصبحان مثله رغم أنني أجزم أنهما لن تعقلا أبدا فيبدوا أن تلك

الفتاة وحدها من يمكنها السيطرة عليهما، كل ما أخشاه أن أجلب

لنفسي المزيد من المشاكل بزواجي بها لكني أراها أدكى من أن

تتصرف بغباء كحسنة سابقاً ، إن خلصتني من مشاكل والدتي

والأولاد ستكون أسدت لي أعظم معروف لكن إن تأزم الأمر أكثر

فسأصبح في ورطة أكبر ولولا ذاك السبب ما تزوجتها كغيرها وعلى

والدتي أن تقتنع أنه سبب منطقي وسيخلصنا من مشاكل محتمة

مستقبلا سواء تزوجت بغيرها أم لا ، كان عليا إيضاح حدودي

في المشاكل بينها وبين والدتي كي لا أكون في حسنة جديدة هي

أمك قالت وفعلت وأمي زوجتك قالت وفعلت وإن وقفت مع

إحداهما مررت الأخرى يومي وهذا بات واضحا لأرجوان الآن

وبقي والدتي ، المهم عندي مصلحة الأبناء وهما الاثنان تجدا

لنفسيهما حلا فأرجوان كلامها واضح وتفهم جيدا أن حدود

علاقتنا هي الأولاد وغيره سيكون حسب مزاج كلينا ولكنها

وعلى ما يبدو لا تعلم أن مزاجي ليس عند مربية فقط فنحن

لا نلعب ، أخرجني من أفكاري صوت بيسان قائلة

"بابا لما لا ننام مع ماما مرة واحدة فقط"

قلت ببرود " ستأتي هي لتنام معكم"

قالت بصدمة " حقا" !!

قلت " نعم وللأبد"

نظر لي أمجد بصدمة وعم الصمت منهم للحظة ثم صرخوا

ثلاثتهم بمرح مزلززين السيارة فقلت بحدة " يكفي صراخ"

سكتوا فوراً وقالت ترف " هل حقا ستعيش معنا للأبد"

ابتسمت بمكر وقلت " نعم إن هي وافقت"

قال أمجد " ماما تحبنا وتريدنا فلن ترفض"

قلت " قد ترفض فالخيار لها"

قالت بيسان " مستحيل ماما لن ترفض"

قالت ترف بحيرة " هل اكتشفت أنها ابنتك أيضا"

ضحكت ضحكة عالية على نظراتهم الحائرة ثم قلت

" لا هي ليست ابنتي وانتهى الحديث في الأمر سأتصل

لكم بها بنفسى غدا لتعرفوا إن وافقت أم لا"

دخلنا حينها القصر وأنزلوا الحراس الفتاتان وبقي أمجد

ونظر لي وقال " هل ستتزوج من ماما"

كان عليا أن أتوقع هذا السؤال منه فأمجد ليس طفلا درجة أن

يفوته هذا ، صحيح أنه في الثامنة لكنه أدكى من أن لا يفهم الأمر

قلت " نعم ولا تفهم شقيقتك الأمر كما تفهمه أنت مفهوم"

قال بابتسامة رضا لما علم " مفهوم بابا"

ثم نزل من السيارة وغادرت القصر عائدا لمكتبي ، اليوم بحكم

أنه عيد المكان شبه خالي إلا من القليل منهم لأنه لا أسوء منا

نحن الأجهزة الأمنية إلا الأطباء فكلانا لا يعترف العيد بنا

\*

\*

منذ أن دخلت لغرفتي وأنا أتقلب يمينا ويسارا على السرير أطمع

أن أنام في أبعاد وقت ينام الإنسان فيه ، أنا حقا حائرة ولا أعلم ما

سأفعل إن رفضت سألوم نفسي عن أي شيء سيصيب الأولاد ويفسد

مستقبلهم ومؤكد لن يدعني أراهم بعد اليوم لأنني فرطت في الفرصة

التي ستجعلني معهم دائما وإن وافقت سأكون كمن دخل الجحيم بقدميه

زوج لا أعرف من أي كوكب جاء صخرة باردة ومتعجرفة وذكي بشكل

مخيف لا يفوته شيء يقرأ حتى نظرات العينين ووالدته لو كتبت فيها

مجلدات لن أصفها ولن أوفيها حقها ، شقيقة غائبة حتى الآن عن

ساحة الحرب والله أعلم ما يخبئون أيضا من مفاجآت ، جلست

ورميت اللحاف من فوقى ولففت شعري للخلف كعكة وأمسكته

بمشبك شعر ثم أمسكت بهاتفى واتصلت بسوسن ففتحت الخط

من فورها فقلت وأنا أتوجه للخزانة " مرحبا سوسن "

قالت بقلق " مرحبا أرجوان ما بك تتصلين ونحن كنا معا

منذ قليل ... هل حدث معك مكروه"

تنهدت وقلت " أريد أن أراك الآن هل أنتي منشغلة بشيء"

قالت من فورها " لا .... لقد حممت الأولاد وناموا فهذا وقت

نومهم وحامد غادر لزيارة صديق له في المدينة المجاورة"

قلت وأنا أخرج ثيابي وأرميها على السرير " إذا أغير ثيابي وأكون  
عندك"

قالت " حسنا وأنا أنتظرك"

خرجت بعد قليل من المنزل وتوجهت لمنزلها وصلت وطرقت الباب

ففتحت لي بسرعة وقالت " ادخلي هيا يبداوا أمرا خطيرا ورائك"

دخلت أتبعها في صمت فقالت ضاحكة

" أقسم أن ذاك الضخم الوسيم وراء هذه الزيارة"

تنهدت وقلت بضيق وأنا أجلس على أريكة الصالة

"سوسن لا تجعليني أغادر غاضبة منك ومن نفسي لأنني أتيت"

جلست وقالت ضاحكة " لا أرجوك كله إلا أن تغضبي مني

هل أحضر شيئا نتسلى به"

قلت من فوري " لا أريد شيئا أكلنا اليوم فوق طاقتنا"

قالت بابتسامة " معك حق فأبناء خطيبك أطمعوك

نصف حصصهم في الحديقة"

نظرت لها بضيق فقالت ضاحكة

" عليك أن تقتني يا أرجوان هذا الزواج لا مفر لك منه"

تأففت وقلت " لقد تحدثت معي حين جاء لأخذهم"

نظرت لمامحي مطولا بصمت وكأنها تنتظر أن أتابع حديثي

فنظرت ليدي في جري وقلت " قال أنه عليا أن أواجه والدته

وحدي ولا أدخله في أي مشكلة بيننا وكأني أنا من عرضت

عليه الزواج وهو يضع الشروط"

انطلقت منها ضحكة عالية فقلت بضيق

"سوسن أنا لم أقي عليك نكتة"

أمسكت فمها لتكتم ضحكتها وقالت

"آسفة يا أرجوان لكن الأمر مضحك حقا"

تهدت وقلت بحزن " هل تري حالي وما ألت إليه"

قالت بهدوء " هوا أيضا يبدوا محاصرا من والدته"

نظرت للأرض بشرود وقلت " أجل وأنا فهمت ذلك من كلامه

هوا لا يريد إغضابها منه ويحترم تضحيتها لأجلهم وتربيتها لهم لكن

هذا لا يعطيه الأحقية أن يتركها تتحكم في كل شيء يخص حياة أطفاله"

قالت بجدية " كان بإمكانه أن يقول لك أمي ما تريده سيكون لكنه

حقا مقتنع أنها مخطئة في بعض الأمور"

نظرت لها وقلت بضيق " وما ذنبي أنا يضعني في وجه مدفعها

أتلقي منها القذائف لأنقد أبنائه ولم يفكر بي أبدا"

قالت بعد صمت " أرجوان هي حرب قوية وعنيفة أتفق معك

في ذلك لكن إن كسبتها ستفوزين بكل شيء وأولهم ذاك الأسطوري"

تأففت وقلت " لو أعلم ما الذي يجعلك تتغزلين فيه هكذا وبأي عين ترينه

"

ضحكت وقالت " لا تكوني تغارين عليه"

نظرت لها بحدة فقالت بدفاع ملوحة بيدها أمامي و تكتم

ضحكتها " امزح أمزح لا تقتليني "

نظرت للجانب الآخر ولدت بالصمت فقالت

"وما قررتِ بشأنِ كل هذا"

عدت بنظري أماما ونظرت للأرض وقلت بحيرة

"لا أعلم يا سوسن أنا حقا في مأزق إن رفضته سأكون ظالمة في

حق قلبي الذي يحب أبنائه بجنون وفي حقهم هم لأنهم يحتاجونني

بشدة وإن وافقت سأرمي بنفسي للمجهول الذي قد يطول بي

لسنين وأنتهي نهاية والدتهم المؤسفة"

قالت بهدوء " وهل ترك لك مجال للرفض ، هوا يجبرك إجبارا"

نظرت لها وقلت " بل ترك الخيار لي نهاية حديثنا"

شهقت بصدمة وقالت بابتسامة واسعة " حقا فعل ذلك !! كيف أقنعتة"

قلت بابتسامة سخرية " حاصرته في مربع شخصيته ونجح الأمر"

ضحكت وقالت " أرجوان أمازلتِ تذكيرين ما قرأته في تلك الكتب"

ضحكت ضحكة صغيرة غلبتني وقلت " ضننت أني نسيت ما قرءنا

من تخاريف لكن يبدو أنه حين تجدين نفسك في مأزق يخرج

عقلك بالمعجزات ووجدت كل شيء أمامي حينها"

قالت بابتسامة " إذا لن تعجزني عن شيء"

تنهدت وقلت " أجزم أنها محض مصادفة ولست ندا له يا سوسن هوا

رئيس محققين وعاش تجربة زواج سابقة فلن ينجح الأمر أبدا"

قالت بضيق " أرجوان يا غبية أنتي استطعتِ تربية ثلاث أطفال تربية

لم أربها أنا لأبنائي اللذين من رحمي ، كيف تعجزين أمام والدهم"

لوححت بيدي بلامبالاة وقلت " هوا لن يتزوجني إلا

من أجل أبنائه وقالها علانية"

قالت ببرود " هل تريدي إقناعي أنه سيتزوجك حبر على ورق فقط

لتربي الأبناء ، ستكونين واهمة إن فكرتي هكذا يا صديقتي"

نظرت لها بصدمة وقلت " ماذا تعني بهذا!!!"

قالت بابتسامة ماكرة " اعني ما فهمته يا ذكية فليس هناك

زوج لديه زوجة لتربي أبنائه فقط"

قلت والصدمة لم تفارقني " لا .... ذلك مستحيل ، لن نكون

زوجان فعليان فسوف أجن إن اقترب مني"

ضحكت وقالت " أرجوان لم أكتشف أنك حمقاء إلا الآن ، لا يخدعك

عقلك ولا تخدعك شعاراته فلا يوجد رجل يقاوم امرأة تحل له"

هزرت رأسي بقوة وقلت " مستحيل أنا لم أفكر في هذا"

رفعت كتفيها وقالت " سترين بنفسك وسيأتيك كلامي يوما"

وقفت وقلت " إذا سأرفضه لا حل أمامي"

وقفت معي وقالت " وأبنائه ... أو أبنائك يا أرجوان فأنتِ

الأحق بهم من الجميع وحتى والدته تلك"

قلت بأسى " وكيف أنظر لشيء إيجابي واحد في الأمر

واترك كل السلبيات المتركمة ... كيف" !!!

قالت بهدوء " صحيح أنه أمر إيجابي واحد ولكنه يساوي

كل تلك السلبيات ويفوتها يا صديقتي"

توجهت جهة الباب لأغادر فأوقفني صوتها قائلة " لا تعانديه

يا أرجوان ولا تتحديه فلست ندا له ولا تخسريه

من صفك منذ الآن ، تذكرني هذا دائما"

قلت مغادرة دون أن التفت إليها " شكرا لك يا

سوسن واعذريني على الإزعاج"

ثم خرجت من منزلها وعدت أدراجي لمنزلي أسوأ مما

خرجت منه لتمر عليا الليلة عيناى مفتوحتان لم تغمضا أبدا

\*

\*

"أجل هكذا يا بتول ستضعين الفعل الماضي هنا"

قلت بامتنان " كم أنا ممتنة لك يا رجاء لقد ساعدتني كثيرا"

قالت بابتسامة " لا تشكريني يا بتول هذا أمر سهل بالنسبة لي"

قلت مبادلة لها الابتسامة " لكنه صعب عندي ، لا أعلم من

دونك كيف كنت سأفعل فوالدتي ترفض أن يحضر لي والدي

معلمة خصوصية ووالدي يرفض المعلمين وبقيت بينهم كالكرة"

قالت " عليك أن تجدي لك حلا غيري فالأطفال منذ حضرت اليوم

وهم يتحدثون عن أن أهم ستأتي للعيش معهم هنا"

قلت بحيرة " ولكن أمهم ميتة " !!

قالت بابتسامة " يبدو أنها تلك الفتاة التي زارتهم قبل العيد "

قلت " أه أجل تلك التي ربتهم ولكن ما الذي سيأتي بها "

رفعت كتفها وقالت " الأولاد يقولون أن والدهم أخبرهم

أنها ستأتي للعيش معهم وللأبد "

ضحكت ضحكة صغيرة ورقيقة وقلت

" تلك الفتاة اصطادته على ما يبدو وسيتزوجها "

قالت بابتسامة " يبدو ذلك "

ضربتها على رأسها بالكتاب ضربة خفيفة وقلت

" غبية لما لم تستحوذي أنتي عليه وتركته لغيرك "

ضحكت وقالت " بتول بربك والدهم لم يدخل علينا هنا مرة إلا

ووبخني وصرخ بي لأنه لا يدخل إلا في أسوء الموافق

كيف سأرمي بشباكي عليه "

رميت بيدي في هواء وأملت خصري وقلت

" غبية وهل هناك من يقاوم سحر النساء لكنك لم تجربني فقط "

قالت بصوت منخفض لأن الأطفال يلعبون هنا في نفس الغرفة

"صحيح أنه وسيم ولديه شخصية قوية مبهرة ومركز مرموق

لكني أراه لا يعير النساء اهتماما ولن يتزوج بتلك إلا من أجل الأبناء

أنا لا أريد زوجا يتزوجني كمربية ، ليس ثمة امرأة تريد حياة كهذه "

قلت ببرود " لن يجدي الكلام الآن فقد ضاعت منك الفرصة لكنا

خططنا سويا لإيقاعه بغرامك "

ضحكت وقالت " لم أعرفك مخططة حربية لكنا جربنا شقيقه

معتصم فيبدووا مختلفا عنه "

قلت باشمنزاز " يع معتصم !! ماذا تفعلين بذاك المتعجرف الثقيل الدم "

قالت بضحكة " لو كان أكبر مني لجريت فيبدووا الوحيد المختلف هنا "

وقفت وقلت " غبية تتركين الأعلى وتنظرين للأسفل "

ثم نظرت جهة الأطفال وقلت " هيا نخرج للشرفة "

قفزوا فرحا فالوقوف في الشرفة بالنسبة لهم كالخروج للتنزه

هي فرصتنا فلو كانت جدتهم موجودة لن نستطيع فعل هذا

وقفت المربية وقالت وهي تنظر لهم " كم سأشتاق لهؤلاء الأطفال

ففي كل سنوات عملي كمربية لم ألتقي من هم في أديهم وتربيتهم

لا يكذبون ولا يتهمونني فيما يفعلونه ولا يتلفظون بشتائم أو

كلمات سيئة ، كم هم رائعون هؤلاء الأطفال"

قلت بابتسامة " معك حق فكم مرة قالت لي إحدى الفتاتان أنظري

لشقيقك مصعب ما يقول ومصعب طبعاً تعلم مني كل أنواع الشتائم"

ضحكت وقالت " حتى أنا إن شتمت أحدهم قالوا لي سنخبر

ماما وستغضب منك"

قلت متوجهة جهة الشرفة " يالا الأطفال ومخيلتهم"

خرجت وهم يتبعونني ثم نظرت لهم وقلت محذرة بإصبعي السبابة

" لا أحد يصعد على حافة الشرفة غيري مفهوم أو أدخلتكم"

قالوا معا " مفهوموووم"

وقفوا ينظرون للخارج من الفتحات السفلية ويتحدثون عن كل ما

يروه فصعدت أنا بقدمي على أولى حواف الشرفة ورفعت يداي

جانبا وقلت " انظروا الآن ساطير"

صفقوا لي يضحكون فشعرت بيدان تمسكاني وتدفعاني للأمام فصرخت

مذعورة " لاااااا رجاء ابتعدي عني ولا تمزحي معي في هذا "

ولكن اليدان تزيدان من دفعي وأنا أصرخ مستتجدة لأنني لحظات

وسأسقط من الشرفة ، كنت أترجاها أن لا تفعل ولكنها لا تأبه لي

والأطفال يصرخون ويضحكون علي وكان ثمة حارسان في الأسفل

ينظران لنا في الأعلى فأشار أحدهما بإبهامه مبتسما للواقف خلفي

وكأنه يشجعه على ما يفعل ، غريب من أين يعرف رجاء ويفعل لها

هذه الحركة !! طار حينها وشاحي من على رأسي لأنني كنت أله

دون دبوس وانفك شعري في الريح ، شعري ليس كثيفا لكنه

طويل نسبيا وناعم ولونه بني فاتح ، عندما أصبح شعري

متناثرا في الريح التفت تلك اليدان حول خصري واحتضنتني

واستدارت بي سريعا للجهة الأخرى للشرفة بعيدا عن أنظار

الحرس والمنازل البعيدة ، أنزلت رأسي ونظرت لليدين المحتضنة

لي وكانت لرجل فعرفت صاحبها من الخاتم الفضي في إصبعه

فضربته للخلف بمرفقي وقلت " اتركني .... أنزلني الآن يا

معتصم يا مجرم كدت تقتلني "

وصلني صوته ضاحكا " الست تريدين الطيران "

ضربته بقبضة يدي على يديه وقلت

" أتركني الآن واستحي قليلا ما هذا الذي تفعله "

افلنتي من قبضة يديه لأصبح على الأرض فالتفت له وقلت

بحدة " مجنون هل تريد قتلي لترتاح مني "

ابتسم متجاهلا كل ما أقول ومد يده وخلل أصابعه في شعري

ورماه في الهواء بحركة سريعة وقال ونظره عليه

"متى أصبح شعرك طويلا هكذا كلسانك "

ثم عاد وغرس أصابعه في شعري مجددا فرميت بيده بعيدا

عني وقلت بغضب " كيف تسمح لنفسك أن تلعب بشعري

هكذا وتبقى وأنا دون حجاب "

أمسك خصلة من شعري وشدها إليه وقال من بين أسنانه

" لا تتحدثي مع الحراس مجددا يا بتول مفهوم "

قلت بتألم وأنا أبعد وجهي عنه وشعري في يده

"لا شأن لك بي أنا لم أتحدث معهم في شيء سيء"

شد خصلتي أكثر حتى بات وجهي يكاد يلتصق بوجهه

وأنفاسه تضرب خدي بقوة وقال بصوت منخفض

"إن وقفتي مع أحدهم مرة أخرى ..."

أدخل حينها يده في جيبه وأخرج شيئاً مستطيلاً وضغطه فخرج

منه نصل سكين حاد وتابع وهو يقربه من وجهي

"قطعت لك لسانك بهذا يا بتول"

نظرت للسكين بصدمة وهو يقربه من وجهي أكثر فأغمضت

عيناى بشدة من الخوف وما هي إلا لحظات وانفكت خصلة

شعري من يده وابتعد رأسي عنه بحركة تلقائية ففتحت عيناى

ونظرت له فكان يمسك تلك الخصلة في يده ويبتسم بمكر فوضعت

يدي في شعري وقلت بصدمة "قصصت شعري يا معتصم"

قال مغادراً وهو يلعب بها في يده

"كي لا تعيدي فعلتك مجددا ففي المرة القادمة سأقصه كله"

و غادر الشرفة والغرفة أيضا على نظراتي المصدومة التي تحولت  
من فورها لبكاء يزداد حدة شيئا فشيئا ، دخلت للغرفة وغادرت منها  
بدون حجاب ودموعي على خدائي وشعري مفتوح ، نزلت السلالم

بسرعة وتوجهت للباب فأمسكت يد بذراعي ولفنتي للخلف لأجد

معتصم أماي قائلا بحدة " أين تغادرين في الشارع هكذا"

رميت بيده عني وقلت ببكاء " ابتعد عني يا معتصم يكفيك ما فعلت"

أمسكني من ذراعي مجددا وسحبني للداخل وهو يقول

"إن خرجت هكذا قطعت ساقيك تفهمي"

أوصلني لغرفة الجلوس الداخلية وأدخلني هناك وأغلق الباب

مسندا يده عليه وقال " متى ستتوقفين عن التصرف كالأطفال

يا بتول متى ستكبرين لقد أتعبتني معك"

قلت بصراخ " وما شأنك أنت بي أكبر أصغر أموت شيء يخصني"

ضرب الباب بيده وقال " كل الشأن يا بتول كل الشأن لي أنا تفهمي"

قلت بجمود " أنا لا اعترف بك في كل قواميسي"

بقي ينظر لي لوقت دون أي ردة فعل وعيناه مثبتتان على عيناى

ثم أبعد يده عن الباب وبدأ بفتح أزرار قميصه فتراجعت للخلف

وقلت بصدمة " معتصم ماذا تفعل "

نزع قميصه ورماه علي وقال " إن خرجت شعرك مكشوفاً

هكذا كانت نهايتك على يدي "

ثم أشار لقميصه وقال بأمر " ضعيه على رأسك واخرجي هيا "

بقيت انظر له بصمت فصرخ " لفيه على رأسك واخرجي وإن علمت

أنك تحدثت مع أحد الحراس مجدداً كان حسابك معي عسيراً "

أخذت قميصه بغيض ولففته على رأسي وخرجت مارة من أمامه

أمسح دموعي فأمسك ذراعي قبل أن أخرج وقال بهدوء

" آسف لأنني قصصت شعرك لكنها لم تكن سوى خصلة بسيطة "

نظرت لعينييه وقلت ودموعي عادت للنزول

"لما تكرهني يا معتصم ؟ لما تتصرف معي هكذا"

أمسك كم قميصه الملفوف على رأسي ومسح به دموعي وقال

"ومن قال أنني أكرهك"

قلت بأسى " ولما تتصرف معي هكذا إذا ، كل هذا وليس كرها"

ترك ذراعي وقال ونظره بعيد عني " ليس هذا الوقت المناسب

لنتحدث في هذه النقطة غادري الآن يا بتول"

بقيت أنظر له بحيرة قليلا ثم غادرت وتركته وخرجت من

القصر راكضة وعدت لمنزلنا وتوجهت من فوري لغرفتي

\*

\*

خرجت هي من أمامي تمسح دموعها ومررت أنا أصابعي في

شعري وتنفست أذفر الهواء بقوة ، تُخرجيني عن طوري دائما يا

بتول وعجزت أن أجد طريقة أتفاهم بها معك ومع طيشك الزائد

خرجت من الغرفة أتمتم بغيط " نهايتها تجعلين الحراس خدما

لك بسبب مياعتك وغنجك يا بتول"

تقابلت وأمي داخلة من باب القصر مع خادمتها فوقفت ونظرت

لي مطولا ثم قالت ببرود " هل أصبحت موضة جديدة لدى

الرسامين خلع ملابسهم كمجرمين الشوارع"

شعرت بالدخان يخرج من أذناي فأمسكت قميصي الداخلي

من الأسفل وخلعته أيضا لأصبح بالبنطلون فقط ورميته على

الأرض وقلت " ما رأيك بهذا الرسام الآن "

ثم خرجت من أمامها مجتازا باب القصر للخارج ولففت خلفه ثم

دخلت لمكاني السري هناك ورميت الأوراق بقدمي من أمامي

جواد الأحمق ألف مرة أقول له نصف الفوضى التي تتركها هنا

اقتربت من الزاوية وأزلت قطعة القماش عن اللوحة وأخرجت

من جيبي خصلة الشعر المربوطة ووضعتها على طرف اللوحة

وأمسكت بالريشة وقلت بابتسامة " هذا ما كان ينقص لوحتك

(الشعر) وها قد رأيته رغم أنني كنت سأفعلها في كل الأحوال

فأنتي زوجتي ويحق لي هذا "

\*

\*

دخلت القصر ورن هاتفي نظرت للمتصل فتوجهت لأحد

الأرائك وجلست عليها وأجبت من فوري قائلا

"مرحبا رضا أين غادرت ألم تقل أنك ستنتظرنى"

قال بضيق " انتظرى حتى متى يا رجل وأنت لست موجود إلا بالاسم"

ضحكت وقلت " امسحها فى وجهى هذه المرة"

قال ببرود " طبعا فأنت الفاعل فى وجه من غيرك سامسحها

المهم لا تتحدث معها مجددا ما دامت لم تعطيك رفضها"

قلت ببرود " بهذا الشكل قد تنتظر طوال العمر يا رضا"

قال بهدوء " أنا منتظر فى كل الأحوال ولن أتزوج غيرها ولن أياس"

قلت ضاحكا " أعانك الله إذا ، هل تأمرنى بشيء آخر"

قال بضيق " نعم أغلق الهاتف فى وجهى أيضا"

قلت ببرود " رضا لا تجعل نفسك عدوا لى"

ضحك وقال " ستكون أنت الخاسر طبعا لأنى سأحكي

لوالدتك عن مغامرات الطفولة"

قلت بضيق " نعم هول الأمور كلها كانت مرات معدودة"

قال ضاحكا " لن أعطلك أكثر وداعا الآن"

قلت مباشرة " وداعا"

ثم وفقت وصعدت السلالم متوجها لجناحي لأخذ بعض الأقراص

المهمة لأغادر فورا ، وصلت للأعلى وتوجهت يمينا فأوقفني

الصوت القادم من خلفي قائلا " بابا"

التفت للخلف فكانت ترف تقف في آخر الممر من الجانب الآخر

تلعب بأصبعها الصغير فوق شفيتها وتنظر لي بهدوء فمددت

يدي لها وقلت " تعالي يا ترف"

قالت بصوت منخفض " جدتي ستغضب إن غادرت الممر"

تقدمت نحوها وحملتها بين ذراعي وقلت

"ولكني إن قلت شيئا تنفذه فوق رأي الجميع حسنا"

هزت رأسها بحسنا دون كلام فقلت

"ماذا كنتي تريدين قوله لأنني مشغول وعليها المغادرة"

قالت من فورها " متى سنكلم ماما أنت قلت لنا بالأمس ستكلمونها في

الغد"

أنزلتها على الأرض وقلت ممسكا يدها " هيا ننهي هذه المشكلة الطويلة

"

توجهت لغرفتهم وكان الباب مفتوحا فدخلت تسبقني ترف ويدها

في يدي وقالت بمرح " بابا قال سنكلم ماما الآن "

قفزت بيسان من على السرير واقتربت مني ووقف أمجد

\*

\*

بعد الليلة التي لم يغمض لي فيها جفن نزلت للأسفل وشغلت نفسي بكل

شيء الترتيب والتنظيف والتلميع ولم أترك شيئا لم أفعله محاولة الهرب

من كل هذه الأفكار التي لا مفر لي منها والزواج الذي لا مفر لي منه

بعد وقت رن هاتفي توجهت نحوه ونظرت للمتصل مطولا بحيرة

ماذا يريد مني اليوم أيضا ألم يقل أنه ينتظر ردي ، كنت سأجاهله

لكني خفت منه فلا أعلم كيف يفكر ويفاجئني دائما بأفعاله فقد يجن

ويرسل رجاله للقبض علي، أمسكت الهاتف وفتحت الخط

ووضعتة على أذني فجاءني صوت ترف قائلة بحماس

"ماما هل صحيح ستأتي للعيش معنا للأبد"

بقيت جامدة مكاني من الصدمة ليتبعها صوت بيسان قائلة

"ماما لن ترفضني أليس كذلك فبابا قال قد ترفضين"

بعدها أخذ منهم أمجد الهاتف على ما يبدو من اعتراضهما

وقال " ماما تعالي أرجوك ، أرجوك وافقي من أجلنا"

أمسكت رأسي بيدي وقلت " أمجد أعطني والدك"

ذاك الخبيث عرف من أين يأتي لي لكنني لك يا جابر

سمعت صوت أمجد يقول " ماما تريد التحدث معك"

ثم صوت جابر قائلا " عودوا لما كنتم تفعلون هيا"

وقال بعدها " لا اعلم ... ترف اجلسي وتوقفي عن القفز"

بعد قليل وصلني صوته قائلا " نعم يا أرجوان"

قلت مباشرة " أنا موافقة"

نهاية الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

استيقظت اليوم متأخرة على غير عادتي فأنا أكره كثرة

النوم صباحا ، فتحت فرح باب الغرفة ودخلت متوجهة من

فورها للخزانة وفتحتها وقالت " أين فستانك ألتفاحي لا تنسي

أنك أعطيتني إياه ، عليا وضعه مع الأغراض "

قلت بابتسامة صغيرة وأنا أُلّف شعري جالسة على السرير

"أخذته للمغسلة لا تنسي أني لبسته مرة وأنتي عروس عليك أخذه  
جديدا"

التفت إليا وقالت " تعالي وانظري معي لحقيبتني لم أعد اعرف

ما ينقصني، جواد الغبي هذا لا أعلم كيف يفكر ليسافر

بي صباحا من الفندق للمطار"

غادرت السرير قائلة " لا توتري نفسك كثيرا فكري فيما

ستحتاجينه أول ليلة والباقي يمكنكم شرائه في أي وقت"

أمسكتني من يدي وقالت ساحبة لي معها " تعالي معي"

قلت وأنا أسير خلفها بسرعة " فرح اتركيني ادخل الحمام أولا"

ولم تكثر لي طبعاً حتى وصلت بي لغرفتها ، فرح من أسبوع وهي

على هذا الحال فمنذ علمت بسفر جواد وأنها ستذهب معه وهي لا شيء

لديها سوى التسوق والتذمر والبكاء لأنها لم تجد كل ما تريد ولن يقام

لها حفل زواج ونسيت أن أهم شيء لديها وهو الرجل الذي تحبه ويحبها

ليلة البارحة نامت فرح معي على ذات السرير ، شيء لم نفعله منذ

طفولتنا واختارت توديعي به ، وقفت بي عند حقائبها المفتوحة وقالت

"وضعت كل شيء وأشعر أنني لم أضع فيها شيئاً وهناك شيء ناقص"

قلت " لما لم تدوني كل ما ستحتاجينه في ورقة"

قالت وهي تغلق إحداها " دونت كل شيء ووضعته فيها"

ثم قالت مغادرة الغرفة " بقي الفستان عليا الذهاب لإحضاره اليوم"

جلست أرتب الحقيبة الأخرى وامسح دموعي التي أجاهدها منذ وقت

وهاهم بقايا أهلي يتركونني ولن يبقى لي سوى خالتي التي لا أعلم

متى سيأخذها الموت مني هي أيضا، عادت فرح بشيء في يدها

رمته في الحقيبة من بعيد وغادرت مجددا، غابت لوقت ثم عادت

ووقفت عند الباب وقالت " هيا غيري ثيابك لتخرجي

معي نحضر الفستان ونختار باقي ملحقاته "

وقفت وقلت " عليا زيارة خالتي فأنا في العادة أقضي نصف

اليوم الأول من العيد في منزلها ولم أذهب لها بالأمس فعليا

قضاء بعض الوقت معها "

وضعت يداها وسطها وقالت بضيق " سنتقلين للعيش معها وتكونا

معا حتى تشبعا ، لا أريد أن تفارقيني هذان اليومان يا وسن "

قلت ماره من أمامها ومغادرة الغرفة

"لا استطيع يا فرح هذا عيد وليس أي يوم عادي"

توجهت لغرفتي دخلت الحمام استحمت وخرجت غيرت ثيابي

وغادرت المنزل فعليا زيارتها ولو لبضع ساعات

\*

\*

عدلت لها الوسائد خلف ظهرها قائلا

"أمي عليك أن تنتقلي للمرحلة الثانية من العلاج"

اتكأت على الوسائد وتنهدت بتعب وقالت

"لا نفع من كل هذا ولن أتركهم يحرقوني مجددا بالكيماوي"

جلست أمامها وقلت "لما نتوقف بعد كل هذه المرحلة من

العلاج وبعدها تحملت كل ذاك الألم"

نظرت جهة الباب وقالت " لا تتعبني معك يا نواس واطركني براحتي "

تأففت ولذت بالصمت مشيحا بوجهه عنها ثم نظرت لساعتي وقلت

" ما بها هذه الممرضة تأخرت هكذا "

قالت بابتسامة صغيرة " هل مللت من البقاء معي بهذه السرعة "

قلت بضيق " أمي ما هذا الذي تقولينه "

قالت مباشرة " وسن قالت ستأتي اليوم لأنها لم تزرنني

بالأمس فيمكنك المغادرة ما أن تأتي "

قلت بسخرية " لهذا أريد أن أذهب قبل أن تأتي لأجنبها رؤيتي "

هزت رأسها بيأس وقالت " حتى متى سيفر كل واحد منكم من الآخر "

قلت ببرود " هي تريد هذا "

قالت مغيرة مجرى الحديث " قال جواد أنك من سيتكفل بأمر

علاجها وعلى هذا الحال لن يكون هناك علاج"

قلت بعد صمت " كلفت من سيستفسر لي عن المتخصصين

في هذا ووقتها لكل حادث حديث"

قالت بهدوء " أين جواد اليوم لم أره أبدا"

ضحكت وقلت " زوجته تلك لن ترتاح حتى تصيبه بالجنون

وها هو اليوم يعمل تحت إمرتها"

قالت بضحكة " الذنب عليه فهو لم يخبرها بموضوع السفر والزواج

إلا من أسبوع فقط ، لا وسيغادران من الفندق صباحا للمطار"

قلت " جواد تعمد فعل هذا من أجل وسن فحالتها الصحية تتحكم فيها

نفسيتها فيريد أخذ فرح مباشرة دون أن تودعها"

قلت بصدمة " هل سيأخذها دون أن تراها"

نظرت للأرض وقلت " هذا ما يخطط له وستسقط فرح الطائرة به بالتأكيد "

تنهدت وقلت بحزن " مسكينة هذه الفتاة خسارتها تتوالى ولم يبقى لها أحد "

نظرت للأرض بصمت ولم اعلق بشيء فسمعنا حينها باب المنزل يفتح

فوقفت وتوجهت لحمام الغرفة ، لابد وأنها الممرضة سأتوضأ وأغادر

لأن الظهر سيقام قريبا وسأصليه في مسجد حيننا لأذهب للمزرعة

\*

\*

فتحت الباب بالمفتاح الذي تركه لي جواد لدى فرح لأنه مشغول

اليوم وقد لا تأتي الممرضة مبكرا وهو يضمن أنني سأستيقظ باكرا

وآتي إليها حتى تأتي ممرضتها لكني نمت على غير عادتي ، أغلقته

خلفي ودخلت ، كان المنزل هادئاً وكأنه لا أحد فيه ، توجهت لغرفة

خالتي طرقت الباب وفتحته ودخلت ، كانت على حالها دائماً تجلس

على السرير والممرضة تبدوا في الحمام المفتوح من صوت الماء

حمداً لله أنها لم تبقى وحدها ، نظرت لها بابتسامة صغيرة

حزينة وقلت " كل عام وأنت بخير يا خالتي "

مدت يداها لي وقالت " تعالي يا مشاغبة كيف لا تأتين لي يوم العيد "

اقتربت منها وجلست بجوارها على السرير ونمت في حضنها

فقلت ماسحة على رأسي " كل عام وأنتي بخير يا وسن يا ابنتي "

نزلت دموعي وقلت بحزن " لا تتمني لي هذا يا خالتي أرجوك "

قالت ماسحة لدموعي وأنا في حضنها " هل هناك

من يكره الخير له يا وسن"

قلت بحزن " بلى أنا لأنه لا مكان لي على هذه الأرض

لما لا ارحل كأهلي"

تنهدت وقالت بضيق " وسن توقفي عن قول هذا فأين ذهبنا نحن"

ابتعدت عنها ومسحت دموعي وقلت " يعز عليا فراق فرح

وزوجة والدي ، لم يبقى لي سواك فهل سترحلين وتتركيني"

انفتح حينها باب الحمام أكثر وخرج منه نواس وتوجه من فوره

لباب الغرفة وخرج منها دون أن ينظر ناحيتنا ولا يتكلم فأنزلت

رأسي أرضا في حزن ووصلني صوت خالتي قائلة " نواس ابن

خالتك في كل الأحوال ... كيف لا تخرجي له في العيد"

نظرت لها بصمت فقالت " ليس هوا من أخبرني طبعاً بل جواد"

أشحت بوجهي عنها دون كلام فقالت

"كان عليك أن تحترميهِ على الأقل يا وسن"

نظرت لها وفتحت فمي لأتكلم فقالت من فورها

"هيا قومي وعيدي عليه يبدوا دخل لغرفته ولم يغادر بعد"

قلت بضيق " خالتي ما هذا الذي تقولينه لقد رأيتهِ بنفسك كيف

مر من أمامي دون حتى أن ينظر ناحيتي"

قالت بضيق أكبر " هوا رجل العائلة الآن يا وسن في مقام

والدك وشقيقك وعلينا جميعنا احترام رأيه واحترامه"

قلت بتذمر " ولكن " ...

قاطعتني قائلة " نواس قضى يوم الأمس كله معي هنا ولم يغادر

إلا لمنزلكم وعاد ثم غادر العصر للبر فورا لأنكم ستأتون فهو

يعتبركم أهم جزء في يوم العيد وأنتي أهنته بهذا"

نظرت للأسفل بصمت فقالت بأمر " هيا اذهبي له يا وسن لا أريد

أن يمر العيد وكل واحد منكما مخاصما للآخر ولا يكلمه"

وقفت في صمت وغادرت الغرفة وتوجهت للغرفة الأقرب لها

وهي غرفة نواس ، طرقت الباب طرقات خفيفة ففتحه ووقف

أمامه ننظر لبعضنا بصمت ثم أنزلت رأسي وقلت بهدوء

"كل عام وأنت بخير"

قال بنبرة عتاب " وأنتي بخير يا وسن على الأقل من أجل

فرح فهي لم تمت ولن تموت في أي وقت"

ثم غادر من أمامي وأنا أتبع قفاه بنظري حتى اختفى ثم أغمضت

عيني وارتجف جسدي على صوت ضربه لباب المنزل خارجا

منه ونزلت دمعتي تروي للعيد آخر حكاياتي فيه، مسحت عيني

وعدت جهة غرفة خالتي دخلت وأغلقت الباب خلفي وجلست على

الكرسي أمامها تتحدث معي وأنا أنظر للأرض بحزن وشروود وبالي

مع فرح ومع قلبي المجروح منه مع ماضيا الغائب ومستقبلي التعتيس

حتى أخرجني صوتها من أفكاري قائلة " وسن ألا تسمعيني "

نظرت لها وقلت " نعم خالتي "

قالت " أنا أناديك منذ وقت وأنتي في عالم آخر

وكأني أتحدث مع نفسي "

قلت بإحراج " أسفة شردت قليلا "

قالت بهدوء " هل تشاجرتما مجددا "

أبعدت نظري عنها وقلت بحزن " أين أجد مكانا في الأرض

لا أراه فيه يا خالتي ، أقسم أنني تعبت "

تنهدت وقالت بحزن " ليث لدي شيء أفعله فلا يزيدني تعب

على تعبي غيركما "

قلت بابتسامة سخرية " هوا بأفضل حال انشغلي عليا أنا وحدي "

قالت بعتب " وسن أنا وقفت معك في كل شيء تركتك تدرسين من

مالك رغم أنه غير راض عن ذلك وعاندته في بقائنا هنا رغم أنني

أعلم جيدا أنه أمر متعب له أن نكون نحن هنا وهو هناك فلما هذا الكلام

"

قلت باستياء " هل أنا المخطأة المذنبه وهوا من معه كل الحق "

قالت ببرود " لو لم يكن معك حق ما وقفت في صفك لكنه أيضا

يعد نفسه مسئول عنا وتفكيره صحيح"

وقفت وقلت " ساعد لك الشيطان التي تحبين أكلها من يدي"

ثم غادرت غرفتها للمطبخ لينتهي هذا الحديث الموجه للحواس

قضيت مع خالتي الوقت حتى العصر وكانت الخادمة والمرضة

هنا فوقفت لأغادر فقلت خالتي " ما يزال الوقت مبكرا يا وسن"

قلت وأنا آخذ حقيبتي من على الأريكة " فرح مستاءة مني وعليا

مساعدتها تعرفينها تفقد عقلها إن حاصرها الوقت"

قالت بابتسامة " وفقهما الله وأفرحني بك أيضا في يوم كهذا"

ابتسمت ابتسامة حزينة وقلت " أنا أخذت حصتي من الجراح وانتهى"

ثم خرجت مودعة لهما

\*

\*

وصلت المزرعة نزلت ودخلت المنزل من فوري بحث عنه

حتى وجدته ، وقفت عند الباب مستندا بذراعي عليه وقلت

"ماذا تفعل هنا وأنا اعتمدت عليك في الإشراف على إطعام

الخيول وتنظيف الإسطبلات أم نسيت أنه اليوم وقت التنظيف"

نظر لي ثم عاد بنظره للحاسوب أمامه وقال

"اترك عنك كل ذلك وتعال لتري"

قلت بتذمر " ولید اتفقنا أن معاذ سيتكفل معي بمستلزمات الخيول

جميعها وأنت وجواد بالعمل هنا ، جواد مشغول الآن

وسيسافر وأنت تجلس تتسلى على الانترنت"

لوح لي بيده وقال " تعال قلت لك ولا توجع لي رأسي"

قلت بلامبالاة " هل أرسلت لمي ما قلت لك عنه"

قال ونظره على الحاسوب " نعم ومنذ صباح أمس"

قلت " وكيف حللت مشكلة المقاسات"

قال " اشتريتها بمعرفتي"

قلت بهدوء " ولید لما لا تشرح لي حدود علاقتك بها وكيف

علمت بمقاس ثيابها إن كنت لا تراها منذ سنوات"

توترت ملامح وجهه ونظر لي وقال بحدة

"نواس هل تشك بي وبزوجتك"

قلت ببرود " لا طبعا وأنا لم أقل ذلك"

وقف وقال " ما تعنيه إذا بما قلت"

قلت " أعني كن واضحا معي يا وليد هل تحب الفتاة وتريدها أم لا"

مر من أمامي قائلا " قلت لك ألف مرة لا ، انظر في الحاسوب

خبر آخر صفقة لك وما قيل عنها"

وغادر الغرفة مستاءً ، لا اعلم لما أشعر أن ثمة حكاية بينه وبينها ولو

في نفسه فقط لكن وليد لا يخفي عني شيئا ! دخلت الغرفة وجلست

أمام الحاسوب وتابعت كل ما قيل ، رائع هذا سيزيد سمعتنا في

السوق وسيساعدنا في الصفقة القادمة وليد قام بعمل جيد ، تجولت

بعدها كثيرا في أخبار السوق والتجارة ثم أغلقت الحاسب

وخرجت للإسطبلات ووجدته هناك ، وقفت بجانبه ووضعت

يدي على كتفه وقلت " هل أنت غاضب مني"

قال ببرود " بالتأكيد "

قلت بابتسامة " آسف يا وليد ولا تؤاخذني على أفعالي هذه الأيام "

نظر لي وقال " نواس لا تظلم مي معك بالظنون عدني "

بذلك فيكفي الفتاة ما أصابها "

قلت بذات ابتسامتي ضاربا بيدي على كتفه " أنا لا أضن بها سوء "

يا وليد لا تقلق من هذه الناحية فقط أردت أن تفتح لي قلبك "

عاد بنظره للعمال وقال بهدوء " قلبي لم يغلق أمامك يوما ولا شيء "

بيني وبينها وحتى إن فرضنا أنه كان ثمة شيء في نفسي فأنا لم "

أعد استحقها ولا هي تحل لي "

لذت بالصمت ولم أزيد الخوض في الحديث أكثر فهوا معه "

حق الفتاة باتت زوجتي وهذا الكلام لا يجوز "

\*

\*

في الصباح استيقظت على صوت فرح توقظني فقلت وعياني

مغمضتان " فرح حمدا لله أنك لا تتزوجين كل شهر "

قالت بتذمر " هذا ليس يوما للنوم يا وسن هيا لتساعديني "

جلست أمسح وجهي بيدي فقالت " لو كنتي متزوجة لقلت

بأنك حامل، ما كل هذا النوم على غير العادة "

نظرت للساعة في هاتفي وقلت بصدمة

"إنها الثامنة يا فرح ما الذي سنفعله من الآن "

قالت من فورها " علينا إنهاء كل شيء باكرا وعليك الذهاب

لمنزل خالتك تعرفين أنه لا نساء هناك "

غادرت السرير قائلة " الحفل عائلي ما سأفعله هناك"

عدت بأصابعها قائلة " نحن وزوجات أخوالي الثلاث وجارتا

خالتيك وصديقتي حنان وزوجة صديق لجواد ألا يكفون هؤلاء كلهم"

قلت وأنا أتوجه للحمام " أمري لله لا راحة حتى في إجازة العيد"

دخلت الحمام وأغلقت الباب وتوجهت للمغسلة أغسل وجهي مرة

تلو الأخرى أمنع نفسي من البكاء بعدما هربت من عينا فرح الوارمتان

من كثرة بكائها الذي تخفيه عنا ، عليا أن أكون قوية وسعيدة من أجلها

فهذا أفضل من أن تتحطم مثلي ونصبح في اثنتان بدلا من واحدة

خرجت بعدها من الحمام ولم تكن في الغرفة ، غيرت ملابسني ولبست

حجابي وخرجنا معا ننهي باقي أعمالها حتى حان وقت ذهابها للمزين

تركتها هناك وعدت للمنزل رتبت مع زوجة والدي ما ستأخذه

معها لمنزل خالتي من أجل الحفل ثم استحممت وأخذت الثياب

التي سألبسها من أجل الليلة ، كان فستانا أزرق اللون قصير لعند

الركبتين حريري به نقوش بالخياط الذهبية عند الحزام والحواف

السفلية وبحاملات عريضة ذهبية أيضا ، وضعت في كيس مع الحذاء

الذهبي وإكسسوارات مخصصة له وخرجت من المنزل وتوجهت

لمنزل خالتي ، وصلت وطرقت الباب ففتحت لي فتحية وقالت

مبتسمة " انتظرك منذ وقت فجواد سيفقدني عقلي "

قلت بابتسامة وأنا أدخل " وفرح هناك أفقدتني عقلي أيضا "

قالت وهي تتبعني للمطبخ " أحضر كل شيء من أجل الحفل وأي

شيء أقترحه عليه لا يعجبه ، حمدا لله أنه ليس حفلا كبيرا "

انشغلت معها لوقت في رؤية ما أحضر ثم قلت

"عليا رؤية خالتي وسأعود لنجهز كل شيء"

قالت من فورها " حسنا وأنا سأخرج الأطباق للطاولة"

خرجت بعدها من المطبخ وطرقت باب الغرفة ودخلت

وجدت الممرضة تحقن لها المغذي فاقتربت منهما وقلت

"مساء الخير"

ردا عليا التحية معا وقالت خالتي مبتسمة

"جيد أنك أتيت قبل أن يطرد جواد فتحية من هنا"

قلت بابتسامة " يطردها ويسافر ويتركنا"

قالت بضحكة متعبة " يبدووا فكر أنك ستكونين هنا ولن نحتاجها"

ضحكنا معا ثم خرجت وعدت جهة المطبخ ورتبت مع فتحية

كل شيء في صالة المنزل وفي مجلس الرجال لأن عددهم قليل

فلن يحتاج الأمر لوضعهم في مكان آخر ، أعدنا العشاء معا

لأن جواد لا يريد من المطعم ولم أتركها حتى أطفأنا المواقد على

جميع القدور ولم يبق سوى سكبها ، جهزنا السلطة والعصائر

ثم استحمت وأخذت كيس ملابسني وغادرت المنزل وعدت

لفرح في المزين ، دخلت ووجدتهم يضعون لها اللمسات الأخيرة

فاقتربت منهم وقلت " هل انتهيتم "

قالت المتخصصة في الماكياج بتذمر " لم تساعدنا أبدا تبكي

طوال الوقت وكأنها ستموت وليست تتزوج "

نزلت مني دمة غلبتني مسحتها وقلت

"سأغير ثيابي ، أريد أن تضعوا لي الماكياج وتسريحة شعر"

ثم غادرت من فوري لغرف التبديل ارتديت الفستان ووضعوا

لي ماكياجاً خفيفاً ومناسباً للفستان ورفعوا لي شعري للأعلى

ثم انتقلت حيث فرح فكانت جاهزة ، وقفت أمامي فقلت باندعاش

"فرح ما كل هذا الجمال"

نزلت دموعها وحضنتني وقالت باكية

"كيف سأبتعد عنك يا وسن سأشتاق لك يا شقيقتي"

لم استطع أمساك دموعي التي نزلت دون توقف ثم ابتعدت

عني ونظرت لملامي وقالت " وسن هل تشعرين بشيء أسفة حبيبتي"

قلت بابتسامة حزينة " لا عليك يا فرح هذه الآلام ملازمة

لي منذ الصباح ، بت أعتاد عليها"

تنهدت وقالت " انتقم الله ممن كان السبب منذ البداية"

قلت بحزن " توقفي عن الدعاء عليه يا فرح فمهما

كان بيننا هوا ابن خالتي"

قالت بضيق " بل لأن قلبك الأحمق لازال يحبه"

حملت الغطاء الخاص بها وقلت " هيا بسرعة فخالك على وصول

وجواد سيأخذك ووالدتك من شقتنا وأنا عليا العودة لمنزل

خالتي من أجل استقبال الضيوف"

لبست عباءتي وحجابي وتلثمت بطرف الوشاح لإخفاء الزينة ولم

يبقى سوى عيناى ثم خرجت وفوجئت بجواد في الخارج، نزل من

السيارة وتوجه نحوي فقلت مغيرة لصوتي " ماذا تريد يا سيد"

ضحك وقال " أعرف عيناك وأميزهما من أميال يا مخادعة"

ضحكت وقلت " كاذب بل عرفتني من عباءتي فعيناك هناك كثر مثلها"

فتح لي باب السيارة وقال مبتسما " وعباءتك مشابهاها

أكثر أما عيناك لا مثيل لها بالأسود الثقيل"

ركبت السيارة قائلة " لو سمعتك فرح لصبغت ليلتك أنت بالأسود الثقيل  
"

أغلق بابي وركب وقال " لا تفتني بيننا يا مهرتي خيرا لك"

ضحكت وقلت " هل تتدرب علي يا أحمق"

ضحك وانطلقا بالسيارة فقلت " هلا أخبرتني ما جاء بك هنا"

ضحك وقال " جئت لأسرق عروسي من عند الباب

فأخطت وجلبت واحدة أخرى"

ضحكنا سويا ثم قال " الضيوف بدؤوا بالوصول وعليك

أن تذهبي لاستقبالهم لهذا جئت لأخذك"

\*

\*

وقفت في الأسفل أنا ومعاد لاستقبال باقي ضيوفنا وبقي وليد

في المجلس مع أخوال فرح حتى يأتي جواد ، نظرت للواقف

بجانبي وقلت " ومتى سنفرح بك أنت أيضا فقد أتعبت

قلب والدتك وتشتكي لي منك بالأمس"

ضحك وقال " حتى يتزوج وليد أولا"

قلت بضيق " يالها من حجة تعلم أن وليد حاله أردى منك"

قال بضيق مصطنع " ما بك أنت معنا تزوجت وتريد

تزويج الجميع مثلك"

ضحكت وقلت " لا أريد أن أرى أحدا منكم حرا طليقا"

قال ببرود " أنا سبق وجربت حضي والخروج من الطلاق

بزواج آخر يليه فكرة فاشلة"

قلت بسخرية " هذا لأنه لم تلعب إحداهن بعقلك لسقط

الشعار والقناع أيضا"

وصلت حينها سيارة جواد ونزلت منها وسن متلثة بوشاحها

وترتدي عباءتها ، ليس لأن جواد من أحضرها عرفت من تكون

بل من عيناها منافسة الغزلان وكأنها تنوي قتل المقتول ، ثنيت

نفسي ومشاعري وأبعدت نظري عنها مجبرا وهي تقترب لتدخل

المنزل ، اجتازتنا ودخلت في صمت وصفر معاد بعدها بصوت

منخفض وقال " لمن هذه العينان بحق الله ولا تقل أنها زوجته"

قلت بهدوء يعاكس دواخلي " اصمت يا معاد ولا حرف آخر"

اقترب منا جواد حينها وقال " أمازلتما هنا !! متى

سيكتمل ضيوفكم لأذهب لجلب زوجتي"

قال معاد من فوره " هل تعني أن تلك الغزال التي

دخلت ليست زوجتك"

نظرت له وقلت بضيق " معاد أحفظ لساتك عن

محارم غيرك خيرا لك"

نظرت لجواد فكان ينظر لي نظرة أفهم مغزاها جيدا وكأنه

يقول لي أطلق سراح الفتاة ، قال معاد بحسرة

" هي متزوجة إذا يالا خيبة الأمل"

قلت ببرود " أرى القناع سقط سريعا"

قال جواد متوجها للداخل " إن أردت خطبتها فهي لك"

ودخل المنزل وقال معاد من فوره " أفهماتي شيئا أنتما"

نظرت جانبا وقلت " لا شيء لأفهمه لك وابتحت لك

عن عروس غيرها"

لم افقد عقلي بعد لأزوجها لأحد أصدقائي المقربين ، وإن فرضنا

وحدث وزوجتها فسيكون لشخص يسكن في أبعد مدينة عن هنا

\*

\*

دخلت المنزل أوجاعي في قلبي هي التي تزداد ، هل أصبحت

تكرهني حد أن تشيح بوجهك عني يا نواس !! توجهت لحقيبتني

أخرجت الحبوب المسكنة وتناولت منهم اثنتان رغم أنهما لن

يخففا من الألم إلا قليلا ، عليا أن أجرب علاجا للقرحة فهذا لا

يفيد ولن تخف ضغوطى النفسية أبدا وأنا أقترب في كل يوم من

مسبباتها أكثر فأكثر ، توجهت بعدها للضيوف سلمت عليهم

وكانت خالتي معهم تجلس على الكرسي المتحرك ، توجهت بعدها

للمطبخ وأنهيت مع فتحية باقي التحضيرات واستقبلت باقي الضيوف

وأحضر جواد فرح ووالدتها ، كانا جواد ونواس كلما أرادا شيئا

نادى فتحية وهي تخبرني ما يريدان ، لو كنت زوجة نواس من

عامان لكان الآن لا ينادي غيري ولكان ابننا يركض مع الأطفال

لم أتخيل يوما أن تتزوج فرح وأنا لست زوجته بل متزوج بعيري

ومن الغريب أنها لم تحضر اليوم لكانا قتلاني أكثر وهو يناديها

وتخرج له وتدخل مبتسمة ، أمسكت معدتي بقوة وغادرت للمطبخ

أحاول طرد الأفكار وليس الهروب ، دخلت زوجة والدي خلفي

وقالت " ما بك يا وسن هل أنتي بخير"

قلت بابتسامة " أنا بخير لا تقلقي ما بكم تعاملونني كأني طفلة"

قالت " فرح لم تسكت حتى غادرت خلفك رغم أنني أخبرتها

أننا نخنقك بكثرة مراقبتنا لك لكنها بدأت بالبكاء فجئت

كي لا يتحول الحفل لمناعة"

ابتسمت بحزن وقلت " كم سأشتاق لها وأفتقدها تلك المشاكسة"

قالت بحزن " فلنأمل أنها بضع سنين قليلة ويعودان"

وضعت يدي على كتفها وقلت " أعرف فرح جيدا لا يمكن

لأي معجزة أن تجعلها تستقر بعيدا عنا"

ضحكت وقالت " وفي هذا أنا أتأمل لأنها قالت بالحرف الواحد

سأرجع ولو وحدي ويبقى هوا هناك إن أراد"

ضحكنا سويا ثم خرجنا عائدتان حيث الضيوف الذي بدأ عددهم

يتناقص شيئا فشيئا حتى غادر الجميع ودخل جواد ليلتقط بعض

الصور هوا وفرح ودخلت أنا للمطبخ فلا أريد رؤيتها تغادر

يكفيني يوم الغد ثم نواس سيدخل لوالدته ليتصورا مع جواد

أيضا قبل أن تغادر المصورة

\*

\*

بعدها التقطت لنا المصورة بعض الصور تحت إصرار من جواد

لأنني لا اكثرث لكل هذه الأمور أنزل عروسه وتوجهت للمطبخ

لشرب الماء لأنزل لباقي الشلة التي تنتظر في الأسفل لإيصال جواد

وعروسه للفندق ، المطبخ في منزلنا يأخذ ممرا مستقلا هوا والحمام

وبابه في نهاية الممر مباشرة ، وقفت عند بداية الممر أنظر للواقفة

هناك التي كنت أضن أنها في غرفة والدتي مع والدة فرح

وقفت متكأ بالجدار أشاهدها في صمت بفستانها القصير وشعرها

المرفوع تعطيني جانبها ، وقفت أتأمل الحلم والماضي مجتمعان في

طيف امرأة فما أصعب الحلم حين يبقى حلما للأبد وما أصعب

الماضي حين يسافر معك للمستقبل ويبقى مجرد ماضي

شعرت بيد تمسك كتفي فنظرت لصاحبها فكان جواد

ابتسم لي بحزن وقال " لا تنسى ما كنت تقوله دائما يا نواس

ليس رجلا من يشاهد جسد امرأة لا تحل له"

ابتسمت بألم وخرجت أمامه في صمت ، من قال لك أنني أشاهد

جسدها يا جواد فما لا تعلمه أنني كنت أشاهد شيء أصغر من جسدها

بكثير وهي الدمعة التي تنساب على خدها ببطء ، لماذا وجد الحب

إن كانت ستوجد الجراح ولماذا وجد الشوق إن كان سيوجد الكبرياء

سؤالان لا جواب لهما فلا حب بدون جراح ولا شوق بدون كبرياء

أوصلنا جواد وزوجته للفندق نزل ونزلنا جميعا وباركنا له فقال

معتصم " هيا نكمل سهرتنا في أفضل مكان في العاصمة

فلا أقسى على قلب العريس إلا أن يعلم أن شلته يسهرون

معا وهو ليس معهم"

قال جواد بمكر " بل أنا من حضي بما لم يحضأ به

أي منكم حتى الآن فمن سيقهر من"

ضحكنا جميعنا وغادرنا بعدما نزل بعروسه

\*

\*

وصلنا الفندق ودخلنا الجناح المخصص لنا وفتح جواد الباب

وهوا يتمم بلحن أعرف جيدا لأي أغنية يكون ، لف ذراعه

حول خصري ليدخلني فقلت وهوا يغلق الباب

"ماذا كنت تقول لي قبل أن ندخل لم أكن أسمعك"

وصلني صوته المبتسم وهوا لازال يسير بي في الجناح

"لم أكن أتحدث معك أنتي"

وصلنا الغرفة وأزال الغطاء عني فقلت " مع من إذا أيها الخائن"

ضحك رافعا رأسه للأعلى ثم نظر لي وأمسك وجهي

بيديه وقال بهمس " لطوق الياسمين "

أمسكت يديه المحتضنة لوجهي وقلت بابتسامة

"لازلت تذكر هذه الأغنية"

قبل خدي وقال مبتسما " وأحفظها كاسمي كيف

وهي أغنيتك المفضلة "

نمت في حضنه فشدني له بقوة وقال

" هذه أسعد ليلة في حياتي كلها منذ عرفتك "

ابتعدت عن حضنه ونظرت له بضيق فضحك وقال

"أمزح ما بك "

امتلأت عيناى بالدموع فأمسك وجهي مجددا وقبل جبيني

وعيناى وخدى وقال " آسف حبيبتي أقسم أنها لم تكن سوى مزحة "

نزلت منى دمة مسحها بأطراف أصابعى وقلت بحزن

"ليس هذا ما أبكاني "

وضع أنفه على أنفى وقال بحنان " وما يبكي يسمينتى إذا "

شهقت شهقة صغيرة وسط دمعان تدرجتا من عيناى وقلت

بصوت مبجوح " كلما زادت فرحتى الليلة كلما زاد حزنى على

وسن ، كانت اليوم بحالة سيئة وتكاير فليتك رنيت وجهها

حين كان يصلنا صوت نواس مناديا فتحية "

ضمنى لحضنه وقال ماسحا على ظهري

"لن تكونى فرح إن لم تبكى لأجلها ليلة زواجنا "

قلت بعبرة " رغما عني يا جواد كيف أنام في حضن من

أحب ولا أتذكر أي ليلة ستنامها هي الليلة "

تنهد وقال " ليست وحدها من سيعاني الليلة يا فرح

فالقلوب المحطمة كثيرة "

كنت أود أن أقول ( إلا شقيقك طبعاً ) لكني أعرف نتائج هذا

وهو شجار محتم بيننا وسيغضب مني في نهايته ، قال بعد

ضحكة صغيرة " أعلم ما سبب كل هذا الحزن إنها

العناكب الموجودة في شعرك "

ابتعدت عن حضنه ونظرت له بصدمة فأخرج أحد المشابك

الكريستالية من تسريحة شعري وقال " مثل هذا "

ضحكت رغما عني فحضنني مجددا وقال بابتسامة

"نعم هكذا أريدك فرح حبيبتي التي عرفتها دائما وهيا

افتحي شعرك الطويل من قال لك أني أريده هكذا"

قلت بضحكة " وكيف يكون فستان زفاف مع شعر مفتوح"

ثم ابتعدت عن حضنه وقلت " أخرج إذا لأغير ثيابي

وأفتح تسريحة الشعر"

أمسك وجهي وقال " بالتأكيد ولكن ثمة دين عليك الإيفاء به أولا"

نظرت له باستغراب وفتحت فمي لأتحدث فقبلني قبلة طويلة وأنا

أضربه ليبتعد عني ولكنه يتعمد فعل ذلك ويكتم صوت ضحكته

ليخرج من أنفه ولم يتركني إلا حين أراد هوا فابتعدت عنه أتتفس

بقوة وقلت بضيق " ما هذا !! لو كنت بالوعة ما كنت هكذا"

ضحك وقال مغادرا " هذا العربون فقط ولم تري شيئا بعد

بسرعة لا تتأخري وأزيلي هذه العناكب"

ثم خرج وأغلق الباب وأنا أراقبه بابتسامة ، توجهت لطاولة

التزيين ووقع نظري على التذاكر فوقها فماتت ابتسامتي وتنهدت

بحزن ، كم يعز عليا فراق أهلي وهذا الوطن بما فيه

\*

\*

بعد ساعات عدت للمنزل فتحت الباب ودخلت بهدوء، عليا

التحدث معها في الأمر فكل ما كنت أنتظره زواج جواد وها

قد حدث فلا يمكنني ترك المسألة معلقة كل هذا الوقت، وصلت

للصالة وتقابلت وفتحية فقلت مباشرة " من بقي في المنزل"

قالت وهي تجمع الأطباق " لا أحد وسن كانت تريد مساعدتي لكني

أصررت عليها أن تغادر فتبدوا لي ليست بخير وتكابر فقط"

قلت مباشرة " ما بها"

قالت متوجهة للمطبخ " لا أعلم هي كما يعرفها

الجميع إن سألتها لا تقول"

تنهدت وغادرت جهة غرفة والدتي وطرقت الباب طرقات

خفيفة ثم فتحته ودخلت ، كانت الغرفة مظلمة فتراجعت لأغادر

فوصلني صوتها قائلة " تعالى يا نواس أنا لم أنم بعد"

دخلت وشغلت النور واقتربت منها وساعدتها لتجلس وجلست

أمامها فقالت مباشرة " ظننتك في المزرعة"

نظرت للأرض وقلت " جئت لأتحدث معك في أمر مهم"

قالت " وأنا لدي ما أقوله لك ما دمت أتيت"

نظرت لها بصمت فقالت " قل ما لديك أولا"

عدت بنظري للأرض وقلت " سأحضر مي نهاية الأسبوع القادم"

عم الصمت الغرفة فرفعت رأسي ونظرت لها فقالت

"تحضرها أين تحديدا"

قلت بضيق " أمي لا تنسي أني ابنك وأنها زوجتي واطمئني

سأخذها للمزرعة ولن أجلبها هنا"

قالت بهدوء " نواس ابتعد بزواجك عن وسن حاليا على الأقل"

نظرت لها بصدمة وقلت " ما تعني بحاليا"

قالت ببرود " زوجة خال فرح سألتني عن وسن وقالت

أنها تريدها لابنها الطبيب"

\*\*\*\*\*

مر ثاني أيام العيد وها نحن سندخل الثالث وبالي مشغول طوال

الوقت بكلام نزار معي تلك الليلة في نهاية السلام حين أوقفني

وقال " سما هل لي بطلب توافقي عليه من أجلي فقط"

بقيت أنظر له بحيرة فتابع " هل توافقي"

قلت " لأجلك أوافق طبعاً ولكن قد لا أقدر عليه"

تنهد وقال " سما صديقي الذي سيأتي في الغد أو بعده يكون

رئيس الشرطة الجنائية ومن أمسك قضية عائلتك"

امتألت عياني بالدموع وهزرت رأسي وقلت

"لا ... لا تطلب مني مقابلته والتحدث معه"

تنهد وقال " سما هوا لن يتحدث معك في شيء بخصوص

القضية لأني أخبرته أنك لا تريدين ذلك "

مسحت عيناى وقلت " وما الذى تريده منى إذا"

قال بهدوء " أريد أن تقابليه وتعامليه كما تعاملى الجميع ، هوا لم

يغلق قضية أهلك كما تضنى ويبحثون حتى الآن عن المجرمين

لأنها سلسلة جرائم لم تبدأ معك ولم تنتهى عندك وهم تكتموا عن

أمرك عمدا لأنهم لم يعرفوا كيف يصلون إليك وخافوا عليك منهم"

بقيت أنظر له بعدم اقتناع فأمسك كتفاى وقال

" أقسم أنها الحقيقة يا سما وأنا اطلعت على ملف القضية بنفسى"

قلت بحزن " ولكنك وعدتني أنك أنت من سيساعدنى ولن أقابلهم"

قال بجدية " نعم وأنا عند وعدي ولكنها عصابة كبيرة وخطيرة

على ما يبدو ولن يكون الأمر سهلا كما ضننت وسنحتاج

مساعدتهم قليلا وما أن تصبح العصابة في قبضتهم ستكونين

اليوم التالي عند عائلتك"

قلت بعد صمت " هل أنت منزعج من بقائي معكم"

بقي ينظر لي بحيرة لوقت ثم أبعدها عن كتفائي وقال

"ولما تقولين هذا يا سما"

أخفضت نظري وقلت بإحراج " هل تصدقني إن قلت لك لا أعلم لما"

ضحك وقال " إذا لا تفكري فيه ثانيًا مادمت لا تعلمين سببه"

رفعت نظري له في صمت فقال

" هل تفعليها لأجلي يا سما وتقابليه وكأنه رجل عادي"

قلت بحزن " من أجلك فقط سأحاول"

ابتسم لي ثم قال مغادرا جهة غرفته " تصبحين على خير "

ومنذ ذلك الوقت وأنا أحاول إقناع نفسي بكلامه وبأنهم لم يغلقوا

القضية وأنهم لم يبحثوا عني من أجل حمايتي ، لم يأتي صديقه

اليوم ومؤكد سيأتي في الغد ، أخرجني من سيل أفكاره

صوت خالتي قائلة " سما ما بك صامته طوال الوقت "

تنهدت وقلت " لا أعرف لما لا أريد مقابلة صديق

نزار الضابط ذاك "

قالت بابتسامة " جابر ليس سيئا كما تتصوري أنا أعرفه من

سنوات صديقا لنزار وكم كانوا يتناقشون في القضايا هنا عندي

وأرى مدى اهتمامه بالمظلومين وإمساك المجرمين "

قلت بحيرة " وما دخل نزار بقضاياه " !!

قالت مبتسمة " لا أفهم كثيرا في الأمر لكن وبحكم أن نزار خريج

قسم الهندسة وبامتياز فهو يحسب له أشياء كثيرة تخص مواقع

الجرائم ويساعده ، أنا فقط استمتع بسماع نوع الجريمة ونقاشهم

حول المذنب وكأني أشاهد فيلما بوليسيا وخياليا أيضا"

ضحكت ضحكة صغيرة فقالت " لا تحضري جلساتهم مثلي كي

لا يموت قلبك وتصبحي نسخة عني تستمعي بدم بارد"

قلت بحزن " لهذا إذا هم لم يحترموا جثت أهلي لأنهم بقلوب ميتة"

تنهدت وقالت " هم اعتادوا هذا يا سما هل تتصوري نفسك تقتلين أحدا"

هزرت رأسي وقلت " لا بالتأكيد"

قالت مباشرة " وبرأيك كيف يستطيع المجرم ذلك"

قلت بهدوء " لأنه اعتاد القتل "

قالت مبتسمة " كم أنتي فتاة ذكية وهذا ما أحظه عليك دائما

ومؤكد الآن فهمتي مقصدي فهم اعتادوا رؤية الأموات "

نظرت للأرض وقلت بحزن " ولكني لم أعتد رؤية أهلي

ميتين ورؤية أفراد الشرطة يسخرون منهم "

ثم نظرت لها بعينان دامعتان وقلت

" لم أستطع محو تلك الصورة من دماغي مهما حاولت "

تنهدت ولذت بالصمت فوقفت وقلت " سأصعد لأنام وعشاء نزار

جاهز في المطبخ أخبريه حين يعود فيبدوا سيتأخر "

قالت بابتسامة " بالتأكيد بنيتي تصبحين على خير "

صعدت لغرفتي محاولة النوم وليس لأنني أشعر بالنعاس

\*

\*

دخلت المنزل واقتربت من غرفة والدتي والغريب أنه لا

أصوات لهما كالعادة ، وقفت عند الباب فكانت والدتي تمسك

مسبحتها وتتمتع بالتسييح ولوحدها فابتسمت ما أن رأني

وقالت " سما تركت لك عشاءك في المطبخ"

قلت باستغراب " ما بها نامت مبكرا هل هي متعبة"

قالت وقد عادت بنظرها لمسبحتها" لا ليست متعبة ولكن

تبدوا مستاءة وغير مستعدة لمقابلة جابر غدا"

دخلت وقلت " لكني أفهمتها أنه لن يتحدث معها في أمر القضية مطلقا"

تنهدت وقالت " الفتاة لا تتقبلهم في ذاتهم وليس

الحديث معهم عن قضيتها فقط"

قلت مغادرا " عليها إجراء هذه المقابلة معه لأنها

الخطوة الأولى والأهم"

دخلت المطبخ وكان عشائي في الأطباق ومغطى بورق القصدير

خرجت من المطبخ وصعدت للأعلى ووقفت عند باب غرفتها

وطرقت الباب عدة طرقات خفيفة ففتحته لي وكما توقعت لم يكن

باديا على وجهها أي آثار للنوم وقالت من فورها

"تركت لك العشاء في المطبخ هل أخبرتك والدتك"

قلت باختصار " نعم أخبرتني "

أخفضت رأسها وقالت " هل تريد أن أسخنه لك"

لذت بالصمت ولم أتحدث فرفعت رأسها ونظرت لي

فقلت " بل لن آكله أبدا"

نظرت لي بصدمة فتابعت " سما إن كنتي لا تريدين مقابلة جابر

غدا لن تقابليه لكن لا تفعلي بنفسك هكذا فمنذ أخبرتك وأنتي

شاردة الذهن وحزينة ولا تتحدثين حتى مع والدتي"

أخفضت نظرها وقالت " أنا لم أقصد إزعاجكم ولكن" ....

قاطعتها قائلا " إذا لا تقابليه حسنا"

هزت رأسها بلا وقالت " أنا وعدتك أن أفعلها من أجلك"

قلت " ولما الحزن والهروب إذا"

قالت " أنا لم أهرب"

قلت بجدية " بلى تهربين يا سما ليس مني ولا من والدتي بل من نفسك  
"

بقيت تنظر لي بحيرة فقلت " تعلمين أنهم سيساعدونك وأنت

ستساعدين الكثيرين غيرك ومثلك لكن نفسك لا تطاوعك أن تفعلها

عائلتك ماتوا يا سما لن تنفعهم بفعل هذا ، ستخدمينهم فقط إن

ساعدتِ العدالة في القبض على المجرمين"

قالت بهدوء " ولكني لا أعرفهم ولا أعرف من يكونون

فكيف سأساعدهم"

وضعت يداي في جيوبي وقلت " ماداموا يطاردونك ويبحثون

عنا فهم متأكدين من أنك تملكين شيئا يوصلنا لهم"

بقيت تنظر لي بحيرة وصمت فقلت بهدوء

"سما لا تخرجي لمقابلته إن كنتي لا تريدي ذلك حسنا"

بقيت على صمتها فقلت " لا تجبري نفسك ولا من

أجلي ، تصبحين على خير"

ثم غادرت من عندها ودخلت لغرفتي وأغلقت الباب ، بعد

وقت طرقت الباب ففتحت لها وكانت تحمل صينية الطعام

نظرت لي وقالت " تناول عشائك سأقابه بدون أن اجبر نفسي"

قلت بابتسامة " تعشيت في الخارج هل تضني أني سأقاوم

طعامك اللذيذ وأغضب منك .... لا لن أفعلها يا سما"

قالت بصدمة " ولما قلت أنك لن تتناوله أبدا"

قلت بضحكة " لم أقصد ما فهمته"

قالت مغادرة به " إذا سأتناوله أنا وخالتي وأنت ستكون الخاسر"

ابتسمت وأنا أراقبها وهي تنزل السلالم ، كم يسعدني أنها بدأت

تعتاد علينا أو عليا تحديدا فهي خجولة كثيرا وحساسة بشكل كبير

وأي شيء يجرحها بسرعة ، أتمنى أن أسلم هذه الأمانة لأهلها

في أقرب وقت ولا أتسبب بأذيتها بما سنفعل

عند الصباح خرجت من غرفتي نزلت لغرفة والدتي وقفت أمام

الباب حيث كانت هي وسما وقلت " هل تناولتم الفطور بدوني"

قالت والدتي بضحكة " هذا عقاب لك على كثرة

نومك وتركك لعشائك البارحة"

قلت بتذمر " لم أنم البارحة بسبب التحضير لكن ما ذنبي في العشاء"

قالت بضيق مصطنع " سما حضرته لك وحدك البارحة لأننا لم نكن

نريد أن نتعشى وأنت يا حضرة المهندس أكلت أوساخ

المطاعم وتركت عشاها"

دخلت مقتربا منهما وقلت " رائع ولما لا تريدان أن تتعشيا ها"

قالت أمي ببرود " حمية من أجل الرشاقة"

ضحكت كثيرا ثم قلت " سما لا تحتاج حمية وأنتي يا أمي

ما تفعلين بالرشاقة في هذا العمر"

تجاهلتي ولم تجب ونظرت جهة سما وقالت " يقولون أن الرجل

إن تعشا خارج المنزل يعني أنه يريد افتعال مشكلة ليقول لا أريد

عشاكم ويسجن نفسه في غرفته ليؤنب المرأة ضميرها وتراضيه"

نظرت لي سما من فورها وضحكت ضحكة صغيرة فنظرت

لها بضيق فقالت بدفاع " لم أخبرها اقسم لك"

قالت أمي بصدمة " لم تخبرني بماذا ما تخفيان عني "

قلت ببرود " لا شيء "

ضحكت وقالت " آه فهمت الآن لهذا قلت أنك لا تريد

العشاء يالك من رجل يا مخادع "

خرجت من الغرفة وتركتهما على صوت ضحكاتهم ، ياله

من موقف سيء ومخرج أوقع نفسي فيه ، أمي لا يفوتها

شيء وستفهم الأمر على مزاجها بالتأكيد

توجهت للمطبخ دخلت ووجدت فطوري على الطاولة فابتسمت

بعفوية ، كان من المفترض بي أن لا يفوتني هذا فهي لن تتركني

بلا إفطار أبدا ، مشكلتي أنني سأعتاد على الراحة وحين تذهب

سأحتاج لوقت لأعود لروتيني السابق

تناولت فطوري ثم عدت لهما وكانت سما تجلس مع والدتي على

السرير تريها البوم صور زواجها ، وقفت وقلت بابتسامة جانبية

"كم مرة أرته لك يا سما ، أنا عن نفسي فوق المائة مرة"

قالت أمي بضيق " لا شأن لك بنا هذا عوض أن

تفرح أنني أريك ذكرياتي "

ضحكت فقالت سما مشيرة بأصبعها على الصورة

"من هذا في هذه الصورة"

ضحكت أمي وقالت " هذا طويل اللسان الواقف هناك عند الباب"

كتمت سما ضحكتها وقالت " لما شعره هكذا ظننته هندي "

ضحكت والدتي ووضعت أنا يداي وسط جسدي وقلت بضيق

"يبدو أن والدتي علمتك السخرية مني يا سما"

نظرت لي ثم قالت بهدوء " لم أقصد"

ثم ابتسمت وقالت " تعال وانظر لها لم أعرفك فليس ذنبي"

خرجت من الغرفة فسمعتها تقول لوالدتي " يبدو غضب مني"

قالت أمي بضحكة " اتركه سيُضرب عن تناول الغداء"

لتعتذري منه وتنتهي المشكلة"

أمي هذه ستصيبني بالجنون وتؤلبها علي أيضا

قالت سما " أنتي فهمت الأمر خطأ هوا لم يفعل ذلك"

البارحة أنا من فهمه بشكل خاطئ"

غيرت أمي مجرى الحديث تحكي لها عن الصور وغادرت

أنا جهة الباب على صوت طرق عليه فتحته فكان جابر

وأبنائه ، رفعت ابنته الصغرى عن الأرض وقلت

"جيد أنك أتيت بهم لأن والدتي ستقتلك إن لم تفعلها"

أدخلهم أمامه قائلاً بضحكة " ما كنت سأتي قبل أن أحضرهم

معي لأنني أعرف مصيري منها جيداً"

ثم قال بصوت منخفض " ماذا بشأن الفتاة"

قلت متوجهاً نحو الداخل " أدخل هيا ولا تنسى ما اتفقنا عليه"

دخلت وهوا يتبعني ثم دخلت الغرفة وأنزلت الفتاة وقلت

" هذا جابر أحضر لك إنتاجه كما وعدك"

دخل وضرب كتفي وقال " ولما لا ترينا إنتاجك أنت لنرى"

مدت والدتي يداها وقالت

"ما أجملهم كوالدكم تماما تعالوا وسلموا علي"

نظروا لوالدهم فقال " هيا سلموا علي جدتكم"

اقترب الفتى والفتاة الشقراء بيسان منها وبقيت ترف التي

رفعت رأسها لوالدها وقالت " هل هي جدتنا أيضا"

رفعها جابر من ذراعاها وقال

"لا هي والدة صديقي هذا وفي مقام جدتكم فنادوها جدتي"

رفعها لها للسريير ووقفت سما مبتعدة وفي صمت تنظر له

بتركيز ، سلم علي أمي وعيد عليها ثم نظر ناحية سما وقال

"مرحبا يا سما وكل عام وأنى بخير"

نظرت لي ثم أخفضت بصرها وقالت بشبه همس

"وأنت بخير ، شكرا لك"

قالت أمي وهي تنظر لهما " هذه سما سلموا عليها"

توجهوا لها ونزلت لهم قبلتهم ثم مسحت على شعر

أوجد وقالت " ما اسمك"

قال " أوجد"

نزلت منها دمة مسحتها ووقفت ويبدوا أنه ذكرها بشقيقها الميت

فهوا في نفس سنه ومن الصورة التي رأيتها له شعره وعيناه

كأوجد تماما ، نظرت لها ترف ثم لوالدي وقالت

" هل هي شقيقتك"

ضحكنا جميعنا وقالت " لا هي ليست شقيقتي"

عدت بأصابعها وقالت " نحن كان لنا أخت نناديها ماما ووالدي

ميت فظهر لنا والد ونحن أبناءه وتلك ليست أمانا لكنها الآن

أصبحت ابنته أيضا وستعيش معنا"

ضحكنا وقالت والدتي " اللوم على والدكم الذي أدخلكم

في كل هذه المعمة"

قال جابر وهو يجلس على الأريكة

"بل ذنب من هربت بشيء لا يخصها وحرمتني منه"

كانت سما تنظر لنا بحيرة ومعها حق كيف ستفهم كل ما يقال

نظرت لها وقالت " اسمعي هذه الحكاية يا سما"

نظرت لي بحيرة فأشرت لها بعيناي جهة جابر كي لا يفهم

الأطفال وقالت " كان ثمة رجل لديه فتاة وثلاث أزهار سرقت

الفتاة الأزهار وهربت بهم لسنوات حتى وجدهم الزوج عند فتاة

لا تعرفهم وتضن أنهم من حديقة والدها وهم ليسوا كذلك فقرر أخيرا

الرجل أن يتزوج فتاة الحديقة لان الأزهار لا تعيش بدونها"

ابتسمت سما ومؤكد فهمت القصة فهي فتاة ذكية ولماحة

نظر لي جابر وقال ببرود " قصة مملة هل لديك علم"

ضحكت وقلت " لا تتركني أحكي الجزء الثاني منها"

قالت والدتي " وبالطبع أخيرا قرر الزواج بفتاة الحديقة"

خرجت حينها سما متجهة للمطبخ وجلسوا أبناء جابر بجواره

عدا ترف التي أجلستها والدتي عندها وقال جابر

"يبدووا لم تتقبل فكرة مقابلي بعد"

قلت " علينا بالصبر قليلا فكونها وافقت على

مقابلتك وحده يكفي الآن"

قال بضيق " لنرى أين ستأخذنا أفكارك"

قلت بهمس وغيض " اسكت لا تسمعك ونعود لنقطة البداية"

قالت أمي ماسحة على شعر ترف

"ومتى قررت الزواج بها أم الموضوع مؤجل للعام القادم"

ضحك جابر وقال " لا تقلقي في القريب العاجل"

نظرت لها ترف وقالت " والدي سيتزوج من"

نظرت أمي لجابر فقال " جدي لنفسك مخرج الآن"

قالت أمي بابتسامة " أجده ولما لا"

نظرت لترف وقالت " يتزوج من ماما لتصبح معكم دائما

حتى آخر العمر وينجبان لكم أخوة آخرون"

ضرب جابر جبهته بصدمة وضحكت أمي وقالت

"وجميلين مثلكم"

نظرت ترف لوالدها وقالت " هل هذا صحيح"

قال أمجد " أنا كنت اعلم أنه سيتزوجها"

قالت بيسان " لما لا تأتي دون أن يتزوجها هل ذلك ضروري"

ضحكت وقلت " ستكون المرة الأولى والأخيرة التي

تحضرهم فيها هنا"

قال جابر بضيق " هذا هوا المؤكد"

قالت أمي ببرود " لا تحلم بهذا ستجلب زوجتك أيضا لأتعرف عليها"

دخلت حينها سما بالعصير والكعك قدمت للجميع ثم جلست على

الطرف الآخر لسرير والدتي في صمت فقال جابر ناظرا لها

"كيف حالك يا سما"

قالت باختصار " بخير "

قال " تحدثت ونزار في أمر دراستك وسأوفر لك الحماية وأسجلك

في مدرسة خارج العاصمة هي في مدينتي وحكومية سأجعل

من يراقبك لحمايتك ولكي لا تضيع دراستك"

نظرت له باهتمام وقالت " حقا سأعود للدراسة"

نظرت لجابر من فوري فتبدوا الخطة ناجحة وستسعد سما

بكونه هوا من سيفعل هذا لأجلها ، قال جابر

"نعم وسيساعدونك في كل الدروس التي فآتتك هذه الفترة"

نظرت لي ثم لوالدي وقالت لها بابتسامه " لن تضيع دراستي "

قالت أُمي بابتسامه " نعم يا سما فـجـابـر إن قال شيئاً لا يتراجع

عنه وسيحملك فترة غيابك عن المنزل "

قلت بابتسامه " واخبرينا طبعاً إن كان هناك وجدان أخرى "

ابتسمت وقال جابر " ابنة عمي تدرس هناك في السنة الأولى مثلك

هي أكبر منك بعام اسمها بتول وستحبينها سأخبرها لتساعدك في

التعرف على مدرستك الجديدة ولا تقلقي من شيء فلا حق يضيع

وهي موجودة فلسانها أطول منها "

ضحكنا جميعاً وابتسمت سما له ، جيد هذا تقدم كبير

ومضى بعدها الوقت من حديث لآخر وسما تلوذ بالصمت

أغلب الأحيان حتى وقف جابر ليغادر فقالت والدي

"لازال الوقت مبكر ابقوا للغداء معنا"

قال " لدي عمل كثير ولا يمكنني البقاء أكثر "

قالت أمي بابتسامة " أعان الله تلك المسكينة على زوج

غير موجود إلا بالاسم "

ضحك وقال " وهل سأرابط عندها فكلن له وضيفته و عليه تأديتها "

قالت " اترك الأولاد يتغذوا معنا إذا "

قال مباشرة " أخاف أن يتعبوكم "

قالت بابتسامة " أنا لن يتعبوني في شيء "

ثم نظرت جهة سما وقالت " هل توافقي على هذا لأنهم

إن اتعبوا أحدا سيتعبونك أنتي "

قالت مبتسمة " لا بأس لا يبدو مشاغبين "

قال مغادرا " إذا سآتي عصرا لأخذهم "

وتركتهم أيضا وخرجت خلف جابر وتحدثنا قليلا بشأن سما

\*

\*

بقيت برفقة الأطفال ودخلوا معي للمطبخ وساعدوني أيضا وقالوا

أن والدتهم كانت تتركهم يساعدونها ، كانوا مؤدبين جدا وخلقين

ومرحين أيضا ، جهزت الغداء ودخل علينا نزار المطبخ ووقف

عند الباب وقال " كيف سيكون شكل الغداء اليوم يا ترى مع

كل هذه الأيدي المشاركة فيه "

قالت ترف بمرح " أنا و بيسان أعددنا السلطة "

ضحك وقال " إذا لن أكلها "

مدت شفيتها مستاءة فضحك عليها ثم نظر لأمجد الذي يعصر

الليمون ومنشغل به وقال " أمجد كلفوك بالمهمة الصعبة"

نظر له وقال " لأنني رجل أعصرهم بسهولة وهم فتيات لا يستطيعون"

قالت ترف مشيرة لي " هل هي زوجتك"

تمنيت أن انشقت الأرض و بلعتني ولا أعرف من أين

جاءت هذه الصغيرة بهذا السؤال أمامه لكنه ضحك وقال

"لا هي ليست زوجتي"

قالت بحيرة " هي ابنتك إذا"

ضحك وابتسمت أنا بحياء وقال " قد تكون كذلك"

نظرت له بحيرة ثم أبعدت نظري عنه ، هل يعتبرني ابنته حقا

لم أره للحظة والدي هوا صغير على أن يكون والدا لي ، حسنا

وما علاقتي به يراني كما يريد ، قالت ترف بحيرة

" هي ليست زوجتك ولا ابنتك ولا شقيقة

الجدة من تكون إذا"

نظر لي ثم لها وقال " هل رأيت والدتك تلك ما تكون في منزلها"

هزت رأسها له بنعم فقال بابتسامة " وسما مثلها هنا سيدة المنزل"

كم شعرت بالسعادة تغمرني من كلماته هل حقا يعتبرني هكذا

حمدا لله أن وضع هذه العائلة في طريقي فكم هم طيبون

وليس جميع الرجال أشرارا كما ضننت ، نظرت له بابتسامة

امتنان فابتسم لي وغادر في صمت

أنهينا إعداد الغداء وأدخلنا الطاولة للغرفة وتناولناه جميعا وعند

العصر جاء والدهم لأخذهم ، كم كان اليوم جميلا بوجودهم وملئوا

الفراغ الكبير فيه ، عند نهاية المساء كنت جالسة مع خالتي في

غرفتها وهي تستمع لنشرة الأخبار من المذياع وأنا جالسة في

صمت فأوقفته وقالت " سما ما بك صامتة"

نظرت لها وقلت بابتسامة " وما لدي لأقوله أنتي تستمعين

للمذياع وأنا لا اشعر بالنعاس"

ثم تابعت " كم أبنائه رائعين لم أشعر بالوقت معهم أبدا"

قالت بابتسامة " نعم فتلك الفتاة ربتم ونعم التربية"

قلت بحيرة " وما قصتها كيف كانوا لديها وتضمنهم إخوتها"

تنهدت وقالت " قصتهم طويلة مفادها أن والدتهم أخذتهم ورحلت

بهم ولم يجدها جابر لسنوات ثم اكتشف أنه تم تغيير أسمائهم كإخوة

للفتاة التي ربّتهم وهي أيضا لا تعلم ، تركتهم والدتهم عندها قبل وفاتها

وأخبرتها أنهم إخوتها وبعد خمس سنين وجدهم جابر وأعادهم منها"

قلت بحيرة " قصة غريبة حقا"

قالت بهدوء " الحياة مليئة بالغرائب يا ابنتي ومن يرى

غيره يحير في أمر نفسه"

ثم قالت بابتسامة " ما رأيك في شيء يرفع عنا كل هذا

الملل ونقضي عليه سهرتنا"

قلت باستغراب " ما هوا" !!

قالت " اصعدي لغرفة المخزن التي أحضرت منها الألبوم

هناك صندوق كبير به كتب أحضري واحدا"

قلت " كتب عن ماذا" !

قالت بابتسامة " إنها روايات كان زوجي يحب قراءتها"

قلت بحيرة " روايات !!! وما تكون تلك"

قالت " هي قصص خيالية مشابهة للواقع هاتي إحداها وستفهمين"

صعدت للمخزن في الأعلى ، هي الغرفة الثالثة في الممر يضعون

فيها أغراضهم الزائدة ، توجهت للصندوق الذي أخبرتني عنه

وفتحته ، كانت مجموعة من الكتب كما قالت ، رفعت إحداها فكان

مكتوب على غلافه ( خلف أسوار المدينة ) (للكاتبة برد المشاعر)

أغلقت الصندوق وأنزلته معي وصلت الغرفة ودخلت وجلست

أمامها حيث كنت فقالت " إقراي لنرى القصة التي اخترتها"

فتحت الغلاف وورقة الإهداء ثم ورقة مكتوب فيها ( الفصل الأول)

قلبت الصفحة وقرأت بهدوء (( لطالما كان هذا الظهر في نظري هوا

الحامي لي من عقبات الحياة وعواصفها ، لطالما كان ذرعا يمسك

عني كل مفاجآت الزمن رغم أنني لست من صلبه ولا تربطني به أي

صلة قرابة لكنه كان سندي وعضدي الذي لم أعرف غيره وها هوا

اليوم يقف بيني وبين أسوء موقف قد أقف فيه كل حياتي ليحول بيني

وبينهم كالجبل الصامد وهوا يلقي عليهم الخبر كالقذيفة المدمرة

يقف بيني وبين ثلاث وجوه تعيش الصدمة والمفاجئة وحتى

الكره والحدق ووجه رابع بملامح حنونة ودافئة تستقبل الفاجعة

وكان شيء لم يكن

كما حدثني عنهم تماما وكما وصفهم لي وكأنه يحدثني الآن

تحرك أحد الوجوه بابتسامة ساخرة ناظرا لوجه والدته وقال

"بما أن من يعيها الأمر راضية فما النفع من رأينا نحن"

ثم غادر بعدما وجه لي نظرة حارقة كالنيران ( وائل ) لطالما قال

لي عنه والده أنه شاب مظهره أهم ما لديه في الحياة وينفع أن يكون

رجلا دبلوماسيا بما تعني الكلمة من معنى ، ضرب الباب خلفه ولم

نسمع سوى لعنه لهذا اليوم ليأتي دور الابن الأوسط ( أشرف )

الذي هز رأسه بياس وابتسامة لا مبالي ثم خرج يتبع شقيقه

وكما وصفه لي تماما يسجن نفسه في عالمه الخاص والباقي

فليفنوا وليصنعوا ما شاءوا وبقيت في مواجهة الابن الأكبر صاحب

النظرة الجليدية ولم يخطئ والده حين قال لي أن عمله صنع منه

مجرما وليس محققا ، لم تكن نظراته تصيبني ولم ينظر جهتي قط

بل كانت كلها لوالده ، ابتسم ابتسامة جانبية ثم نطق

" هذا عوض أن تزوج أبناءك تتزوج أنت وبمن " .....

ابتسم بسخرية وتابع " بطفلة تصغر ابنك الأصغر بكثير "

نطق حينها الواقف أمامي قائلا بصرامة " احترمني يا فراس

وتذكر أنني والدك أم أنساك سلك التحقيق هذا "

نقل حينها نظره ناحيتي لينظر لي نظرة استصغار فرفعت رأسي

ونظرت له بثبات فأنا أكره أن ينظر لي أحدهم بدونية ، لست

ضعيفة لأخاف أن أواجه كهذا الموقف لأن هذا الرجل الذي رباني

هو من علمني كيف أواجه ضعفي فكانت آخر كلماته لي قبل

قدومنا هنا " رُدين يا صغيرتي المرأة تملك قوة لا يملكها أعتا

الرجال ما لم تحب فإن تحركت عاطفتها تحولت لأضعف

كائنات الأرض فلا تحزني إن شعرت يوماً بالضعف

فتلك أجمل ما خص بها الله جنس حواء"

فلم يعلمني هذا الرجل العظيم كيف أكون قوية فقط بل علمني

كيف أواجه تقلبات شخصيتي كي لا أضيع بين أعاصير

مشاعري يوماً واستنكر ما قد أصبح عليه

بقينا ثلاثتنا فقط ونظرت لي صاحبة العينان المتبقية زوجته

(سعاد ) ومدت يداها لي فركضت نحوها وحضنتها

بحب وقلت بابتسامة " مرحبا بضررتي "

ضحكت قائلة " أنا من تقول لك هذا وليس أنتي "

تخلل حديثنا ضحكته الهادئة وهو يقول

"لو كانت ضرتك حقا ما حضنتها هكذا"

ابتعدت عني تنظر لوجهي بابتسامة وقالت

"لو فعلها قتلته وقتلت العروس"

نظرت بعدها لزوجها وعقدت حاجبها وقالت

"أرى أن المشكلة ستكون أكبر مما توقعنا"

اقترب منا وضمنا بذراعيه لحضنه قائلا " سيعتادون الأمر

ومخططي لن أتراجع عنه حتى تقرر رُدين من ستختار منهم )) "

انتهت حينها الصفحة ثم نظرت لخالتي وقلت بحيرة

" غريبة هذه القصة "

قالت بابتسامة " وممتعة أيضا أليس كذلك "

ابتسمت وقلت " نعم لكن لم افهم كيف هي زوجته وليست زوجته"

قالت بابتسامة " يبدوا قدمها لأبنائه على أنها زوجته لتعيش

بينهم على طبيعتهم وتختار منهم زوجا لها"

قلت بحيرة " ولما قال أنها زوجته"

قالت " لأن زوجة الوالد لا يحل للابن أن يتزوجها مهما طالت

السنين حتى إن مات والده لذلك هوا أراد أن تعيش معهم

على أنها لا يمكنهم الزواج بها مهما كان"

قلت بابتسامة " تبدوا مشوقة وممتعة"

قالت مبتسمة " إن بقينا نقرأها لن نتوقف حتى تنتهي فسنقرأ في كل

مرة صفحتين كاليوم ولا تنسي انه ورائك دراسة ستعودين إليها"

وضعتها بجانبها وقلت " إذا سأتركها هنا لأنني إن أخذتها

لغرفتي فلن اصبر وسأقرأ المزيد منها"

ضحكنا ووقفت أغلقت النور بعدما وضعت لها الماء بجانبها

وصعدت لغرفتي

\*\*\*\*\*

بعدها مدة طويلة من الصدمة حين أنهيت الاتصال معه بكلمة

الموافقة وجلوسي مكاني مصدومة كالدمية لوقت طويل قلت

بهمس " هل وافقت وحقا قلت موافقة" !!

اتصلت على الفور بسوسن فأجابت قائلة " نعم يا أرجوان .... أعطها

له بسرعة أو ضربتك ، لا بارك الله في اليوم الذي عرفت فيه والدكم"

ضحكت رغما عني وقلت " لو سمعك زوجك لقطع لك لسانك"

قالت بضيق " ما أكثر ما يسمعها مني وما يزيد غضبي أنه

يحب سماعها ويضحك علي أيضا"

ثم قالت مباشرة " ماذا حدث معك لن تتصلي هذا الوقت إلا لشيء"

تهدت وقلت " وافقت يا سوسن جنتت ووافقت"

ضحكت كثيرا ثم قالت " يبدووا أعجبك كلامي عن ما سيحدث"

قلت بضيق " هل جننتي ، ما هذا الذي تقولينه"

قالت من فورها " وما السبب إذا وأنتي التي ازددتِ رفضا"

قلت بغيض " تصوري أخبر الأطفال أنني سأذهب للعيش معهم

للأبد إن أنا وافقت ، لا واتصل لهم بي ليعرفوا رأيي"

عادت للضحك مجددا فقلت بحدة " سوسن توقفي عن الضحك"

قالت بين ضحكاتها " ولما لم يفعلها منذ البداية ويريح رأسه "

قلت من بين أسناني " هل أصبحت أنا الآن وجعا للرأس يا سوسن "

قالت بعد ضحكة " لم أقصد ولكن بالفعل لما لم يفعلها إلا الآن "

قلت بضيق " لأنه كان يأمرني أمرا طبعاً أما الآن وبما أنه وضع

الموافقة في يدي قام بإشهار هذه الورقة الرابعة "

قالت بهدوء " ولما لم تفكري في هذه النقطة ؟ كيف فأتتك "

قلت ببرود " خشيت حقا أن يخبرهم أنه طلب مني العيش معهم ولكني

رفضت ولم يخطر في بالي أن يتعامل معي بهذا الخبث ظننته نزيها "

اكتفت بالضحك فقلت بغيض " ولكنه جنا على نفسه سيرى

إن لم أصبه ووالدته بالجنون "

قالت بهدوء " أرجوان لا تنسي أنه بينكما اتفاق

على أن يخرج من مشاكلكم"

قلت ببرود " لم أنسى "

قالت من فورها " ولا تفكري في نقطة أنك ستمنعينه من

نفسك لأنك ستكونين الخاسرة وبالضعف "

قلت بذات برودي " أعلم "

قالت " ما الذي تخططين له إذا "

قلت مباشرة " أصل هناك ولكل حادث حديث لكن أن يضمن أنني

لقمة سائغة ويستضعفاني كلاهما ويلعبان بي لن يحلما بها

ولن يعجز دماغ الأنثى عن فعل ما تريد "

تنهدت وقالت " أتمنى أن توفقي حقا يا أرجوان ففكري أن

تكسبيه لا أن تهزميه وكوني حكيمة كما عرفتك دائما"

تههدت بأسى وقلت " لا تنسيني من دعائك يا سوسن إن

خرجت جثة من هناك بسببهم"

ضحكت وقالت " ولا تنسي أنتي أنني صديقتك واستقبليني في قصركم"

قلت بتذمر " أنا أسبح في وادي وأنتي في وادي آخر"

قالت بهدوء " ماذا خططتما للأمر"

قلت بشبه همس " لا شيء حتى الآن"

تههدت وقالت " أتمنى لك الخير والسعادة يا صديقتي وأنصحك

أن لا تكرري أخطاء زوجته الأولى ومؤكد فهمتي

من كلامه ما كانت أخطائها"

قلت بحسرة " لما أتزوج بهذه الطريق الغريبة ، أنا لا أصدق

أنني سأتزوج وبمن ! وكيف ؟ أشياء كالخيال"

ضحكت وقالت " هذا لأنك لا تفكرين في الزواج فلو كنتي تبحثين

عنه لما وجدته ، هذا حامد قد عاد وداعا الآن ووافني بكل جديد"

قلت بهمس " وداعا"

\*

\*

بعد عودتي فتحت باب غرفتهم ودخلت فقد تركتهم صباحا ينتظرون

جوابها حتى أخذتهم لوالدة نزار وعدنا ، نظروا لي في صمت وانتظار

ويبدو أنهم ينتظرون رؤيتي ليعلموا ، قالت بيسان " ماذا قالت"

ضحكت على أشكالهم وقلت " ماذا لو رفضت"

قالت ترف بصدمة " هل رفضت أن تعيش معنا"

قلت " بل وافقت "

صرخوا ثلاثتهم بفرح وأشرت بيدي للمربية لتلحق بي وخرجت

من الغرفة ونزلت لغرفة المكتب وهي تتبعني ، دخلت وجلست

على كرسي المكتب ووقفت هي أمامي فقلت

" تعلمين الآن أن وظيفتك انتهت "

نظرت للأرض وقالت " نعم يمكنني المغادرة متى أردت "

قلت من فوري " ستغادرين متى أتت والدتهم الآن لا ، وشيء

آخر أنتي تعلمي أنك الوحيدة التي أبقيتها من ثلاثكم لأن سلوكك

مع الأطفال أعجبني لهذا لدي صديق ضابط مخبرات لديه ابن

ضرير وصغير يعيشان وحدهما ووالدته أي جدة الصغير

يحتاجون لمربية جيدة وأنا رشحتك لذلك فإن كنتي موافقة

باشرتِ العملَ لديهم فور مغادرتك من هنا"

قالت بعد صمت " حقيقتاً أنا أحببت أبنائك ولم أعمل مربيةً لأمثالهم

من قبل وبت أخاف من تجربة أخرى تكون أسوء منهم ولا أنجح فيها"

قلت وأنا أغادر الكرسي " من هذه الناحية اطمئني فأنا أعرف صديقي

ووالدته جيداً ولك الخيار وأبلغيني بقرارك غداً"

ثم خرجت من المكتب وتوجهت لجناح والدتي طرقت الباب ودخلت

على لحظة خروجها من غرفتها فقلت " يبدو أن تنوين الخروج"

وضعت حقيبة يدها على الأريكة وقالت وهي تجلس

"ليس مشواراً ضرورياً يمكنك الدخول"

دخلت وجلست أمامها وقلت

"أرجوان ستكون هنا خلال أيام وكان عليا إعلامك بالأمر"

قالت ببرود " ولما تعلمني إن كنت لا تأخذ برأيي"

قلت بجدية " أمني أضننا تحدثنا في هذا مطولا وأمور

الزواج لن يتدخل فيها أحد"

قالت بضيق " يعجبك زواج معتصم الشبيه باللعب وزواجك

القريب الجالب للمشاكل والله أعلم ما ستقرر زهور"

قلت بهدوء " معتصم يريد بتول واختارها بمحض إرادته وتعرفين

عناده جيدا إن رفضتِ ثم ما السيئ في بتول هي ربت أخوتها ويد

واحدة مع والدتها وطوال سنين دراستها لم نعلم عنها شيئا سيئا فلما

نكرر خطأ زهور في رفضك لمن كانوا أنسب لها ممن تزوجت"

قالت بجدية " أنا لم أقل أن شيئا يعيب بتول لكنها طفلة وهوا

طائش وصلوك حتى دراسته لم يبدأها إلا الآن ثم تخفون عن

الفتاة أمر مهم كهذا أي لعب تلعبونه وبالنسبة لزهور لم يكن

اختياري لها سيئا هي من تتكتم عن السبب الذي وصل بهما

لذاك أن هرب بعدما ضربها حد الموت وطلقها ولم

يمضي على زواجهما أكثر من شهر"

تنفست بقوة وقلت " رضا طلب زهور وأنا تكلمت معها في

الأمر وأي أحد يخطبها أعلمها وهي ستختار وانتهى هذا

يا أمي ، اجعلي لي شئنا ولو مرة واحدة في حياتك"

أشاحت بوجهها وقالت ببرود " لو لم أجعل لك شئنا ما سكت

عن هذا كله لأنك من قرره لكن أفهم تلك الفتاة جيدا أن

الاستهتار لا تحلم به هنا"

قلت بهدوء ممزوج بالضيق " أفهمتها شيء واحد سأفهمه لك

أيضا وهوا أنني لن أكون عنصرا في مشاكلكم ولن يتكرر خطأ

حياتي مع حسناء في الماضي ، مصلحة أولادي أولا وسأكون

مع الرأي الصواب ولن أتدخل في باقي الأمور التافهة الهامشية"

قالت بحدة " هل بات كلامي ورأيي تافه وهامشي"

قلت بضيق " بعض الأمور أصغر من أن تتحول لمشاكل

كبيرة يا أمي ، تفاهمي معها وجدا لنفسيكما حلا"

قالت بقسوة " ولما تتزوجها إذا وأنت موقن من أنه

ستكون بيننا مشاكل لها أول وليس لها آخر"

قلت ببرود " تعلمين أسبابي جيدا ولن يفيد تكرار ما قلناه"

قالت بجمود " أنت لا تتعلم من أخطائك أبدا وستكرر ذات الخطأ

الأول حين تركتها تهرب مع رجل غريب بأبنائك وسببت لنا فضيحة"

تنفست بقوة مهدأ نفسي وقلت " حسناء هربت مع زوج والدتها وليس

رجلا غريبا وإلا ما كنت تزوجت بابنته فهي خالتهم ولا أريد

مشاكل في المستقبل أنا في غنا عنها حين تعلم أنهم أبناء شقيقتها

والسبب الآخر والأهم في زواجي بها تعليم الأولاد"

لأنت بالصمت فوقفت وقلت " لا أريدك أن تغضبي مني يا أمي

لكنه قراري النهائي من أجل مصلحة الأولاد فلم أفكر حتى في نفسي

وبات واضحا لك ولها حدودي فيما يخص تناقضكما في الرأي"

ثم خرجت مغادرا من جناحها ، أعلم أنه ولا واحدة منهما

مقتنعة بما أقول وستفعل ما في رأسها لكن المهم عندي أن

يرفعا من دماغيهما إدخالا في أي شيء سيحدث بينها

\*

\*

مر يومان لم يتصل بي عريس الغفلة ولم أره خلالهما ، يبدووا غير

رأيه أخيرا ، آه كم أشتاق للأطفال وأحتاج لهم وأبدوا كما قال أناقد

نفسي ، سوسن المضحكة أرسلت لي البارحة أسماء لمراكز عناية

بالبشرة ومحلات متخصصة بملابس العرائس كمن كذب كذبة وصدقها

وتضن أنه بالفعل سيمارس حياته معي كزوجين طبيعيين ، هي تهدي

بالتأكيد هذا الرجل لا يريد زوجة هوا يريد مربية ومعلمة ووجدهما

لدي وهذا ما أنا أكيد منه وسعيدة به أيضا ، سمعت قرعا لجرس الباب

فلبست حجابي ونزلت ، ليس هوا بالتأكيد فهوا كالأشباح يدخل دون

إذن ، فتحت الباب فكان أمامي فتاة تبدو من دولة غير هذه البلاد

وخلفها يقف رجلان ، قالت بابتسامة " صباح الخير سيدتي "

نظرت لها بتوجم ... سيدتها !! منذ متى كنت سيدة أحد ؟ قالت عندما

طال صمتي " السيد جابر أرسلني والسائق والحارس لأخذك للسوق "

نظرت لها مطولا بصدمة ثم قلت " قلتي لماذا !! "

قالت بذات ابتسامتها " للتسوق سيدتي ، هوا لم يخبرنا بشيء سوا

أنه علينا أخذك لشراء كل ما تريدينه وإيصاله للقصر "

ثم التفتت للخلف وأخذت من الذي خلفها شيئا مربعا ثم نظرت

لي وقالت " هذه إحدى بطاقات السيد سندفع ثمن كل ما تختارينه "

قلت والصدمة لم تفارقني بعد " ما تعني بكل ما سأختاره "

قالت بهدوء " ظننتك والسيد متفاهمان على الأمر ، أعني

الملابس الأحذية الحلي وكل شيء تختارينه أنتي "

ما يعني ! هل أنا متشردة وعليه تغيير مظهري ولما لم يخبرني

بهذا، كل شيء يأتي لقوله وليأمرني به وهذا لا ، قلت ببرود

"عودوا من حيث أتيتم"

نظرت لي بصدمة وقالت " ولكن سيد" ....

قلت بضيق " لن أذهب معكم فارحلوا في حال سبيلكم"

قال المخيف الواقف خلفها " لا نستطيع مخالفة الأوامر سيدتي"

قلت بجدية " الأوامر لك أنت وليست لي"

أخرج هاتفه قائلا " انتظري قليلا"

أجرى اتصالا وقال " سيدي الأنسة ترفض الذهاب معنا"

خرج حينها الصوت المزمجر من سماعة الصوت من علوه وقال

هذا المغلوب على أمره " أخبرناها سيدي ولكنها" .....

قاطعه بصراخه مجددا فقال " حاضر سيدي"

أنهى المكالمة وقال " لا تسببي لنا المشاكل يا آنسة

لأنه عليك الذهاب معنا"

دخلت للمنزل وصعدت لغرفتي وأخذت هاتفي واتصلت به لكنه

فلم يجب هذا المتعجرف المتحجر ، وصلت بعدها رسالة ففتحتها

فكانت منه وفيها ( لن ينزل حق من حقوقك كزوجة أليس هذا ما

تريديه فمن ضمن المكائة التي اشترطتها أن تتجهزي كغيرك)

تأففت ورميت بالهاتف بعيدا عني ثم عدت له مصعوقة وقرأت

الرسالة مجدداً، ما يعني بلن يسقط حق من حقوقي ! لبست حجابي

وعبائتي ونزلت لهم محاولة تجاهل كل هذه الأفكار ، خرجت

وركبت السيارة الفاخرة التي توصل الأطفال للمدرسة وحكوا لي عنها

أخذوني لمركز كبير ومشهور لم أحلم يوماً أن أدخله حتى من باب

الفضول وبدأت بالتنقل في المحال وهما خلفي وكأني أعيش فلما

أمريكا وأمثل دور أحد الأثرياء فيه ، مررت بجانب محل لقمصان

النوم ولا شيء غيرها فيه فابتسمت بسخرية وتخطيته متجاهلة له

فلن أحتاجه ولن أدخله لأنني سأكون مسخرة له حين يأخذون الثياب

للقصير ويرى من ضمنها هذه التفاهات وطبعاً سيضحك علي وفي

وجهي أيضاً فلن يفوت كهذه الفرصة، دخلت أحد المحال النسائية

الخاصة بفساتين السهرات وانطلقت إحدى البائعات نحونا

كالصاروخ قائلة " تفضلي سيدتي ما الذي تحتاجينه"

قلت وأنا انظر للمعروضات حولي " أريد ذاك الفستان الأسود وذاك

الأخضر فاختاري لي ما يكون مناسباً لجسدي من ناحية المقاسات"

أخرجتهم لي من فورها مع مجموعة أخرى طبعا تصر عليا

أن أجربها وأنها على الموضة فأخذتهم منها فليس ورائي شيء

الوقت مفتوح أمامي ولا شيء ورائي أفعله والمال ليس من جيبني

قست كل المجموعة آخذ رأيها والفتاة التي أرسلها وأعجبني ثلاث

فساتين اشتريتهم وخرجت أحسب ثمنهم بأصابعي ، يا إلهي ثمنهم

يساوي رواتبي لثلاث أشهر ، تجولنا كثيرا واشترت كل ما أعجبني

وليس ما يلزمني فقط ، هذا ثمن بسيط لتضحيتي بالعيش في

ذاك الجحيم ومع أولئك الوحوش

وصلنا حينها للطابق المخصص بمحلات الذهب والمجوهرات

فتوجهنا بي لمحل معين لم أختره أنا ، دخلت خلفهم فرحب بنا

صاحب المحل وأخرج علبة كبيرة سلمها للحارس فأخذها منه من

فوره وخرج بها ينتظرنى فى الخارج فخرجت كالبلهاء لا أفهم شيئا

وقال حينها " إن أنهيت كل شيء سنأخذه للقصر ونعيدك لمنزلك"

قلت ونظري على العلبة " ولما كل شيء باختيارى إلا هذا ولم أراه حتى "

قال من فوره " هذا على دوق السيد وطلبه"

قلت من فوري " هل لي أن أراه"

قال " معذرة سيدتي لا أستطيع"

تهدت بضيق وغادرت وهما يتبعاني ، دخلت لمحطتي الأخيرة  
وهي محل خاص بالأطفال لأشتري هدايا لأبنائي ومن ماله أيضا  
يالك من مضحكة يا أرجوان أعجبك هذا الدور في مركز التسوق  
ونسيت ما ينتظرك ثمنا لكل هذا ، اشتريت هدايا لسوسن وأبنائها  
أيضا ثم خرجنا وقلت " هذه سأخذها معي للمنزل"  
قال الحارس " الأوامر أن نأخذ ما تطلبين أخذه فقط"  
قلت بعد تفكير " حسنا سأخذ بعض الأغراض ممن اشتريته"  
أوصلوني للمنزل أنزلت الهدايا وأحد الأثواب مع ملحقاته لألبسه  
عند ذهابي هناك فقد يكون لديهم أحد فأنا لا أعلم عن ترتيبه للأمر  
هناك رغم أنه لم يتحدث عن حفل ولا يفكر فيه وهذا أفضل فأنا لا

أريد أن تخرجني والدته أمام طبقتهم المترفعة

دخلت المنزل وكل مفاصلي تؤلمني من اللف والتنقل بين المحلات

من يرى مبنى المركز من الخارج لا يتخيل انه هكذا من الداخل

رميت بحقيبتني على الأريكة وتوجهت للمطبخ لأعد شيئا خفيفا آكله

فلم أكل في المطعم الموجود هناك طبعاً لأنهما لا بد وسينقلان له

كل ما فعلت وسيعتقد أنني أهدر ماله عمداً ، ههههه غبية وما سيقول

عن كل تلك الأشياء التي اشتريتها ، لا وهدية لصديقتك وطفليها

ولكن الذنب عليه لما يجعل حسابه مفتوحاً لي

تناولت طعامي ونظفت المطبخ ثم خرجت وتوجهت لحقيبتني

أخرجت هاتفي ووجدت رسالة منه ، لا بد سيشتمني على إهداري

لماله ، فتحت الرسالة فكان فيها ( غدا صباحاً سأتي لأخذك للمحكمة )

نظرت للحروف بصدمة أقرأها مجددا ، كيف علم أنه لا ولي لي

وزواجي لا يتم إلا عن طريق المحكمة !!! يبدو يعلم عني أكثر من

نفسي، صرخت بعدها وقلت " ماذا !! في الغد"

\*

\*

فتحت الكتاب ومررت صفحاته حتى وصلت لآخر شيء وفتت عنده

(القصاصه السادسة - حلم من الماضي البعيد)

قلبت الورقة وقرأت (( ورقة مطوية قلم حبر طرفه مكسور وجريدة

أخرى ، فنجان قهوة وأغنية بموسيقى حزينه وطفلة صغيرة بفستانها

الحريري الطويل ترقص بالمقربة من تلك الطاولة على أنغام تلك

الموسيقى ، حافية القدمين شقراء الشعر وزرقاء العينين وثلجية

البشرة ، في أحد أصابعها خاتم ماسي تلف حول نفسها مبتسمة

رغم الحزن في كلمات تلك الأغنية ورغم سواد قهوة الفنجان

تلف وتضحك وتتطاير تلك الخصلات الذهبية وتنظر بحدقتها

الزرقاء للواقف هناك عند الجدار ، صاحب الابتسامة الميتة

والنظرة الحزينة والقلب المشتاق ، ينظر بشغف لطيف الراقصة

أمامه يتمنى لو فقط يسير نحوها ويحملها من خصرها بذراعيه

ويلف بها وهوا رافعا لها للأعلى تماما كما كانا في ذاك الزمن

البعيد، لازالت تلف بجسدها وتركز نظراتها على عينيه وكأنها تخبره

أنها المستحيل أنها الغربية في الليل الطويل المظلم ، لو فقط يصل

ولو لتلك الورقة وذاك القلم ليكتب فيها قصيدة أو أغنية أو حتى

رثاء يرثي به حاله ، لو يستطيع أن يصل حتى لفنجان القهوة

ليسكبه على فستانها الأبيض الحريري لتبكي وتركض إليه وتخبره

أن ثمة من سيعاقبها على اتساخ فستانها وتطلب منه أن يخبأها

فلا يجد مكانا سوى حضنه يخفيها فيه ، تماما كما كان في ذلك

الزمان البعيد ، ولكنه لا لن يستطيع لأن كل شيء هناك من بعثرات

خياله وذكريات ماضيه ولا شيء حقيقي هنا سوى تلك الجريدة

التي لا يريد أن يقترب منها لأنها ستخبره أن حبيبته لم تعد كما

كانت ، لم تعد الطفلة الشقراء ذات الفستان الحريري الطويل

ولم يعد هوا في نظرها فارسها الوحيد ، لذلك هوا لن يفعل

شيء سوى أن يُميل رأسه جانبا ونظره لازال على عينيها

ويبتسم لها الابتسامة الوحيدة اليتيمة لعلها تصل إلى قلبها يوما

وتخبرها أنها هي عشقه الوحيد كانت ولازالت وستضل للأبد))

أغلقت الكتاب ومررت أطياف تلك الذكرى السوداء أمامي

وذاك الرجل يصرخ بي ويذمجر بغضب وهو يدوسني بقدميه

"لن تخدعوني يا ابنة الحسب والنسب لن تضحكوا عليا لأخفي

عاركم وأتستر عليك ، لن أخاف شقيقك ومركزه وستدفعين ثمن

خداكم لي وثنم عبثك من وراء عائلتك أو بعلمهم لا يعني ذلك"

رميت بالكتاب بعيدا عني ولا أعلم لما أقرأه وهو سبب رجوع

تلك الذكريات السوداء لرأسي دائما ، لماذا أكاذيبك يا رضا وحدها

من تعود بي لذكرياتي المرة التي لم أنساها مع ذاك الرجل

ضممت ساقاي بذراعاي جالسة على السرير وخبأت وجهي فيهما

وعادت بي الذكرى من جديد ولكن لشخص آخر وزمن بعيد

((رفعت رأسي ونظرت له وقلت بابتسامة طفولية

"هيا نخرج يا رضا"

نزل عندي وفتح لي مشابك شعري كعادته ومشطه بأصابعه

موزعا له على أكتافي ليبيح لي أول الممنوعات عني وهي ترك

شعري مفتوحا في غير وقت النوم وسار بي على أطراف الحديقة

حتى أخرجني من القصر لألعب مع الأطفال وهو يقف بعيدا

يراقبني كي لا يضربني أحد أو يطردني من لعبتهم وأنا ألوح له

بيدي كل حين فيبتسم لي ويرفع لي كفه دون تلويح))

رفعت رأسي ووقفت مغادرة السرير أريد أن أنسى كل شيء

ولا شيء يساعدي على النسيان لا شيء أبدا

خرجت لجناحي وسمعت طرقات خفيفة ومتقطعة على

باب الجناح فتوجهت نحوه وفتحته فنظرت لي الواقفة

خارجه بابتسامة وقالت " هل أدخل معك "

ابتسمت وقلت " تعالي ادخلي يا بيسان "

دخلت وأغلقتُ الباب خلفها قائلة " لما أتيت إلي "

توجهت من فورها لحوض الأسماك في غرفتي وبدأت

تراقبهم بسعادة وقالت " ما أجملها هل هي حقيقية "

اقتربت منها وقلت " نعم هي حقيقية وحية "

نظرت لي وقالت " هل نستطيع إمساكها "

ابتسمت وقلت " لا فإن أخرجناها من الماء فستموت "

قالت بحزن ونظرها على الأسماك

"مسكينة كم ستشرب من الماء ستنفجر معدتها"

غلبتني ضحكتي التي لم اسمعها منذ وقت طويل حتى أنني نسيت

كيف تكون ، اقتربت منها ومسحت بيدي على شعرها وقلت

"لم تجيبيني يا بيسان لما أتيت إلي"

نظرت لي للأعلى وقالت بابتسامة " هربت من المربية لأزورك"

نزلت عندها وقلت " ولما تهريين منها"

قالت بعبوس " جدتي لا تريد أن نخرج من ممر

غرفنا ، وغرفتك بعيدة عني"

ابتسمت لها وتوجهت لغرفتي وأنا أقول " تعالي اتبعيني يا بيسان"

دخلت الغرفة وهي تسير خلفي ثم أجلستها على السرير وفتحت

خزانتها وأخرجت صورة وجلست بجانبها وأريتها لها فأمسكتها

وقالت بدهشة " صورتي " !!

قلت بابتسامة " بل صورتي أنا حين كنت في عمرك الآن "

نظرت لي بصدمة وقالت " هذه أنتي " !!

هزرت رأسي لها بنعم فقالت بابتسامة " مثلي أنا أليس كذلك "

قلت وأنا ألعب بجديلتها بين أصابعي " نعم أنتي مثلي "

ضحكت وقالت " كما قال ذاك صديق بابا الذي اسمه رضا "

ماتت ابتسامتي خلف صدمتي وقلت " ماذا قال لك ؟؟ "

قالت " قال تشبهينها في كل شيء وحين سألته من تكون "

قال حبيبتي وكلمات لا أفهمها "

ابتسمت بحزن وأبعدت نظري عنها فقالت

"ماما ستأتي للعيش معنا وجئت لأخبرك"

نظرت لها باستغراب وقلت " من ماما هذه فوالدتكم ميتة"

قالت بابتسامة " التي كانت شقيقتنا ثم وجدنا

بابا وظهرت أنها ليست شقيقتنا"

قلت بحيرة " ولما ستأتي هنا"

رفعت كتفيها وقالت " لا أعلم بابا يقول سيتزوجها

المهم أنها ستبقى معنا للأبد"

كما قال جابر إذا أخرج أمي من مواضع الزواج في العائلة

قلت بابتسامة " هل تحبينها كثيرا"

فتحت ذراعيها على وسعها وقالت " أجل هكذا"

ابتسمت وقلت " وهل تحبينني أنا"

هزت رأسها بنعم ثم قالت " هل حقا حين أكبر سأكون

كونتيسة جميلة مثلك "

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " كونتيسة" !!

هزت رأسها وقالت " نعم مثل بابا إمبراطور وماما إمبراطورا"

ثم عدت بأصابعها وقالت " ودوق أمجد ولورد معتصم والأميرة ترفا"

ثم أشارت لنفسها وقالت " والأميرة بيسان"

فتحت لها مشابك شعرها وأحضرت المشط ومشطت لها شعرها

ثم توجهت للخزانة أخرجت الصندوق الكبير في داخلها فتحتة

وأخرجت منه أحد فساتيني حين كنت في سنها وألبسته لها فلقت

به حول نفسها وقالت بفرح " كم هوا جميل مثل فستانك تماما"

أمسكتها من يدها وحملت الحقيبة التي في أعلى الخزانة وقلت

"تعالى معى يا بيسان سنفعل شىئا ستحبينه"

أطاعتنى من فورها وخرجت بها من الغرفة ، وها هى هذه الطفلة

تخرجنى من غرفتى وعزلتى للمرة الثانية ، نزلت بها للطابق

الأول وتوجهت للغرفة التى لم أزرها منذ سنين ، فتحت الباب

ودخلت وهى معى يدها فى يدي ، ما تزال الغرفة كما هى لم

تتغير أبدا ، وضعت الحقيبة على الطاولة ثم فتحت السحاب

وأخرجت منها آلة التصوير وتبثها على الطاولة ثم توجهت للبيانو

الذى لم المسه من وقت طويل ، فتحت الغطاء وجلست أمامه

ونظرت لها وقلت " اقتربى يا بيسان وافعلى ما سأقول لك"

\*

عند الصباح استيقظت على صوت رنين الهاتف فأخرجت يدي

من تحت اللحاف وأدخلت الهاتف معي تحته ونظرت لأسم المتصل

بعين واحدة مفتوحة ثم أجبت قائلة " سوسن ما بك مزعجة هكذا

قلت لك سأستيقظ بنفسي ، مادمت متحمسة جدا تزوجيه أنتي إذا"

وصلني صوت رجولي ثقيل قائلا بضيق

"نعم وزعيني على صديقاتك أيضا"

جلست مفزوعة ونظرت للرقم بتركيز ثم أعدت الهاتف

لأذني وقلت " من أين تحصلت على هاتف صديقتي"

قال بسخرية " افتحي عينيك جيدا يا أنسة وانظري للاسم"

نظرت له فكان سوسن لكن الرقم ليس لها هذا رقم مميز فهو

رقمه بكل تأكيد من أين لتلك المكدومة بهذا الرقم ، لقد فعلتها

بي تلك المخادعة إذا حين زرتها البارحة وأخذت الهدايا لها

الوقحة ستري ما سأفعل لها، أعدت الهاتف لأذني وقلت " نعم"

قال ببرود " أنا في الأسفل بسرعة لا تعطليني ورائي

مشاغل كثيرة"

شددت على أسناني بغيض أكرم كلماتي كي لا أنفجر فيه

هذا المتعجرف المغرور لكن علاجك عندي يا عدو النساء

غادرت السرير ودخلت الحمام سريعا وخرجت ، غيرت ملابسني

ولبست عباءتي وحجابي ونزلت له ، سيد المنزل والأمر الناهي

فيه وجدته جالس على الأريكة لا ويشرب القهوة ، وبكل وقاحة

يعد القهوة في منزلي أيضا ، لم أقابل في حياتي أوقح منه

وقفت عنده وقلت ببرود " صباح الخير "

قال ونظره على الفنجال في يده " الآن صباح الخير "

تنهدت وقلت " جابر اترك عني وعنك لعب الأطفال "

نظر لي بابتسامة جانبية فقد فهم مقصدي جيدا ، وضع

الفنجال على الطاولة أمامه ثم وقف قائلا " لا تعامليني بمبدأ

ما قُلْتَه لي سابقا أعيده لك الآن لأن اللعبة لن تعجبك "

قلت وأنا أسير خلفه خارجا من الباب " قد تعجبنا ونتسلى بها "

قال وهو يفتح الباب " إذا لا تنسي أوراقك جميعها كي لا

نعود مجددا لأخذها يا .... آنسة أرجوان "

وقد ضغط على الكلمتين الأخيرتين ليذكرني أنني منذ قليل

قلت له جابر فقط ولأتذكر ما قلته سابقا حين ناداني باسمي دون

رسميات ، من صدمتي لم استطع الرد عليه ، من أين جاء لي

حظي التعيس بهذا الداهية ؟ سيأتيك اليوم يا أرجوان الذي

ستقولين فيه وبحرقة جملة سوسن الشهيرة

(لا بارك الله في اليوم الذي عرفت فيه والدكم)

ويبدوا قريبا جدا ، خرجت خلفه وصعدت السيارة وانطلقنا في

صمت حتى قال ونظره على الطريق " سنتم كل شيء

وأخذك للقصر أم لك رأي آخر "

نعم فكل الرأي لي ولا تتحرك دون أخذ رأيي ، قلت بهدوء

"أريد العودة لمنزلي أولا لدي بعض الأغراض

أريد تجهيزها لآخذها معي "

قال ونظره لم يفارق الطريق " إذا سأتصل لك بالسائق لتعودي

معه أنا مشغول اليوم سأترك لك السائق يأخذك للقصر متى تريدن "

لم اعلق بشيء ولن أقول أنت ستكون زوجي وأنت من عليه

أخذي لأنني في هذا الزواج اعلم أنه لا يعتبرني زوجة وأنا

أكثر منه لا أعتبره زوجا ومستغنية عن خدماته، وصلنا

المحكمة وأتمنا الزواج وأنا انظر للعقد بحسرة حين كنت

أوقع عليه والقاضي يسألني إن كنت موافقة ، آخر ما تخيلته

أن أتزوج ، وبمن !! بوالد أشقائي ، كم في الحياة من عجائب

وهذا الصخرة أعجوبة لوحده

خرجنا بعدها من مبنى المحكمة وكان السائق في الخارج فتح لي

باب السيارة وتوجهت من فوري لها وركبتها دون أن أتحدث معه

أو أسمع منه كلمة ، ركب السائق وعاد بي جهة منزلي وأنا متكئة

على النافذة أنظر للسيارات بشرود طوال الطريق ، صحيح أنني لم

أكن أفكر في الزواج من اجل الأطفال ولكني كأني فتاة كنت أتمنى

إن تزوجت أتزوج رجلا حنوناً عطوفاً يحبني ليس كهذا الصخرة

وليس يوم كهذا اليوم ، حتى بعد أن صرت زوجته لا كلمة جميلة

منه لا همس لا أمسك يدي وأخرجني معه ولا حتى كلمة مبارك

لنا أيتها التعيسة أرجوان ، تنهدت بأسى ورفعت رأسي

وقلت موجهة حديثي للسائق " أوقف هذه الأغنية "

امتلل لأمري فوراً فلم يزدني بوساً سوى سماعي لهذا

اللحن وهذه الكلمات الرومانسية الحالمة

أوصلني للمنزل وقال بأنه سيبقى في الخارج حتى يغادر بي

ولو بقي النهار بطوله لأن الأوامر هكذا ، طلبت منه أن يترك

لي رقم هاتفه ويغادر لكنه رفض فدخلت للمنزل وتركته ، هوا

اختر هذا فليتحمل إذا ، غطيت أثاث المنزل دون أن أحرك شيء

منه من مكانه فمن يعلم قد أعود له قريبا ، صعدت بعدها لغرفتي

استحممت ولبست الفستان الذي تركته هنا ولم أضع شيئا على

وجهي وتركته على طبيعته ومر الوقت من تنظيف وتغطية

أثاث وتجهيز لنفسي حتى بعد الظهيرة وذاك السائق لازال في

الخارج ، رحمت حاله وأعدت وجبة سريعة لي وله وأخرجت

له الطعام للسيارة فقبله من فوره ، عدت للمنزل نظفت الأواني

التي أكلت فيها ثم أغلقت جميع الغرف والمطبخ والحمامين

وأخرجت هدايا الأولاد ووضعتها في السيارة وقلت للسائق

"سأسلم على جاراتي القريبات مني وآتي إليك"

قال من فوره " كما تريدين سيدتي ويمكنني أخذك بالسيارة"

قلت بابتسامة " شكرا منازلهم هنا قريبة ، لي صديقة

تبعد عن هنا بشارعين ستأخذني لها قليلا"

هز رأسه بحسنا فشكرته وأغلقت باب السيارة وسلمت على

جاراتي المقربات وكل واحدة منهن صُدمت لخبر زواجي وحين

سألنني عن العريس وعرفنه من يكون قالوا أنه فُتحت أبواب

السماء لدعواتي ويالهم من واهمين ، كل واحدة منهن كان

في ملامحها معرفتهم بأمر ترده على منزلي والجميع

خائف من السؤال لأنهم بالطبع سيخافون منه ، عدت

للسيارة ركبتها وأخذني لمنزل سوسن ، نزلت وقرعت

الجرس ففتحت هي الباب لي فنظرت لها بضيق وقلت

"لم أكن أريد زيارتك على الموقف السيئ الذي وضعتني

فيه صباحا لكني أفضل منك وجئت لأودعك مؤقتا"

ضحكت وقالت " ولما مؤقتا وليس أبدا"

قلت ببرود " لأنني أجزم بأنني عائدة لك عما قريب"

ضحكت وقالت " هيا ادخلي"

قلت من فوري " عليا أن أرحم المسكين ينتظرنني منذ الصباح"

نظرت لي بصدمة فقلت بضيق " سوسن السائق أعني فلا

تعكري لي مزاجي فوق تعكيره"

حضنتني وقالت بدموع " سأشتاق لك يا أرجوان"

قلت بحزن " سأزورك دائما فأنا لن أسافر يا غبية"

ضحكنا معا ثم غادرت من عندها ووصلنا القصر بعد نصف

ساعة من السير بالسيارة ، دخلت للداخل واستقبلتني خادمتان

وصعدتا بي للأعلى فقلت ونحن نصعد السلالم " خذاني لغرفة الأطفال"

أخذاني لممر غرفهم فورا ، طرقت باب غرفة ترف و بيسان وفتحته

ودخلت فكانت المربية معهم وما أن رأاني حتى قفزتا ركضا ناحيتي

ونزلت لهما واحتضنتهما بشدة ، هذا أجمل ما في الأمر كله هؤلاء

الأطفال الذين أصبحت زوجة والدم الآن ولم أعد فتاة غريبة عنهم

قالت ترف وهي تحضني بقوة " أحبك ماما وأخيرا ستبقي معنا"

قلت بحنان ماسحة على شعرها " نعم صغيرتي ولن أترككم أبدا "

وقفت المريية وقالت " أنا سأغادر الآن فوظيفتي انتهت هنا

أتمنى لك السعادة سيدتي ، أبناءك من أطف وأفضل من

قابلت ونعم التربية حقا ، وسررت بمعرفتك "

وقفت وصافحتها وقلت " شكرا لك يا آنسة أنتي مؤدبة

جدا أتمنى لك التوفيق "

اكتفت بالابتسام لي وغادرت الغرفة من فورها

نظرت بعدها من حولي وقلت " أين أمجد "

قالت بيسان " أخذه عمي معتصم معه "

قلت " أين السجادة لم أصلي العصر والمغرب يقترب شيئا فشيئا "

ركضت ترف وأحضرتها لي على الفور فأخذتها منها وقبلت

خدها وقلت " هل تصلون كما أوصيتكم"

قالت بيسان " نعم ماما نحن والمربية وأحياناً بابا"

ابتسمت وقلت " هذا جيد حبيبتي"

قالت ترف " سأصلي معك"

قلت مستغربة " ألم تصلوا بعد" !

قالت من فورها " بلى لكني أريد أن أصلي معك"

ضحكت وقلت وأنا ألعب بغرتها بين أصابعي

" لا يجوز حبيبتي الصلاة مرة واحدة فقط سيغضب الله منك"

قالت بحزن " حقا سيغضب مني"

قالت بهدوء " نعم حبيبتي وسنصلي المغرب معا لا تقلقي "

ابتسمت بسعادة فوقفت وطرحت السجادة وصليت ثم نزلت

عباءتي ، كنت أردي فستانا من الفساتين التي اشتريتها كان

طويلا باللون الأحمر الغامق له أكمام قصيرة جدا وفتحة عند

الصدر مربعة الشكل ، لو كنت اعلم انه لن يستقبلني غير

الخدمات ما كنت لبسته ، قالت بيسان " ماما فستانك جميل "

قلت بابتسامة " وفستانك أيضا "

قالت وهي تلف به " عمتي زهور ألبستي إياه البارحة

ولم أترك المربية تنزعه مني ونمت به "

قلت بحيرة " عمك زهور ألبسته لك !! "

هزت رأسها بنعم وقالت " هي جميلة ولطيفة ولديها

حوض أسماك في غرفتها"

نظرت لها ترف وقالت وهي تمرر يدها على عنقها

"لو رأتك جدتي تذهبين هناك لذبحتك"

قلت بصدمة " ولما لا تذهب هناك" !

قالت ترف " جدتي تقول لا تغادروا ممر غرفكم

وتركضوا في ممرات القصر"

يا إلهي ما كل هذا الجبروت والجنون ، هذه ليست سوى

المعلومة الأولى ولكني لن أسمح بهذا أبدا ، جمعت شعري ولففته

وأمسكته بمشبك أخرجته من حقيبة يدي وأمضيت بعض الوقت معهما

حتى أذن المغرب وصلينا ، لا أعرف أين أخذوا ثيابي لأغير هذا

الفيستان ولا أستطيع سؤال احد لأنني لا أعلم حتى كيف أتحرك هنا

بعد ساعتين طرق أحدهم باب الغرفة ودخل فكان امجد الذي ركض

مسرعا نحوي واحتضنني وقال " ماما لما لم تقولي أنك ستأتي اليوم "

جميل ولم يخبرهم أنني سأتي ، يقول فقط مع يهمة ويخدم مصلحته

قلت بابتسامة " حدث الأمر سريعا بني "

ثم أبعدته عن حضني وقلت " أين كنت رائحتك هكذا " !!

قال بابتسامة " أخذني عمي معتصم للخيل إنها كثيرة

وجميلة وأركبني إحداها أيضا "

قالت ترف ويدها وسطها " ولما لم يأخذني أنا "

نظر لها وقال ببرود " أنتي فتاة لا يأخذك "

مدت شفيتها وقالت " أريد الذهاب "

قلت " هيا بني عليك أن تستحم بسرعة"

قال من فوره " حااضر"

و غادر الغرفة متوجها لغرفته استحم و عاد لينظم إلينا

بعد وقت طرق أحدهم الباب ودخلت خادمتان بالطعام

وكانتا غير اللتان أوصلتاني إلى هنا ، وضعاه على الطاولة

وقالت إحدهما " السيد اتصل وأمر بإحضاره لكم هنا الليلة"

قلت بابتسامة " شكرا لكما"

ثم قلت مباشرة " أين ملابسي وغرفتي هنا"

نظرتا لبعضهما باستغراب فيبدوا سألت سؤالا سخيفا أو لا يعلمان

أني تزوجت بجابر وسأعيش هنا ، هل سأقيم مع الفتاتين هنا في

غرفتهما ؟ حسنا ملابسي على الأقل ، قلت بهدوء

"يمكنكما المغادرة"

غادرتا في الفور ، تناولنا العشاء سويا وعادتا بعد نصف ساعة

وأخذتا الأطباق وقالت إحداهما مشيرة للهاتف في الغرفة

"إن احتجت أي شيء سيدتي الهاتف موصول بالمطبخ وغرفة

الخدم والسائق أيضا ، في الأزرار الثلاث الأولى"

قلت بابتسامة " شكرا لك"

وغادرتا مجددا صلينا العشاء وجلست على الأرض أدرس بيسان

قليلا وترف تنام على ظهري ولم أنهاها كما في السابق فانا اشتقت

حتى لمشاكستها لي وأنا أدرس أخويها ، وامجد كان يمسك كتابه

ينتظر أن ننتهي لأرى دروسه ، فتح حينها أحدهم الباب ونظرنا له

جميعنا فكان جابر ، سويت جلستي وأبعدت ترف عني وأجلستها

في حجري فقال بهدوء ممزوج بالجدية " مساء الخير "

قلت بشبه همس " مساء النور "

ركضت ترف ناحيته فرفعتها من ذراعيها وقبل خدها

وهمس لها شيئا فقالت " حاضر بابا "

ثم انزلها فقالت مشيرة بإصبعها لي " ماما جاءت وأنت غير موجود "

كتمت ابتسامتي بأصابع يدي ولا أعلم من أين له هذا التحكم في

نفسه ولم يضحك مما قالت ، نظر جهة امجد وقال

" لغرفتك يا أمجد ألا ترى أنها العاشرة "

وقف امجد وقال " كنت انتظر أن تدرسني بعد بيسان "

قال من فوره " تدرسك غدا الوقت أمامكم بطوله ، هذا وقت

النوم هيا بسرعة كلن في سريره"

توجه أمجد نحوي وقبل خدي وقال " تصبحين على خير ماما"

ثم خرج مارا بوالده وقال له نفس الشيء و غادر الغرفة لغرفته

وتوجهت الفتاتان من فورهما لأسرتهم وبقيت المربية أرجوان

جالسة على الأرض ، نظر لهما ثم أطفأ النور وقال مغادرا

" اتبعيني لجناحنا يا أرجوان "

نهاية الفصل

الفائزة بجائزة الفصل هي حبيبتنا ليل شتاء لأنها أول من توقع عريس  
وسن

وجائزتك مثل السابقين أي حدث تختاري أكشفه لك من الفصل القادم

ومبرووووك يا عسل وتستاھلي

يسعد صباحكم جميعا بكل حب

أحب أنبه على شي في الفصل وهو تضارب في الوقت ستلاحظونه

وأنا لم أنوه أن الحدث الليلة الماضية في بداية جزء جابر وأرجوان

.....قراءة ممتعة أتمناها للجميع

### الفصل الثاني عشر

استيقظت باكرا استحممت ولبست ثيابي وحجابي وأخذت مذكراتي

والمعطف الطبي من أجل المعمل وخرجت من غرفتي ، منذ سافرت

فرح والمكان أصبح هادئا وكئيبا بدون ضجيجها وضحكاتھا التي

تسمعھا أينما كنت في الشقة وفتحھا للأبواب بعنف وكأنھا ستذهب

لمقابلة تلفزيونية وليس الجامعة أو السوق ، توجهت لغرفة الطعام

وكانت زوجة والدي هناك تنتظرني ، دخلت وقلت " صباح الخير"

قالت بابتسامة " صباح الخير بنيتي تناولي إفطارك

جيذا ليس كاليومين الماضيين"

ابتسمت وجلست وقلت " لا تقلقي بشأني سأكل في الجامعة"

تنهدت وقالت " لو فرح هنا ما تركت أحد ينهض إلا

وهوا أكل حصته وزيادة"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " ذلك من كثرة ثرثرتها تجعلك

تأكلين دون شعور وأنتي منسجمة مع ما تقول"

قالت بابتسامة " وفقهما الله ، اليوم ستداوم في الجامعة هناك"

قلت بهدوء " البارحة تحدثت معي وتبكي طبعا وقالت لم تحب

المكان ولا البلاد ، وهي وصلتها منذ أيام فقط"

ضحكت وقالت " أعان الله جواد عليها ستجعله يكره السفر والدراسة"

قلت وأنا أشرب الشاي " ستحتاج لوقت لتتعود لقد اتصلت به وتحدثنا

في الأمر وقال بأنه يعلم أن كل من يسافر يمر بهذا بادئ الأمر

فقط النساء يعبرون بدموعهن والرجال لا"

تنهدت وقالت " أعانني الله على فراقكما ، لو تبقي لي أنتي على الأقل"

قلت بابتسامة حزينة " هذا ما كنت أتمناه أن نبقي أنا وأنتي كما

كنا ولكن من يستمع لنا ولرغباتنا فالمرأة تبقى تابعة

للرجل حتى القبر وهو يأخذها له بنفسه"

ضحكت وقالت " من أين تأتيين بهذه الحكيم"

وقفت وقلت بضحكة صغيرة " الحياة كفيلة بذلك"

غادرت بعدها المنزل وركبت السيارة التي تنتظرنني في الخارج

كم مرة قلت أنني سأركب سيارات الأجرى ولكن من يفهم ما أقول

المهم عندي أنه لن يصرف علي من جيبه ولن أدرس على حسابه

وإن كنت سأعيش في منزلهم ، أنزلني السائق عند بوابة الجامعة

وتوجهت للداخل وقابلتني ملاك عند الباب قائلة " بسرعة لما تأخرت"

قلت وأنا أسير معها مسرعتين " قابلت شابا في الطريق وجلسنا نتسامر  
"

ضحكت وقالت " أخبريه في المرة القادمة يقابلك

وقت مغادرتك وليس قدومك"

ضحكنا سويا ثم قالت " أحضرت لك جميع المحاضرات

التي فأتتك وكشكولي أيضا"

قلت بهدوء " جيد عليا مراجعتها بسرعة"

قالت بضيق مصطنع " في المرة القادمة حين ترفعين راية

الغطسة والخروج عن قوانينه أعلميني مسبقا لأتحد معك"

عدنا للضحك مجددا ولكن ضحكي مختلف عنها كثيرا

ضحك ملئه حسرة وألم ، دخل علينا صوت المار بجوارنا

مسرعا وهو يقول " بسرعة يا كسولات الدكتور قريب

منكما ستخسران المحاضرة"

وما أن سمعنا كلماته حتى ركضنا كلانا ركضا وهو يضحك

علينا فقالت ملاك بصوت مرتفع وهي تتوجه لقاعة المحاضرات

"حسابك معي يا طلال وسترى"

ضحك ودخل خلفنا قاتلا " أحضرت مواد رسالة التخرج علينا

دراستها معا يا كسولتان ، نريد أن نخرج من

هذه السنة بأسرع ما يمكن"

اجتزنا المدرج للأعلى وأنا أقول " سنتحدث لاحقا في المعمل"

جلسنا ودخل دكتور المادة قبل أن يدخل قبلنا والحمد لله ، قام

بتقسيم اللوح لثلاث كعاداته وملاه أولا ثم أظلم القاعة وشغل العارض

الضوئي وكان من يركض ورائه كل شيء مع بعضه ، وعند هنا  
هدأ الجميع لأنه مع الظلام لا هواتف محمولة تفتح ولا حواسيب  
لوحيه ولا مذكرات ولا شيء يُرى غير شاشته الكئيبة ، بدأ في  
شرحه الطويل الممل وسافرت أنا بنظري للفراغ، عليا إنهاء  
جمع أغراضي لانتقل لمنزل خالتي .... آه استغفر الله لما أنا  
لا مأوى لي ، لما المرأة عليها أن يكون لها شقيق أو والد أو  
زوج كي لا تعيش عائلة على أحد ، لما رجعت من سفرك  
يا نواس ولما أنت من بين خلق الله ابن خالتي ولماذا رحل  
كل أهلي بعيدا عنك إلا أنا ، اتكأت على الطاولة أمامي  
وخبأت وجهي فيها حين شعرت بيد تمسح على ظهري  
وصوت هامس اقترب مني قائلا " وسن هل أنتي بخير "  
كم صرت أكره هذه الكلمة ، أنا بخير نعم بخير لو ابتعدت عنه  
لو أكون في عالم لا وجود له فيه وبقلب لا يعشقه وعقل لا يفكر  
به فمتى سأكون بخير بنظركم متى !! رفعت رأسي وجلست

مستوية في صمت و عدت أشغل عيناى وتفكرى بالمحاضرة

\*

\*

اقترب منى ووضع يده على كتفى وقال " هل يمكننا الاقتراب منك الآن "

أنزلت رأسى للأسفل وأنا أتكى بذراعى على حافة النافذة

الواسعة فى مكتبى فى المزرعة وقلت بهدوء

" وهل ترانى بارودا لا يمكنك الاقتراب منه "

وصلنى صوته المبتسم قائلا " هل نست ما فعلته عند

وصولك للمزرعة ليلة زواج جواد "

رفعت رأسى ونظرت للبعيد وقلت بابتسامة ساخرة

" لا أذكر سوى أنى لم أقتل نفسى تلك الليلة "

تنهد وقال " ولید يبداوا مستاء منك حتى الآن لقد أفرغت

غضبك به وكل ذنبه أنه ذكرك بالواقع "

أنزلت رأسى مجددا وهزته يمنة ويسره وقلت بمرارة

" ابتعد عنى يا معاذ لا أريد أن اخطأ بحقك أنت أيضا "

قال بهدوء " مابك يا نواس لم أعرفك هكذا سنين معرفتى بك

كلها، منذ عامان وأنت مزاجك في تقلب وهذه الفترة ازداد

أكثر وهادان اليومان أمامي نواس لا اعرفه"

قبضت أصابعي بقوة وقلت " اتركني وحدي يا معاذ"

لأذ بالصمت مطولا ثم تنهد وقال مغادرا " تحدث مع وليد على الأقل"

ثم خرج وأغلق الباب خلفه ، كيف أهدأ وكيف أتنفس بروية وكيف

أنام وكلمات والدتي تضرب راسي كالفؤوس وهي تقول (( على وسن

أن تبتعد عن هذا الجو المشحون من أجلها وأجل صحتها ، وسن لم

تعد لك مثلما أنك أنت لم تعد لها وباختيارك يا نواس ، أنا معك في

أن جرحك منها كبير لكنه الواقع بني ، وسن صفحة عليها أن تطوى

من حياتك ، الشاب جيد وعمله يوفر له راتبا جيدا ولديه منزل وكم

شكرته لي والدة فرح سابقا لأنه زينة أبناء أخوتها وسأقتنع وسن به

بأي طريقة وعليها أن توافق فالمرأة مشاعر الأمومة لديها فوق كل

شيء

وحين سترزق بأبناء منه ستعيش حياتها تكرر وقتها لهم وستنسى))

رفعت يدي ومسحت بها وجهي وأنا أتذكر كلماتها الحادة وهي تقول

((ليست عذرا يا نواس دراستها تنهيتها هناك وعلاجها لن يتباطأ

فيه وهو طبيب ويلم بهذه الأمور ، وسن سيموت قلبها

قبل جسدها إن بقيت هنا))

رفعت رأسي ونظرت للسماء وابتسمت بألم، اقتنع بهذا يا نواس

احترق ألف مرة ، اسجن نفسك حتى تشبع وأفرغ غضبك بكل

من حولك وفي النهاية اقتنع بهذا وسلمها لغيرك ، خذ غزالي

خذ روعي خذها لأنها لم تعد لي ولم أعد لها ، آه يا أمي لما

سيموت قلبها وهي لم تعد تحبني ولا تريدني في حياتها ، عدت

بنظري من السماء للأرض وضربت بقبضة يدي على حافة

النافذة عدة مرات وأنا أتذكر عودتي تلك الليلة إلى هنا أضرب

كل شيء بأعاصير مشاعري وأولهم وليم الذي ذكرني أنني

أصبحت ملكا لأخرى وأناي أخونها بمشاعري وتصرفي ، أنني

أسجن نفسي في أوهام الماضي وأنسى الواقع وأنه ما من

رجل لا يستطيع محو أحلامه وأمانيه ومعايشة الواقع من أجل

أشخاص لا يستحقون أن نجرحهم بجراح ماضينا ، تنفست  
بقوة وغادرت المكتب بحثا عنه ووجدته في المطبخ يتكأ بمرفقه  
على ظهر الكرسي ويضايق الخادمة المنزعجة منه كعادته، لا  
اعلم متى سيرحم هذه المرأة المسكينة، لففت ذراعي حول

عنقه وقربت رأسي من رأسه وهمست في أذنه

"لا تغضب مني يا وليد اقسم أنني لم أكن في وعيي"

عدل وقفته وقال وهو يبتعد عني " لو كان لدي مكان غير

الشارع لذهبت إليه ولو كنت أعلم أنك قلت ما قلت من قلبك

لاخترت الشارع على البقاء هنا"

قلت بهدوء " آسف يا وليد أعلم أنني أخطأت في حقك

لكنها الأولى فاغفرها لي"

قال مغادرا المطبخ " ليست الأولى ولست غاضبا منك يا نواس

فقط أريدك أن تضع مي نصب عينيك"

وغادر مبتعدا وهو يتمتم بأشياء لا أسمعها ، أقطع ذراعي من

منبتها إن لم يكن ثمة شيء ورائك يا وليد لكن ما يحيرني ويجعلني

أتردد في هذه الفكرة أنه لا يخفي عني شيئا فلو كان كما أضن لقال

لي، تنهدت بضيق وهممت بالمغادرة حين استوقفني صوت

الخادمة قائلة " إن غادر وليد سأغادر أيضا"

التفت لها وقلت مبتسما " إن لم تكوني في الأربعين لقلت أن

ثمة أمر بينكما ، هذا وهو يضايقك طوال الوقت"

قالت ببرود وهي تعود لعملها " هوا نكهة المكان هنا يسليني

ويضحكني ، أنا أعتبركم أشقائي الأصغر مني ولا أريد

أن تغيبوا عني وخصوصا وليد"

قلت مغادرا " لا تخافي لن أدعه يغادر هذا المكان إلا بعد موتي"

خرجت للخارج وأخرجت هاتفي واتصلت بوالدتي التي

أجابت من فورها قائلة بضيق " ألا تعرف أنني مريضة ولا

ينقصني تعب مع تعبني تخرج من عندي وجهك أظلم من تلك

الليلة ولا تجيب على اتصالاتي ليومين أو يزيد افرض حدث لي

شيء أو لابنة خالتك هل نطلب من جواد العودة فورا أم نطرق

أبواب الجيران لنقول أغيثونا فليس لدينا أحد"

تنفست بقوة مهدنا نفسي ولذت بالصمت فقالت

"نواس تسمعني"

قلت بهدوء " نعم أسمعك أمي وابنة شقيقتك تلك متى

ستقرر سيادتها أن تنتقل عندك"

قالت من فورها " قالت ستنهي زوجة والدها ترتيب

الشقة وجمع أغراضها وستأتي"

قلت بضيق " ما لا تعلميه أنها تؤجل ذلك عمدا وقد طلبت من

شقيق زوجة والدها أن لا يأتوا لأخذها الآن ويتركوها معها

لأيام ، لا أفهم كيف تفكر وسن ، هل يعجبها بقائهما لوحدهما

في الشقة أم تفعل ذلك عمدا لتحرق لي دمي ، أعلم أنها

باتت تكره رؤيتي لا داعي للتطبيق"

قالت بهدوء " نواس لا داعي لهذا الكلام الآن سأتحادث

معها وينتهي الأمر"

قلت بحزم " أقسم إن لم تكن في منزلنا اليوم ذهبت

لإخراجها بنفسى وها قد أقسمت"

قالت بحدة " هل فقدت عقلك يا نواس إن علمت وسن بما

تقوله الآن فستركب رأسها ولن تأتي"

قلت ببرود " ما لذي قلته وإن كانت مشتاقه لرؤيتي فليحل

عليها الليل وهي ليست معك ... وداعا"

\*

\*

"وسن انتظري"

التفت لها فقالت " لا تنسى فتح بريدك الليلة

سأرسل لك محاضرة التشریح"

قلت مغادرة " حسنا لا تنامي وتتحججى ككل مرة"

قالت ضاحكة وأنا ابتعد جهة بوابة الجامعة " جربيني هذه الليلة"

خرجت وركبت السيارة وعدت للشقة ، فتحت الباب

ودخلت وأنا أجيب على هاتفى قائلة

"مرحبا خالتي كيف أنتى اليوم"

قالت بهدوء " الحمد لله تبدين كنتي خارج المنزل"

قلت وأنا أدخل " كنت في الجامعة وعدت للتو"

قالت " هل تستطيعين القدوم إلي الآن إن لم تكوني

متعبة فلدي ما أقوله لك"

دخلت غرفتي وقلت وأنا أرمي الحقيبة والمذكرات على

السرير " هل من مكروه خالتي"

قالت من فورها " أريدك في بعض الأمور المهمة"

قلت مغادرة الغرفة " حسنا مسافة الطريق فقط"

أنهيت المكالمة منها وتوجهت جهة المطبخ وقفت عند الباب

فابتسمت لي زوجة والدي وقالت " لحظات ويكون الغداء

جاهز ما أن تستحمي وتغيري ملابسك"

قلت من فوري " خالتي اتصلت بي تريد أن أذهب لها الآن"

قالت بقلق " ماذا حدث !! لما تطلبك في هذا الوقت"

رفعت كتفائي وقلت " لا أعلم لا يبدو أن أحدا به

مكروه ، سأذهب لرؤيتها وأعود"

قالت وهي تتبعني لأني ابتعدت " سأنتظرك فلا تتأخري "

قلت وأنا أقترب من الباب " حسنا "

\*

\*

طرق أحدهم الباب ودخل فكان شقيقي الأصغر وهو

الوحيد الذي لم تمتد يده علي ، كان المقرب لي من بين أخوتي

لتقارب سننا حيث كنا مقربان منذ الطفولة ولكن ورغم عدم

ضربه لي قد بات في نظري كشقيقيه فهوا لم يكلف نفسه

حتى أن يقول مي لا تخطأ .... مي شقيقتي الأقرب إلي

وأعرفها جيدا ، أو على الأقل كان أمسكهم عن ضربتي

الدائم والمبرح ولو محاولا ردهما عني، اقترب مني

فأبعدت نظري عنه فجلس معي على السرير وقال

"زوجك سيأتي لأخذك خلال هذين اليومين"

لم أعلق على كلامه ولم انظر إليه ولا حتى النظر فقال

"مي أنا حاولت كل جهدي أن أوقفهما عن ضربك لكنك

تعلمي مدى حساسية هذه الأمور وأن الناس لا تسامح فيها"  
نزلت دمعتي فمسحتها وأبعدت وجهي عنه أكثر فمد يده وأمسك  
ذقني وأدار وجهي ناحيته وقال " إن ظلمك أو أساء إليك اتصلي  
بي فقط وسأخرجك من عنده ولو نمت أنا وأنتي في الشارع"  
أنزلت رأسي وقلت بحزن " تأخرت يا أخي تأخرت كثيرا  
لما لم تظهر شهامتك حين كنت وحدي ولا أحدي، حتى  
عمي كذبتم عليه كي لا يقف في صفي والآن ستظهر شهامتك  
على الغريب ، كان القريب أولى بذلك يا ابن والداي"  
ثم رفعت نظري له وقلت بدموع تنساب على خدائي  
" هذا لأنك لست متزوج من عقربه مثلها لكان كلامك  
مختلفا ولو لم يأتي نواس ويتزوجني لبقيت على صمتك"  
وقف وقال بضيق " لما الظلم يا مي كم كنت أقف في صفك  
حتى وليد حين أخبرني قبل الحادثة أنه يريدك ويفكر في خطبتك  
ويخاف رفض والدي وأخوتي لأنه لا يملك شيئا أخبرته أنني

سأقف معه ولم أشك بك ولا به ولكنك لا ترين إلا العيوب"

بقيت أنظر له بصدمة مما سمعت وليد قال هذا !! وليد كان

حقا يفكر بي ويريد خطبتي !! بقيت عيناى معلقتان به دون

حراك فأبعد نظره عني ثم استدار وأولاني ظهره قائلا

"أنا لازلت عند كلمتي يا مي ولا تنسي أن لك شقيقا ولا

تسمحي لنواس ولا لغيره أن يدلك لأنه لا أحد لك"

ثم خرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه

\*

\*

كنت ألعب بشعر الوسن بين أصابعي وأمسح على غرتها

بيدي الأخرى ونظري على الاثنان اللذان يتهامسان بعيدا

ثم اقتربا مني وقال معتصم " ما رأيك لو تركنتي أركبها قليلا"

أشرت له برأسي وقلت " بعد أن أموت"

ضحك وقال " مت أنت فقط وأنا أعدك أن أمشي بها في جنازتك"

ضحكا كليهما ودست الوسن مقدمة رأسها في صدري فضحك

معاذ وقال " تبدوا اشتاقت لك هذان اليومان"

غرست أصبعي أحرك شعرها أكثر وقربت شفطاي من أذنها

وهمست لها " جمحت مني فارستك وكرهنتي فما ستفعلين أنتي بي "

رفعت رأسها وحركته يمينا وشمالا وصهلت بصوت منخفض

فمسحت على عنقها وقلت بابتسامه " لا بأس لن أقولها

مجددا سماح هذه المرة "

نظرا لبعضهما ثم قال معتصم " لو أعلم فقط ما توشوش لها

دائما وهي تفهمك وكأنها مسكونة "

قلت بابتسامه جانبية " أخبرني فيما كنتما تتهامسان منذ

قليل أخبرك ما كنت أقول لها "

ضحك وقال " يالا فضولك يا رجل "

قلت ببرود " على الأقل أريد معرفة ما يقال عني وليس أمور لا تعنيني "

ثم نظرت لساعتي وقلت " سأغادر لرؤية والدتي قليلا وسأعتمد

عليكما في مراقبة العمال حتى أعود فسيزورني مشتري

جديد ومهم عصر اليوم "

ثم ابتعدت عنهما وهما واجمان ينظران لي في صمت

غادرت المزرعة عائدا لمنزلنا فأنا لم أزرها منذ تلك الليلة

انشغلت بهموم نفسي ونسيت أنها وحدها الآن ، وصلت المنزل

ودخلت توجهت لغرفتها ووضعت يدي على مقبض الباب فسمعتها

تقول لأحدهم " لا أريد مشاكل بينك وبينه وقد أقسم إن لم تأتي اليوم

يذهب لجلبك وقال إن كانت تريد رؤيتي فلا تبات هنا الليلة"

جاء حينها صوت وسن قائلة " لن آتي قبل أن يحضرها فموكد

سيأتيك بها هنا أولا ، لا أريد رؤيتها ولا رؤيته يا خالتي"

ضغطت على مقبض الباب بقوة مانعا نفسي من الدخول عليهما

والحرقة والألم يفتكان بأوردتي ، قالت أمي " قال لن يحضرها

هنا ، وسن نواس معه حق لا يجوز بقائكما وحدكما كل هذا الوقت

فخلصينا من المشاكل واجمعي أغراضك اليوم وتعالِي"

لم تجبها ولم تتحدث وهذا طبعها ما في رأسها تفعله وإن كان

فيه قطع رقبتها ، قالت أمي بهدوء " زوجة خال فرح تكلمت

معي تريد خطبتك لابنها الأوسط وأرى الوقت مناسبا

لتفكري في الأمر بجدية"

قالت بنبرة ساخرة " أخبرتك أنني أخذت حصتي من هذا

وزيادة فلا أريد ابنها ولا غيره"

شقت شفطاي ابتسامه ظهرت رغما عني ولا أنكر أنها خلصتني

من أكبر همومي ، قالت أمي بضيق " الشاب لا شيء يعيبه

بمنزل مستقل سيرحمك من نواس كما تريدي وقد تحدثت

معه هوا أيضا في أمر خطبتهم لك"

عم الصمت قليلا ثم قالت وسن " تحدثت مع نواس عنه"

قالت أمي " نعم ولا أرى من داعي لرفضه يا وسن جربي

أن تريه وتتحدثي معه كنظرة شرعية"

قالت وسن وتبدوا وقففت من صوت الكرسي " لن أوافق إلا في حال

واحدة يا خالتي إن علمت أن هذا سيحرق قلب نواس كما أحرق قلبي"

شعرت وكان صفة قوية ضربت وجهي ثم اقتربت خطواتها وفتحت

الباب لتجدني واقفا أمامها ، نظرت لي بصدمة مطولا ثم تنحت جانبا

لتجتازني وتخرج فسدت عليها الطريق بيدي مانعا لها من المرور

وقلت بحزم " أكرهيني كما تريد يا ابنة خالتي لكن أن تكسري

كلمتي وتفعلني ما يحلو لك وكأن لا رجل ورائك لا تحلمي بها"

رفعت نظرها لي وقالت " أجل فمشاعري ماتت مثلك يا نواس"

فتحت فمي لأتحدث فأسكتني صوت أمي قائلة " نواس وسن يكفي"

أغلقت فمي وأبعدت يدي ليس بسبب كلماتها ولا كلمات والدتي

بل بسبب تلك الدمعة التي حبستها في عينيها الواسعتان تترقرق

فيهما وهما معلقتان في عياني ، اجتزتها قبل أن أضعف أمام

عيانها أكثر ودخلت الغرفة قائلا " تكونين الليلة هنا يا وسن

فشقيق زوجة والدك في طريقه لأخذها معه"

لم تنطق بحرف ولم أسمع سوى خطوات كعب حدائها على

الأرضية الرخامية للمنزل ثم ضربها للباب بقوة ، جلست أمام

والدتي في صمت فقالت " جدا حلا لكما هل يعجبك هذا الحال

أنت رجل راشد وعقل ولست صغيرا يا نواس"

قلت بضيق " وهل تري تصرفاتها تترك عقلا بأحد حتى أنها

لا تحترمني ولا بكلامها وكأني أصغر أبنائها"

قالت من فورها " لم تكن هكذا قط ، سنين طوال لم تكن

هكذا فهوا ليس طبعها"

قلت بضيق " وهذا ما يخنقني يا أمي لما تكرهني لهذا الحد

وهي من أخطأت في حقي وهي من أحرقت قلبي أولا وهي

من باعتني وعاملتني كنكرة لا دور له في حياتها وهوا سيكون

زوجها خلال أسابيع قليلة والآن أنا المجرم أنا المذنب أنا

من احرق قلبها أنا من يستحق الكره"

قالت بضيق أكبر " أنا من عجزت معكما أنتما

الاثنين ولم أجد حلا لكما"

لذت بالصمت أنظر للأرض وأتنفس بقوة فقالت بهدوء

"ماذا بشأن زوجتك"

قلت بعد صمت " سأحضرها في الغد"

قالت من فورها " ألم تقل أنك ستحضرها نهاية الأسبوع"

قلت ببرود " لا فرق بينهما كلها واحد "

ثم نظرت لها وقلت " ومتى يمكنها زيارتك ، اسألي ابنة

شقيقتك لتعطينا الإذن "

قالت بجدية " نواس أنا لا أطلب منك إلا أن تضع نفسك في

مكانها وترى ما هوا الصواب من الخطأ "

قلت بسخرية " لا يا أمي إن وضعت نفسي في مكانها فلن آبه

لكلامك وأعيش وزوجتي هنا لأن وسن لم أعد أعنيها في شيء "

قالت " أضنك كنت هنا وسمعت أنها قالت لا تريد رؤيتها تأتي

إلي ، هذا وحده يكفيك لتعرف يا نواس "

مسحت عنقي بيدي وقلت بهدوء " هل اتصل بك جواد اليوم "

اتكأت للخلف وقالت " نعم في الصباح "

وأخذتنا المواضيع من واحد للآخر متجاهلين كلانا موضوع

وسن ومي وكل ما يخصني وبعد وقت وقفت وقلت

" سأعلم بطريقتي إن لم تأتي الليلة هنا وتوقعوا

مني أي شيء إن ركبت رأسها "

ثم غادرت من عندها وعدت للمزرعة وأكملت أعمالي هناك

ويومي أيضا واتصلت آخر النهار بفتحية وأخبرتني أن وسن

انتقلت إلى هناك وجعلتني أسمع بأذني صوتها مع والدتي

\*

\*

في مساء اليوم التالي كنت جاهزة لأغادر منزل والدي مع

الزوج المجهول الذي لا أعرف سوى اسمه ولا أعلم حتى سبب

زواجه بي ، نزلت لمجلس الرجال حيث عمي وأشقائي ونواس

وقفت عند الباب وتنفست بقوة عدة مرات محاولة التخفيف من حدة

توتري ، لا أعلم لما لا يرمونني في السيارة مباشرة ويرحمونني

من عذابي المتواصل فلم يتركوا طريقة لم يدلوني بها وهذه آخرها

لأنني لا أثق فيما قد يقوله أحدهم أمامه ، طرقت الباب طرقات خفيفة

ودخلت ، كانوا واقفين جميعهم لكنني لم أكن أرى سوى أقدامهم

لأن رأسي لم يفارق الأرض ، اقتربت بخطوات بطيئة فسمعت

عمي يقول " لا نوصيك على مي يا نواس هي حبيبة والدها ومدلته"

سمعت حينها الصوت الثقيل الغريب عني قائلاً

"لا توصيني على ابنة عامر"

قال عمي حينها " تعالي يا مي اقتربي يا ابنتي"

اقتربت منه فوضع يده على رأسي وقال " أسعدك الله يا

ابنتي أنتي عانيت كثيرا والله لا يرضى الظلم"

لا أعلم من أين جاءتني الشجاعة حينها ورفعت رأسي ونظرت

لأشقائي واحدا واحدا وكأني أقول لهم أنتم الظلم بعينه وأنتم من

لن يرضى الله عنكم و عما فعلتموه لي ، أخفضت بعدها نظري

للأرض ولم أتحدث وعم الصمت للحظات حتى تحدث

الصوت الثقيل ثانياً وهو يقول " هل نغادر يا مي"

شعرت بكل مفاصلي ارتجفت حينها من ذكره اسمي وأنا سنخرج

معا ، ولما يطلب رأيي !! آه من غبائي نسيت أنه يضنني سأودعهم

أولاً، التفت جهة عمي وقبلت رأسه ويده وقلت " بارك الله لي في

عمرك يا عمي أنت وحدك من شعرت بدمائك التي تتحرك في عروقي"

ثم التفتت جهة نواس ونظري لازال أرضا لم أرى وجهه

حتى الآن وقلت " يمكننا المغادرة "

اقتربت خطواته مني وشعرت بيده على كتفي ثم سار بي للخارج

من الباب الخارجي للمجلس وخرجنا من المنزل ووصلنا لسيارته

فتح لي الباب وركبت وركب هوا بعدي وانطلقنا في صمت

لم يتحدث معي طوال الطريق الطويل ولم أتحرك أنا من توتري

لجلوسي بجانبه ، وصلته مكالمات عديدة يجيب عليها باختصار

ورن هاتفه معلنا وصول رسالة فتحها ثم رمى الهاتف بعيدا عنه

على غير عادته بعد المكالمات الكثيرة التي أتته وكان يعيد الهاتف

لجيبه بعد كل واحدة منها ، ثم أصبح يضغط بقبضة يديه بقوة على

مقود السيارة كل الحين والآخر ، ما فحو تلك الرسالة يا ترى

التي جعلته يتضايق هكذا !! كان يمسح وجهه كل حين ويتنفس

بقوة بين الفينة والأخرى وكله من تأثير تلك الرسالة الغامضة

بعدها أمسك هاتفه واتصل مطولا بأحد يبدوا لا يجيب عليه فأبعدت

نظري عنه وشغلت نفسي بالطريق فيبدوا أنني من مللي صرت

أراقب كل تحركاته ، وصلنا بعد مشوار طويل جدا دام لأكثر من  
أربع ساعات لمدينة مؤكد يسكن فيها لأنها الوحيدة التي دخلنا إليها  
من كل المدن التي مررنا بها ولم يتوقف لأنه حين سألتني إن كنت  
أريد أن أكل شيئا أخبرته أنه لا رغبة لي في الطعام ، وصلنا بعدها  
لمزرعة ودخلنا إليها كانت خالية سوى من الأضواء فالوقت قارب  
لمنتصف الليل أو يزيد ، وقف بالسيارة أمام منزل كبير ونزل ثم  
فتح لي الباب وتوجه من فوره لصندوق السيارة وأنزل حقائبي  
بنفسه ودخل بعدها قائلا " اتبعيني يا مي "  
سرت خلفه ورأسي لازال في الأرض لم يفارقها حتى دخلنا  
للداخل ووقف وقال بصوت مرتفع " راضية "  
اقتربت حينها امرأة رفعت رأسي لها فكانت امرأة كبيرة قليلا  
قال لها الواقف أمامي ولا أرى سوى قفاه  
"أخبري أحدهم يدخل الحقائب من الخارج "  
قالت من فورها " لا أحد هنا "

سكت لبرهة ثم قال " وأين ذهبوا " !!

قالت " تركوا المنزل لأسبوع ، هذا ما فهمته من حديثهم "

قال بضيق " ومن قال أنني متضايق من وجودهم كم مرة قلت

أني سأخذ الطابق العلوي ولن يتغير شيء هنا "

تنهدت وقالت " كلها أسبوع لن يضر في شيء "

قال متوجها نحو السلام " سأكلم أحد العمال يدخلهم إذا "

سرت خلفه بخطوات سريعة لألحق به دخل لغرفة معينة ودخلت

خلفه بعد تردد كبير ، رفعت نظري له فكان معطيا بظهره لي

فتح ربطة عنقه ورماها على الكرسي ونزع سترته ورماها معها

أيضا ثم التفت لي فوقعت عيني في عينه ولأول مرة ، كانت له

ملامح عادية ليس شديد الوسامة ، فقط عيناه عسلتان جذابتان

ولكن له حضورا قويا ومميزا يجعل من أمامه يتأمله ولا يعرف لما

أنزلت نظري عنه فتحرك في الغرفة يمينا ثم يسارا ثم يمينا وكأنه

ضيع شيئا ، كان متوترا جدا ولا أفهم لما !! رفع بعدها هاتفه وحاول

من جديد الاتصال بذلك الرقم الذي لا يجيب عليه ويبدو انه رقم

صاحب الرسالة تلك ثم خرج من فوره من الغرفة وتركني ولم يرجع

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

أصررت على أن أساعدها أنا على الجلوس على الكرسي المتحرك

كما أساعدها على دخول الحمام ، أجلستها عليه ونزار يقف بجوارنا

فنظرت لي وقال بابتسامة " لما لا تأتي معنا هل ستبقي لوحدهك

هنا ، لا تنزلي من السيارة حتى نخرج من المستشفى "

قلت مبادلة لها الابتسامة " سأكون هنا أفضل لدي بعض

الأعمال وعلياً أن أجهز نفسي للمدرسة غدا "

سحب بها نزار الكرسي قائلاً

"ستكون هنا في مأمن يا أمي علينا أن نفكر في سلامتها "

قالت وهو يخرج بها من الغرفة " وكم ستبقى سجيناً المنزل "

غادرا يتبادلان الحديث وبدأت أنا بتنظيف الغرفة مادامت ليست فيها

حركت السرير ونظفت مكانه ونظفت الجدران أيضا ولمعت الأثاث

وانتهيت بعد وقت وبصعوبة ، سمعت حينها طرقا على الباب فترددت

في فتحه فعليا كما قال نزار أن لا أنسى أنني محاطة بالخطر

اقتربت من الباب ونظرت من العين فيه فكانت دعاء ، استغربت

كثيرا لقدومها وخالتي قالت أنهم سيقابلونها في المستشفى

فتحت الباب لها فدخلت قائلة " مرحبا يا سما"

قلت وأنا أغلق الباب " مرحبا تفضلي خالتي غير

موجودة يمكنك انتظارها"

قالت وهي تدخل " لم آتي من أجلها"

وقفت أنظر لها بحيرة فالتفتت إليا وقالت " هل تعلمي

أن نزار كان له خطيبة"

بقيت أنظر لها بصمت فتابعت " وأنها تركته وتزوجت غيره"

قلت بهدوء " هذا الموضوع لا يخصني ولا يخصك

ولا يحق لنا التكلم فيه"

قالت بابتسامة جانبية " اسمها رهام وقد عادت من سفرها وتريد

العودة إليه ويبدووا لي هوا لم يتزوج حتى الآن لأنه لازال يحبها"

قلت بعد صمت " وما شأني أنا بالأمر "

قالت بابتسامة " لا شيء مجرد حديث عادي "

ثم استدارت وتقدمت بضع خطوات للداخل وقالت

" هل كنتي إحدى طالبات نزار "

تسمرت مكاني من الصدمة ، كيف علمت هل هوا أخبرها أم

ماذا !! التففت إليها وقالت " وطرودك من المدرسة "

قلت بصدمة " من أخبرك " !!

قالت من فورها " نزار "

ترى ما أخبرها أيضا ولما يقول لها هذا وهوا قال لي انه لن

يخبر أحدا بشيء ، قلت " لا ليس هوا من أخبرك "

قالت بسخرية " كيف سأعلم إذا "

قلت " لا اعلم ولا يهمني "

اقتربت حينها مني وقالت بهمس " لا تفكري أن تستحوذي

على قلبه لأنه لازال يحبها ، أنا أريد لك النصيحة فقط "

ثم غادرت جهة الباب وقفت أمامه والتفتت لي وقالت

"لا أنصحك أن تخبريه بما دار بيننا لأنه سيحك بصدق"

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها ، بما تهدي هذه أستحوذ على

قلبه ويحبها وكيف وما معنى هذا الكلام ، بقيت لوقت واقفة

مكاني ونظري على الباب أحاول فهم التخاريف التي كانت تقولها

وما هي إلا لحظات وانفتح الباب مجددا ودخل منه نزار يسحب

والدته بالكرسي ، نظرت لي مبتسمة وقالت

"هل بقيتي واقفة مكانك منذ ذهابنا"

لم أتحدث ضحكا هما الاثنان وركزت أنا نظري على

نزار ، أدخل والدته للغرفة ثم خرج وقف بجواري وقال

"مايك يا سما"

نظرت له وقلت بهمس " لا شيء"

نظر لعيناي مطولا فأرخيت نظري وقلت " خفت قليلا فقط"

قال " فقط"

هزرت رأسي بنعم فقال " إذا في المرات القادمة سنأخذك معنا"

هزرت رأسي وقلت " أجل لا تتركوني وحدي هنا"

التفت ليعود لغرفة والدته فقلت " نزار"

التفت إليا من فوره فقلت بهدوء

"من أخبرت عن قصتي غير صديقك ذاك"

قال بحيرة " لا أحد غيره ولكن لما السؤال"

قلت " ولا حتى عن المدرسة وطردني منها"

اقترب مني وقال " ما قصتك يا سما ولما هذه الأسئلة"

قلت من فوري " أنا أتق في صدقك فأجب عن سؤالي أرجوك"

قال بجدية " أقسم لك أنني لم أخبر غيره عن أي شيء"

من أين علمت إذا ولما قالت أنه هوا أخبرها ، قال بهدوء

"ألن تخبريني مابك"

قلت مغادرة جهة المطبخ " لا شيء"

\*

\*

غادرت من أمامي جهة المطبخ وأنا أنظر لها بحيرة

ليست طبيعية أبدا ما الذي حدث في غيابنا يا ترى ، عدت لغرفة

والدتي وساعدتها للعودة للسريير فقالت " ما بها سما"

قلت وأنا أعطي ساقها بالحاف " لا أعلم قالت لا شيء لكنها تبدو

على غير طبيعتها وسألنتي إن أخبرت أحدا غير جابر عن قصتها"

قالت " قد تكون تقابلت مع أحدهم أو اتصل بها أحد"

قلت من فوري " مستحيل من ستراه وهي هنا ونبهتها أن لا تفتح الباب

للغرباء ورقمها لا أحد يعرفه غير السيدة التي كانت معها"

فكرت بحيرة هل تكون اتصلت بها لكن سما لن تخفي عني شيء

كهذا، خرجت من عند والدتي وذهبت للمطبخ وجدتها تقف عند

أحد رفوف الخزانة وتمسح دموعها ، نظرت لها مطولا بصدمة

ثم اقتربت منها ووضعت يدي على كتفها وقلت " سما مابك"

انتبهت لوجودي فمسحت عيناها بظهر كفها بقوة وقالت

"لا شيء أشعر بالضيق قليلا فقط"

أدرتها ناحيتي وأبعدت يدها عن وجهها ونظرت لعينيها بتركيز

وقلت " وما الذي يضايقك يا سما أخبريني ولو كان أنا

وسأعتذر وإن كنت غير مخطئ"

زادت دموعها من كلماتي ولم أشعر بشيء سوى بجسد ارتدى

في حضني ، بقيت أنظر لها بصدمة وهي تبكي وتخفي وجهها

في صدري فرفعت يداي ولم أعرف كيف أتصرف وما هذا

الذي يحدث، قربت يداي منها وأمسكت ذراعيها وقلت بهدوء

"توقفي عن البكاء يا سما وأخبريني ما بك"

ابتعدت عن حضني وقالت ونظرها في الأرض

"لا شيء كنت متضايقاً حقاً ، أنا آسفة"

ثم خرجت مسرعة ونظري يتبعها ، مررت كفي على صدر

قميصي حيث كان مبللاً بدموعها ثم نظرت له بحيرة ، خرجت

بعدها من المطبخ وعدت جهة غرفة والدتي وما أن دخلت حتى

قالت من فورها " هل علمت شيئاً"

قلت بحيرة " قالت متضايقاً ووجدتها تبكي"

تنهدت وقالت " طبيعي أن تضيق نفسها فهي في النهاية بشر

وفتاة وصغيرة ومرت بمحنة قوية ، قد يكون بقائها وحدها

اليوم في المنزل ذكرتها بحياتها في ذاك القبو"

هزرت رأسي بنعم دون كلام ، معها حق قد يكون ذلك السبب

نظرت لها فكانت تنظر لقميصي فأخفصت نظري وكما توقعت

هي فهمت ما حدث هناك ، هممت بالخروج حين استوقفني

صوتها قائلة " نزار تعال"

التفت لها بوجهي فقط فقالت " ادخل أود التحدث معك في أمر"

تنفست بقوة فلن أسلم منها أبدا والله وحده يعلم ما فهمت مما

حدث ومؤكدا تضمن أنني أنا من فعل ذلك، قلت محاولا الفرار

" عندي مشوار ضروري وسأعود"

قالت من فورها " ادخل يا نزار لن أؤخرك"

تنهدت بقلة حيلة ودخلت فقالت " أغلق الباب خلفك"

امتثلت لأمرها وجهزت نفسي لمحاضرة في الأدب وأنه ليس

علي أن أتجاوز حدودي وهي مراهاقة وقلبها ضعيف وأنا رجل

ووووو إلى نهاية ذلك ، جلست أمامها وقلت قبل أن تتكلم

"أعلم انك" ....

قاطعتني قائلة " أرى أن تتزوجها"

نظرت لها بصدمة مطولا ثم قلت " أمي ما الذي فهمته مما حدث"

قالت بهدوء " لم أفهم شيء وليس لذلك أنا أتحدث"

قلت " ولما إذا"

قالت بذات هدونها " الفتاة وحيدة وتشعر بالغربة والوحدة في كل

هذا العالم وتحتاجك في كل شيء وأنت أكثر منها تحتاجها ولا

أرى ما يعيبها فهي امرأة كاملة جسديا وخلقيا وعقليا أيضا"

فتحت عيناى على اتساعهما وقلت " أمي ما هذا الذي تقولينه سما

طفلة أمامي هل تعي أنني أكبر منها بعشرين عاما فلو أنني تزوجت

في بداية العشرين لكان ابني لا يصغرها سوى بعام أو عامان"

قالت ببرود " وما في ذلك"

قلت بضيق " أمي طفلة إنها طفلة أكثر مما تتصورى هي حتى لا" ....

بترت جملتي وتأففت ونظرت للجانب الآخر فقالت

"حتى ماذا ؟ قل ما العيب بها"

قلت بضيق أكبر " هي حتى لا تعلم ما الذي يحدث بين الرجل  
والمرأة كيف أتزوجها قولي كيف ، ثم وعائلتها وما سيضنونه بي  
حين نعيدها إليهم فسيفكرون أي كنت أستغل الوضع لأتزوج

بثروتها وليس هي"

قالت بحدة " حجج واهية ، ماذا لا تعرف ولا تعرف ما نفعك أنت  
رجل طولك بعرضك وأهلها إن لم يُقدِّروا مساعدتك لها فسما  
بغنى عنهم وأنت بفقرك تساويهم كلهم"

وقفت وقلت " أمي ارفعي هذا الموضوع من رأسك نهائيا لن أظلم  
الفتاة معي فقط لأنني أحتاج زوجة تخدمنا ، هي صغيرة ومن حقها  
أن تعيش عمرها ومراحلها وتختار زوجها بنفسها ، تخيليني بعد تسع  
أشهر أخذنا لها للمستشفى لتلد وهي لم تتجاوز الخامسة عشرة ، أي  
جنون وإجرام هذا ولن أعلم مراهقة حقوقها كزوجة هذا جنون حقيقي"  
ثم غادرت الغرفة والمنزل برمته وتوجهت لمكتب جابر

طلبت الإذن ودخلت كان يزمجر في أحدهم وهو المسكين لا شيء

على لسانه سوى حاضر سيدي ، جلست وخرج الآخر فقلت

"ارحم المسكين يعلمون أن لك صوتا كالتنين"

قال بضيق " نزار غادر الباب يتسع لعشرة منك"

قلت ببرود " لن أخرج وافعل ما يحلو لك"

نظر لي مطولا ثم قال " ما جاء بك ومايك تبدو مستاء"

تنهدت وقلت " لا شيء مهم أمي وهوسها بالزواج أخبرني ما الجديد"

قال بابتسامة جانبية " ولما لا ترحمها وتتزوج"

قلت متجاهلا الأمر " ما الجديد في أمرها"

قال من فوره " لا شيء مهم نراقب المنزل منذ وقت ومن

جميع جهاته ولا أحد دخله ، تبدووا كانت تتوهم الصوت

أو تسمع طرق لشيء آخر"

قلت بهدوء " هل تعتقد ذلك ! لكنها متأكدة من الأمر"

هز رأسه وقال " لا أحد دخله طوال هذه الفترة"

قلت بحيرة " قد يكون كان يعلم بوجودها في القبو

والآن يعلم أنها ليست فيه"

فتح ملفا أمامه وقال " لو كان يعلم لأمسكها"

قلت مباشرة " وحتى فكرة سما عن ذلك معقولة فقد يكون يبحث

عن مكان الباب بطرق الأرضية ليلاحظ تغير الصوت"

نظر لي باهتمام ثم قال " فكرت في هذا لكن لما لم يعد يزور المنزل"

تنهدت وقلت " لا تسألني فلا جواب لدي"

قال بضيق " لو فقط تتعاون معنا وتدعنا ندخل القبو على الأقل

لم أطوع أحد كما طوعت مدلتك هذه"

قلت بابتسامة جانبية " مدلتي أو غيره لن يكون ذلك إلا بموافقتها

يكفي المشهد المخزي الذي رأته لرجالك"

قال ببرود " حلفتك بالله لما لا تتزوجها وترحم والدتك وترحمني"

قلت بضيق " أنا من أحلفك بالله أن تسكت يكفيني والدتي"

ضحك وقال " وضعتها في دماغها إذا ، نصيحة مني تزوجها

لأنها لن تتركك في حال سبيلك"

قلت ببرود " أي تخاريف هذه إنها طفلة يا رجل لما لا تفهمون"

قال بهدوء " لا طفلة في عالم النساء إنهن أفاعي "

ابتسمت بسخرية وقلت " تصور أن زوج عفراء تلك حاول

اغتصابها وهي لا تعرف ماذا كان يريد منها "

ضحك بصوت مرتفع فقلت " نعم أضحك هذه التي تريدان أن

أتزوجها ، لما أظلم الفتاة معي وبعد سنين تندم على هذا لأنها

أضاعت مراهقتها مع معدوم مثلي تزوجها لتخدمه ووالدته "

قال مبتسما " وأبشرك أهلها يبحثون عنها وهم على اتصال معي

منذ وقت ولها إرث كبير أسهم وأموال من جدها يعني زواجه مربحة "

قلت ببرود " لو رأيت الأموال في القبو لما استغربت شيئا ، لا وقالت

لا تريدهم وكرهتهم ، تملك كل تلك الثروة وتخدمني أنا ووالدتي

طوال النهار وكأننا نحن الأثرياء "

قال بحيرة " غريب حقا تفكيرها "

قلت بهدوء " ومن أين علموا أهلها بها "

قال " هم على علم بكل مجريات القضية لأننا حققنا معهم وقتها

جدها كان يبحث عن عائلتهم والآن أبناء عمها يبحثون عنها لكني

نهيتهم عن ذلك من أجل سلامتها ولم أسلمهم ولا حتى صورتها"

قلت " والخطوة القادمة ما ستكون"

وقف وقال " عندي مجموعة أسئلة أود منك أن تطرحها

عليها ، نريد أن نجد عفراء تلك وزوجها"

قلت بحيرة " وكيف ستجدها" !!

\*

\*

طرقت الباب عدة طرقات ففتحته فقلت بابتسامة " مرحبا"

نظرت لي باستغراب بادئ الأمر ثم قالت

"مرحبا دعاء ... تفضلي"

قلت وأنا ادخل " لما استغربتِ قدومي هل نسيتي أننا كنا

صديقتان لسنوات يا رهام"

قالت وهي تدخل قبلي متوجهة لغرفة الضيوف

"لا لم أنسى ولكنك لم تزوريني بعد عودتي"

جلست وقلت " لم أجد وقتا لذلك ثم أنتي لستِ وحدك هنا وأخاف

أن يفتح لي شقيقك وتعرفني أنني لا أريد رؤيته"

ضحكت وقالت " أمازالتِ تكرهين مضايقته لك ، تلك سنين طيش

ومرت هوا كبير وعاقل الآن إنها أكثر من عشر سنوات يا دعاء"

قلت ببرود " اتركينا من ذلك ما هي أخبارك"

قالت بعد تنهيدة " مشاكل مع طليقي لها أول وليس لها آخر"

قلت باستغراب " حسب ما قلتي لي أن طلاقكم مر عليه سنين"

قالت بضيق " نعم ولكنه يطالب بالمال الذي دفعه ، تصوري يريد

أن أدفع له ثمن حتى السنين التي عشتها معه وما أنفقه علي"

قلت بسخرية " للزواج بالأثرياء ثمن دائما"

قالت ببرود " معي أنا فقط ، غيري ما أكثرهم تزوجوا بأثرياء

وحياتهم معهم لا يضاهاها شيء"

ثم وقفت وقالت " ماذا تشربين أنا أرى أن نشرب عصيرا باردا"

قلت من فوري " لا أريد شيئا أجلسي جئت لأراك قليلا وسأذهب"

جلست وقالت " ماذا فعلت في موضوع نزار ، إن كنت لن

تسأليه سأصرف وحدي"

قلت باستغراب " تتصرفين في ماذا" !!

قلت بابتسامة " أساله بطريقتي طبعاً فأنا أكثر من يفهم نزار

كنا مخطوبان لخمس سنوات وأعرف حتى كيف يفكر"

قلت بسخرية " ولما أنتي متأكدة أن السنين لم تغيره كشقيقك"

ضحكت وقالت " لاااا فرق كبير بين شقيقي ونزار"

قلت بابتسامة جانبية " هناك من سبقتك وأكلت

الكعكة فابحثي عن غيره"

قلت بصدمة " ما قصدك بذلك"

قلت دون مقدمات " فتاة تقرب له تعيش معهم حالياً لو رأيتها لماتت

كل مخططاتك ، تسقط الطائر من قلب السماء فكيف برجل"

قلت بصدمة " ما هذا التهويل ، حورية هي لتكون هكذا"

قلت بسخرية " عينان زرقاء واسعة وشعر حريري وتعيش معهم

بلا حجاب أيضا ، ملامح طفولية جميلة وهدوء ورتابة وجسد

صغير متناسق وعمرها خمسة عشر عاماً فقط أي أنها

ورقة بيضاء لم يكتب فيها أحد قبله"

بقيت تنظر لي بصدمة دون كلام فقلت لأزيد العيار

"ولا يحتمل فيها حتى الكلمة الجارحة وتخدمه وأمه حاليا"

قالت بعدما خرجت من الصدمة

"مستحيل نزار لا تستهويه الصغيرات أعرفه جيدا"

قلت بسخرية " أنا أيضا اعتقدت ذلك لكن والدته تلمح للأمر

كثيرا ولم تقل ذلك إلا وهي تعلم ابنها وما يريد"

قالت بغیض من بين أسنانها " من أين خرجت لي هذه"

قلت بابتسامة انتصار " الحرب معها ستكون خاسرة"

قالت " والحل"

قلت من فوري " ارفعيه من دماغك أو أزيحها من طريقك"

قالت بثقة " نزار لم يتزوج إلا لأنه لم ينساني"

قلت " هذا يقوله لك عقلك ولم تتأكدي منه بعد"

بقيت واجمة تنظر للفراغ بشرود فوقفت وقلت

" عليا المغادرة الآن والزيارة القادمة عليك "

وقفت وقالت " لازل الوقت مبكر "

قلت مغادرة الغرفة " ورائي مشوار مهم سأذهب إليه أراك لاحقا "

ثم ودعتها وخرجت من عندها ، واهمة يا رهام إن ضننت أني سأتركه

لك أو لغيرك ، لم اخدمه ووالدته كل هذه السنين لتأخذه واحدة منكما

رهام الآن أمام خيارين إما أن تبعد عنه أو تزيح سما من طريقه

وفي الحاليتين ستخدمني ، عليا الآن أن أتأكد إن تجرأت تلك

الطفلة على قول شيء أم لا

\*

\*

سجنت نفسي في غرفتي لوقت لا أعلم حزينة أم حائرة أم

خجلة من نزار ، لا أعلم ما دفعني لأن ارتميت في حضنه

أحسست حينها أني أحتاج الأمان أحتاج شخصا ألجأ إليه لأنني بالفعل

وحيدة وحائرة ، توجهت للخزانة أخرجت صورة عائلتي وجلست

على الأرض ، مررت أصابعي على ملامحهم المبتسمة وقلت بحزن

"لما رحلتم وتركتموني لما لم تأخذوني معكم ؟ أمي ما أفعل وما بي

وما هذا الذي أشعر به ، أبي أنت أخبرتني دائما أن الرجال لا تقترب

منهم الفتاة لكني اقتربت منه ، لما أشعر أنني أحتاج أن أقرب

منه ؟ لما أخاف أن يبتعد لما أشعر الأمان معه وحده لما هذا" !

حضنت الصورة وبكيت كثيرا ثم مسحت دموعي وقبلتهم واحدا

واحدا وأعدت صورتهم للخزانة ورتبت أغراضي التي سأحتاجها

غدا للمدرسة ثم غادرت الغرفة ونزلت لغرفة خالتي

ووقفت عند الباب فابتسمت لي وقالت

"تعالى بنيتى أين غبت كل هذا الوقت"

دخلت واقتربت منها قائلة

"رتبت أغراضي وجهزت أغراض المدرسة"

مسحت بيدها على السرير وقالت " تعالى اجلسى بجانبى"

اقتربت وجلست حيث قالت فمسحت بيدها على شعري وقالت

"مأبك يا سما نزار قال أنك متضايقة وتبكي"

اتكأت على كتفها وقلت " حائرة خالتي وأشعر بالوحدة والضياع"

قالت بحنان " حائرة في ماذا يا سما صارحيني بنيتي "

قلت بحزن " لا اعلم اقسم اني لا أعلم "

قالت من فورها " هل ضايقتك أحدهم بشيء هل قال

لك نزار شيئا أزعجك "

هزرت رأسي بلا دون كلام فتهدت وقالت

"تحدثني عن أي شيء تشعرين به وستشعرين بالراحة"

لم أعرف ما أقول لأنني عن نفسي لا أعلم ما بي ولما

انزعجت كثيرا من كلام دعاء ، خبأت وجهي في حضنها وقلت

"ما معنى أن يستحوذ الشخص على القلب ما تعني هذه"

قالت بهدوء " تعني أن يصبح يفكر به طوال الوقت ، لا يستطيع البقاء

دونه ولا يريد أن يبتعد عنه ، هكذا يكون استحوذ على قلبه"

ابتعدت عن حضنها ونظرت لعينيها وقلت " يعني أنه إن قلت لك

لا تفكري أن تستحوذي على قلب شخص أي لا تجعله

ملكاً لك لا يعيش بدونك "

هزت رأسها بنعم ثم قالت " من قال لك هذا ولما تسألني عنه"

نظرت ليداي في حجري وقلت بهمس " لا أحد ، سمعتها سابقا"

مسحت على شعري مجددا وقالت " لن أجبرك على قول مالا

تريدين يا سما وحين ترغبين في الحديث تعالي لي مباشرة حسنا"

هزرت رأسي بحسنا دون كلام وغادرت السرير والغرفة وتوجهت

للمطبخ وبالي مشغول بكل ما قالته ، هذا يعني أنها تحذرنني من

أن أحاول جعله ملكا لي ولا يعيش بدوني ، هل حقا يمكن أن

يحدث ذلك ! ولكن كيف ولما ؟ أنا حقا لا أفهم شيئا ، ترى

هل استحوذ نزار على قلبي لذلك اشعر أنني لا أريد الابتعاد

عنه، هزرت رأسي بقوة وقلت " لا يا سما ما هذا الذي تقولينه"

شغلت نفسي بتحضير العشاء محاولة التفكير في شيء آخر ثم

غسلت الملابس وانفتحت باب المنزل ودخل نزار وكان يتحدث

مع أحدهم على ما يبدو فخرجت من المطبخ وصعدت للأعلى

من فوري ودخلت غرفتي وأغلقت الباب ، بعد وقت طرقت عليا

باب الغرفة فلم أعرف ما افعل وما سأقول حين سيسألني، بعدما

زاد إلحاحه في طرق الباب فتحت له فقال بابتسامه

"يبدوا أننا لن نتناول العشاء الليلة"

أخفضت نظري وابتسمت بحياء وقلت

"أسفة ضننت أن ضيفا معك حين دخلت"

قال من فوره " تلك دعاء قابلتها عند الباب"

نظرت له مباشرة وبصمت فقال " سألت عنك

وأرادت أن تسلم عليك"

قلت " أما زالت هنا"

قال مغادرا " لا غادرت منذ قليل ، والدتي منشغلة

عليك انزلي لها يا سما"

بقيت أراقبه حتى اختفى نازلا من السلالم ثم تنهدت بحيرة وأغلقت

باب غرفتي ونزلت وتوجهت من فوري للمطبخ وسخنت العشاء ثم

أدخلنا الطاولة وتناولنا عشاءنا وأنا أتجنب النظر له طوال الوقت

رغم أنه تصرف وكأن شيء لم يحدث، بعدما انتهينا من

عشاءنا صعد نزار لغرفته وقال أن لديه تحضيرا لدروس الغد

وبقيت أنا وخالتي ، أخرجت لي الكتاب وقالت

"ما رأيك لو قرانا قليلا من روايتنا المنسية"

ابتسمت وقلت " نعم أنا متشوقة لمعرفة المزيد"

أخذتها منها وجلست أمامها وفتحت الصفحات حيث وقفنا وقرأت

((قضيت ذاك اليوم في غرفتي ولم اخرج منها وأحضرت لي

الخدمة الطعام عندي وعند أول المساء سمعت طرقا على الباب

فقلت " تفضل"

انفتح الباب فكان عمي رياض وقف عند الباب وقال " مساء الخير"

وقفت وقلت باحترام " مساء الخير عمي كنت أرسلت

لي الخدمة لما تأتي بنفسك"

ابتسم وقال " كنت صاعدا لغرفتي على أي حال ، تعالي

معي يا رُدين لديك مواجهة جديدة"

ابتسمت ابتسامة صغيرة وقلت

"أخاف هذه المرة أن أخرج ميتة"

ضحك وقال " لا تخافي وأنا معك هذه المرة لن تكون كالسابقة

هيا ولا تلبسي حجابك من أجل باقي الخطة فكيف لزوجتي

والدهم أن تبقى أمامهم بالحجاب"

ابتسمت له وخرجت وخرجت خلفه ، تبعته خارجه من غرفتي

ونزلنا السلالم وتوجهنا لغرفة الجلوس ، دخلت خلفه وكانوا

أبناءه ثلاثتهم وزوجته هناك ، دخل وجلس وقال

" ادخلي واجلسي يا رُدين"

ألقيت التحية وجلست في مكان متطرف ، كان أشرف يهمس

لفراس مبتسما وهمسه واضح لي جدا وهو يقول له

"كان زوجني أنا بها يالا ذوق هذا العجوز من أين وجدها"

وفراس طبعا كالكرسي الجالس عليه وكأنه لا يكلمه ، قال حينها والدهم

"طبعا صباح اليوم كل واحد منكم أخرج مواهبه ولم يستمع لي أحد

وقل احترامامي أكبركم وشتمني أصغركم ولا أريد لهذه المهزلة أن

تتكرر ، أنا لم أجن لأتزوج بفتاة أصغر من أصغر أبنائي من أجل

المتعة رُدين ابنة شقيقي قبل أن يكون صديقي أوصاني بها وقد عانت ما

عانتة قبل أن تأتي إلى هنا ، أنا عقدت عليها لتحل لكل من في هذا المنزل

وتعيش بحريتها وما حدث سيكون سرا يحمله ستتنا يأتيها فقط ويوم

الزوج المناسب سأسلمها له ، والناس لن تعلم سوى أنها ابنة صديقي"

لأن الجميع بالصمت ولم يعلقوا فتابع " أريد منكم احترامها وكأنها

شقيقتكم ، من ظلمها ظلمني ومن آذاها وكأنه آذاني فخافوا الله في

هذه اليتيمة فهي أمانة لدي حتى أسلمها لزوجها"

قال وائل " أريد فقط أن أسالك لما لم تزوجها أبناءك ولو

رغما عن أنف أحدهم بدلا من هذا المشوار الطويل"

قال بسخرية " من منكم يرضى أن أزوجه بنفسه"

قال أشرف " كنت عرضتها علينا أولا ثم حكمت"

قال " أنا لا أبيع بضاعة في السوق لأعرضها ، لو كنت

أعرف أن فيكم من أومنه عليها لفعلت"

قال وائل بضيق " ما معنى هذا الكلام ، ألهذا الحد نحن صغارا في عينك

"

قال بسخرية " لم أعلم أن لكم فيها رغبة لتركتمها لكم ضننت

أني لا أصلح لاختيار شيء"

قال أشرف " لم أعرفك متسرعا من قبل ولا اعلم من زرع

هذه الفكرة الفاشلة في رأسك"

قال بحدة " فاشل أنت يا صعلوك ، من رباك وجعلك طولاً في

عرض غير صاحب الأفكار الفاشلة أو معك حق فترببتي فاشلة حقاً"

وقف حينها الساكت طوال الجلسة وقال " ما حدث حدث الآن ولا

فائدة من الجدل فيه وما تراه سليماً افعله يا أبي"

وغادر الغرفة ولم يزد حرفاً واحداً وخرج عمي رياضاً وتبعته

عمتي سعاد من فورها وبقيت والاثنان الآخرون ، ابتسم أشرف

وقال " هل أنتي راضية حقاً بهذا"

قلت من فوري " نعم"

ضحك وائل دون تعليق وقال أشرف بصوت مرتفع ناظراً جهة

الباب " تعال يا فراس اللعبة أجمل مما تصورنا"

وما هي إلا لحظات ووقف عند الباب ونظر لي باستغراب

وكأنه لم يتوقع أن أكون هنا أو ضن أنني غادرت

قال اشرف " الفتاة ليست مجبرة كما توقعنا"

قال وائل " قد تكونين تريدين الزواج من والدي وليس" ....

قاطعته ببرود " وهل تضنني أريدك أنت"

نظر لي بصدمة وضحك أشرف وقال

"لكمة قوية منك يا زوجة والدي العزيزة"

نظرت له وقلت بسخرية " وأنت لما لا تحترم والدك ، ولا

تتحدث معه بتلك الطريقة يا عاق"

نظر لي بغيض وضحك وائل هذه المرة ، اعلم أنهم أرادوا الاستفراء

بي في غياب والدهم ولكنهم لم يعرفوني بعد فأنا لست فريسة سهلة

ينالون منها ، قال فراس ببرود " غادرا كليكما واتركانا وحدنا)) "

قلبت الصفحة فقالت خالتي " سما لا تنسي نفسك بين

الصفحات ورائك مدرسة في الغد"

ضحكت وقلت " أريد أن اعرف ما قال لها فقط"

هزت رأسها بلا وقالت

" هكذا ستفقد الرواية روعتها ، هيا أغلقها وناوليني إياها"

قلت بتذمر " آه خالتي فقط هذه المرة"

مدت يدها لي مبتسمة فتهدت بيأس وأغلقتها ووقفت وأعطيتها

لها ثم قبلت خدها وقلت " تصبحين على خير"

قالت مبتسمة " وأنتي بخير صغيرتي"

ثم أطفأت النور وصعدت لغرفتي

\*\*\*\*\* \*\*

\*\*\*\*\*

بقيت جالسة مكاني كالقطة عيناها فقط تلمع في الظلام بعدما

ألقى عليا تلك القذيفة وغادر الغرفة ، أي جناحنا هذا الذي يتحدث

عنه ، نظرت جهة الصغيرتان فكانتا في سريريهما فقلت

"ترف الم تعودي تخافي النوم وحدك"

قالت من فورها " أتركي الباب مفتوحا فقط ماما لا أنام في الظلام"

وقفت بقلة حيلة هذا كلام سوسن يبدووا لا مفر منه ، خرجت من

الغرفة حائرة أين سأجد جناحنا هذا الذي قال عنه فموكد وصله  
منذ وقت ، نظرت يمينا ثم يسارا فوجدته يقف في نهاية الممر  
مستندا على الجدار بكف يده وينظر لي ويبدووا ينتظرني ، أخفضت  
نظري أعض شفتي بقوة من توتري ، يا إلهي أنا لم أجهز نفسي  
لهذا أبدا ، أشعر بقلبي سيقع ومعدتي تؤلمني بشدة ، سرت  
بخطوات بطيئة ناحيته وهوا واقف مكنه وأنا رأسي في الأرض  
وصلت عنده فتحرك وسار أمامي وأنا أتبعه وأشعر أنني أذهب  
لمشقتي ، كيف سأنام مع هذا المخيف موكد سأخرج من تحت يديه  
صباحا جثة ، تنفست بقوة مهدئة لنفسي ، قد تكون مجرد ظنون  
يا أرجوان وهوا فقط لا يريد أن يشك سكان القصر بنا ، آه يالا  
الغباء الذي أصابني فجئه وهل كان سيكثر لهم إن عزلني عنه  
وقف عند باب معين فتحه ودخل وأنا أتبعه ، كان جناحا فخما  
وواسعا وعلى ذات طراز باقي القصر ، توجه لأحد الأبواب فيه  
فتحه ودخل ، وقفت أتنفس بقوة وكأني بحر هائج ، لا أعلم كيف

تتزوج النساء بدم بارد ويفرحون بذلك أيضا

## "أرجوان"

كان هذا الصوت الذي أرجف جسدي بأكمله ، ماذا يريد مني هذا

يا رب لو فقط أجد نفسي في الصباح هكذا فجئه ، اقتربت من

الغرفة ببطء ودخلت ، كانت واسعة بسرير واسع أيضا تحيط به

أعمدة وستائر بأقمشة ثقيلة وأخرى شفافة وكأننا في عالم من الخيال

أنزلت نظري وصعقت حتى كاد يغمي علي مما رأيت هناك علي

السرير ... قم قميص نوم أسود مفرد فوق الجهة اليمنى من السرير

نصفه فوقه ونصفه الآخر نازل منه لا وقصير أيضا ، بقيت عيناى

معلقتان به بصدمة حتى أنني لم انتبه للذي اقترب مني ووقف أمامي

تسللت يده لخلف رأسي ولم أشعر سوى بمشبك الشعر يخرج منه

وصوته يتحطم على الجدار القريب منا لينساب شعري مغطيا

لظهري بأكمله وكلماته تدخل أذني مباشرة

"لا أريد أن أرى هذا ، لا تمسكي شعرك أبدا وأنا موجود"

ثم عبر من أمامي قائلا " غيري ملابسك سأخرج قليلا وأعود"

كنت لازلت تحت تأثير الصدمة الأولى التي لم أخرج منها بعد

رفعت أصبعي وأشرت للسريير وقلت " هل جننت أتريدني أن ألبس هذا"

وقف فجأة وأشار بوجهه يسارا وقال " لا ... ما رأيك بتلك"

نظرت أين أشار فكانت بدلته الخاصة بعمله بشاراتها مكوية ومعلقة  
وددت أن قلت له ( نعم وأنت تلبس ذاك القميص ) لكنها ستكون

نهايتي إن تفوهت بهذا ، ابتعدت خطواته عني قائلا

"أعتقد أننا لسنا صغارا لنجلس نمهد لهذا فلا تتأخري ، قليلا وسأعود"

ياله من وقح هوا العجوز أنا لست مثله أنا في الرابعة والعشرين

أم يضمن لأني ربيت أبنائه ضاع عمري كله ، قال وقد توقفت خطواته

"رأيت عمرك في الأوراق في المحكمة لا داعي لتذكيري"

ما هذا الداهية هل يقرأ الأفكار أيضا أي مصيبة وضعتي فيها

نفسك يا أرجوان ، هذا ليس إلا الشبل ومازال أمامك الأسد فإن

كان هذا هكذا فكيف بمن ربته ، توجهت جهة السريير بخطوات

سريعة والتقطت القميص من عليه وكورته بين يداي والتفت

وأنا أرميه جهة الباب الذي خرج منه لأفاجئ به لازال واقفا

أمامه ، مد يده وأمسكه ثم بحركة خاطفة فتحه لا يمسك سوى  
حمالته الحريرية الرقيقة وقال " يبدوا أنك تريدي أن ألبسه لك"  
ثم تقدم خطوتين فركضت ناحيته استلته من يده وهربت به لغرفة  
الملابس وأغلقتها خلفي ليصلي صوتي مرتفعا

"لا تتأخري فالغرفة تُفتح من الجانبين"

أمسكت القميص بيدي و دسست وجهي فيه العنه بغض وهمس  
خشية أن يكون خلف الباب الآن ويسمعي ويجدها فرصة لتحطيم  
وجهي ، وبعدها أمطرته بوابل من الشتائم والدعوات أبعدت القميص  
وتقدمت بخطواتي في الغرفة الطويلة ، بدل معلقة وقمصان وبناطيل  
وملابس رياضة ... أجل من هذا له كل ذاك الجسد المخيف

نظرت للجانب الآخر فكانت ملابسي التي اشتريتها كلها معلقة هنا  
لأصعق وتفتح عيني على اتساعهما وأنا أرى قمصان النوم الكثيرة  
والبيجامات الحريرية والفساتين القطنية القصيرة معلقة جميعها  
أنا لم أشتري كل هذا من أحضره هنا !! مؤكدا هذا المعقد فعلها

لأنني لم أشتري من هذا أي قطعة



ولا فائدة ترجى منه وهذا أول برج بنيته وقع بأني لن أكون وهو

تحت سقف غرفة واحدة ، عند الصباح ومن نومي الغير مريح من

أوله شعرت بشيء جاثم على صدري وتنفسي يكاد يتوقف

فتحت عياني ووجدت ذراعه فوق صدري فرفعتها ورميتها بعيدا

عني وتساندت بمرفقي لأقوم فشعرت بشيء أمسك شعري بقوة

فقلت بتألم " أيببي "

وصلني صوته المختلط ببحة النوم " لا ترمي ذراعي مرة أخرى "

قلت بتألم " أترك شعري ما تضنني رافعة أثقال تتحمل صخرتك هذا "

شده بقوة أكبر ليقربني منه أكثر فقلت بألم " آه جابر توقف عن هذا "

قال بجدية " ماذا قلت "

قلت " لن أرميها مجددا أتركني "

أفلت شعري حينها فابتعدت عنه وغادرت السرير أتأفف ودخلت

الحمام وأغلقت خلفي بقوة أمسد رقبتي ، أشعر أن جسمي كله تحطم

وكأني كنت في حلبة ملاكمة ، ما هذا المتوحش ظننته سيقتلني

أين يخزن كل هذا من سنوات أففففف عظامي هذا يحتاج لصخرة مثله

أخذت حماما باردا وخرجت فلم يكن في الغرفة توجهت لغرفة الملابس  
ارتديت بيجامة حريرية طويلة بأكمام وخرجت ، جففت شعري وأمسكته  
مجموعا للخلف وخرجت من الغرفة لأجد الإفطار الفاخر المتنوع في  
ردهة الجناح وكأنه بوفيه في حفل ، يا الله على الرفاهية والراحة ، هذا  
ما يميز المكان هنا لا طهوا لا غسل أطباق لا تنظيف ولا غسل ملابس  
لو فقط يختفي من هنا هوا وعائلته وأبقى أنا وأبنائي والخدم والسائقين  
وحدنا ، ضحكت على الفكرة واقتربت من الطاولة وسحبت الكرسي  
وجلست أستمتع بهذا الإفطار المميز وحارت عيناى ويدي ما سياكلان  
أولا ، قربت يدي من قطع الخبز المشكل وكأنه جمع من كل دول العالم  
فشعرت بشيء انغرس في شعري وشده للخلف لأشعر به ينساب على  
ظهري وأكتافي وصوت المشبك الذي كان يمسه يتدحرج مبتعدا  
على الأرض وصوت هذا الجلمود وهوا يلف حول الطاولة قائلة  
"ما أقوله ليس من مصلحتك أن أعيده وقلت لا تمسكي شعرك  
وأنا موجود ، ثم أين الأدب يا سيدة حلمي تأكلين قبل أن آتي"

نظرت له ببرود وقلت " أنا أرجوان فارس الخياط ، حلمي أنت

وأبنائك ثم شعري كما ترى كثيف جدا وسيضايقني "

جلس وقال " مغفلين كم مرة قلت لا أريد الحليب من دون نكهة "

وكأني لا أتكلم ولا يسمعي يا رب صبرني على هذا المريض

بدأ بالأكل وأنا لم استطع تناول شيء من صراعي الطويل مع شعري

الذي يتساقط على أكتافي وذراعي كلما تحركت ، يبدوا أنني حسدت

نفسي على هذا الإفطار وها قد تنغص علي ، نظرت له فكان يأكل

بترتيب ونظام يجعلك تنظر له دون توقف ، عليا أن أبعده نظره

عن هنا بأي شكل ، أدخلت يدي في شعري وقطعت شعرة منه ثم

نظرت للجدار خلفه وقلت " تلك الأوسمة لك أنت أم زينة فقط "

نظر للخلف وبحركة سريعة فرميت الشعرة جهته قبل أن

يعيد وجهه للأمام قائلا " نعم "

قلت كي لا يشك بي " ولما أخذتها "

قال بابتسامة جانبية ونظره على الأطباق أمامه " بسبب المجرمين

الذين في السجون والناس التي لم تعد تموت "

لويت شفتاي مستاءة وقلت ببرود" لا تنسى أنك قلت

لا نريد لعب لعبة التذكير بأحاديثنا السابقة"

قال وهو يرفع شعرتي الطويلة ونظره عليها

"أنا حر أقول ما أريد واترك ما أريد"

ثم رماها بعيدا وقال " لا تمسكي شعرك وأنا موجود يا أرجوان"

وقفت مغتاظة وقد فقدت الرغبة حتى في الأكل فقال مغادرا

أيضا " اتصلني بالخادمت لتتنظيف الطاولة ، الهاتف هناك"

تنهدت بضيق وتوجهت للهاتف ضغطت على الزر الأول وطلبت

منهم المجيء وتوجه هوا لحاسوبه وفتحه جالسا على المجلس الأرضي

المخصص هنا متكأ بمرفقه على الوسادة ، بعد لحظة طرقت الخادمت

الباب ودخلتا فقال ونظره على الحاسوب " آخر مرة أجد الحليب بدون

نكهة إن كنتم تريدون الحياة ، فكم مرة قلت أنني أقرف من رائحته دون

نكهات وأخبروا سيلا تأتي لترتيب غرفة النوم بعد مغادرتي

ولا أحد غيرها يدخلها مفهوم"

قالا معا " مفهوم "

ثم غادرا من فورهما وأغلقا الباب وأنا أنظر لهما ببلاهة ، من سيلا

هذه ولما هي تحديدا !! سمعت حينها طرقات خفيفة على الباب

ومتقطعة أعلم جيدا لمن ستكون فقلت من فوري " تفضل "

فتحت ترف الباب ونظرت لي مبتسمة وقالت " ماما هل أدخل "

نزلت مادة يداي لها وقلت بابتسامة " نعم حبيبي تعالي "

دخلت وأغلقت الباب وركضت نحوي واحتضنتني قائلة

" صباح الخير ماما "

قبلتها وقلت " صباح الخير حبيبي "

ابتعدت عني ونظرت جهة والداها وقالت " بابا صباح الخير "

قال ونظره لازال ملتصقا بتلك الشاشة

" صباح الخير ، جيد لم تنسي الدروس كمعلمك "

نظرت له بغل ، ما يعني بهذا لما لا يذكر نفسه أولا انه لم يقلها لي

تجاهلته تماما والتفت بسرعة على صوت شهقة ترف القوية

وهي تقول " ماما ما هذا في عنقك "

وضعت يدي عليه بسرعة ونظرت جهة جابر فكان ينظر حيث  
كان ويكتم ابتسامته ، نعم فأنا من وُضعت في هذا الموقف وليس

هوا، نظرت جهتها وقلت " لا شيء حبيبتي "

قالت " أنظري في المرأة كيف يبدو ، ماذا حدث معك "

نظرت له فكان على حاله ولم يزد إلا ابتسامة يحاول كتمها  
كي لا يضحك فقلت ببرود " هذا شخص مسعور هجم عليا البارحة "

قالت باستغراب " ومن يكن مسعور !! ولما والدي

لم يقتله أليس لديه سلاح "

ضحك حينها ذاك المتحجر بصوت عالي فقلت بضيق

" لا يقدر عليه هوا أقوى من والدك "

نظر لنا حينها بضيق وقال " ترف لغرفتك بسرعة

ستأتيك والدتك هناك "

وقفت وقالت " حاضر بابا "

ثم قبلت خدي وخرجت وأغلقت الباب خلفها فوقفت واضعة يداي

وسط جسدي وقلت " يعجبك الوضع كثيرا وتضحك أيضا"

وقف تاركا حاسوبه مفتوحا واقترب مني يضغط قبضة يديه ببعض

قائلا " مسعور ها وأقوى مني ، سترين ما سيفعل بك"

قلت وأنا ابتعد عنه " جابر ابتعد عني أقسم أن عظامي كلها تؤلمني"

\*

\*

وضعت يداها وسط جسدها وقالت " لن أذهب يعني لن أذهب ولن

تعذب قدمي ذاك القصر ثانيا بعد أن قص لي شعري"

قلت بحنق " لابد وانك فعلت شيئا ، لن يفعلها هكذا"

ضربت بقدمها الأرض وقالت بحرقة " لما تسكتون له لماذا"

دخل حينها منصور من الباب وقال مبتسما " ما بها صغيرتي"

قالت ببكاء وهي تريها شعرها " أنظر ابن أخيك قص لي شعري

ذاك اليوم وأمي الآن تريد أن أذهب لقصرهم"

ضحك وقال " يبدووا يريد أن يغير لك قصة شعرك"

قالت مغادرة ببكائها " لما كلكم في صفه لما ؟ حتى أنك لم

تغضب لأنه رأني دون حجاب"

قلت بضيق " عجزت مع هذه الفتاة ولا حل لي معها ، لا أعلم

كيف تفكر يا منصور تزوجها به وهي تكرهه "

جلس على الأريكة وقال " لن أخلف وعدي لشقيقي المتوفى أبدا

وما كنت لأرفض زواجه بها حتى لو رفضت هي ذلك وما أخفيت

ذلك عنها إلا من أجل معتصم لأنه طلب أن لا نخبرها "

قلت ببرود " لو تعلم مدلتك بما فعلت ستكرهك "

قال بعد ضحكة عالية " تغارين منها يا أميرة "

قلت بصدمة " أنا أغار من ابنتي " !!

قال بخبث " إذا دعي مدلتني وشأنها "

غادرته مستاءة وأنا أقول بصوت مرتفع " اذهبي لزوجة عمك فورا

لأنها تريدك فلا تخرجيني معها وتخرجيها مع ضيوفها "

\*

\*

نزلت من السلالم وترف يدها في يدي وبيسان تركتها تكتب بعض

المسائل التي علمتها لها ، وصلنا للأسفل حيث كانت جدتهم وامرأتان

معها بثياب فاخرة ورائحة عطرهم تصيبك بالاختناق ، اقتربت منهم  
ووصلت عندهم ملقبة التحية فوقفا وسلما علي وجلسا وقبلت رأس

عمتي وقلت لترف " هيا حبيبتي سلمي على الضيوف"

طبعا كل شيء تحت نظرات جدتها التي تكاد تأكلني من الغيظ

اقتربت ترف منهما وسلمت علي كل واحدة منهما بأن قبلت خديها

كما كنت أعلمهم دائما وهما معجبتان بها وبما فعلت ثم أمسكت

يدها مجددا وغادرت بها جهة المطبخ ، دخلته فكان واسعا بشكل

مخيف وبه أربع خادومات ، أجلست ترف على الكرسي وقلت

"أريد جزرا وشكلاته سائلة من فضلكم"

امتثلن لأوامري فورا وقالت إحداهن " هل أقشره لك سيدتي"

قلت وأنا أجلس " يكون أفضل"

أحضروا لي ما طلبت وبدأت بتقطيعها حيث تكون طويلة

بفتحة أمرر خلالها قطعة طويلة منها كجناح طائرة وترف تغمس

رؤوسها بالشكلاته فدخلت جدتها ووقفت بالمقربة منا وقالت بتهكم

"لكل شيء حدوده هنا وقوانينه والأطفال لا يخرجون للزوار

فسين حياتي لم يروا لي طفلا لتأتي أنتي وتدمري كل شيء"

نظرت لها وقلت بسذاجة " حقا أنا آسفة لم يكن لدي علم أنك

تخجلين من أن يرى الناس أحفادك"

قالت من بين أسنانها " لم أخجل منهم حتى حين هرب

بهم والدك لأخجل الآن"

قلت بضيق " لا داعي ليستمع الأطفال للماضي كي لا نفتح كل الدفاتر"

قالت من بين أسنانها " لا تلعبى معى يا ابنة فارس لأنك الخاسرة"

تجاهلتها وعدت لما كنت أفعل ، أفضل ما فى الأمر أن جابر

أخرج نفسه من كل هذا لما كنت سأقدر على قول ما قلت لأنه

لا يعرف سوى العنف وشد الشعر ، غادرت هى المطبخ

وقالت ترف " مابها جدتي غاضبة وتضغط أسنانها"

قلت ببرود " هى ليست غاضبة معدتها تؤلمها فقط"

ضحكت تخفى فمها بيدها ونظرت أنا للخادماى وكن

يضحكن بصوت منخفض فقلت " من منكن سيلا"

قالت إحداهن " ولا واحدة"

قلت باستغراب " وأين تكون إذا" !!

قالت " في جناحك من أجل التنظيف"

قلت " ولما هي وحدها المكلفة بذلك"

قالت " هي أكبرنا سنا وأقدمنا والسيد لا يسمح

لغيرها بلمس أغراضه"

آه هكذا إذا ضننت أنه يخفي شيئا لا يعلمه غيرها ، قلت

"متى مواعيد الطعام هنا"

قالت إحداهن " الغداء عند الرابعة أو يزيد لأنه وقت عودة السيد

جابر والعشاء عند الثامنة لأنه بعدها لا يمكنه المجيء مبكرا"

نعم فكل شيء على مزاجه ، ومن الغريب أنه لم تتحكم والدته

بمواعيد طعامه ، تبدووا ديك ينفخ ريشه فقط ولا أحد يأبه لها ولا

تسيطر إلا على الأطفال ، وقفت وأخرجت لترف يديها من

صحن الشكلاتة وقلت " يكفيك لعب كم مرة أقول

لك لا تلعبى بالطعام يا ترف"

أخذتها للمغسلة وغسلت لها يديها ثم حملتها بين ذراعي وقلت

خارجة من المطبخ " طبق الجزر هذا أريده ضمن الغداء"

ثم خرجت من المطبخ ماره بعمتي وضيفتاها وترف تقبل خدي

قبلات متتالية وتضحك فسمعت إحداها تقول

"ابنك فعل الصواب بأن تزوجها يبدوا الأطفال يحبونها كثيرا"

قالت بصوت مرتفع لأسمعها لأنني صعدت السلالم

"لولا الأطفال ما تزوج بها من أساسه"

وصلت بها للأعلى متجاهلة كل ما سمعت فعلاجها عندي

وسترى ، توجهت عائدة لغرفتيهما ودخلت أنزلت ترف على

الأرض وقلت " ماذا حدث معك يا بيسان"

مدت كراستها وقالت " حلتها كلها ماما"

جلست عندها وقلت " رائع دعيني أرى"

كنت منشغلة معها وتشرح لي ما فعلت حين دخل علينا ذاك

الصوت " أوجد أنزل لعمي منصور يريد أخذك مع عمر بسرعة"

كان ذاك صوت جابر قادم من خلفي ، ما جاء به هذا أليس لديه أعمال

كثيرة ولا يرجع قبل الغداء ، نزل أمجد من الكرسي وخرج من الغرفة

مسرعا وقالت ترف " لما امجد فقط"

جاء صوته قائلا " أمور لا تخص الفتيات ، أنتي وبيسان ستذهبان

لمدينة الألعاب وحدكما"

قفزت بمرح وأنا طبعا منشغلة مع بيسان لم أكلمه ولم التفت إليه

شعرت بأصابعه تتخلل في شعري لأنني ربطته في بعضه فقد كسر

المشبكين الوحيدين اللذان أحضرتهما معي ، كان يحرك أصابعه

داخل شعري حتى انفكت عقده وهو يتحدث مع ترف مجيبا عن

أسالتها التي لا تنتهي ... متى سنذهب ؟ من سيأخذنا ؟ وماما تذهب

معنا ، انفك شعري ونزل مغطيا كراسي بيسان ويده لازالت داخله

فرفعت الجانب الذي نزل عليها وأدخلت أصابعي من أسفل شعري

جهة العنق حتى وصلت لأصابعه لأبعدها فأمسك بأصابعي وضغط

عليهم مع شعري بقوة وأنا أمسك نفسي بصعوبة عن الصراخ متألما

حتى وصلت أقصى درجات التحمل وكنت سأصرخ لولا أن

دخلت الخادمة قائلة " هاهي الأقراص التي طلبتها سيدي "

ترك حينها أصابعي وشعري وابتعدت خطواته قائلاً

"ترف لا تصعدي على ظهر والدتك أو غضبت منك"

ثم خرج وأغلق الباب خلفه وأنا أحرك أصابعي المحمرة من

الألم ، نعم يفكر كثيرا بظهري وأصابعي كادت تتحطم بين

يده ، هل يضنني أحد مجرميه أم ماذا لأتحمل قبضته القوية

قالت بيسان " ماما ما بها أصابعك حمراء "

قلت وأنا أحركها في الهواء بألم

" هذا ثمن حبي لكم حبيبتي ولم أرى شيئاً بعد "

\*

\*

دخلت حديقة القصر أتذمر بصوت مسموع لأن والدتي

أصرت على أن أذهب لزوجتي عمي وقالت أنها ستأخذ مني هاتفني

إن لم أذهب إليها ولأنني أعلم أنها ستفعلها كالمرات السابقة لم

يكن أمامي سوى الذهاب ، اقتربت من الباب فشعرت بيد تمسكني

من خصري وأخرى تطبق على فمي وتبتعد بي على نظر الحراس  
حاولت التخلص منه لكنه يرفعني بسهولة ويسير بي حتى وصلنا  
لنهاية الجانب الآخر من مبنى القصر ودخل بي لغرفة تبداوا سرية  
فبابها وكأنه جدار للقصر فبدأت بركله وأحسست أن نهايتي اقتربت  
دموعي كانت تنزل بقوة ، أغلق الباب ثم تركني فركضت مبتعدة

أتخبط في الظلام وقلت ببكاء " ابتعد عني من أنت "

كنت أسمع خطواته فقط ففكرت في أن جابر ليس هنا ، معتصم

نعم سيارته كانت في حديقة القصر ، ملأت رنتاي بالهواء

ثم صرخت بأعلى صوتي " معتصم تعالى أرجووك "

انفتحت الإنارة حينها لأجد معتصم أمامي ، كنت أنظر له

بصدمة ونفسي يعلو ويهبط من شدة رعبى فقال مبتسما

وفاتحا ذراعيه " شبيك لبيك معتصم بين يديك "

انهرت على الأرض وعظامي كلها ترتجف وبدأت بالبكاء

مستندة بيدي على الأرض ورأسي للأسفل أبكي بحرقة

وعبرات فاقترب مني وجلس أمامي وقال

"بتول يا غبية مابك"

عدلت جلستي وصرخت به " ما بي !! لا شيء غير الرعب يفتت

عظامي لا شيء يا ابن عمي لا شيء يا من تحميني وليس ترعبنى "

كنت أشهق بقوة وعبرات فاقترب مني ومسح بيده على وجهي

وضمني لحضنه فاستسلمت له من فوري من الرعب الذي لازال

يُرجف كل مفصل من مفاصلي ، ضمنني له وهو يقول

"لم أقصد إرعاك كنت أود فقط جلبك هنا دون شوشرة لأنه

مكان سري ولا يعلم به أحد وأنتي لن تسكتي حتى نصل"

قلت بشهقات متتالية " أخفتني يا معتصم بل كدت تقتلني من الخوف"

ضمنني له أكثر وقال " آسف لم اقصد أقسم لك"

ابتعدت عنه وقلت " أنت هكذا تكرهني دائما وتريد أن تنتقم مني"

قال بضيق " بتول يا حمقاء متى ستتوقفين عن الجنون"

قلت ببكاء " أخرجني من هنا ماذا تريد مني"

توجه جهة شيء في آخر الغرفة وأنا من خوفي وبكائي طبعاً

لا أرى شيئا واضحا ، نزع قطه قماش بقوة لتظهر تحتها لوحة

مثبتة على أعمدة في الأرض وقال " أريد أن أكمل هذه"

مسحت حينها عيني ونظرت حولي بتركيز ثم قلت

" هل تسرق اللوحات يا معتصم"

ضحك وقال " وهل تريني لصا"

شهقت شهقة صغيرة من تأثير البكاء ثم قلت

"إذا تزور اللوحات المشهورة"

اقترب مني وقال ضاحكا " حتى في غمرة خوفك وبكائك

لا تتوقفين عن إهانتني وإلصاق التهم بي"

وصل عندي وامسك ذراعي وقال وهو يوقفني عن

الأرض " هيا قفي لتنظري للوحتك"

سرت معه وهو يسحبني من ذراعي وأراني لوحة تشبهني

ولكنها بدون شعر، نظرت له بصدمة وقلت " هل هذه أنا!!"

ترك ذراعي وأمسك الريشة وقال " نعم ولم تكتمل بعد كما تري"

قلت باستغراب " ولما ترسمني وأنت لا تحبني! "

تأفف وقال " عدنا لذات الاسطوانة يا بتول"

قلت بضيق " هذا واقع وليس اسطوانة فأشرح سبب رسمك لي"

قال ببرود " رسمت الجميع وأنتي واحدة منهم لكن شعرك لم

أرسمه هل ارتحتِ الآن عندما سمعتي جوابا لم أرغب بقوله

وظننتك ستفهمين لوحدك"

بقيت أنظر له باستغراب فقال وهو ينزع لي حجابي

"دعيني أكملها الآن"

أمسكته بقوة على رأسي وقلت

"معتصم ما هذا الذي تفعله سأخبر والدي وسترى"

ضحك وقال " لا بأس أخبريه ولن يقول شيئا"

قلت بضيق " نعم واثق من نفسك لأنه سبق وفعلتها ولم يتكلم عن ذلك"

نزعه من رأسي قائلا " إذا اهدئي ودعيني أنجز عملي"

قلت بحدة " ومن قال أنني أوافق أن ترسمني"

أجلسني على الكرسي مرغمة وقال " أجلسي ولا تتعبيني يا بتول"

فتحت فمي لأتحدث فصرخ بي قائلاً " أصمتي قلت لك "

فأغلقتة وامتلات عيناى بالدموع فتأفف بضيق ثم فتح لى شعري

وفرده على ظهري وأكتافى وعدل لى غرتى وزاوية وجهى ثم

عاد جهة اللوحة وقال " لا تتحركى ابقى هكذا "

رفعت يدي ومسحت دمعتي فقال بضيق " بتول قلت لا تتحركى "

قلت بتذمر " كيف لا أتحرك هل ممنوع أن أمسح دموعى "

قال بضيق " نعم ممنوع "

بقيت جامدة مكاني لننهي هذه المهزلة والخوف لا زال مسيطرا

على فلم أخرج من رعب الموقف بعد ودموعى تأبى التوقف

فقلت " لا ترسم دموعى تفهم "

نظر لى وابتسم وقال " حاضر يا متعبتى "

نهاية الفصل

المخرج خاطرة للغالية على قلبى طعون

أنا الوسن.. من كانت نبتة فى بداية

حياتها.. وجاءها الساقى ليروي عطش

عروقها.. أسرف في اسقاءها حتى ثملت

منه حباً.. و سكرت منه صباباً..

أغرقها من فائض حنانه.. وحين تفتحت

وتوردت جذبت أعين الناس إليها..

الناظر إليها يرغب بشدة أن يمرر

خشونة أنامله على نعومة أوراقها..

ولكنها كانت تميل للساقى يوماً بعد

يوم.. حتى أصبح هو إيمانها الجديد..

روحها عطشى للمزيد.. ولكن رياح

الصيف طمعت بها.. و تأملت أن تقطفها..

فقد فتنها بلونها الزاهي.. وروحها المتوردة..

لكن الوقت لم يسعفها.. لتتركها تترنح

على حافة السقوط.. و يخذلها الساقى..

بظنٍ منه أنها لم تخلص له.. وتخلّى

عنها.. لينتقل لوردةٍ أخرى جريحة..

يرغب في مداواتها..

حتى أصابها الجفاف.. وأصبحت تذبل يوماً بعد يوم..

على أمل أن يلتفت لها..

ولكن جفّت عروقها.. وذبل توردها..

وباتت كسيرة.. ولم يعد الساقى!..

سلمت أناملك شهود

بالنسبة للهدايا والتوقعات .... منى سعد توقعت جابر يكون شاري

لأرجوان قمصان نوم كان توقع أدهشني الصراحة

ومالكا قلبي توقعت رفض وسن للعريس بكل هدوء لأنها تحب نواس

طبعاً توقعها ما ظهر منه إلا جزء لكن ما بأخر هديتها وليك الخيار

لو تحبي تأجليها للفصل القادم ..... ودمتم في رعاية الله

وأعتذر لأنني ما قدرت أفصل الفصل لأكثر من رد وفي القادم بحاول

## الفصل الثالث عشر

منذ أن وصلتني رسالة أمي التي كتبت لي فيها ( لا تغلق هاتفك ولا

تضعه على الوضع الصامت ولا تبعده عنك حتى الصباح)

علمت أن ثمة شي يجري وأمي خائفة من تطوره ومؤكد وسن

في الموضوع وما زاد الأمر سوء إغلاقها لهاتفها والممرضة

وفتحية لا يجيبان فلم يبقى لي عقل في رأسي طوال الطريق

وما أن وصلنا حتى باتت الأرض لا تحملني ولم أشعر بنفسي

إلا خارجا من المنزل تاركا لكل شيء ورائي وما أن خرجت

من باب المنزل حتى لفت انتباهي حركة العمال جهة الإسطبلات

فانطلقت نحوهم على الفور وسألت أول من صادفني قائلا

"ما بكم"

وقف وقال " الوسن سيدي"

بيست في مكاني وقلت " ما بها؟؟ هل ماتت"

قال من فوره " هائجة وتسهل ولم نعرف كيف نتحكم بها

وجرحت نفسها من عنفها داخل الإسطبل"

ركضت أمامه قائلاً " وكيف لا تخبروني عنها يا حمقا"

قال وهو يركض خلفي " وليد ومعاذ ليسا هنا وأوصيانا

أن لا نقلقك بشيء الليلة"

قلت صارخا وأنا أركض وصوت سهيل الوسن المدوي بات يقترب

"وهل هذا شيء تخفونه ، إن حدث لها شيء لن أغفر لكم جميعكم"

دخلت الإسطنبول وكانت تصهل بقوة وتضرب بحوافرها وهم

يحاولون تهدئتها وإمساك لجامها فأبعدتهم وقفزت معها على

صوت صراخهم الناهي لي عن فعل ذلك ، أمسكت بلجامها

وقفزت به للخارج محاولا تهدئتها بعدما ركزت قليلا في

الأرض وقلت بصراخ " ماذا بها ما الذي أخافها هكذا"

قال أحد العمال صارخا لأسمعه

"لا شيء لا أحد اقترب منها ولا شيء في الإسطنبول"

غريب ما السبب إذا !! خطر في بالي فجئه يوم مرضت الوسن

ووسن معا ، أعلم أنها فكرة مجنونة ولكنها ارتبطت عندي

بالفعل، سلمت اللجام لأحدهم وقلت خارجا بسرعة

"حاولوا تهدئتها حتى أعود ولا تدعوا اللجام ينفك منكم"

توجهت لسيارتي فورا ركبتها وخرجت بها مسرعا وتوجهت

من فوري للعاصمة ووصلت في وقت قياسي ، وصلت المنزل

ونزلت دخلته والهدوء يعم المكان وكأن لا أحد فيه ، اقتربت من

غرفة والدتي فكان نورها مضاء حتى الآن وهي من عاداتها النوم

مبكرا ، فتحت الباب ببطء وكل هواجس العالم تقودني وما أن

فتحته حتى وقع نظري في نظرها جالسة على السرير ووسن جالسة

على الأرض ومنتكئة بذراعيها على سريرها تخفي وجهها فيهما

وأمي تمسح على شعرها برفق والمرضة و فتحية معهما أيضا

أشارت لي والدتي بأصبعها دون كلام أن أخرج لكن لا مفاصلي

ولا الأرض التي أقف عليها ولا قلبي ولا عقلي يسمحون لي

فتحت فمي لأتحدث فأشارت لي بأصبعها على شفثيها أن أصمت

فابتعدت عن الباب تاركا له مفتوحا واستندت بالجدار المجاور له

واتكأت عليه برأسي ، لم تصلح الوسن عبثا إذا بل شعرت بها حقا

بقيت مكاني لوقت دون حراك عجز حتى عقلي عن التفكير واتخاذ  
أي خطوة ولو المغادرة أو الدخول لهم من جديد ، بعد وقت وصلني

أينها الموجع ليختلط ببيكاتها المكتوم وقالت الممرضة

" هل نحقتها بالمهدئ "

قالت أمي بصوت منخفض " لا .. تكفي حقنة واحدة "

قالت " حسنا مسكن على الأقل ليخفف ألمها "

أجابتها أمي مباشرة " حقنتها به مرتين الليلة نخاف أن يضرها "

لم أستطع حينها السيطرة على شيء ولا حتى أعصابي

كنت أضغط قبضة يداي بقوة حتى كادت تتمزق

وكنت سأدخل لهم حين قالت فتحية " هل ستتركونها "

تتألم هكذا ، أي ليلة هذه الليلة السوداء ، سامحك الله يا نواس "

قالت أمي " إن أشرقت عليها شمس الصباح ستكون أفضل حتى

من السابق وإن ماتت قبل أن تشرق الشمس تكون ارتاحت

وارتاح قلبي عليها قبل أن أموت "

وكانت هذه الكلمات هي النصل الذي نبخني من الوريد حتى

الوريد فتحركت ودخلت لهم وتوجهت نحوها أمسكت ذراعها

وسحبته لحظني وحملتها بين ذراعي متجاهلا كل كلام

أمي الحاد القاسي وهي تقول

"ابتعد عنها يا نواس أرحمها منك الليلة بالذات لا تقتلها وهي ميتة"

التفت ناحيتها وأنا أدس وجه وسن في حضني لأكتم أناة

المتوجعة بين ضلوعي وقلت صارخا في أمي بحرقه

"كل ما يعينك أن تموتي وهي قد سبقتك واطمأنت عليها

فكري بي أنا على الأقل وما سأفعل بعدها"

ثم خرجت بها مسرعا وغادرت المنزل وهي وكأنها مخدرة

من الألم الممزوج بالبكاء ، وضعتها في السيارة وركبت

وأخذتها للمستشفى بأسرع ما لدي وأخاف في كل ثانية أن

تسكت عن الأنين والبكاء وتموت، وصلت المستشفى

وأنزلتها بين ذراعي ودخلت بها لتستلمها الممرضات

وبقيت أنا في الخارج نصف ساعة حتى خرج الطبيب

فوقفت وقلت " ما بها وكيف هي الآن "

قال من فوره " من حقها بالمهدئ "

قلت " ممرضة ترعى والدتي "

هز رأسه بالإيجاب فقلت " ماذا هناك أيها الطبيب أرحمني "

تنهد وقال " انهيار عصبي وتبدوا تشتكي الأما في أمعائها "

هل كلامي صحيح "

قلت " نعم القرحة النفسية هكذا قال الطبيب "

هز رأسه بالإيجاب وقال " لهذا هي اشتدت معها الآن "

قلت بقلق " وكيف حالتها الآن "

قال " نامت وستكون أفضل ما أن تستفيق أرى أن "

تتركوها هنا هذان اليومان "

هزرت رأسي بحسنا وقلت " هل يمكنني رؤيتها "

قال " قليلا فقط إن لم تكن سبب انهيارها أو لا تدخل رجاء "

من أجل صحتها فقد تستفيق وأنت في الداخل وتسوء حالتها أكثر "

ثم غادر وتركني بعدما حرمني حتى من أن أدخل لها فجلست

على الكرسي في الخارج منتظرا أن تستيقظ ولم أجب على

اتصالات أُمي المتكررة لتجرب ما فعلته بي في هذه الليلة المنكوبة

لم أغانر مكاني حتى أخبروني أنها استفاقت وأنها بحال أفضل

فنبهت عليهم أن لا يتركوها تغادر فأنا أعرف عنادها جيدا

ثم غادرت المستشفى للمزرعة بعدما أرسلت رسالة لأمي أخبرها

فيها أنها بخير ثم توجهت من فوري للإسطبيلات ولإسطبيل الوسن

تحديدا ، وجدت عاملان معها هناك اقتربت وقلت " ماذا حدث معكم "

قال أحدهما " كما طلبت منا تبادلنا عليها طوال الليل لقد هدأت قليلا

لكنها لم ترجع لطبيعتها بعد والبيطري عقم الجرح بصعوبة

وقال بأنه سيعود اليوم ليلفه ما أن تهدأ أكثر "

أمسكت منه اللجام وهي تحاول الابتعاد عني بوجهها فقلت بأسى

"توقفي يا الوسن لا تكرهيني أنتي أيضا وتُعرضي عني "

قربت وجهها لي محاولا لمسها برفق حتى ركز أمامي قليلا

وهي تحاول الرجوع للخلف فقربته مني أكثر وحضنته بيدي

وهمست في أذنها " هي بخير يا الوسن بخير واستعادت وعيها

اهدئي الآن ، أنا الملام أنا من ربطتك بها ، اهدئي

لقد هدأت هي أيضا منذ قليل"

رفعت رأسها عني وضربت بحوافرها ضربة بسيطة ثم أنزلت

رأسها أرضا وعادت لطبيعتها مع زفير بسيط يخرج منها متكررا

فتركت لجامها وقلت " سأتصل بالبيطري ليرى جرحها مجددا

لا تبتعدوا عنها وأعلموني بكل شيء"

ثم خرجت من عندهم متوجها للمنزل هنا

\*

\*

مرت الساعات وأنا أنتظر الغائب الذي خرج من هنا ولم يرجع

حتى غلبني النعاس وأنا جالسة مكاني ولم أستيقظ إلا على أذان

الفجر دخلت الحمام توضأت وصليت وجلست أقرأ في مصحف

لوقت ثم رتبت ملابسي في الخزانة وحملت ثيابي التي كنت أرادي

وسترة نواس وربطة عنقه اللتان رماهما قبل أن يخرج ونزلت

للأسفل أبحث عن الخادمة التي وجدناها هنا البارحة فوجدتها في

المطبخ ، نظرت لي بابتسامة وقالت " صباح الخير "

قلت بهدوء " صباح الخير ، أين يمكنني وضع هذه "

اقتربت مني بسرعة تمسح يديها من الماء وأخذت الثياب

مني وقالت " اتصل بي نواس البارحة لأخبرك أن قريبته المسئول

عنها مرضت و سينام خارج المزرعة لكني لم أحب إزعاجك

لأنني فكرت أنك قد تكونين نائمة "

قلت بحيرة " قريبة هوا مسئول عنها " !!

قالت " نعم فلا ولي لها غير نواس هذا ما أعرفه عنها وتقيم مع

والدته لقد تعبت البارحة وغادر لأخذها للمستشفى "

هذا سر الرسالة إذا يبدوا أخبروه أنها مريضة

قلت " وكيف حالها الآن "

قالت وقد عادت لعملها " لم يتصل بعدها ولا أعلم لكنه

قال سيأتي ما أن تستيقظ "

دخل حينها نواس بوجه متعب وقال " صباح الخير "

قلنا معا " صباح الخير "

قالت الخادمة " كيف هي الآن "

قال مغادرا " بخير ، مي اتبعيني "

خرجت خلفه وصعد لغرفتنا وأنا أتبعه دخل ودخلت خلفه

قائلة " تبذوا لم تتم البارحة "

أردت أن أقول أي شيء ولم أجد غير هذه الجملة

فتح أزرار قميصه وهو يقول " نعم واشعر بتعب يهد الجبال

سأستحم وأنام قليلا ، أنا آسف لأنني خرجت البارحة ولم أخبرك "

قلت ونظري للأرض " لا بأس المهم أنها بخير وحمدا لله على سلامتها "

قال متوجها للحمام " سلمك الله هاتفني عندك هناك سجلي لي رقم

هاتفك فيه وخذي رقمي لتتصلي بي حين تحتاجيني "

ثم دخل الحمام من فوره دون أن يضيف شيئا ، حملت هاتفه

من على الطاولة وسجلت رقمي فيه باسمي واتصلت به ليظهر

رقمه عندي ثم أعدته على الطاولة وشغلت التكييف في الغرفة

على درجة منخفضة لأنه سيخرج مبتلا وقد يمرض ثم خرجت  
وأغلقت الباب ونزلت للأسفل أتسلى مع الخادمة هنا لأمضي  
الوقت خيرا لي من أن أبقى وحدي كليلة البارحة ولكن المهم  
انه بخير فلا ينقصني أن أصبح أرملة أيضا لتكتمل مأساتي

\*

\*

دخلت عليا الغرفة لتسألني للمرة العاشرة " هل اتصل بك"  
هزرت رأسي بلا وقلت " لقد اتصلت بزوجته وقالت أنه عاد  
منذ وقت استحم ونام ولم يستيقظ حتى الآن المشكلة  
أن هاتف وسن بقي هنا"  
تنهدت بحزن ثم غادرت عائدة لعملها ورن هاتفي فنظرت  
للمتصل بسرعة فكان جواد فأجبت فقال من فوره  
" أعطني وسن لتكلمها وترتاح يا أمي"

قلت بصوت منخفض " وسن في المستشفى ابتعد لتحدث"

قال من فوره " حسنا أخبريني ما أن تخرج وسأتصل بك بعد قليل"

ثم أغلق الخط ، فرح لم تتم البارحة ولم تدعه ينام، هي  
تعلم أن ليلة كهذه الليلة لن تمر على وسن بسلام ولو علمت  
أنها تعبت كل ذاك التعب فلن ترتاح حتى تكون هنا ، توقع  
أن يؤثر ذلك على وسن لكني لم أتخيل أن يكون بهذا الشكل  
وكنت متخوفة من أنها ستموت وكنت أجهز نفسي للفاجعة  
سامح الله كل من كان السبب فيما حدث حتى الآن ، بعد وقت  
رن هاتفي مجددا فأجبت على الفور قائلة " هل هذا صنيع  
تصنعه يا عاقل يا راشد يا نواس ، كيف تتركني في

انشغالي طوال الليل"

قال بصوت ضعيف " وهل الذي فعلته أنتي يجوز"

قلت بقلق " ما به صوتك هل أنت مريض"

قال " هل سيعنيك هذا قد أموت أنا أيضا وترتاحي قبل موتك"

قلت بتذمر " نواس كف عن لعب الأطفال واحترمني على الأقل"

قال بضيق " ولما لم تقدريني يا أمي أنا أبنيك الأكبر والمسئول

عنكم ، لولا أن مي انشغلت عليك وأيقظتني لأكلمك ما فعلتها"

ثم تأفف واستغفر وقال " كنتي ستقتلينها متعمدة يا أمي "

قلت بهدوء " يبدوا صوتك ليس بخير عد للنوم وارتاح "

الآن ولكل حادث حديث "

ثم أغلقت الخط وتنهدت بضيق ولا أعلم على ماذا أتحسر

على وسن أم نواس أم زوجته المظلومة مثلهما

\*

\*

حاولت العودة للنوم ولكن عبثا أحاول فجلست أتنفس بضيق

رن هاتفي نظرت للمتصل فكان جواد أجبت عليه قائلا

" نعم يا جواد "

قال من فوره " ما به صوتك يا نواس "

قلت ببرود " لا شيء يبدوا أني سأصاب بنزلة برد "

قال باستغراب " نزلة برد في الصيف " !!

قلت بضيق " استحمت ونمت والتكيف قوي ما بك معي أنت "

قال بهدوء " اعلم أن مزاجك سيء لا داعي لأن تريني ذلك "

تأففت في صمت فقال " فرح منشغلة على شقيقتها وسوف

تجن لي هنا أخبرني ما بها"

قلت وأنا أمسح جبيني المتعرق " هي بخير تعبت

البارحة لكنها بخير أطمأن وطمئنها"

تنفس بقوة وقال " وأنت زرت الطبيب أم لا"

قلت " سأستحم مجددا وأخذ مسكنا وخافض للحرارة وينتهي الأمر"

قال " هل تحدثت مع والدتي تعلم أنها متعبة ومنشغل بالها عليها"

قلت باختصار " نعم"

قال بعد صمت " ما أمورك وزوجتك"

أدرت عيناى محاولا التركيز معه وقلت

"قضيت ليلة البارحة في المستشفى كيف ستكون أمورنا"

ثم تنفست بصعوبة وقلت " سأتصل بك لاحقا يا جواد وداعا الآن"

رميت بعدها بالهاتف جانبا وأشعر بكل مفاصلي تؤلمني

ورأسي سينفجر ، فتحت مي الباب فقلت

"أشعلي النور وأطفئي التكييف يا مي"

فعلت ما قلت على الفور ثم وقفت قريبة من السرير

وقالت بقلق " هل أنت بخير "

رميت اللحاف عني وقلت وأنا أغادر السرير " يبدووا أنني

سأصاب بالحمى أو الزكام سأستحم سريعاً انزلي لراضية

واطلبي منها أن تريك مكان الصيدلية المنزلية أحضري

لي حبوباً مسكناً وخافض حرارة "

قالت مغادرة من فورها " حسناً "

غادرت السرير ودخلت الحمام فتحت الدش ودخلت تحته

بملابسي وكأني أغسل نفسي وروحي ورأسي من ذكرى ليلة

البارحة وكلمات أُمي تتردد في أذناي وهي تقول

(إن أشرفت عليها شمس الصباح فستكون أفضل من السابق)

لم تعني والدتي بذلك صحة وسن بل عنت شيئاً آخر أنا أكثر

من يفهمه ويبدووا أن آخر الخيوط بيننا انقطع البارحة يا وسن

خرجت بعدها من تحت الماء وخلعت ملابسي وارتديت منشفة

الاستحمام وخرجت للغرفة وجدت ثياباً لي على السرير ومؤكداً

مي من جهزتها لي والحبوب أيضا وكوب الماء على الطاولة

لا أسوء حظا منا إلا أنتي يا مي فلم يعرف قدرك أين

يضعك إلا عند رجل قلبه خارج جسده ، يا رب ساعدني كي

لا أظلمها معي مثقال ذرة فالقلوب بيدك ولا حكم لنا عليها

لكن التصرف والمعاملة الحسنة بيدنا فاجعلني منصفا معها

ولو في العشرة الطيبة ، غيرت ثيابي أخذت الحبوب وبلعتها

بالماء وجلست على السرير متكأ على ظهره ورأسي للخلف

مغمضا عينايا حتى شعرت بكف يلمس جبيني ففتحت عينايا

فكانت مي فأبعدت يدها بسرعة وقالت بخجل

"حرارتك مرتفعة زر الطبيب"

أغمضت عينايا مجددا وقلت

"أخذت الحبوب وستنخفض حرارتي شكرا لك يا مي"

قالت بشبه همس " عفوا"

ثم سمعت خطواتها تخرج ففتحت عينايا فكانت الغرفة مظلمة

والباب مغلق ، عدلت نفسي أكثر على السرير وعدت للنوم

بسبب تأثير الحبوب وبعد وقت طويل استيقظت ونظرت يمينا

فكانت مي تجلس عند النافذة وتنظر للخارج بشرود ثم نظرت

للجانب الآخر كانت توجد صينية بها ماء ومنشفة عند طاولة

السرير ، وضعت يدي على جبيني فكانت حرارتي قد

انخفضت، جلست ببطء فانتبهت لي ووقف وقالت

"صلي العصر لأنه فاتك من وقت وسأحضر لك شيئا تأكله"

قلت " أكون ممتنا لك بذلك"

غادرت هي الغرفة من فورها وأمسكت أنا بهاتفي واتصلت

بالمستشفى لأطمئن عليها فقالوا أنها بحال أفضل ولم يسمحوا لها

بالخروج رغم إصرارها وأنه يمكنني إخراجها عند أول المساء

كم أنا محتاج لوجدك الآن يا جواد فأنا ليس لي أي طاقة أذهب

بها لها وهي من مصلحتها أن لا ترى وجهي

غادرت السرير ودخلت الحمام توضأت وخرجت صليت

وجلبت مي حساءً من اللحم والخضار ووضعته بالقرب مني

وخرجت ، أنهيت صلاتي وجلست عند الطاولة وتناولته كله لأنه

لم يدخل معدتي شيء منذ أمس ثم غيرت ملابسني وخرجت

زرت الإسطبلات والوسن أولا واطمأنت على جرحها وحالتها

وأخذت وقتا مع العمال لأنه لا معاذ ولا وليد هنا ولا أحب إهمال

شيء وبعد المغيب خرجت من المزرعة لمنزل والدتي استحممت

وغيرت ثيابي ثم غادرت للمستشفى وصلت أمام باب غرفتها

طرقته عدة طرقات ودخلت ، كانت تجلس على السرير والطبيب

أمامها وما أن رأته حتى أشاحت بوجهها للجانب الآخر ، اقتربت

منهما فاستدار لي الطبيب وقال " ها قد جاء من سيخرجك لا تقلقي "

ثم قال مغادرا الغرفة " وقع لنا يا سيد وأخرجها لن

نتحمل مسئوليتها قبل الغد "

ثم خرج وأنا لم أنطق بحرف بقيت واقفا مكاني للحظات

ثم قلت مغادرا " سأوقع لهم وأعود "

لم تتحدث ولا بكلمة ولا حتى اعترض أنها لن تعود معي

أكملت الإجراءات وعدت لغرفتها كانت واقفة وما أن رأته

حتى خرجت أمامي في صمت قاتل دون أن ترفع نظرها لي  
وأنا أتبعها حتى وصلت السيارة وفتحت الباب وركبتها فركبت  
وانطلقنا ، كانت طوال الطريق تنظر جهة النافذة دون حراك

جمعت كل قواي وقلت " وسن "

وصلني صوتها وهي لازالت على حالها " لا تتحدث "

قلت " أسمعيني فقط "

قالت " حلفتك بالله يا نواس إن كنت تحمل في قلبك

ذرة صغيرة مما كان أن لا تتحدث في الأمر "

لذت بالصمت وكل ما كنت أفكر فيه البوح بسبب زواجي

من مي وكسر عهدي لإخوتها وعمها أنه لن يعلم من أهلي أحد

عما جرى لها وسبب زواجي بها وها هي ذي أشرقت عليك

شمس الصباح يا وسن وأظلمت علي أنا، رن حينها هاتفي

نظرت للمتصل فكانت مي فلم أجب عليها، اتصلت ثانيًا

وبات الأمر مكشوفًا فأجبت عليها دون كلام فقالت

"نواس هل أنت بخير"

قلت باختصار " نعم بخير"

قالت من فورها " خرجت وأنت متعب ولم ترجع"

أغمضت عيناى بشدة وألم وقلت " أنا بخير لا تقلقي سأعود بعد قليل"

ثم أنهيت الاتصال لألمح يد وسن التي تمسك معدتها بقوة فقلت

"وسن دعينا نتحدث لأنى إن لم أتكلم الآن فلن أتكلم ما حييت"

قالت ونظرها لازال جهة النافذة " لا تتكلم"

فلم يكن أمامي من خيار سوى أن لذت بالصمت ووصلنا ونزلت

هي مسرعة ودخلت المنزل شبه راکضة وكأنها تريد الهرب مني

\*\*\*\*\*

جهزت نفسي مبكرا أخذت حقيبتى ونزلت السلالم وأشعر أنني في

حلم ، هل صحيح سأعود لدراستي ولن أخسرها للأبد كأهلي

فهي الشيء الوحيد الذي لم يسرقه مني أولئك المجرمين وأتمنى

أن لا أخسر لها لأني أحب الدراسة منذ صغري

وصلت للأسفل وكان نزار ينتظرنني لأنه هوا من سيوصلني

وصلت عنده وقلت " سأرى خالتي أولا"

ضحك وقال " كلها ساعات وستعودين لها"

هزرت رأسي بلا مبتسمة فرفع يديه وقال مبتسما

"أمري لله ودعيها بسرعة لألحق على طالباتي"

تذكرت حينها كيف كن مبهورات به عندما جاء لتدريسنا

تري هل تستحوذ إحداهن على قلبه ، آه سما لقد تعلمت

مصطلح جديد وبت تطبيقه عليه كل حين، دخلت لخالتي

واقتربت منها وقبلت رأسها وقلت " هل تحتاجين شيئا قبل ذهابي"

قالت مبتسمة " وفقك الله وحفظك يا سما اعطني بنفسك جيدا"

قلت بهدوء " هل ستبقي وحدك"

قالت " قالت دعاء أنها ستأتي لرؤيتي منتصف الصباح ونزار

لن يتأخر سيعود ما أن ينهي حصصه"

قلت بعد تردد " هل كانت دعاء تبقى معك دائما"

قالت " تزورني وقت غياب نزار ومن سنوات فهي صديقة قديمة لنا"

وقف حينها نزار عند الباب وقال " سما بسرعة سنتأخر"

تحركت بسرعة قائلة " أنتم الرجال لا تحبون الانتظار"

قال ضاحكا وهو يخرج أمامي " أمي ستفسد أطباعك بما تعلمه لك

من حكم ، لا تنسي ارتداء النظارة الشمسية قبل أن تخرجي"

لبستها وأنا أقول " لا أحب النظارات وهذه كبيرة جدا من أين جئت بها"

قال ضاحكا وهو يفتح لي باب السيارة " لم أجد واحدة صغيرة

كوجهك هذه أصغر واحدة دائرية وجدتها"

ثم ركب السيارة وقال منطلقا

" انظري في المرآة الجانبية لتلك السيارة السوداء المظلمة"

أبعدت النظارة قليلا ونظرت فكانت بالفعل تتبعنا فقلت بخوف

" من هذا الذي يتبعنا؟؟ نزار عد بي لخالتي فوراً"

ضحك وقال " لم أعرفك جبانة هكذا هؤلاء من ستكونين

في حمايتهم ، وضعهم جابر لهذا"

نظرت جهة النافذة وقلت بضيق " لما تسخر مني"

وصلني صوته مبتسما " أنا لم أسخر منك بل حقيقتنا

ظننتك لا تخافين من شيء"

نظرت لحقيبتني في حجري وقلت بحزن

" هل أنا في نظرك كالرجال"

بقا صامتا لوقت ثم قال " أنا كنت أمزح فقط"

لذت بالصمت أكابر دموعي كي لا تنزل فقال بهدوء

"سما هذه الأيام أشعر أنك تتحسسين من كل شيء أقوله

مازحا هل أخطأت معك في شيء دون قصد أو جرحتك

كوني صريحة معي"

نزلت مني دمعة دون شعور ومسحتها بسرعة من تحت

النظارة ، أنا حقا لا أعلم ما بي هل أبدوا حمقاء بتصرفاتي هكذا

شعرت بالسيارة توقفت فرفعت رأسي ونظرت جهته فمد

يده وأزال النظارة عن عياني وقال

"حسنا لما تبكي أجيبني ولو عن سؤال واحد"

نظرت للأسفل وقلت بهمس " لا شيء نزار أقسم لك"

طرق حينها أحدهم على نافذة السيارة فنظر ناحيته وأنزل الزجاج

فكان رجلا بملابس غامقة ونضارة شمسية قال مباشرة

"لما توقفت هل من مكروه"

قال نزار " لا كن مطمئنا نحن آسفون"

ثم ابتعد عائدا للخلف وأغلق نزار النافذة قائلا بضحكة

"ها هم رجالك كادوا يلقون القبض علي ويرمونني في السجن"

قلت من فوري " خسنوا هم مكانهم السجن"

لأذ بالصمت فشعرت أنني قلت شيئا يبدو سخيفا أو خاطئ

كنت سأعذر فأنطلقت ضحكته العالية ثم قال

"لو سمعوك لسجنونا علينا"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت

"أنا مسجونة على كل حال أنت من سينتقمون منك"

عاد للضحك مجددا وقال " لكن ذاك السجن لا وجود

لوالدتي فيه لتسليك"

لما لم يقل ولا أنا فيه مع والدته أنا لا أريد الابتعاد عن كليهما

وصلنا حينها لمدينة ودخلنا إليها فقلت " هل هنا تكون المدرسة"

قال " نعم سندخل سويا لنقابل المدير ، هوا على علم بوصولك فجابر

رتب لكل شيء لأنك وكما تعلمي لا أوراق لديك كتوكيل من

ولي أمرك ولا ولي لك قانونيا غير والدك رحمه الله في الوقت

الحالي فأى إجراءات قانونية سنقوم بها قد تعرض حياتك للخطر

وجابر تصرف من هذه الناحية لأن مركزه يخوله لذلك"

قلت بهدوء " أنا متوترة جدا ، المدارس باتت تعني لي

كابوسا بعد المدارس الخاصة"

وقفنا حينها عند باب المدرسة وقال

"ابنة عم جابر ستكون في انتظارك كما أخبرتك"

ثم نظر ناحيتي وقال " سما اسمعيني جيدا المدارس الحكومية

ليست كالخاصة أبدا وأنتي كالورقة البيضاء لم يكتب فيك أحد  
شيء فأني شيء جديد عنك تعلميه منهم تسألني والدتي عنه ولا  
تفعلي أي شيء تطلبه منك إحداهن وأخبريني عن كل ما  
تريدي إخباري عنه والباقي والدتي تنصحك فيه"  
قلت بحيرة " لما !! ما الذي يجري هنا لقد أخفتني "  
ضحك وقال " لا تخافي يا سما أنا لم أقصد تهويل الأمر  
لكن عزل والدك لك كل تلك السنين حجبك عن أمور كثيرة في  
الحياة ستتعلمينها يوما بشكل سليم أو خاطئ فأخبرني والدتي عن  
كل ما تعلمي أو تسمعي ، هل تعدينني بذلك "  
هزرت رأسي بنعم وقلت " أعدك رغم أنني لا افهم شيئا "  
قال مبتسما " لو كان الأمر بيدي لتركته لا تفهمين شيء  
فلا أفضل من المرأة النقية "

ثم نزل من السيارة من فوره وتركني حائرة فيما قال ، قد

أعلم يوما ما يعني لأنني إن فكرت فيه كثيرا الآن سأتعب ويبدووا

أنني كما قال لا أفهم من الحياة شيئا ، لو علمنا والدي كل شيء  
بطريقته لكان أفضل من أن يجعلنا كالأصم الأبكم ، لعرفت حينها  
كيف أتصرف حين استفردت بي دعاء وخاطبتني بأشياء تضمنني  
أفهمها وأنا لم أعلم عما كانت تتحدث إلا حين شرحت لي خالتي

ولكنني فهمت ما عناه نزار سابقا عما كتبت وجدان في ورقة  
الامتحان وظننته رشوة ، نزلت أتبعه ودخلنا كان عدد الطالبات  
كثير ليس كمدارسي التي درست فيها ويتحدثون بفوضوية  
وعشوائية ويصرخون وكأنهم يلعبون في الشارع، كنت  
أسير بجانبه وأنظر لكل ما حولي ثم قلت  
"وكأننا لسنا في مدرسة"

ضحك ضحكة صغيرة وقال " أخبرتك أن كل شيء مختلف

هنا وستحبينهم حين تتقربين منهم أكثر "

قلت بابتسامة " أخاف أن أصبح مثلهم "

قال " هناك كثيرات مثلك لهن شخصية هادئة وخجولة

لكن ما لفت نظرك النوع الآخر فقط "

دخلنا مبنى المدرسة وتوجه من فوره لغرفة المدير دخل ملقيا  
التحية ودخلت خلفه وقال " أنا نزار الأحمدى وهذه سما أحمد"  
قال بابتسامه " أجل لدينا العلم بوصولها اليوم وسنقوم بالواجب"

نظر لي نزار حينها وقال " يمكنك الذهاب يا سما بتول قالت  
ستنتظرك عند الباب يبدوا أنها لم تأتي بعد فانتظريها هناك"  
هزرت رأسي بحسنا وخرجت وبقي هوا معه ، خرجت للخارج  
واقتربت من الباب الخارجي لحظة دخول فتاة بيضاء البشرة  
بعينان عسليتان دخلت تتأفف وتتمتم بغيض فقابلتها واحدة أخرى

وقالت " هيه بتول مابك تنفخين عند الصباح"

قالت بتذمر " ابتعدي عني لا شأن لك بي"

ضحكت وقالت " ابن عمك الوسيم أوصلك رأيتاه عند

الباب بسيارته الفاخرة يفترض بك أن تبتسمي"

قالت لها ببرود " ابتعدي عني يكفيني سائق الحافلة الذي لم يعرف

متى يمرض إلا اليوم ، أنا أبحث عن الفتاة الجديدة لا تلهيني كعادتك"

أشارت لي تلك الفتاة وقالت " لا بد أنها هذه"

نظرت لي وقالت " أنتي سما"

قلت " نعم"

اقتربت مني ومدت يدها قائلة

"أنا بتول أخبرني جابر أنك ستدرسين معي"

صافحتها قائلة بابتسامة " نعم وأنا أخبرني أنك ستكونين في انتظاري"

قالت الفتاة " ومن ذاك الوسيم الذي دخل معك قولي أنه شقيقك"

دفعتها بتول وقالت " ريحان ما بك تفقدين عقلك إن دخل أحد للمدرسة"

ضحكت وقالت " أنتي لم تريه فقط ، أو ما الفائدة منك حتى

ابن عمك الوسيم تكرهينه"

خرج حينها نزار بخطوات سريعة وقالت ريحان

" هيه بتول ها هوا ، انظري انظري"

التفتت له ومر بجوارنا وأشار لي بيده مبتسما بمعنى وداعا

وخرج فنظرتا لي كلاهما بصدمة وقفزت ريحان قائلة

" لا تقولي أنه خطيبك"

ضحكت وقلت " لا هوا قريبي فقط"

تنهدت وقالت " من أين تجدون كل هؤلاء الوسيمين ما به

حضي أنا أقاربي كلهم أبشع مني"

أمسكت بتول بيدي وقالت وهي تسحبني معها

"تعالى فهذه المجنونة ستصيبك بعدواها وتفسد أخلاقك"

ركضت ريحان خلفنا قائلة

" هيه بتول أنا صديقتك أم بعني بالطالبة الجديدة"

اقتربنا من مجموعة فتيات وقالت بتول

" اسمعن يا بنات هذه سما ستدرس معنا"

سلمن عليا جميعهن وضحكت ريحان وقالت

"أرأيتن الشاب الذي دخل معها"

قالت إحداهن " لو سمعتك الأنسة انتصار لذبحتك"

لوحث لها بيدها بعدم مبالاة وقالت بتول

"تعاليا سندخل الفصل الحصة ستبدأ قريبا"

وترافقتنا ثلاثتنا حتى بدأت الحصة ودخلت المعلمة

وبعدما وضعت كتبها نظرت لي وقالت " أنتي هي سما"

وقفت وقلت " نعم آنسة"

قالت " في أي درس توقفت في هذه المادة"

أعطيتها عنوان الدرس فقالت " بما أننا متقدمين في المنهج

سنعود معك لأنك لن تفهمي لاتصال الدروس ببعضها"

قلت " يمكنك شرحهم لي جميعهم في هذه الحصة"

نظرت لي باستغراب ثم قالت " هل ستفهمينهم معا"

قلت " نعم"

قالت " إذا اجلسي وباقي البنات سنعد هذه الحصة كمراجعة"

قالت إحدى الطالبات " آه ليتك تأتيين جديدة كل يوم يا سما"

ضحكن جميعهن وقالت واحدة أخرى

"قولي أنك لم تفهمي والحصة القادمة نعيد الشرح"

وعدن للضحك والمعلمة كأنها غير موجودة وأنا أنظر لهن

باستغراب ، في المدارس الخاصة هذا يعد جريمة كما أن

الطالبات لا يتصرفن بعفوية هكذا وكأن كل واحدة منهن

تحاول أن تظهر نفسها الأكثر خلقا والأرقى تفكيراً وأسلوباً

وكانهن في مسابقة وينتقدن أي واحدة يصدر عنها تصرف

غريب ، وأمضينا بعدها الحصص وكل معلم أو معلمة يدخل

يسأل عني وأين توقفت في دروسي ليجد الطريقة لمساعدتي

وكم كنت سعيدة بكل هذا وباهتمامهم بي فكم أنا ممتنة لنزار كثيرا

ولصديقه ذاك لكن قليلا فقط وليس مثله ، عند وقت الفسحة خرجت

وبتول وصديقتها وليس وحدي كالسابق لأنني كنت أتجنب الجميع

والطالبات هناك لا يحتككن مع بعضهن كثيرا ، جلسنا

في مكان معين وقالت ريحان

"بتول أنتي الثرية بيننا ، هيا أشتري لنا شيئا نأكله"

قالت بتول ببرود " أنا لست جائعة"

قالت ريحان بتذمر " بخيلة من يوم عرفتك ولن تتغيري ، سما

ما نسبة ثرائك لنصير أنا وأنتي فقط صديقتان "

شعرت بالإحراج فأنا حقا ليس معي مال في حقيبتني رغم أني  
من الأثرياء ، قالت ريحان " هيا ابحتي في حقيبتك وأنا سأبحت في  
حقيبتني قد يكون ثمة جني وضع لي شيئا ونشارك أنا وأنتي ونشتري

شيئا نقهر به البخيلة بتول"

ضحكت ضحكة صغيرة وقالت بتول " وقحة طوال حياتك

وجشعة أيضا ، هذه طالبة جديدة تشحذين منها من أول يوم"

تجاهلتها تماما وفتحت حقيبتتها وهي تقول

"لا تخرجوني يا معشر الجن أريد شيئا أستر به نفسي أمام سما"

لم استطع إمساك نفسي عن الضحك وقالت ريحان

"بسرعة يا سما قد تكوني نسييتي درهما هنا أو هناك"

نعم لعلي تركت بها شيئا رغم أني جهزتها بالأمس ولا تحوي أي نقود

فتحت الجيب الأمامي لأفاجئ بنقود في داخله فأخرجتهم مصدومة من

وجودهم لأنني متأكدة أنها لم تكن هنا فمن أين جاءتني !! هل هوا نزار

نعم وحده يمكنه فعل ذلك لكن لما لم يخبرني أو يسألني إن كنت أحتاج

لنقود ، يبدووا خشي أن أرفض ذلك ! كم أنت رائع يا نزار رغم كل

المصاريف التي تتحملها براتبك البسيط تفكر في أني قد أحتاج شيئا

أشتره رغم أن خالتي أوصتني صباحا أمامه أن آخذ سندوتشات

معي لمدرسة ، قالت ريحان مصدومة

"رائع نقود يا سما هيا للمقصف"

قالت بتول " ريحان استحي ما هذه التصرفات ، الفتاة

جديدة على حركاتك المجنونة"

ضحكت ريحان وقالت " أعرف انك تريدان أخذها

لمروى للتسوق لديها كعادتك"

قالت بتول ببرود " خير لي من أن أدعك تأكلي نقودي كل

يوم حلوى ومكسرات"

نظرت لبتول وقلت " من هي مروى"

ضحكت وقالت " فتاة تحضر أشياء جميلة كهدايا ورمز من

دول مختلفة لتبيعها خلسة فاجمعي مصروفك اليومي وحين

يصبح لدينا مبلغا معتبرا نذهب لنشترى منها"

قلت مبتسمة " فكرة جيدة "

قالت ريحان " سما أنتي حليفتي أليس كذلك "

ضحكت وقلت " أنا لم أقل ذلك وكما أني لا أحب الأكل كثيرا "

وقفت وقالت " سأبحث عن ابنة عمي إذا ، ابقيا وبخلكما "

ثم غادرت ونحن نضحك عليها

\*

\*

غادرت من هناك بعدما أوصلتها وتحدثت مع مدير المدرسة

وأوصيته كثيرا عليها رغم تحدث جابر معه لكن كان عليا إيضاح

بعض النقاط المهمة له عنها ومنها كثرة خجلها وتكتمها عنم يضايقها

وأن يراقب لي مع من تحتك وأي نوع من الفتيات هن لأنني أعلم

بالمدارس الثانوية وما يجري بها ، وسما قطعة طين جديدة أي أيدي

ستسبق إليها ستشكلها كما تريد رغم أنني متأكد من ذكائها وسرعة

فهمها للأشياء ولكن يبقى الأمر خطرا عليها وهي أمانة في عنقي

حتى أسلمها لأبناء عمها

توجهت لمدرستي وأنهيت حصتي وعدت من فوري للمنزل

دخلت وكانت ثمة أصوات في غرفة والدتي اقتربت منها ووقفت

عند الباب فكانت دعاء معها ، نظرت باتجاهي فقلت " مرحبا"

قالت مبتسمة " مرحبا وصلت للتو يبدووا تأخرت"

قلت مبتسما " شكرا لك يا دعاء واعدرينا على تعبك معنا"

قالت من فورها " كم مرة أقول أنني لا اتعب في هذا أم تعتبرني غريبة"

دخلت وقلت " أبدا ولكن الأمر لا يحتاج"

تغيرت ملامحها للسوء فجأة ثم قالت " كنت أعتبر نفسي واحده

منكم ويبدووا أنني أفرض نفسي عليكم"

قلت من فوري " أبدا أنا لم أقصد هذا"

ابتسمت ابتسامة صغيرة وقالت " فكرت أنه مادامت الفتاة

ليست هنا قد تحتاج والدتك شيئا"

ثم تخطتني خارجة من الغرفة وهي تقول " وداعا يا خالتي"

ثم خرجت وغادرت المنزل فنظرت لوالدتي باستغراب فقالت مبتسمة

" أنت من ترفض أن تشعر بها رغم أنك تفهمها جيدا أليس كذلك"

تنهدت وقلت " لا أريد أن أعشمها بشيء لن تجده عندي ، عليها

أن تفهم هذا من تلقاء نفسها ولا أرحها به"

اتكأت للخلف وقالت " لو تجرحها بالحقيقة أفضل من

أن تتركها تعيش على الأمل"

قلت ببرود " هي كانت صديقة رهام وتعلم جيدا ما حدث

وأني رفعت النساء من دماغي"

تنهدت بضيق فقلت بتذمر " أمي زواج لا وسما لا تتحدثي عنها مطلقا"

قالت بضيق " ولما لا أتحدث عنها اعتقدت أن دماغك قد لان"

تأففت وقلت " الفتاة تسبح في وادي وأنتي في وادي آخر ولا تفكر

في كل هذا يا أمي فأخرجيها وأخرجيني من دماغك"

قالت بجدية " وإن سألتها واكتشفت أنها لا تمنع"

قلت مغادرا الغرفة " قلت لا يعني لا الفتاة مراهقة وتحتاج لسنوات

لتعرف ما تقرر وما تريد فلا تستغلي ظرفها"

توجهت بعدها للمطبخ لأعد الغداء فسما ستأتي بعد الظهر

وستكون متعبة وستصر على إعداده ، دخلت المطبخ ووجدت

قدين على الطاولة وورقة فوق إحداهما ، اقتربت وأمسكت

الورقة فكان مكتوب فيها ( نزار لا تلمس شيئا ولا تعد الغداء

أنا طهوته نصف نضج وحين أعود أكمله ، إن وجدتك

أعددت شيئا غضبت منك كثيرا ... سما)

ابتسمت وهزرت رأسي وخرجت من المطبخ ، قضيت بعض الوقت

مع والدتي ثم خرجت من المنزل وزرت جابر وأعطيته المعلومات

التي طلبها من سما عن أي علامات عن الشارع الذي توجد فيه شقة

السيدة المدعوة عفراء ثم غادرت العاصمة لأحضر سما من المدرسة

لأنني رفضت أن تستقل الحافلة فلا حافلات ستأخذ طلبة من العاصمة

لمدينة مجاورة بالتأكد والحافلة العمومية ستنزلها في المحطة ولن

أسمح لرجال جابر أن يوصلوها هم كما اقترح فلن أوّمنهم عليها

فهم في النهاية رجال كما أنها لن تقبل بهم أبدا

وصلت عند بوابة المدرسة ووجدت سيارة معتصم شقيق جابر هناك

فنزلت وطرقت على زجاج سيارته فما أن رأني حتى نزل وصافحني

قائلا " مرحبا نزار أين أنت يا رجل لا نراك سوى في الأعياد "

ضحكت وقلت " إذا عيد الأب بات وشيكا وسنلتقي "

ضحك وقال " نعم فالיום عيد المعلم هل لاحظت هذا "

ضحكنا معا ثم قلت " وما تفعل هنا يا صعلوك هل تلاحق فتيات الثانوية "

قال بضيق " احترمني يا نزار أنت لست ندا لي "

قلت مبتسما " قل الحقيقة ولا تتهرب "

نظر لباب المدرسة المفتوح وقال " هل ترى تلك القادمة "

نظرت وقلت " الكثيرات قادمات أي واحدة منهن "

ضحك وقال " تلك الجميلة البيضاء صاحبة العينان العسلتان "

قلت ببرود " وكيف سأرى عيناها يا مغفل "

ضحك مجددا وقال " ها هي تقترب مع الفتاة الجميلة "

ذات الشعر الحريري "

نظرت لسما القادمة وقلت " آه أجل عرفتها ما بها "

قال بهمس " تلك هي زوجتي ولكنها لا تعلم "

نظرت له بصدمة وقلت " زوجتك ولا تعلم "

قال بهمس " أصمت إن سمعتك أسقطت جدار المدرسة على رأسك  
ورأسي "

اقتربت حينها منا وقالت الفتاة لسما " سما ما رأيك لو توصلوني معكم "  
شدها حينها معتصم من يدها قائلا " نعم فأنتي لا تريني بطولي و عرضي  
"

ثم فتح لها باب السيارة وركبتها ضاحكة فنظرت لسما وقلت

" هل ستعودين معي أم يوصلوك أيضا "

ضحكت وقالت " لا طبعا سأذهب معك ألا تراها كيف تكرهه "

ثم ركبت السيارة وركبت وانطلقنا وقالت

"كنت تقف مع ابن عم بتول هل تعرفه "

قلت " نعم فهوا شقيق جابر وهوا ابن عمها ألسـت تعرفي ذلك "

قالت " نعم ولكني لم أكن أعلم أنه شقيقه ظننته ابن عم آخر لها "

قال " هوا شقيقه الوحيد ، أخبريني كيف كان يومك "

قالت بابتسامة " كان جيدا ، بتول وصديقتها أحببتهما كثيرا وتسليت

برفقتهما ، وجميع المعلمين اهتموا لأنني جديدة وقد فآنتني دروس "

قلت مبتسما " هذا جيد "

قالت من فورها " عالمهم مختلف عن المدارس الخاصة لكن ثمة ما

يميزه وهو الحياة على طبيعتهم دون تصنع وترفع "

قلت " نعم هم هنا يمثلون حياتهم الواقعية "

قالت باختصار " نعم لاحظت ذلك "

ثم لاذت بالصمت باقي الطريق ولم تتحدث عن شيء غيره

كما عرفت سابقا كلامها قليل ولا تعطي التفاصيل حيزا كبيرا

من عادة الفتيات أنهن يسردن يومهن كاملا إن سألتهن فقط كيف

كان يومك وخصوصا سما التي دخلت مكان جديد عنها كهذه

المدرسة ، هي من النوع الذي يرتاح منه رأس الرجل ويعيش معها

حياة هادئة هائلة ، لو كانت فوق العشرين لكنت أخذت بنصيحة أمي

لكني لن أظلمها بأن تفني مراهقتها معي مستغلا وضعها ووحدتها

واحتياجها لحنان رجل بالنسبة لها يعوض حنان والدها فقط

لتعيش مع رجل يحتاج لمن تخدمه ووالدته فقط بالنسبة لي

اقتربنا من المنزل فقلت " جابر يقترح أن تقصي شعرك "

نظرت لي بصدمة وقالت " ولما؟؟ "

قلت بهدوء " ليخفي ملامحك بقصة قصيرة فلا تنسي أن زوج

عفراء يعرف شكك ولا بد وأنهم سيكلفونه بالبحث عنك "

قالت بعد صمت " لكني لا أريد ذلك "

نظرت لها ثم للطريق وقلت " علينا أن نغير من شكك القديم وعليك

أن تضحى يا سما من أجل دراستك وسلامتك وسيعود شعرك كما كان "

قالت بعد صمت " أغلب الفتيات في تلك المدرسة متحجبات إلا

عدد نادر جدا عكس بنات الأثرياء في المدارس الخاصة وأنا

أريد بالفعل أن أتحجب مثلهن ، أنا عشت حياتي في الهند دون

حجاب لكني لم أعد أريد الخروج من المنزل بدونه "

وصلنا حينها وأوقفت السيارة وقلت

" وهذه فكرة جيدة سأعرضها على جابر ونرى "

نظرت لي وقالت بضيق " ولما كل شيء يقوله جابر ويقرره "

تنهدت وقلت بهدوء " هوا يتعب حقا في قضيتك يا سما

ولا أريد أن أدمر ما بينيه"

لأنت بالصمت ثم قالت " أنا آسفة لكني حقا أريد أن

تساعدني أنت وليس هم"

فتحت باب السيارة وقلت " سأساعدك أنا بمساعدتهم هم حسنا"

قالت وهي تنزل " حسنا"

\*

\*

دخلت المنزل وتوجهت من فوري لغرفة خالتي ، دخلت واقتربت

منها فمدت ذراعاها لي فحضنتها وقبلت خدّها وقلت

"اشتقت لك"

ضحكت وقالت " وأنا افتقدتك كثيرا فقد اعتدت على

وجودك معي طوال الصباح"

جاء حينها صوت نزار من عند الباب قائلا " لما لا تتركنا عنكما

الرومانسيات لنتناول الغداء فأنا أكاد أموت جوعا"

قالت خالتي ضاحكة " الله أكبر على الغيرة"

قال مغادرا " غيرة غيرة أريد أن أتغذى لأنام"

ابتعدت عن حضنها مبتسمة فقالت بهمس

"ما رأيك لو تركناه بدون غداء"

قلت هامسة من فوري

"سيغضب مني حينها ولن يأخذني للمدرسة"

ضحكت وقالت " لو سمعك لغضب منك حقا"

ضحكنا سويا ثم وقفت وقلت " سأضع الطعام على النار لينهي

نضجه وأستحم وأغير ثيابي وأضعه فورا"

قالت مبتسمة " أعانك الله على ما أتاك من تعب يا ابنتي"

قلت بضيق " خالتي لما تقولين هذا أنا لا أفعل شيئا أمام ما

تفعلانه لأجلي ولن أوفيه حياتي"

قالت بابتسامة " يسعدك الله يا ابنتي ويرعاك"

ابتسمت لها وغادرت من فوري للمطبخ أشعلت الفرن والموقد لأنهي

تجهيز الطعام وصعدت لغرفتي استحممت سريعا وغيرت ثيابي ثم

نزلت ووضعت الغداء وتناولناه سويا ثم نظفت المطبخ والمنزل وصعدت

لغرفتي لأذاكر دروسي ومر بي باقي النهار وعند المساء جلست عند  
سرير خالتي وقلت " الآن وقت روايتنا أكاد أموت فضولا لما سيجري "

ضحكت وقالت " هل أنهيت كل دروسك "

هزرت رأسي بنعم فأخرجتها وقالت " لن نقرا كثيرا لتنامي مبكرا حسنا  
"

هزرت رأسي بحسنا مبتسمة ثم أخذتها منها وفتحتها حيث توقعنا وقرأت

((قال فراس " غادرا كليكما واتركانا وحدنا"

قال اشرف " ما ستفعل بها وحدكم"

قال فراس ببرود " أرقص معها رقصة الشتاء"

ضحك أشرف بصوت عالي وقال

"ولما ليس الصيف ستكون ساخن"

بثر جملته تلك لأن شيئاً ما ضرب وجهه وهي مفاتيح فراس وأنا فتحت

فمي من الصدمة ووقف أشرف مغتاظا يمسح الخدوش الدامية من أثر

المفاتيح على أنفه وقال بغضب " تمد يدك علي يا فراس"

قال فراس صارخا " وأحطم وجهك يا قليل الأدب على

ما كنت تريد قوله"

أشار أشرف بأصبعه السبابة لوجه فراس وقال بحدة

"أنت بدأ بها أنا لم أتكلم عن الرقص يا نبيه"

وقف حينها وائل وقال " توقفا كليكما لستم صغارا لتسمحا

لهذه الطفلة أن تتسبب بدمار العائلة"

نظرت له بصدمة وقلت " أنا أتسبب بدمار العائلة" !!

غادر اشرف حينها قائلا " مجانيين من أكبركم لأصغركم

وجلبوا لكم مجنونة جديدة"

وترك الغرفة وقال وائل موجهها كلامه لفراس

" هل تراه طفلا تضربه يا فراس"

قال بضيق " تصمت أنت أو نلت مصيره ، يعرف أي أفقد

أعصابي بسرعة وقال ما يجعل الحجر ينطق"

يا إلهي هل يفقد أعصابه بالضرب بأي شيء في يده ؟

جيد أنهم لم يخرجوا ويتركوني معه

قال وائل متوجها جهة الباب " كنت أسمع فقط عن امرأة فرقت بين

الأخوة لكني بث أرى ذلك الآن ، وليته حبا لها كالبقية بل كرها"

تبعته أركض ناحيته وأمسكت قميصه من الخلف قائلة

" هيه وائل أين تذهب وتتركني معه وحدنا"

التفت لي وابتعد يدي عن قميصه بقوة وقال

" ما تريدي مني وما شأني بك"

ضحكت ضحكة صفراء وقلت

"أريد أن أخرج معك ، أود أن أقول لك كلمة سرية بيننا"

مرر فراس يده بيني وبين وائل ودفعه نحو الخارج قائلا

"أخرج أنت والكلام السري مؤجل قليلا"

فخرج وائل من فوره غير مكترث بي ، ولما سيكترث بي وهو

يكرهني كأخويه وبقيت وحدي في مواجهة التتين، أغلق الباب بيده

بقوة فرمشت بعيناي وهما في عينيه عدة رمشات ثم رجعت بخطواتي

للوراء وأنا أقول " إن مددت يدك علي أخبرتك والدك"

وضع يديه في جيوبه وقال بابتسامة سخرية " جيد وتهددين أيضا"

قلت بثبات " نعم وأكسر لك رأسك "

ضحك بصوت مرتفع فقلت بضيق " هل قلت ما يضحك لن تستطيع

فعل شيء لي يا فراس لأن والدك لن يسامحك وأنا لست خائفة منك "

اقترب مني فابتعدت للخلف أكثر حتى وصلت الجدار والتصقت

به فوصل عندي ووقف أمامي واضعا كفه على الجدار بجانب

رأسي ووجهه في وجهي وعيناه في عيني وقال

" ما الذي تريدينه منا يا رُدين "

استجمعت كل قواي التي لم يتبقى منها إلا القليل وقلت بنظرة ثابتة

" لا شيء طبعاً ووالدكم وضح هذا وقال بأني مجرد ضيفة هنا حتى حين "

ابتسم بسخرية وقال " هل تقنعيني أن فتاة صغيرة وجميلة تتزوج من

رجل في عمر والدها من أجل الا شيء "

قلت بابتسامة جانبية " آه شكراً هل أنا حقاً في نظرك جميلة

أنت ابن زوج ما " ....

كتم كلماتي بكف يده الذي أطبق به على فمي وقال

"من أنتي ومن أين تستمدين كل هذه الثقة والقوة"

كنت أنظر له بصدمة وقد نسيت أنه محقق وسيحل كل شيء بذكاء

تابع قائلاً " لم اقتنع حتى الآن فأشرحي لي يا ابنة المجهول"

ثم ابعده عن فمي وقال " يمكنك الحديث الآن يا ثرثارة"

قلت بضيق " اسأل والدك عن كل هذا بدلا من أن تستعرض عضلاتك

على فتاة صغيرة كما قلت يا ابن الحسب والنسب"

قال من بين أسنانه " أجيبني عن سؤالي"

انفتح حينها باب الغرفة بقوة وكان (( ....

انتهت حينها الصفحة فنظرت لخالتي نظرة استجداء فضحكت

وقالت " في المرة القادمة هيا الآن للنوم"

تنهد بقلّة حيلة ووقفت وضعت الكتاب بجانبها وهممت

بالخروج حين استوقفني صوتها قائلة " سما"

التفت لها فقالت " نسيت أن أعطيك هذه"

نظرت للكيس في يدها بحيرة وقلت " وما هذه"

قالت " جلبهم نزار ولأنك كنتي تدرسي لم يجب

إزعاجك فتركهم عندي"

اقتربت منها وأخذت الكيس وفتحته فكان فيه حجابان جاهزان

باللون الأبيض وشيء آخر أخرجته فكان مشطا خشبيا ، نظرت

له ثم لخالتي باستغراب فقالت " يبدووا سمع حديثك معي عن

مشط الفتاة التي حدثتني عنها في المدرسة"

نظرت للمشط في يدي لتعود تلك المشاعر الغريبة تغزوا كل

جسدي وأولهم قلبي ثم نظرت لها وقلت " أنا تحدثت عن أنه أعجبني

فقط ولم اقصد أي أريد مثله ، هل أنتي أخبرته عنه يا خالتي"

هزت رأسها بلا وقالت " اقسم أنني لم أخبره ولا تنسي

أنه دخل وقتها على حديثك عنه"

عجز لساني عن قول أي شيء فغادرت جهة الباب أطفأت نور

غرفتها وصعدت للأعلى ، لما يكلف نفسه دفع النقود على أشياء من

المفترض أن لا يهدر ماله عليها ! أنا الملامة أترك كل تلك الأموال

في القبو وأتعبه برغباتي وحتى مصروف المدرسة هوا من تكفل به

وصلت لغرفتي وضعت الكيس فيها ثم توجهت جهة غرفته طرقت  
الباب عدة طرقات خفيفة ليفتح لي إن كان مستيقظا فقط ففتح الباب  
وكان لم ينم بعد ، نظرت له مطولا بصمت ثم أخفضت نظري وقلت

"أنا موافقة أن نذهب وصديقك جابر ورجاله للقبو"

\*\*\*\*\*

وصلت القصر قرابة العصر ودخلت بخطوات سريعة فموكد  
الجميع في انتظاري من أجل الغداء ، دخلت بذات خطواتي السريعة  
وصعدت لجناحي فتحت الباب ولا شيء سوى الصمت فتحت باب  
الغرفة ولا أحد فيها ، طبعا ستكون مع الأطفال فهم صفقتها الوحيدة من  
هذا الزواج ولن تعترف بحقوقى كزوج وأنه عليها على الأقل استقباله  
لترى ما يحتاج ، أغلقت الباب وغادرت الجناح وتوجهت لغرفة الفتاتين  
وفتحت الباب الشبه مفتوح ، كان أمجد منشغل بالكتابة في كراسة وفي  
صمت و بيسان أيضا تكتب وتقول " يخرج الجيوش هكذا صفان خلف  
ثلاث ثم واحد ونصبح في خط البداية"

وأرجوان طبعا تجلس أمامها فعلى ما يبداوا تكثف لهما الدروس

كي يلحقوا ما فاتهم ، وتربط شعرها عقدة كالصباح وترف طبعا  
تمسح لها عليه بكفها الصغير على ظهرها معطيتان ظهرهما لي

ولا أحد يراني ، حركت أرجوان ظهرها وقالت

"ترف ابتعدي عن شعري يكفيني واحد"

قالت وقد حضنتها من ظهرها ونامت بخداها عليه

"أحبك ماما متى سيصبح شعري طويلا كشعرك"

حممت بصوت واضح واقفا عند الباب وممسكا المقبض بيدي

فرفعا بيسان وأمجد رأسيهما ونظرا لي والتفتت أرجوان وترف

وتوجهت ترف من فورها نحوي فرفعتها وقبلت خداها فقالت

"بابا تعال انظر كيف رسمت بيسان"

أنزلتها وقلت " مشغول ترف وتريني بزي الشرطة بسرعة

انزلوا لنتناول الغداء لأنه عليا المغادرة"

ركضت للداخل مسرعة وهي تقول " رسمت ماما أيضا"

عدت بعدما استدرت لأغادر فكانت أمامي بورقة مدتها لي فأخذتها

منها فكانت رسمه لفتاة تعطي ظهرها وشعرها طويل وعيناها في

رأسها من الخلف فضحكت ونظرت لأرجوان فكانت تنظر لي

بضيق فأرجعت الورقة لها وقلت " أكتبي فوقها (هذه التي تنسى

حقوق الكبير وتنظر للخلف من أجل حقوق الصغير" )

ثم غادرت من عندهم ونزلت للأسفل حيث طاولة الطعام ووالدتي

هناك ، توجهت نحوها وقبلت رأسها وجلست بجانبها وبعد قليل دخلت

أرجوان والأطفال وجلسوا وطبعا هي جلست في الجانب الآخر بدلا

من أن تجلس بجانبني ، جلست ترف على يمينها وبيسان على شمالها

طبعا وإلا كانت ستقوم حرب طاحنة هنا وأمجد المستسلم دائما وضع

يديه وسط جسده ينظر لهم بضيق وصمت فقلت " أمجد أجلس هنا"

توجه ناحيتي بصمت وجلس بجانبني وبدأنا الأكل وبعد قليل قالت

ترف وهي تمسك الجزر الغريب الشكل

"سألك أنتي أولا أيتها الطائرة"

وتطيره بيدها واحدة بعد الأخرى وتأكلهم فتأففت والدتي بصوت

مسموع وقالت أرجوان " كلي الطماطم و الخس أيضا يا ترف فلم

يصبك الإمساك إلا لأنه لم تأكلي خضراوات منذ وقت وإن

بقيتي هكذا ستفجر معدتك"

ضحكت بيسان وقالت " وسيطير علينا الطعام منها"

قالت والدتي حينها بحدة " بيسان احترمي الطعام أمامك"

سكتت بيسان وقالت أرجوان " كلي الخس حبيبتي قليلا فقط هيا"

قالت ترف " لا أريد ... لا أحبها ماما"

نظرت أرجوان للخلف وقالت لإحدى الخاديات

"الشكلاته السائلة من فضلكم"

توجهت إحداهن للمطبخ من فورها وأحضرتها لها فسكبت منها

خيوطا متفرقة على صحن السلطة أمامها فأمسكت ترف

الشوكة وقالت " الآن هي لذيذة"

وأصبحت تتبع القطع التي سالت فوقها الشكلاتة

نظرت لي والدتي حينها وقالت

"زوجة عمران العامري تحدث معي من أجل زهور"

قلت ونظري على الطبق أمامي

" عائلة العامري تجار السيارات ما غيرهم "

قالت " نعم ما غيرهم طلبوها لابنهم الأوسط الذي توفيت زوجته

العام الماضي ، العائلة كبيرة ومعروفة وأرى أن هذا الزواج لا يفوت

أعلم أنه ليس هذا مكانا للحديث عن الأمر لكنك غير موجود أغلب

النهار ولن تكون موجودا في الليل أيضا بعد الآن "

شرقت حينها أرجوان باللقمة في فمها وبدأت ترف بضربها

على ظهرها بقبضتها وهي تقول

" ساعديني يا بيسان ستموت ماما ونبقى من دونها "

ضحكت حينها أرجوان وأمسكت أنا ضحكتي وقالت والدتي

بهمس من بين أسنانها " فوضى وكأنا نأكل في الشارع "

تجاهلت كل ما سمعت وقلت بهدوء

" أخبرتك أن القرار لزهور ولن نجبرها إن رفضت "

قالت بضيق " إن تركنا الخيار لها فسترفضه طبعاً "

قلت " ما لدي قلته منذ وقت وأضنا تفاهمنا فيه فتحدثي

معها في أمره وخذي رأيها"

وقفت متضايقة وقالت مغادرة " سأتصرف في الأمر

وما أريده سيكون"

تنهدت بضيق وتابعت أكلي فوقف أمجد وقال " شبعت"

قالت أرجوان بضيق " أجلس يا أمجد"

جلس مجددا وقال " نسيت ماما الحمد لله الذي أطعمني هذا

الطعام ورزقته من غير حول مني ولا قوة"

قالت بذات ضيقها " ولا تغادر الطاولة ووالدك جالسا أحترمه يا أمجد"

قال بهدوء " آسف ماما"

ثم رفعت صحن الزيتون من أمام ترف وقالت

"ترف سأضربك أقسم أن أفعلها"

وقفت حينها وحمدت الله بصوت مسموع وغادرت غرفة الطعام

وتوجهت لمكتبي أبحث بين الأوراق على عجل حين طرق

أحدهم باب المكتب ودخل دون أن آذن له فعدلت وقفتي والتفت

فكانت أرجوان ، اقتربت قليلا وقالت " أريد الخروج"

نظرت لها بصمت لبعض الوقت ثم قلت " ولما؟؟"

قالت بهدوء " أريد بعض الأغراض لي و" ...

قاطعتها قائلا وأنا منشغل بالورق في يدي

" ألم يكفيك كل الذي اشتريته ما هوا الذي تحتاجينه"

قالت بعد صمت " نظرتي في الناس لا تخيب وأقسم أنك من

الرجال الذين لا يحاسبون المرأة على مالهم"

رفعت نظري لها أحاول ترجمة كلماتها ولأول مرة أحتاج لثنائي

لفهم خبايا الكلام ومن امرأة تحديدا ، عدت لشغل نفسي بالورق

أبحث عن ضالتي وقلت " وإن كنت عكس ما تضمنين"

قالت دون تردد أو انتظار " أقص شعري حد أذناي"

عادت لسرقة عياني من أوراقى من جديد لأنظر لها فقالت وقد

حولت لهجتها للعفوية " لأنى أريد مشابهك شعر بدل التي

كسرتها ، على الأقل أمام الضيوف والأطفال"

قلت بسخرية " أراك وجدت حلا له ، ما تريديه بالمشابك"

تنفست بقوة وقالت " جابر لا أريد أن أقول سأشتريها من مالي لأنني

سأكون بذلك أهنتك إهانة لا حجم لها وأستحق أن تضربني عليها"

أعدت الأوراق للرف وأنا أقول " حتى أي سنة درست يا أرجوان"

قالت " و بيسان أريد أن أشتري لها لعبة القلعة والجنود من أجل  
تدريسها

كنت في السابق لا أستطيع شرائها لأنها مكلفة وراتبي لا يساعدي"

سحبت من الملف الورقة التي وجدتها أخيرا وتوجهت نحوها

ووقفت أمامها ومددت يدي وأدرتها خلف رأسها وفتحت ربطة

شعرها وقلت وعينا في عينيها " لأي مرحلة دراسية درست"

قالت ببرود " أنهيت الثانوية"

قلت بابتسامة جانبية وأصابعي تتخلل دواخل ليلها الكحيل

الكثيف " حقيقة هذه أم مزحة"

قالت بهدوء " حقيقة طبعا فاخضم من عمري خمس سنين منذ جاءتني

زوجتك بأبنائك تجدها نهاية مرحلة الثانوية وإلا ما كنت عملت في

مصنع أقمشة وتركت شهادتي وأضنك أذكى من أن يفوتك كل

هذا لكنك تصبوا للوصول لأمر ما لا أفهمه"

غصت بيدي أكثر في شعرها وقربت وجهها مني وهمست

في أذنها قائلاً " تعجبني المرأة الذكية يا أرجوان لا تنسي هذا أبدا"

وغادرت من أمامها وقلت خارجا من المكتب

"أخرجني برفقة السائق وسيلا واشتري ما تريدين"

وغادرت من فوري وخرجت من القصر راكبا سيارتي

حسنا احتاجت معي لسنين لتفهم أنه لا يمكن التعامل معي بالشد

والرد وحتى حين فهمت لم تطبق ذلك ، هذه الفتاة فهمت هذه النقطة

جيذا ليس من اليوم واللييلة التي قضتهم معي بل من الفترة واللقاءات

البسيطة الماضية وأتمنى أن لا تضيع من نفسها هذا الطرف لأنها

ستنتهي حينها نهاية حسناء

\*

\*

رمى بالصندوق على السرير وقال

"وصلك هذا وللمرة الألف أنا لست خادما لديك تفهم"

مررت أصابعي في شعري لتتساقط الخصلات مجددا على جبيني

وقلت بشبه ابتسامة " ومن طلب منك إحضارها لي ، ثم الشقة  
شقتي وإن فتحت الباب يأتيك الجواب وتدخل لي ما يأتيني"  
قال بتذمر مغادرا " يكفي أش أش ما أحب الثرثرة لديكم معشر الأدباء"  
واختفى من أمامي وأنا أنظر له بابتسامة ثم عدت لأوراعي ليلفت  
انتباهي لون غلاف الصندوق وكأني كنت غافلا عن هذا الأمر  
نظرت له بسرعة وتدقيق ... صندوق بنفسجي اللون ! قد أكون  
أتوهم ذلك لأنه يستحيل أن يكون منها ولكن في الحياة كل شيء  
يجوز ، وقفت وتوجهت نحوه أمسكته وبدأت بتقليبه ، لم يكن كبيرا  
وكان مستطيل الشكل وبه شيء صلب ويبدووا مستطيلا أيضا  
قربت الصندوق من أنفي واستنشقت العطر فيه بعينان مغمضتان  
منها أقسم أنه منها ولن يخطئ قلبي قبل أنفي بقايا عطرها فيه  
أزلت الغلاف وفتحته بسرعة لأصدم بما في داخله ( شريط فيديو)  
بقيت لوقت أنظر له بعدم استيعاب ثم رفعته ألقه أمام عيني  
لا شيء معه ولا شيء مكتوب عليه ، لتعود لي الهواجس

من جديد .... منها أم ليس منها عطرها أم أنا أتوهم

توجهت من فوري لغرفة الجلوس وأغلقت الباب خلفي وشغلت

التلفاز ووضعت الشريط في آلة الفيديو وجلست أنتظر بترقب

شاشة سوداء لبضع ثواني ثم ظهر فيها ما جعلني أقف على طولي

زهور تجلس على البيانو الخاص بها وتعزف وزهور الطفلة بفستانها

الأبيض تدور وترقص حولها ، موسيقى !! نعم أعرفها جيدا لمن

تكون إنها معزوفة أغنية حزن الشتاء وأعرف جيدا كم كانت تحبها

كانت تعزف وتتابع بعيناها حركة الفتاة التي ترقص حولها أما

أنا فعيناي كانتا ترقصان بينهما لم أعرف فيمن أركز منهما ، لو

كان باستطاعتي لجعلت كل عين تنظر لواحدة ، كنت أتفتت وأنا

أرى الماضي والحاضر أمامي في آن واحد ، زهور الماضي

وزهور الحاضر ، مؤكدة تلك ابنة جابر نسختها المصورة ، بعد

لحظات بدأت زهور بالغناء بصوتها الجميل تردد كلمات الأغنية

ونظرها على أصابعها التي تلعب على النوتات ببراعة وتردد تلك

الكلمات الحزينة " ما أطول الليالي حين ينتصف الشتاء ... حين  
ترحل شمس حلمي حين تسود السماء ... والبكاء تبدأ تمطر تمطر  
كالبكاء .... أم أنا ابكي دموعا كالسمااء .... عودي يا ليالي الربيع  
وسافري سحب الجفاء عودي يا ليالي الخريف عودي حتى بالخواء"  
كان صوتها العذب واضحا مع الموسيقى الحزينة المنخفضة  
والطفلة تدور بفستانها ترفع يداها للأعلى ، تماما مثلها فحتى في  
رقصها تشبه زهور في طفولتها ، الابتسامة ذاتها والحركة والخطوات  
جلست منهارا على الأريكة وعيناها مركزة عليهما ، ما الذي تريدين  
فعله بي يا زهور ماذا !! لو لم أكن رأيت ابنة جابر سابقا بعيني لما  
بقيت بعقلي الليلة ، لازلت تذكرين كل تفاصيلي يا زهور حتى عنوان  
شقتي هنا ، انتهت المعزوفة والأغنية وصفقت زهور للطفلة ونظرها  
عليها بابتسامة ثم قالت لها جملة كانت الضربة القاضية لي

\*

\*

دخلت القصر أنا والخادمة نجر الصندوق الكبير لتساعدنا

الأخريات وأخذناه للأعلى حيث أحد الغرف الشاغرة والمجاورة

لغرفة الفتاتين وقد طلبت وضع سجادة كبيرة فيها فقط دون أي أثاث  
أخرى ودخل الأبناء بعدنا على الفور ينظرون للصندوق والرسوم  
عليه و بيسان تحضنه من الخارج وتقول " قلعة وجنود لا اصدق "  
خرجت الخادومات وبدأت أنا والأولاد بإخراج محتوياته وركبنا القلعة  
وفرزنا كل ملحقاتها ، كنت أنا و بيسان نقسم الجنود فكل الغرض من  
شرائها هم ، أما ترف فكانت تضرب بيدها على أعلى مبنى القلعة  
الكبيرة وتقول " أخرجوا بسرعة من الأبواب بسرعة "  
ثم تنظر من النوافذ فيها وتقول " ماما لما لا يخرجون أراهم في الداخل  
"   
قالت بيسان بتذمر " ماما ستكسر قلعتي أنظري لها كيف تضربها "  
قلت ونظري على الجنود الكثيرين أمامي " لن تنكسر بنيتي لا تخافي "  
أما أمجد فكان يحرك العربات ويضرب جنودنا بالمنجنيق و بيسان  
تكاد تشتعل وهم يعبثون بحلمها ، نظرت له وقلت بضيق  
" أمجد لا تضرب به هنا اضرب القلعة هناك "

احتضنتها ترف وقالت " لا قلعتي لا تضربوها"

وقفت بيسان واضعة يديها وسط جسدها وقالت

"ابتعدا عن مملكتي ما قلعتك وقلعتك"

قلت بحدة " بيسان لن تكون لك وحدك وسيلعبون بها معك ولن تفتح

هذه الغرفة إلا أوقات معينة أو سنعيد اللعبة من حيث أتينا بها"

قالت باستياء " ولكن ماما" ..

قلت بضيق " بيسان لا تغضبيني منك"

جلست وقالت بحزن " حاضر إمبراطورة"

ثم انشغلت معي بالجنود وصرنا نطبق الدروس بها نظريا

وكان الأمر أسهل من الخيال ، قضينا هنا مقربة الساعتين ثم

وقفت وقلت " ضعوا كل شيء من أيديكم بسرعة وسنخرج من هنا"

تدمروا جميعهم فقلت بأمر " الآن"

وقفوا مبتعدين عنها وترف تخفي يدها خلفها فمدت يدي لها

فقال بابتسامة وهي تمرر لسانها على شفتيها الصغيرتان

" لا شيء لدي ماما أنتي تتوهمين ذلك"

لم استطع التحكم في ابتسامتي وقلت

"أعطني ما لديك أو لن تدخلني معنا المرة القادمة"

مدته لي بشفتان ممدودتان فأخذته منها وقلت ضاحكة

"سرقتي الملك مرة واحدة"

وضعته مع باقي الدمى وقلت وأنا أخرجهم أمامي

"في الغد سنلعب مجددا الآن لصلاة المغرب بسرعة"

عدنا لغرفتهم صلينا معا ثم جلست أدرس أمجد ، الدروس

متراكمة وسنحتاج لوقت لإنهاؤها ، أشعر أن عظامي ستتكسر

من الجلوس منحنية على الكراسيات والكتب ، بعد وقت سمعنا

جرس العشاء ، نظرت للساعة فكانت الثامنة ثم تذكرت أن

العشاء هنا حسب مزاج وأعمال السيد جابر طبعاً ، لكن ما لم

أتوقعه أن يكون قرار زواج شقيقته المجهولة في يده ، توقعت أن

والدته هي من تسير الأمور هنا ، وهذا ما فهمته من البداية فهي

تستمد قوتها من احترامه لها ولرغباتها وها هو تزوجني أنا ضد

رغبتها وتبدوا شقيقته كذلك ، نزلت مع الأولاد للأسفل بعدما طلبت  
منهم غسل أيديهم ، وصلنا طاولة الطعام وكانا جالسان مكانيهما عند  
الغداء وجابر هذه المرة يرتدي البذلة الرسمية وربطة العنق وقد  
غير زيه الخاص بعمله وأنا طبعا كما قال أهمل الكبير ولا أعلم  
حتى متى جاء وغير ثيابه ، وما دخلي به هوا تزوجني مربية  
ومعلمة وقد قالها بصريح العبارة وأنا تزوجته من أجل الأبناء  
كما قال وهي الحقيقة وقبل أن نكمل دروسنا لا أعترف به  
وصلنا لطاولة الطعام وأجلست ترف على الكرسي فقال جابر  
بجدية ونظره على طعامه " تجلسون ثلاثكم أمامي ووالدكم  
هنا بجانبني لا نريد مشاكل على الطعام كل مرة"  
نظرت لي ترف بعبوس فأشرت لها بعيناي أن لا تتكلم  
وتوجهت للجهة الأخرى وسحبت الكرسي بجانبه  
وجلست ، من قال له هذا أني أريد الجلوس بجانبه  
غريب أين تكون زهور تلك لم تتناول الغداء ولا العشاء  
معنا تبدوا كما قالت بيسان لا تخرج إلا في الليل

تابعنا طعامنا في صمت حتى قالت ترف وهي تدفع يد

بيسان بعيدا عنها وتأخذ الجزرة من شوكتها

"ليست لك هذه الجزرات لي أنا"

وقفت حينها جدتهم وغادرت قائلة

"جابر ما أن تعود لاحقا وافني في جناحي"

وغادرت من فورها وها هي بدأت بأولى جولاتها ، نظرت

لترف وقلت بحدة " ترف أنتي ممنوعة من الحلوى تسمعي"

قالت بتذمر " لا ماما"

وقف جابر فوقفت بعده وتوجهت نحوها ورفعتها من الكرسي

وخرج هوا يتحدث في الهاتف قائلا " نعم قادم الآن .... لا لن أتأخر"

وغادر المكان وصعدت أنا بترف للأعلى ودخلت بها للغرفة

وقلت بحدة " ترف ما هذا الذي تفعلينه على طاولة الطعام"

نزلت من عينيها دمعة فقلت بذات حدتي

" أنتي مؤدبة وأنا ربيتك سيقول الجميع الآن أني أنا سيئة"

قالت " آسفة ماما"

قلت بضيق " لا أريد أسف فقط بل لن تعبثي بالطعام مجددا

أو سيخرجونني من هنا وأعود لمنزلي"

هزت رأسها بلا بدموع دون صوت فجلست على الأرض ومددت

يادي لها فاقتربت مني ونامت في حضني تبكي فمسحت على شعرها

وقلت " الفتاة الجيدة لا تفعل ذلك عليك أن تكوني كأخويك"

قالت بعبرة " حاضر ماما ولكن لا تتركينا"

قبلت رأسها وقلت " لن أترككم لو تصرفت بأدب"

تحرك حينها أحدهم عند الباب فنظرت له بسرعة فكان جابر واقفا

ويده في جيب بنطاله ويبدووا كان هنا منذ وقت ، ابتعدت ترف عن

حضني ونظرت باتجاهه ووضعت سبابتها أمام شفيتها وقالت

" أقسم بابا لن افعلها مجددا لا تأخذ ماما من هنا وتعيدها لمنزلها"

اقترب منها ورفعها له وقال " حسنا لن آخذها هيا لتأكلي

الحلوى ما دمت اعترفت بخطئك ولن تكرريه"

نظرت باتجاهي وقالت " ولكن ماما قالت لا آكلها"

وقفت وقلت " إن قال والدك شيئا ينفذ على الفور مهما كان مفهوم"

هزت رأسها بحسنا دون كلام وغادر بها وجلست أنا على الأريكة

أتنفس بهدوء ، ترف لم أستطع السيطرة عليها في هذه النقطة مهما

حاولت وجدتها ستستغل الوضع بالتأكيد لتثبت أنني فشلت في تربيتها

بعدها بقليل صعد الأولاد وتابعت دروس اليوم معهم وصلينا العشاء

وعند العاشرة نومتهم في أسرتهم وتوجهت للجناح الذي لم أدخله

منذ خرجت منه صباحا ، كان نظيفا ومعطرا فما أروع الخدم

دخلت غرفة النوم استحمت وارتديت بيجامة حريرية

ونمت من فوري من شدة التعب

\*

\*

دخلت القصر بعد منتصف الليل ، عليا زيارة والدتي أولا رغم

أني أعلم ما ستتحدث عنه وهم زهور وترف ، وأنا متعب وأريد

الراحة قليلا ، توجهت لجناحها طرقت الباب ودخلت وكما توقعت

كانت تنتظرني في الجناح ولم تتم ، ألقى التحية وجلست أمامها

فقلت " هل ترى حقا أنه علينا أخذ رأي زهور في ابن العامري "

قلت ونظري بعيد عنها " نعم والرأي لها "

قالت بضيق " جابر هل تراه شاب يفوت "

نظرت لها وقلت " لا طبعاً ولكن الخيار لها ولن

تتزوج إلا من تختاره "

ثم قلت بهدوء " هل تحدثت معها "

قالت من فورها " أريدك أنت أن تقنعها ، تبقى تحترمك وتحبك دون

الجميع فزهور لم تتغير وإن كانت تسجن نفسها في حزنها "

وقفت وقلت " تبقى هذه الأمور تخص النساء وستقبلها منك أكثر "

قالت ناظرة لي " أجلس لم تنتهي بعد "

قلت ولازلت واقفا " ترف تصرفت أرجوان في أمرها وإن

تكرر الأمر أنا من سيتدخل فيه وانتهى "

قالت بحزم " سنين وهي معها الآن ستتصرف فيه ، ما هذا الجنون "

قلت مغادرا الغرفة " سأحدث معها في الأمر وننتهي

منه دون أن تتدخل في فيه "

توجهت بعدها لجناحي ودخلته ثم لغرفة النوم التي كانت مظلمة تماما

شغلت الأنوار فكانت أرجوان نائمة بعمق وكأنها عزباء وفي غرفتها

لوحدها ، لا أنكر أنني في الماضي كنت أدخل القصر ليلا متمنيا أن

أجد حسناء نائمة وليست ككل ليلة تنتظرنني بتشكيها الدائم لكن هذه لم

تتزوجني إلا من يومين وتعاملني وكأنني جدار سوى مع الأولاد

وكانها ترسم لي حدودا محددة ، أحترمك أمام أولادك وأعلمهم

احترامك وتنفيذ أوامرك وهذه هي وظيفتي فيما يخصك

اقتربت من السرير وجلست وهزرتها وقلت " أرجوان "

همهمت قائلة " همممم أتركني يا جابر أرجوك "

هزرتها مجددا وقلت " استيقظي هيا "

قالت بتذمر وعيناها مغمضتان " ألا تشعر بالتعب لابد وأنت

متعب نم بسرعة أنا متعبة وأحلم بالأرقام تدور حولي "

قلت بضيق " استيقظي ... أنتي متزوجة ولك زوج تنتظرينه

أين تضنين نفسك ؟ في منزلك مثلا "

فتحت عينا واحدة نظرت لي بها ثم أغمضتها مجددا

فقلت بأمر " أجلسي بسرعة"

أبعدت اللحاف عن جسدها وجلست تجمع شعرها للخلف

وقالت " ها قد استيقظت وجلست أيضا"

غادرت السرير وقلت وأنا أنزع سترتي وأفتح أزرار قميصي

"أخرجي لي ثياب النوم سأستحم بسرعة ، واشتريت قمصان

النوم ليس لأتفرج عليها في غرفة تبديل الملابس"

ثم دخلت الحمام واستحمت سريعا لأجدد نشاط جسدي وأنام

مرتاحا ، خرجت بعدها ووجدت بيجامتي على السرير وهي

منشغلة بالخزانة فأخذت البيجامة ولبستها ثم جلست على

السرير ناصبا ركبتي أمامي وامتأ على ظهر السرير وقلت

"أحضري لي صحن المكسرات من المطبخ في الجناح"

نظرت لي باستغراب وكانت تتوقع طبعاً أنني سأنام لكن لا بأس

عليها أن تتعلم حقوق الزوج قليلا ، تركت بعدها الغرفة في صمت

وخرجت وبعد قليل عادت بالصحن ووضعته بجانبني وتوجهت لطاولة

التزيين وجلست عليها تبحث عن شيء ما لمدة طويلة ثم أخرجت

ورقة وقلم وجلست على الأريكة تكتب فيها متجاهلة لي مجددا

أكلت القليل من الفستق ثم قلت " ماذا تكتبين في هذا الوقت"

نظرت لي ثم عادت بنظرها للورقة مجددا وقالت

"يبدو أنه لا رغبة لك في النوم وأنا لا أنام إلا في

الظلام فسأجهز ما سأدرسه لأمجد غدا"

قلت بسخرية " أنتي في غرفة النوم يا حرم جابر

حلمي وليس في مدرسة"

نظرت لي نظرة باردة ثم عادت لورقتها فأخذت قشرة فستق

ورميتها بها ولا أعلم لما يروق لي مضايقتها وهي تتجاهلني هكذا

نظرت لي وقالت بضيق " هذه المرة سأعتبرها بالخطأ إن

تكررت فستكون إهانة لن أقبلها أبدا"

وعادت لورقتها بالطبع فأخذت حبة فستق كاملة ورميتها عليها

فوقفت واضعة يديها وسط جسدها تنظر لي بضيق وقالت

"هل تشرح لي سبب هذا ، لا نوم تريد أن تنام ولا تترك غيرك ينام"

قلت بجمود " أرجوان تحترميني أو تري مني مالا تحبين "

قالت بضيق أكبر " ولما لا تحترمني أنت "

نظرت لها مطولا بصمت ثم قلت

" أين تصنفين نفسك في الجمال "

نظرت لي باستغراب من سوالي فقلت بابتسامة جانبية

"سؤال صعب عند جميع النساء أليس كذلك"

رمت شعرها للخلف وقالت بسخرية

"لا طبعا وأنا من الجميلات"

ضحكت وقلت " وكيف قيمتي نفسك "

قالت ببرود " لا أحد يقيم نفسه يا نبيه وأنت تعلم ذلك

من قبل أن تسألني فالجواب لديك وليس لدي "

قلت ببرود " أنا لم أقيمك "

قالت بابتسامة جانبية " زوجتك كانت أجمل مني أليس كذلك "

قلت بنظرة مأكرة " لا أذكر "

قالت وهي تغير مكان وقوفها " لأنك لا تعير الشكل اعتبارا

أليس كذلك ، وليس هوا ما يهيك في المرأة"

فهمت الرسالة إذا ، اتكأت على السرير بابتسامة صغيرة

وأخذت إحدى الوسائد ووضعتها أيضا تحت رأسي وقلت

" غيري ملابسك بسرعة"

دخلت غرفة التبدیل وخرجت مرتدية قميص النوم ودون كلام

فمددت يدي لها وقلت " تعالي ... ورائي غدا نهار طويل ومرهق"

اقتربت من السرير ودخلته وهي تقول " ابتعد عما سيعرضني

لأسئلة أبنائك وبالرفق رجاء"

اقتربت منها وسحبته من ذراعها قائلا

" الا تعرفين كيف تفعلين شيء بدون تدمير"

\*

\*

سمعت طرقات على باب غرفتي فنظرت لساعة الحائط من

فوري ، ترى من هذا الذي دخل جناحي هذا الوقت !! هممت

بالوقوف حين انفتح الباب ودخلت والدتي ، نظرت لها

باستغراب فقالت بجدية " ظننتك نائمة "

قلت بهدوء " لا لم أنم تفضلي "

اقتربت وقالت دون أن تجلس " ابن العامري طلبك للزواج فما رأيك "

بقيت أنظر لها باستغراب .... أمي تأخذ رأيي!!

تابعت " هوا فرصة جيدة ولا تفوت زوجته متوفيه وليس لديه

سوى ابن واحد وصغير وعائلتهم كبيرة ومعروفة "

لا ليس قبل أن آخذ بحقي ، ليس قبل أن أنتقم ممن سرق طفولتي

وشبابي ومشاعري وأحلامي ، قالت عندما طال صمتي

"ماذا قررتِ؟؟"

قلت " سأوافق على رضا وبشرطي وغيره لا "

نهاية الفصل

الفايزين بالهدايا طبعاً منى سعد ومالكا قلبي من الفصل السابق

وفي فصل اليوم همس الريح أول من توقع إن زهور توافق على رضا

## الفصل الرابع عشر

دخلت المنزل مسرعة وتوجهت لغرفتي هنا وهي غرفة جواد سابقا

أغلقت الباب خلفي وارتميت على السرير أبكي بحرقة فسمعت باب

الغرفة ينفتح وخطوات بطيئة وثقيلة تقترب مني ليجلس أحدهم

على السرير ثم صوت خالتي المتعب وهي تقول

"وسن يا ابنتي ارحمي نفسك وارحميني"

جلست من فوري لأجدها جالسة على طرف السرير والممرضة

واقفة فمسحت دموعي وقلت " خالتي لما غادرتِ سريرك وغرفتك"

مسحت على شعري وقالت " ما كنت سأرتاح وأنتي تسجنين نفسك

هنا وقد قضيتي البارحة في المستشفى وخرجت مني تصارعين الموت"

نمت في حضنها وقلت بدموع " لما أخبرته ليأتي لما جعلته يراني

في تلك الحالة يا خالتي ، لقد ظلمتني ظلما كبيرا"

قالت بحزن وهي تمسح على ذراعي

"لم أخبره يا وسن ولم أطلب منه المجيء"

قلت بعبارة " مات نواس يا خالتي مات "

قبلت رأسي وقالت " نعم أعيده مات وعيشي حياتك يا وسن "

ابتعدت عن حضنها ونظرت لعينيها وقلت " كيف ولم يمت قلبي كيف "

تنهدت بحزن ولم تتكلم فقلت بأسي " لا أريد أن أراه جدي لي حلا يا خالتي "

قالت بقلّة حيلة " وما الحل الذي لدي هل تريدي أن أطرد ابني يا وسن "

ابني الذي ضحى بشبابه ودراسته من أجلنا ، الذي عانى الذل

والمهانة والسب والغربة من أجلي وأجل شقيقه "

قلت ودموعي عادت للنزول

" اطرديني أنا إذا ، قولي لا أريدها في منزلي "

حضنتني وقالت " ينقطع لساني قبل أن أقولها ، وافقي

وتزوجي ابن خال فرح وستبتعدين عنه نهائيا "

قلت بحزن " لا أريد أن أظلم غيري ، لن أظلمه معي يا خالتي ولن

أستطيع أن أعطيه حقه كزوجة ، لن أكذب عليك وعلى نفسي "

ثم ابتعدت عن حضنها وغادرت السرير قائلة " هيا عودي لغرفتك

وسريرك ، خالتي أرجوك لا تخرجي منها مجددا"

ساعدتها والممرضة على الوقوف فقالت بهدوء وتعب

"أراح الله بالك يا وسن وبال ابني"

أوصلناها في صمت ولم أضف حرفا وهممت بالخروج فقالت

"لا تسجني نفسك يا وسن ابقني معنا نتسلى قليلا"

قلت بابتسامة صغيرة " أريد أن أنام أشعر بالتعب"

هزت لي رأسها بالموافقة مبتسمة فابتسمت لها وعدت لغرفتي ، دخلت

وكان هاتفي يرن دون توقف ويبدو أن خالتي أحضرته لي حين جاءت

لأنه لم يكن معي ، نظرت للمتصل فكانت فرح فأجبت عليها من فوري

فقالت مباشرة وببكاء " وسن هل أنتي بخير أين أنتي من البارحة

أتصل ولا تجيبي ويتهربون مني جميعهم"

قلت بابتسامة حزينة " بخير يا فرح لا تقلقي وتقلقي زوجك

معك أنا بخير حية ولم أمت"

قالت بحزن " حمدا لله ما كنت سأصبر يوما

واحدا لو لم تجيبي علي"

قلت بعتب " فرح اهتمي بدراستك وزوجك فقط ولا

تزعيه فهو يحتاج للراحة وللتركيز "

قالت وقد عادت للبكاء " كيف أرتاح وأريحه الذنب

ذنبه هل كان عليه السفر بي بعيدا عنك ، مشتاقه لك

وسن وأريد حقا أن أكون معك كل عمري "

نزلت دمعتي فمسحتها وقلت " كلها سنين وستعودان

فرح عديني أنك لن تزعي جواد مجددا "

لاذت بالصمت فقلت " عديني يا فرح "

قالت " لا أستطيع فما يزال هناك يوم ستحمل زوجته المصون

ويوم ستنجب أيضا ويوم يجلبها لكم ليقنتك بها "

قلت بضيق " ما هذا الجنون يا فرح "

قالت بحرقة " أخذه الله وهي معه وأحرق قلبيهما معا

منذ أن عرفناهم لم نعرف خيرا "

قلت بحدة " فرح اصمتي ولا يسمع جواد ما تقوليه تفهمي "

قالت ببرود " هوا غاضب مني منذ الصباح ولا يكلمني "

تنهدت وقلت " أعلم أنك لن ترتاحي أبدا ، لا تنسي أنه شقيقه

في كل الأحوال ، هل ترضي أنتي أن يقول جواد عني

شيئا سيئا ويدعي علي "

قالت بضيق " فرق كبير بينك وبينه ، هوا يستحق

وأنتي لم تفعلي له شيئا "

قلت بحزن " كل واحد منا جرح الآخر ، تلك هي الحقيقة وها

نحن تصافينا ولكن حياته "

قالت مباشرة " وسن وافقي على ابن خالي إنه الأفضل بينهم

جميعا وأنتي تعرفي جيدا ما يقال عنه "

قلت بهدوء " لا أستطيع يا فرح لا أستطيع "

قالت بحدة " ولما هوا استطاع وتزوج وأنتي لا "

قلت ببرود " ليس لأجله لا أستطيع بل لأجل ابن خالك فما

ذنبه يتزوج امرأة ميتة بلا قلب ، أنا لو مكانه لا أرضاها

لنفسني ولن أتزوج من رجل قلبه مات مع امرأة

أخرى ليعيش معي جثة فقط"

قالت بعتب " مجنونة يا وسن وستضيعين حياتك"

قلت بهدوء " اذهبي واعتذري من زوجك يا فرح ، جواد

يحبك ويحب شقيقه فلا تتحدثي عنه أمامه مهما حدث

عديني بذلك إن كنتي تحبينني حقا"

قالت بعبرة " لا أستطيع مع من سأحدث ؟ مع الجدران

أم مع الناس الذين لا يفهمون حتى معنى ما أقول أم

أكتبها في نفسي حتى أموت"

قلت " هيا اذهبي له فلن أرتاح حتى تتصالحا

واتصلي بي فيما بعد حسنا"

قالت بهمس " حسنا"

أنهيت الاتصال معها ثم استحمت وارتديت ملابس النوم وحاولت

أن أنام دون أن أفكر في شيء لكن تمزق أحشائي لم يدعني أغفوا

أبدا وكلماته وهو يتحدث معها عبر الهاتف لا تترك رأسي وأنا

كالأضحوكة أجلس معه في السيارة بعدما جلبني من المستشفى

اليئيمة العالة عليه التي ذبحها ورمها دون اكرات

\*  
\*

عدت للمزرعة في مزاج أسوء ما يكون ، تضع اللوم علي

دائما وكأني المذنب الوحيد رغم أني طويت الماضي للحظة

ودست علي جرحي وقررت أن أبرر لها سبب زواجي لكنها

عاملتني كنكرة مجددا ، دخلت المنزل وصعدت لغرفتي من

فوري جلست علي السرير واتصلت بوليد الذي أجاب

من فوره فقلت مباشرة وبغضب " أين ذهبت أنت وهوا دون

إعلامي أو أخذ أذني ألا تعلمون أني أعتد عليكم في الإسطبلات"

قال بهدوء " خف عليا أيها الإعصار كلما أغضبك أحدهم نفتت نيرانك بي

"

قلت بضيق " تعلم أنكما عندي بجواد ولا أعتبركما أقل من شقيقان

لي ولكنك وتهورك لا تفترقان"

تنهد بضيق وقال " أتركني وشأني يا نواس خير لك أنا

مزاجي ليس بأفضل منك تفهم"

قلت بأمر " تعودان حالا مفهوم"

قال بحدة " لا ليس مفهوم وقبل أسبوع لن نعود والإسطبالات

نحن على اتصال بالعمال عليك أن تتق بهم"

دخلت حينها مي وأنا أقول بذات الحدة " لا أتق بالعمال وأنت تعلم

ذلك جيدا فتوقفا عن الجنون أنا لست متضايقا من وجودكم هنا"

قال ببرود " مع السلامة يا عريس وخفف من صراخك"

ثم أغلق الخط فتأففت ورميت بالهاتف بعيدا عني واتكأت بمرفقاي

على ركبتي أنظر للأرض فوصلني صوت مي الهادئ قائلة

" هل أعد لك العشاء أنت لم تأكل شيئا سوا حساء الصباح"

هزرت رأسي بلا دون كلام فقالت

"كيف هي قريبتك هل أصبحت أفضل"

قلت بهمس " نعم"

قالت " هل رأيت والدتك كانت مشغولة"

هزرت رأسي بنعم دون كلام فغادرت الغرفة في صمت

لأنها باتت تعلم أنني بمزاج سيء جدا ولا أستطيع حتى

الرد على أسئلتها

\*

\*

لا أعلم لما حياة هذا الرجل في توتر دائم فلم أقضي معه سوى يوم

وليلة حدثت له فيها أمور تحتاج لشهر لتحدث ، كلما حاولت أن أكون

أقرب له أشعر به يبتعد ، صحيح أن لا مشاعر تربطني به ولم أجد

الوقت لأشعر بشيء اتجاهه لكنه واقعي الآن وعليها التعايش معه إن

أحببت أم كرهت ، أه لماذا يا وليد لما لم تأتي لخطبتي سابقا

لما التردد والخوف فلم يكن ليغنيني ففرك ، ولم يفكر طبعاً في

خطبتي بعد تلك الفضيحة رغم علمه أنني بث مشوهة من الداخل

وأخوتي قد يعطوني لأي طارق فقط ليتخلصوا مني

نزلت للأسفل وقضيت الوقت بين التلفاز والصلاة وعدت بعد وقت

للغرفة ووجدته نائماً فغيرت ملابسني ونمت أيضاً ومر اليوم الذي

يليه ويليه ونواس غير موجود أغلب الوقت ، يتناول الطعام معنا

وباقى يومه في الإسطبلات أو يتحدث عبر الهاتف أو معه أحد  
في مكتبه ولا شيء يسليني ولا أحد سوى الخادمة المنشغلة طوال  
النهار بأعمالها ، جلست عندها في المطبخ وقلت  
"راضية لما والدة نواس وقريبته تلك لا تعيشان معه هنا"  
نظرت لي ثم عادت لعملها وقالت " والدته رفضت ذلك رغم إصرار  
نواس الدائم ، هي تريد منزلها وترتاح فيه حسب ما فهمت"  
قلت " ألا أشقاء لديه"  
التفتت ناحيتي وقالت بهدوء " لديه شقيق تزوج بشقيقة قريبته من  
والدها وسافرا قبل زواجكما بأيام من أجل الدراسة"  
هزرت رأسي لها بحسنا دون كلام فقالت بهدوء " أنا أعد نواس أكثر  
من رجل أعمل لديه وهو يحترمني وكأنني شقيقته الكبرى وبصراحة  
أرى أنكما لا تعرفان عن بعض شيئا من أسئلتك الكثيرة عن أمور  
تخصه ، تبدوان غير منسجمان رغم أنكما عريسان جدد"  
نظرت للطاولة تحتي وقلت " هوا يعاملني برفق ولطف ولكن

أشعر أن ثمة حاجز بيننا ولا أعرفه"

قالت بهدوء " بادري أنتي"

نظرت لها بصدمة فقالت بابتسامة " هوا زوجك والأمر ليس

جريمة قد يكون خجلا أو مراعيًا لك ، أنا أعرف نواس أكثر

من نفسي رجل حنون في تعامله كثيرا ويحسب لمشاعر

غيره ألف حساب وقد يكون ينتظر منك المبادرة"

احمرت وجنتاي خجلا وقلت " مستحيل كيف أبادر

هذا شيء يفعلهُ الرجل"

ضحكت وقالت " لم أقل لك اسحبيه للسرير أو نامي في حضنه

أو اركضي له واحضنيه أعني أشياء تلفت انتباهه"

نظرت لها باستغراب فقالت " سأنهي عملي هنا ونتحدث قليلا حسنا"

بقيت أنظر لها بحيرة لوقت ثم هزرت رأسي بحسنا ، قد يكون معها

حق فهو يعلم أي محنة مررت بها ويخشى من أني لا أتقبل اقترابه

مني ولكننا معا منذ أيام ولو كانت قليلة ولم يتحدث ولا حتى

مجرد الحديث عما حدث معي ، بعد الغداء جلست وراضية

وهي تتحدث معي بحماس وأنا عيناى مفتوحتان على اتساعهما

ثم قالت " ما رأيك "

هزرت رأسي بلا وقلت " مستحيل "

تنهدت وقالت " خذي أبسط الأفكار وطبقها ولو أن تتحدثي

معه بصراحة وتساأليه "

وقفت وقلت " شكرا لاهتمامك يا راضية أنا أحببتك حقا وكأني

أعرفك منذ سنوات لكن الكلام ليس كالتطبيق لا أستطيع أقسم لك "

وقفت وقالت مبتسمة " لن أقول أنى أضعت وقتي في الفراغ

وأأمل أن تفكري في كلامي "

قلت بابتسامة " لم أعرفك سيدة أعمال "

ضحكت وقالت " ألا تري كل هذه الشركة أنا المسئولة عنها "

ضحكت وقلت " كم أنتي طيبة يا راضية وأنا أحببتك حقا وأحببت خفة  
دمك "

قالت بابتسامة " لم تتعرفي على المزعج خفيف

الدم بعد لكنتِ كرهتِ المزاح "

فتحت فمي لأسألها على دخول نواس الذي قال

"مي لحظة من فضلك"

توجهت نحوه من فوري وسرت خلفه حتى عرفتنا في

الأعلى دخلها وقال " لدي صديقان واحد منهما يعيش معي

هنا والآخر يتردد على المكان أحيانا من أجل العمل"

هزرت رأسي بحسنا فتابع " هذا الطابق لنا لن يصعده أحد ، الطابق

الأرضي انزلي له بالحجاب إن اضطررت لذلك لأن المطبخ في

الأسفل وراضية هناك دائما ، معاذ لا يكون هنا أغلب

الوقت وسأبلغك وقت وجوده"

نظرت له بحيرة فقال " سأغادر الآن خارج المدينة

وقد لا أعود قبل الغد"

قلت من فوري " حسنا ولكني أريد زيارة والدتك لقد مر على

وجودي هنا خمس أيام ولم أزرها وأشعر بالإحراج

منها كلما حدثتها عبر الهاتف"

شعرت بالضيق غزا ملامحه ولا اعرف لما ثم قال

مغادرا الغرفة " سنتحدث في هذا لاحقا"

ثم غادر وتركني واقفة في حيرتي ، لما لا يريد أخذي لها ومن  
صديقه هذا الذي يعيش هنا ولم يخبرني أنه سينبهنني لوجوده كالآخر  
الذي أسمه معاذ ، أنا حقا لا أفهم ولا يمكنني سؤال راضية عنهما  
سيكون شيئا سخيفا جدا وغير لائق ، يبدو أنه الشخص الذي تحدثت  
عنه راضية وعن كثرة مزاحه ، قضيت باقي النهار وكلام راضية  
لا يخرج من رأسي حتى أنني لم أستطع النوم تلك الليلة وأنا أفكر  
جديا في خطوة تكون أقل إحراجا قد تدفعنا للكلام بوضوح عن  
وضعنا معا أو عن سبب زواجه بي على الأقل وقررت أن أبادر  
أنا هذه المرة بأقل شيء يمكنني فعله

\*

\*

وضع يده على كتفي وقال " ما رأيك به أراهن على

أنه سيفوز في السباق"

نظرت له ثم عدت بنظري على معاذ وهو يقفز الحواجز بفرسه

وقلت " إن لم يكن الأول فسيكون الثاني"

وقف مستندا على السياج الحديدي ومقابلا لي وقال

"ما بك يا وليد أنت لا تعجبني"

نظرت للأرض وقلت " لا شيء مهم"

ضحك وقال " أقسم أنه في الموضوع امرأة"

قلت بسخرية " ألا يوجد غير النساء تعكر المزاج"

ضحك كثيرا ثم قال " لا بالطبع فهن متمرسات في

تعكير مزاج الرجال"

رفعت رأسي ونظرت للبعيد وقلت " ما أمورك أنت

مع امرأتك يا أبو العريف"

شبك يديه مسندا بهما عنقه من الخلف وقال " لا أحد يعكر

مزاجي مثلها أرجع للقصر مشتاقا لأن أراها فتجعلني

أكره تلك الفكرة التي فكرتها"

قلت بابتسامة " يبدووا تسرعت في زواجك بها يا معتصم"

قال بهدوء " إن لم أتزوجها الآن فلن أضمن أن يحدث ذلك مستقبلا

لأنها لن تقبل بي إن لا سمح الله مات والدها أو غير رأيه"

نظرت له وقالت " أقسم أنك جنيت على نفسك كيف تتزوج من

واحدة لا تريدك ، لا وفي السادسة عشرة وزد عليها لا تعلم

أنها زوجتك أقسم إن علمت لقلبت الدنيا على رؤوسكم جميعا"

غير من وقفته وعاد ينظر لمعاذ والمتدربين معه وقال

" عندما تعلم لكل حادث حديث ، أخبرني ما مشكلتكم مع نواس

قال معاذ أنه غاضب منكم ، لما تركتم المزرعة"

قلت بحزن " لن أكون فيها هذا الأسبوع ولو قتلني ولو كان

الأمر بيدي لما بقيت فيها أبدا باقي حياتي"

قال بهدوء " نواس لن يتضايق منك أبدا يا وليد حتى إن تزوج"

ابتسمت بألم ولم أعلق على كلامه ، الذي يمنعي قلبي يا معتصم

لا نواس ولا شيء غيره فلا أقسى من أن تسلم حبيبتك لغيرك

وتقف تتفرج عليه ، نظر ناحيتي وقال " ما فعلت مع عمك"

قلت بسخرية " لا جديد ولن أرضى بشروطه ليرجع لي مالا من حقي

وهو الذي سرقه من والدي ، هو فقط يريد توريطي في الزواج من  
ابنته

المطلقة التي تكبرني بأربعة أعوام ثم لن آخذ منه شيئا وستبقى في عنقي  
"

تنهد بضيق وقال " لا تجد أحدا لا يحمل مشكلة جاثمة على قلبه

حتى بث أكره الحديث مع الناس "

ضحكت وقلت " أضحكنتي ولا مزاج لي في الضحك "

قال ببرود " افتح قلبك يا وليد فالكتمان ينقص العمر ويقهره "

قلت بهدوء " لا شيء لدي ، ثم يكفيك من حديث الناس "

قال ضاحكا " رددتها علي بسرعة "

ثم صرخ مشجعا لمعاذ وذاك يحييه وغادرت أنا من عنده

\*

\*

قبلت رأسها وجلست أمامها وقلت " كيف حالك الآن "

قالت " بخير بني كيف هي زوجتك وأحوالك "

قلت بهدوء " لم أرها منذ الأمس كنت خارج المدينة من أجل

أعمالي وتجارتي ، لقد سألتني عنك بالأمس وتريد زيارتك "

سكنت لوقت فقلت " أمي سأجلبها لتزورك ووسن في الجامعة

إن كان هذا ما يريحك "

قالت بابتسامة صغيرة " بل يريحها ويرحك أنت "

نظرت للجانب الآخر دون تعليق فقالت " حسنا أحضرها الأسبوع

القادم فوسن تعمل على رسالة تخرجها وتقضي ساعات عديدة هناك "

نظرت لقدمي على الأرض وقلت " كيف هي صحتها "

قالت بهدوء " تقول جيدة ولا يعلم الحقيقة غيرها وخالقها "

رفعت نظري لها وقلت

" عليك أن تساعدني في إقناعها للسفر من أجل العلاج "

تنهدت وقالت " سيكون من سابع المستحيلات "

قلت بضيق " وحتى متى هذا الحال ، أنا في النهاية ابن خالتها

والمسئول عنها مهما حدث بيننا "

تنفست بقوة وقالت " بالكاد بدأت تعود لطبيعتها وتبتسم فأجل الموضوع

قليلًا فقد أقنعها مجددًا بالزواج رغم أنها ترفض حتى الحديث فيه"

وقفت حينها ونظرت للجانب الآخر بضيق ، تقولينها هكذا يا

أمي وبكل بساطة ولا تراعي مشاعري ربع ما تراعي مشاعرها

قالت " ما بك ووقفت وأنت لم تصل إلا الآن"

قلت " سمعت باب المنزل يفتح لأبد وأنها وسن ولا أريد أن

أزيد تعبك بمشاكلي معها لأن ثمة ما سيدفعنا للشجار"

نظرت لي بحيرة وقالت " ما بها ماذا فعلت"

تنهدت وقلت " أمر سأناقشها فيه فيما بعد"

ثم قبلت رأسها وغادرت الغرفة وخرجت مارا بممر المطبخ

وسمعتها تقول لفتحية " هل سيتناول نواس الغداء هنا"

وقفت حينها مكاني استمع لهما وقالت لفتحية

" لا أعلم هوا وصل للتو"

سحبت وسن الكرسي من الصوت الصادر عنه وقالت

" إذا أنا أدعوك على الغداء اليوم في المطبخ"

ابتسمتُ بألمٍ وضحكتُ فتحيةً وقالت " من مساوي الحب

أنه يفضح الكره حين يكون حبا هو أيضا"

خرجت حينها ولا أريد سماع المزيد وهي تتلفظ بعبارات كرهها

لي أو حتى تشتمني وتدعو علي ، ركب سيارتي وغادرت ، وصلت

المزرعة تناولت الغداء وخرجت من المنزل لاستقبال الخيول التي

ستصل اليوم ولأشرف على البيطري من أجل الحقن الدورية لوقاية

الخيول من الأمراض الشائعة وعند المغيب عدت للمنزل استحمت

وصلت المغرب أحضرت لي مي كوبا من الشاي وقالت وهي تطفئ

التكييف " نحن في الخريف والجو يبرد وشعرك مبطل يا نواس أنت

لا تهتم لهذا وستصاب بالحمى مجددا"

قلت بابتسامة " حسنا أمري لله سأنام قليلا وأيقظيني عند صلاة العشاء "

قالت مبتسمة " حسنا"

ثم خرجت من الغرفة ودخلت أنا السرير بعدما شربت الشاي على

صوت رنين هاتفي ، تجاهلته فعاد للرنين مجددا فنظرت له فكان

رقما غريبا ففتحت الخط ووضعتة على أذني قائلا " مرحبا من معي "

قال صاحب الصوت الرجولي في الطرف الآخر " هل أنت نواس "

قلت " نعم وصلت "

قال من فوره " أنا سليمان علي الشحاذ "

شعرت أن الاسم ليس غريبا عني وسمعتة مرارا ، قلت بعد تفكير

" ذكرني بك يبدوا اسمك مألوفا لدي لكني لا أذكره "

قال مباشرة " أنت لا تعرفني شخصا ولكنك سبق وقابلت

والدي في زواج شقيقك جواد من ابنة عمتي فرح "

جلست حينها من فوري وقلت " عذرا فلم أفهم "

قال " أنا الطبيب سليمان تحدثت والدتي معكم في خطبة شقيقة

فرح ولم يصلنا الجواب ففكرت أنكم تريدون كلاما رسميا

وحسب علمي أنت وليها ونريد زيارتكم في أقرب وقت "

ضغظت على أسناني بقوة أمنع نفسي من قول شيء لا أعني له

فقال بعدما طال صمتي " حدد لنا موعدا ونحن تحت أمركم في

كل ما تريدون وتريد هي "

قلت بضيق " عذرا فلا بنات لدينا للزواج ومناسبات لهذا الكلام"

قال بنبرة استغراب " كيف !! أليست في السنة الأخيرة في

الجامعة وغير مرتبطة حد علمي"

قلت مهدئا لنفسي " نعم لكن ورائها جامعة تنهيا أولا وعلاج قد

يحتاج وقتا فعذرا منك أتمنى أن تجد نصيبا أفضل مما عندنا"

قال بعد صمت " أتمنى أن تعيد النظر في الموضوع وتشرح لي

مرضها وبالنسبة للدراسة أمرها محلول ومستعد لانتظارها أيضا"

شعرت بالنار تشتعل في جوفي كالحريق من كلماته وإصراره

فتنفست بقوة وقلت " هل لي بسؤال وتجيبني عليه بصراحة"

قال من فوره " تفضل واسأل ما تريد"

قلت " أراك مصرا عليها كثيرا ، هل سبق ورأيتها أو تحدثتما"

قال بعد صمت وكان سؤالي فاجأه " حقيقة الأمر بعدما حدثتني

والدتي عنها كثيرا رأيتها في الجامعة فأنا أعطي فيها محاضرة

واحدة أسبوعيا وهي لا تعرفني ولم أتحدث معها

فهل ثمة أمل أن يتغير كلامك "

قلت ببرود يعكس البركان داخلي " عذرا لا نصيب لك عندنا "

قال ببعض الضيق " آسف على الإزعاج وكانت فرصة سعيدة "

قلت ببرود أكبر " وداعا "

ثم رميت الهاتف جانبا وقد فارق عيني كل النوم الذي كان يغزوها

بقيت أتقلب في فراشي وكأنه جمر متقد تحتي حتى فتحت مي الباب

لتوقظني لصلاة العشاء ، خرجت من المزرعة صليت العشاء وعدت في

كل خطوة أخطوها يزورني ألف هاجس ... ترى أصدق حين قال أنه لم

يتحدث معها ؟ قد تكون من ضمن من يدرسها فهي تدرس علم الأحياء

لا بد وأن يحاول التحدث معها وإقناعها ، حسنا يا نواس هوا بعيد عنك

ويسكن في مدينة أخرى فزوّجها له فقد تعيش حياة طبيعية مع الفتاة

التي

أصبحت زوجتك ولم تقترب منها حتى الآن بحجة أنك تحتاج لوقت

ولا تريد أن تظلمها وهي تصمت حتى الآن عنك وعن جفافك ناحيتها

حجج أنت تعلم أنها مجرد حجج قد تستغرق منك زمنا طويلا لتتخلص

منها ، وصلت المنزل وصعدت لغرفة النوم ودخلت لأفاجأ بمي ترتدي  
قميص نوم وشعرها مفتوح وعطرها ملئ المكان تشغل نفسها عني  
بشيء ما ، لا يا مي ليس وقته الآن كنت أريد وقتاً أكثر ، فقط وقت  
ولا أريد أن أجرحك الليلة برفضك لي ولن أستحمل كرجل هذا

### المنظر من امرأة تحل لي

\*

\*

تشجعت وأجبرت نفسي أن أكون أنا من يبدأ لعلي على الأقل  
أفهم منه سبب نفوره مني وأفهمه إن كان يفهم الأمر بشكل آخر  
جهزت العشاء لنا في الغرفة ولبست قميص نوم محتشم قليلاً  
رغم أنه لا احتشام في قمصان النوم ، فإن كان ظنه بي أنني أخاف  
اقتراب الرجال مني ستزول هذه الحجة وإن كان يظن أنه سبقني  
له رجل غيره فسأوضح له أنه على خطأ وإن كان ثمة أمر آخر  
فسأفهمه منه ، دخل الغرفة فشغلت نفسي بالبحث في الدرج  
وقف لوقت ينظر ناحيتي ثم توجه للخزانة دون كلام فتحها ويبدو  
أنه لم ينتبه أنني جهزت له ملابسه ككل ليلة فقلت ونظري على

يدي في حجري " ملابسك على السرير "

أغلق الخزانة وشعرت بخطواته تقترب أخذ ثيابه ودخل الحمام

بقي فيه لوقت طويل حتى ظننته لن يخرج منه ، وقفت وجلست على

السرير أشعر بصغر حجمي وغبائي بما فعلته ، خرج بعدها من الحمام

وقد غير ثيابه ، وقف مبتعدا عني وظهره لي فرفعت رأسي وقلت

"إن كنت تظن أن غيرك لمسني فأنت مخطئ"

قال بعد قليل " لم أهتم لهذا يوما يا مي "

قلت " أنت لم تسألني حتى عما حدث لي وتعاملني بنفور

لا أفهم شيئا ولا حتى سبب زواجك بي "

التفت لي وتوجه ناحيتي جلس أمامي على السرير وأمسك

يدي وقال بهدوء ونظره عليها

"لا تأكل عقلك الظنون يا مي الأمر ليس متعلقا بك "

قلت ببحة من كتمي لبكائي " بمن إذا "

وقف حينها في صمت وتوجه لزر الإنارة في الغرفة وأطفأه ليعم

الغرفة ظلما دامس لا يرى معه إلا القليل بسبب تسرب النور من  
تحت الباب ثم اقتربت خطواته من السرير ويبدو أن تلك كانت إشارة  
منه كما كانت الإشارة الأولى مني ، جلس بجانبني وتوتري يزداد  
وقلبي أشعر أنه سيتوقف ، شعرت بأصابعه تمر على خدي وعنقي  
مبعدة لشعري وأنفاسه تقترب مني حتى بث أشعر بشفتيه على عنقي  
لف ذراعه الأخرى حول خصري لأصبح في حضنه تقريبا وازداد  
تنفسه وضغطه على ذراعي بقوة وتمتم بكلمات لم أفهمها وكأنه لا  
يعي ما يقول ثم همس بصوت خافت ولكنه مسموع لي لسكون  
المكان وقال بهمس متوجع أكثر من كونه خافت " وسن "

\*\*\*\*\*

قال لي نزار أننا سنزور القبو مجددا نهاية الأسبوع من أجل  
دراستي فهما قررا أن نزوره صباحا ، لم أكن أريد ذلك بادئ  
الأمر لكن عليا الموافقة من أجل أن تخرج الأموال من القبو ولا  
طريقة أخرى لدي لأنني إن أخبرته أنني أريد المال من هناك سينزعج  
كما قالت خالتي وقد يغضب مني كثيرا ، أما أنا فقد انشغلت في

دراستي وأصبحت تأخذ أغلب وقت فراغي وأجلس بغرفتي أو بجوار

خالتي أمسك كتابي ، تنهدت بضيق فقد فشلت كل محاولاتي لحلها

فوقفت وأخذت الكتاب والكراسة وقلمي وخرجت من غرفتي

وصلت غرفته وطرقت الباب عدة طرقات فوصلني صوته قائلاً

"أدخلي يا سما"

دخلت وقلت مبتسمة " ماذا تفعل"

نظر للكتاب في يدي وقال " تعالي لا أفعل شيئاً مهما"

ثم أغلق الحاسوب أمامه وتوجهت أنا نحوه وقلت

"لدي مسألة في الرياضيات لا أفهمها وقد تساعدني"

مد يده قائلاً " هاتي دعيني أرى"

مددت له الكتاب فأبعد حاسوبه المحمول عن الطاولة

ووضع الكتاب عليها قائلاً " أجلسي سأشرحها لك"

جلست بجانبه ووضعت الكراسية والقلم على الطاولة أيضاً فنظر

للمسألة ثم أمسك القلم والكراسة وقال " انظري لطريقة حلها"

وبدا يشرح لي بالخطوة وأنا عيناى لىست على الكراسىة أو ما يكتب  
بل علقتا على وجهه وهو يشرح لى ونظره حىث يكتب وسافرت  
بى الأفكار منذ أول يوم قابلته فىه وما حدث تباعا وكىف دخل حىاتى  
وصرت فى منزله ، رفع رأسه فأبعدت عىناى عنه فوصلنى صوته قائلا

"هل باتت واضحة لىك الآن"

نظرت لعىنیه بحىرة ثم ابتسمت ابتسامة صغىرة وقلت

"هلا أعدتها"

نظر لى بصدمة فأخفضت بصرى وقلت بخجل

"لم أفهمها كثرىا"

ضحك وقال " أعرفك ذكىة یا سما"

دسست خصلات شعرى خلف أذنى وشتت نظرى وقلت

"ىبدوا أنى سرحت قلىلا"

وضع القلم على الطاولة وكتف ىدیه لصدره وقال بابتسامة

"وما عقاب من ىسرح فى الحصة"

ضحكت ضحكة صغىرة وقلت " نزار جدىد لم أعرفه سابقا"

ضحك كثيرا ثم قال " لا ذلك في الماضي الآن عقابك تخبريني فيما

كنتي تفكرين وتتركيني أشرح كل هذا الوقت "

شهقت شهقة صغيرة مصدومة وقلت " فيما كنت ماذا" !!

نظر لي باستغراب فقلت " كنت أفكر في ... خالتي لم أرها منذ

ساعات وغفلت بدروسي عنها"

نظر لي نظرة تشكك ثم قال " سما أعرفك لا تكذبين أجزم أنك

كنتي تفكرين في القبو وجابر والذهاب إلى هناك"

بقيت أنظر لعينييه بضياح ثم قلت " أخبرتك أنني سأفتحه لهم وسأفعل"

قال بابتسامة " كان بإمكانهم الاستعانة بخبير حواسيب

وسيفتحه لهم لكنه احترم رغبتك يا سما"

نظرت للطاولة تحتي وقلت بحزن " أنا حقا أحاول"

وصلني صوته هادئا " أنا أقدر مشاعرك وما مررت به لكن علينا

الاستعانة بهم خصوصا أن عفراء وزوجها لم يجدوهما في الشقة"

قلت بصدمة " ماذا !! الخالة عفراء اختفت"

تنهد وقال " نعم ولكن جابر سيجدهم بالتأكيد"

تنهدت بحزن فقال بابتسامة " دعيني أعيد لك شرح المسألة

ولا تسرحي هذه المرة مفهوم"

ابتسمت وقلت " مفهوم فقط لا تطردني من الحصة"

ضحك ثم قال بعدما قلب صفحة الكراسة لأخرى نظيفة

"سأعيد لك من البداية"

ثم بدأ يشرح لي مجددا وأنا منتبهة معه وأشاركه الحل حتى

أنهاها ثم قال " هل فهتها الآن"

هزرت رأسي بنعم مبتسمة فقال " سأكتب لك واحدة تحلينها لأتأكد"

ثم كتب مسألة مشابهة لها وبدأت في حلها حتى أنهيتها وأثنى

عليها ثم قال " هل أمورك جيدة في جميع المواد يا سما"

قلت " نعم ولكن معلم اللغات رفض العودة معي لما فآتني وقال

أنه غير ملزم كلما جاءت طالبة جديدة يرجع للخلف حتى ينتهي

العام الدراسي ونحن في نفس النقطة وقد استعنت ببعض

الطالبات لأفهم ما فآتني"

قال بضيق " ولما لم تخبريني سابقا يا سما"

لذت بالصمت فقال " كيف تسكتين عن أمر كهذا ومؤكد

لم تخبري المدير أيضا"

نظرت للأسفل وقلت بهدوء " ساعدوني بعض الطالبات وخفت

أن تدخل في مشكلة معه ، هوا صعب الطباع والجميع يشتكي منه

حتى بتول وريحان أعادتا السنة بسببه"

تنفس بضيق ثم قال " سنرى حلا لهذا"

وقفت حينها وقلت " آسفة لإزعاجي لك سأنزل لخالتي الآن"

فتح فمه ليقول شيئا على صوت جرس الباب يقرع فقال مبتسما

"وها أنا أيضا سأنزل معك"

\*

\*

نزلت قبلها متوجها من فوري للباب فتحتة وقلت بابتسامة

"مرحبا يا خالة تفضلي"

دخلت وهي تقول " لم تشتاقوا إلينا فدسنا على كرامتنا وأتينا"

ضحكت وصافحت الداخل بعدها قائلا " كيف حالك يا حسام تفضل هيا"

دخل خلف والدته قائلا " لم نتمكن من زيارتكم في العيد فتأخرنا قليلا"

سرت باتجاه غرفة والدتي وهما يتبعاني قائلا

"يكفي اتصالاتكم الدائم والسؤال ، هيا تفضلا"

دخلت الغرفة وهما خلفي فوقفت سما من فورها مبتعدة عن

السريير قليلا فدخلا وسلما على والدتي ثم سلمت الخالة جواهر

على سما وهي ابنة خالة والدتي ثم التفتت إلينا وقالت بمكر

"من هذه؟؟ هل زوجت ابنك من ورائنا يا خائن"

ابتسمت سما وضحكنا جميعنا وقالت والدتي " لو كنت زوجته

لكنتم أول من سمع من فرحتي ، هذه سما ابنة قريب زوجي

رحمه الله من والدته ستبقى معنا لفترة حتى تذهب لأهل والدها"

مد حسام يده لها مصافحا وقال " مرحبا بك يا سما أنا اسمي حسام

تخرجت منذ عام من إدارة الأعمال وأعمل في شركة خاصة أحب

أكل الفاصوليا واللحم واكره الخضراوات"

ثم ضحك مع ضحكنا جميعا وابتسمت سما وقالت

"لم تخبرني متى تستيقظ صباحا"

وعاد الجميع للضحك ، حسام طبعه هكذا يحب المزاح كثيرا لكن

ردة فعل سما كانت مفاجئة فيبدووا بدأت تتقبل الرجال شيئا فشيئا

ولم تعد تخاف منهم كثيرا كالسابق وتتجنبهم، جلسا واستأذنت سما

وخرجت للمطبخ ، راقبتها خالتي حتى اختفت ثم قالت وهي

تضرب حسام بحقيبتها " لما لا تعقل قليلا لعلنا نجد لك

عروسا ، من أين سنجد لك بديلة لها الآن"

قالت والدتي ضاحكة " وما أدراك أنها تصلح له ، من

النظرة الأولى حكمتي عليها" !!

قالت " نظرتي لا تخيب تبدا هادئة ورصينة وعاقلة وربت منزل من

خروجها فورا للمطبخ لكن ابني لا تليق به إلا واحدة مجنونة مثله"

نظرت لي أُمي وقالت بابتسامة جانبية " سما لن تبقى عزباء طويلا

أنا متأكدة من ذلك وسيعد حظ من سيسبق غيره لها"

نظرت لها نظرة تشبه نظرتها وقلت " سما صغيرة ولا أحد

سيزوجها في هذا السن ، زواجها الآن ظلم كبير لها"

قال حسام مبتسما " والدتي ووالدتك تزوجوا في مثل سنها"

تأففت مكتفيا بالصمت ، لا أحب أن يذكرها زواجها أمامي لا أحب

زواج الصغيرات وسما تحديدا أتضايق من هذا الأمر إن كان عنها

بالأمس جاءني شقيق جارنا بكل وقاحة يقول نريد خطبتها ومتأكد جدا

من الموافقة ، لا ويعلم أنها في السنة الأولى في الثانوية أي يعرف

سنها جيدا ، مجتمع لا يعرف سوى أن يضطهد المرأة ، ثم ما سأقول

لأبناء عمها فيما بعد ... خطبوها وأنا زوجها بدون علمكم أم كنت

محتاجا لخدمة لي ولأمي فتزوجتها وبالحيلة ومن دون حتى ولي

لها ، مادامت تحت رعايتي هي كالنجمة لن يطالها أحد وبعد أن

أعيدها لأهلها يفعلوا ما يحلوا لهم

دخلت حينها سما بإبريق الماء والكنوس ووضعته على الطاولة

وسكبت الماء وقدمته لهم ثم جلست بجوار والدتي على السرير

انخرطت وحسام في الأحاديث جالسا بجانبه وأمي ووالدته من

سؤال لسؤال عن فلانة وفلانة من يعرفانه ويجهلانه وسما

كعادتها مستمع فقط وعينا حسام لا تفارقانها ثم همس لي قائلا

"هل صحيح لا تفكر بالزواج بها"

نظرت له بضيق وقلت بصوت مسموع ولم أكرث له ولا

لأحد " إن فتح أحد موضوع زواج سما أمامي فلن يخاطب

لساني لسانه ما حبيت"

وقفت حينها سما من فورها وقالت ورأسها أرضا وبصوت

منخفض " بعد إنكم"

ثم خرجت متجهة جهة المطبخ وقالت أمي بضيق

"سيطر على أعصابك قليلا لقد أخرجت الفتاة"

تجاهلتها ونظرت جهة حسام وقلت " ما رأيك بالخروج"

وقف وقال " بالتأكيد لن تكون زيارة للعاصمة دون خروج"

دخلت حينها سما بالكعك والعصير فعاد حسام للجلوس

وقال ضاحكا " وليس هناك خروج قبل الطعام"

قلت ببرود " ولن تكون حسام إن غيرت عاداتك"

قال بضيق " نعم نعم شوه سمعتي أمام الفتاة ، فهمنا أنك لن تزوجها

لأحد لكن أترك سمعتي وشأنها فقد تنتظرني حتى تكبر "

وضعت سما الصينية على الطاولة وعادت للجلوس حيث كانت

وقالت " أنا لا أحب الذين يعملون في الشركات "

قال بصدمة " لماذا " !!

قالت بحزن " لأنهم سيصبحون أثرياء "

نظر لها جميعهم بحيرة وقال حسام " وهل هناك من تكره المال "

قالت بضيق " نعم أنا "

وقفت حينها وقلت " هيا كل قطعك بسرعة أو لن نخرج "

وقف وقال " أمري لله لا عروس ولا طعام "

ثم قال مغادرا أمامي " اتركوا لي حصتي لا أحد يأكلها "

وخرجنا على صوت ضحكاتهم ركبنا سيارته وقال بعدما انطلقنا

" ما رأيك في فرصة عمل مربحة ومريحة "

نضرت له باهتمام وقلت " وكيف تكون هذه المربحة والمريحة "

ضحك وقال " الشركة التي أعمل بها لوالد صديق لي درست معه

في الجامعة يمكنني التحدث معه هي شركة بناء سترسم لهم الخرائط

في منزلك وتأخذ لهم النماذج فقط في أوقات تتفقون عليها"

قلت بعد صمت " وكيف سيوافق هذه مسألة حساسة لا تقرها أنت"

نظر لي ثم للطريق وقال " لم اقل ذلك إلا لأنني أعلم أنهم يتعاقدون

مع مهندسين ليرسموا لهم وبعضهم هواة ولا شهادة لديهم حتى

خصوصا في الديكور ، سأقترح عليه الأمر وهو يوافق أو

يرفض ولن يضيع فرصة مثلك"

قلت بهدوء " تكون خدمتي خدمة العمر حينها"

\*

\*

قضت معنا قريبة خالتي باقي النهار حتى العشاء وطلب نزار أن

يأكل هوا وحسام في غرفته وتناولنا نحن العشاء معا وبعد صلاة

العشاء غادرا رغم إصرار خالتي أن يباتا معها لكن ابنها قال أن

لديه عمل في الصباح الباكر ولا يستطيع البقاء

وبعدما غادروا ضيوفهم وأنهيت أعمال المطبخ التي أخذت

مني وقتا طويلا توجهت لغرفة خالتي دخلت وقلت

" هل نستطيع قراءة روايتنا الآن "

ضحكت وقالت " حسنا مادمت أنهيت امتحان الفيزياء

يمكننا القراءة "

اقتربت منها وأخذت الرواية من يدها وجلست على الكرسي

وفتحت الصفحة حيث وقفنا ثم نظرت لها وقلت " لما الرجال جميعهم

يريدون الزواج والأمهات يردن تزويج أبنائهن في أسرع وقت "

ضحكت كثيرا ثم قالت " لأن الأمهات مصابات بجنون اسمه

حفيد والرجال مصابون بجنون اسمه نساء "

قلت بحيرة " وما جنونهم في النساء "

قالت بابتسامة " ستفهمين ذلك يوما "

قلت بتذمر " يبدووا أنني لن أفهم شيئا ما حييت "

قالت بهدوء " سما هل أنتي توافقين نزار في فكرته أنك

صغيرة على الزواج "

أخفضت رأسي ونظرت لأسطر الرواية في يدي وقلت

"أنا أفكر في دراستي والمجرمين الذين يبحثون عني وأهلي

المجهولين ولم يخطر الزواج في بالي"

ثم نظرت لها وقلت " ولا أريد حقا أن يغضب نزار وأنا أرى

أن هذا الموضوع يسبب له الغضب"

قالت بابتسامة " حتى إن كنت أنتي من ترغبين بذلك"

قلت بشبه همس " نعم لا أريد أبدا إغضابه"

ابتسمت ابتسامة بنظرة غريبة لم أفهمها ثم قالت

" هيا أقرني لنا لنرى ما سيحدث"

ابتسمت لها ونظرت للورقة وقرأت

((انفتح الباب بقوة فكانت عمتي سعاد فأبعد فراس يده

ونظر لها فقالت بحدة " فراس هلا شرحت لي ما يجري ، أقسم إن

رآكم والدكم لنتف ريشكم ، لا أريد مشاكل ... الفتاة واقع وتقبلوه"

ابتعد ناحيتها وقال بغضب وهو يشير بأصابعه لرأسه

"لم تدخل الفكرة دماغي أي ترهات هذه ، والذي يتزوج من

طفلة ليزوجها بغيره وأنتي وكأن الموضوع لا يعنيك ولا

أحد يشرح ما يجري "

قالت بضيق " الموضوع كما شرحه والدك وانتهى وإن كان

لديك شيء قل له بدلا من أن تنفرد بالفتاة وتخيفها وتهدها

لتعرف شيء لا وجود له إلا في خيالك "

أشار لي في الخلف وقال لها بسخرية " هذه تخاف !! هذه

تُخيف ويجب أن تخاف الناس منها ، لسانها كالحية "

مررت مجتازة له وقلت وأنا خارجة من الغرفة

"لو كنت حية لقلت لوالدك عن كل ما حدث "

ثم التفت ناحيته وأنا عند الباب وقلت " لكني لن أفعلها

لأنني لست مثلك يا ثعبان "

ثم ركضت هاربة حين رأيته يتوجه نحوي بغضب وصعدت

لغرفتي أضحك ، لم أتوقع أن تكون اللعبة مسلية لهذه الدرجة

بقيت في الغرفة لوقت ولم أخرج منها وبعد العصر خرجت بهدوء

وبطء لأرى من في الأسفل أولا ، نظرت من أعلى السلالم أنزل جسدي

أكثر لأنظر فشعرت بيد أمسكت فستاني من ظهري ودفعتني للخلف

فشهقت بقوة وشعرت بشفتين تهمس في أذني

"ماذا تفعلين هنا؟ لا وتتجسسين أيضا"

ابتعدت عنه بقوة والتفت له فكان أشرف فحمدت الله مرة أنه ليس

فراس ثم قلت بلهجة طفولية عفوية " كنت أريد أن أشرب بعض

الماء وخفت أن يكون كونان في الأسفل"

ضحك بصوت عالي ثم قال " لو سمعك لقطع لسانك فما رأيك إن أخبرته  
"

قلت بابتسامة " أنت طيب وشعرت بذلك من أول مرة رأيتك فيها

وهو إعصار هل يرضيك أن يؤذي فراشة صغيرة مثلي"

ضحك مجددا وقال وهو ينزل السلالم " أقسم أنك عقربان وحمدا

لله أن والدي خلصنا من الزواج بك"

أخرجت لساني له فالتفت فجأة فدسسته في فمي وابتسمت بعفوية

وعدت راكضة جهة غرفتي لأصطدم بأحدهم فأمسكت جبهتي وأنا

أتألم فسمعت ضحكة ساخرة وصوت فراس يبتعد قائلا

"هل ستحتاجين لإشارات مرور أيضا"

تأففت ودخلت الغرفة وضربت بابها بقوة ، ما به حظي هكذا  
وكأنهم اجتمعوا جميعهم حين علموا بخروجي ، عدت لسجن  
نفسي في الغرفة رغم أن هذا الوضع لا يعجبني وعند وقت

العشاء طرق أحدهم الباب ثم دخلت الخادمة قائلة

"العشاء"

جلست على السرير وقلت " ومن هم الموجودين"

قالت " الجميع"

لويت شفتاي ثم قلت " ولما لم تحضره هنا"

قالت " السيد ريباد يقول تتناول الطعام معهم"

وقفت وقلت وأنا أرمي شعري للخلف " معه حق لما أنا أسجن

نفسي والجميع حر طليق حتى الخدم"

ثم نزلت السلالم وتوجهت من فوري لطاولة الطعام ألقيت التحية

وسحبت الكرسي المجاور لعمتي سعاد والمقابل لثلاثتهم طبعاً وجلست

وبدأت بالأكل دون أن أرفع نظري في أحد حتى قالت عمتي

"لدي حفل زفاف لابنة صديقة لي وسوف آخذك معي غدا يا رُدين"

نظرت لها وقلت بسعادة " حقا ، أنا أحب الحفلات ولم أحضر

في حياتي غير اثنتان "

نظرت لهم فكانوا جميعا ينظرون لي باستغراب ومن حقهم أن

يستغربوا فكيف لفتاة في التاسعة عشرة أن لا تحضر إلا حفلي زفاف

ثم نظرت ناحيتها وقلت " لكن ليس لدي ما ألبسه يناسب ذلك"

قال عمي رياض " وما نفع الأسواق والنقود ، في الغد

تشتري كل ما تريدينه"

ثم نظر جهتهم وقال " وائل في الغد تأخذها للسوق"

قال ببرود ونظره على صحنه " لدي محاضرات

كثيرة ولن أرجع قبل العصر"

قال عمي رياض بضيق " إن رايتك هنا قبل ذلك قطعت رأسك"

قال أشرف بعدها على الفور " أنا أيضا مشغول لا تعتمد علي"

قلت أنا على الفور " لا أريد الذهاب مع فراس"

قال بغيض " ومن قال أني سأعتب معك خارج الباب "

تجاهلته ونظرت جهة عمي رياض وقلت " أوصلني أنت هناك

ولا تخف علي سأشتري ما أريد ثم أرجعني "

وقف وقال " ما لدي قلته أحدكم سيأخذها أو لن يمر الغد على خير "

ثم غادر طاولة الطعام وتبعته عمتي وقال وائل ببرود

" إن ركبت أنتي سيارتي أحرقتها "

ضحكت وقلت " أنت الخاسر ستبقى دون سيارة أنا لن أخسر شيئاً "

قال بمكر " بل سأحرقها وأنتي فيها "

قلت بمكر كمكره " حمدا لله لدي ابن زوج محقق سيأخذ بحقي ويسجنك "

وقف فراس وقال مغادرا " بل سأسجنك أنتي ومحتركة وهو "

معك أيضا لأتخلص منكما "

نظرت له وهو يغادر ثم نظرت لهما وقلت " أمتأكدان أنه "

محقق ناجح أنا أشك في ذلك "

ضحك أشرف وقال " أقسم أنك فريدة من نوعك "

سأأخذك أنا ولكن بشرط"

قلت باستغراب " ما هوا"

وقف وقال " غدا أقوله لك"

وقفت بعدها وقلت مغادرة " حمدا لله لم ينتهي الخير من البشر"

ثم عدت لغرفتي وشغلت نفسي بقراءة بعض المجلات حتى سمعت  
طرقات على الباب ولم يدخل أحد توجهت نحوه وفتحته فكان فراس  
واقفا يتكأ على حافته ويده في جيب بنطاله وقال بابتسامة جانبية

" هل نكمل حديثنا الآن )) "

أغلقت بعدها الرواية وقلت " طبعا انتهى جزء اليوم أشعر أنه قصير جدا  
"

ضحكت وقالت " للنوم بسرعة قبل أن يمسكنا نزار ويكتشف

أني أجعلك تقرئين الروايات فيبدووا لي يريد سجنك

في قوقعتك حتى آخر العمر"

قلت باستغراب " لم افهم ولما يسجنني في قوقعتي"

قالت بابتسامة " هل تعلمي لما خرج نزار بحسام من

هنا وتناولوا العشاء في غرفته"

قلت بحيرة وبعد تفكير " ليتجولا في العاصمة

ويأكلا بمزاجهما بعيدا عنا"

ضحكت ضحكة صغيرة وقالت

"ونزار يريدك هكذا لا تفهمين شيئا"

قلت بتساؤل " وما فهمته أنتي؟؟"

قالت بابتسامة " فهمت أنه عليك النوم بسرعة قبل قدوم

نزار فيبدوا لي سيأتي بمزاج سيء"

وقفت وقلت بتذمر " لو أفهمك مرة يا خالتي أنتي كاللغز"

ضحكت وقالت " بل أنتي كالبلورة النقية وصدق نزار في أنه

يريد إرجاعك لأهلك كما أحضرك"

توجهت عند الباب أغلقت النور وأنا أقول " تصبحين على خير يا خالتي

"

ثم صعدت السلالم والأفكار تدور في رأسي ، كنت اسمع نقاشا حادا

بينها وبين نزار وأنا في المطبخ بعد مغادرة الضيوف فما الذي أغضبه

يا ترى وتتحدث عنه خالتي ، دخلت الغرفة لبست ملابس النوم وأعددت

حقيبتني من أجل الغد ودخلت السرير ، بعد وقت سمعت طرقات على

الباب فجلست من فوري ونظرت للساعة ، غريب الوقت متأخر

ليس من عادة نزار أن يتحدث معي في هذا الوقت

\*\*\*\*\*

"ماما لا تمسكيني أقف وحدي"

قلت وأنا أمسك خصرها " لا حبيبتني أنا لست مستغنية عنك تموتين

وأموت بحسرتي ومسجونة أيضا لأن والدك لن يرحمني"

قالت بعبوس " ولما أمجد و بيسان يقفان عند حافة الشرفة وحدهما"

قلت بضيق " ترف سأنزلك ولن يتبقى لك سوى النظر من الفتحات  
السفلية"

قالت من فورها " لا ماما لا"

لا أعلم حتى متى سيدوم هذا الحال لا شيء يرفه عن هؤلاء الأطفال

إلا هذه الشرفة الممنوعة أيضا ، جدة ابتلوا بها وحدهم دون خلق الله

أجمعين ووالد الحاضر الغائب لا نراه سوى ثلاث مرات في اليوم  
مرة عند الغداء وأخرى عند العشاء ينهض بسبب الاتصالات التي  
تأتيه قبل حتى أن ينهي طعامه ومرة في الليل نائم بعمق من شدة  
التعب حتى أن زيارته لهم باتت تنعدم وكأنه اعتمد عليا في كل  
شيء لكنه في النهاية والدهم ويجب أن يكون له دور وعلى هذه  
المهزلة أن تنتهي ولكن عليا التصرف بحكمة وروية وأن لا أقع  
في أخطاء زوجته الأولى فما فهمته من شرط زواجنا أنها كانت  
تصدع له رأسه بالمشاكل وبواجباته هنا حتى خسرت كل شيء  
ثم تصرفت بغباء بأن هربت من واقعها بدلا من أن تغيره  
لا يوجد رجل يعمل كل النهار حتى رئيس البلاد يأخذ إجازة  
ويجد أوقات لأبنائه وعائلته ، يبدوا ليس هناك ما يشده للقصر  
وهذا ما يجب أن يكون موجودا وأن ينتبه أكثر لأولاده وأن عليه  
أن يجد حلا لحياتهم كالأغنام يأكلون وينامون ولا يغادرون  
ال حظيرة ، مثلما يجد وقتا لأن يعكر نومي ولا يتغيب عن السرير  
ليلة لينام في الخارج ، طوال المدة الماضية كنت منشغلة بدروسهم

لأنها الأهم لدي أما الآن فعليا الانتقال للمرحلة الثانية وهي الصخرة

ألا مبالية جابر والجبهة الأخرى والدته طبعاً وبما أنه اشترط

إخراجه من مشاكلنا فعليا التصرف بحكمة لأجعله يقف في صفي

دون علمه وعلياً أن لا أنسى أنه محقق بل ويرأس المحققين يعني

لن يكون اللعب معه سهلاً وسيفهم جميع تحركاتي قبل حتى

أن أطبقها ، أخرجني من أفكاري صراخ بيسان قائلة

"لورد معتصم"

وتبعته ترف بصراخ وهي تنحني للأسفل وتلوح بيدها

"عمي معتصم"

نظرت معهم فكان ثمة شاب نازل من سيارته نظر لنا للأعلى ولوح

بيده مبتسماً ، كان وسيماً بشعر بني وملامحه تبدو مشابهة لجابر

يُحار عقلي في عمتهم المجهولة كيف تكون إن كان شقيقها هكذا

فطوال فترة بقائي هنا لم أرها ولا حتى عمهم هذا ولا أسمع عنه إلا

حكايات الأطفال ويبدووا يحبونه كثيراً وكما يبدووا مختلفاً عن البقية ولم

أره إلا الآن لأنه لم تعد تعتب قدماه ممر غرف الأطفال منذ أتيت  
ويرسل إحدى الخادمت لتأخذهم لجناحه ولا يأتون منه دون هدايا  
وخصوصا بيسان ، أبعدت ترف منزلة لها وقلت

"أمجد بيسان انزلا بسرعة سندخل"

نزلا من فورهما ودخلا أمامي ، لا بد وأن جدتهم سمعت صراخهم  
فأذناها كالنسر ، لا أعلم كيف تعلم كل شيء ولا بد لها جواسيس ولا  
أحد غير الخدم عدا سيلا التي تبدوا لا تحبها وتحملها إثم موت والدة  
الأطفال فتبدوا كانت تحبها كثيرا فكم حكى لي عنها بحزن وكيف  
كانت تبكي وحدها بالساعات وتتشاجر مع جابر كلما عاد حتى بات  
لا يرجع إلا ليلا ، فإن أخبر تلك العجوز دماغها أنني مثلها فستكون  
مخطئة حد الخطأ ، جابر يحتاج لزوجة لا تعرف الشكوى ووالدته  
تريد زوجة ابن لا تخالفها في شيء ، جابر علاجه عندي إما أن  
أعيد صياغة برنامجي اليومي بل والحياتي أو أترك له المكان  
وأشتري راحتي ، والثانية مستحيلة لأنه لن يرضى بها خصوصا  
وأنه يراني المربية والمعلمة التي ترفع مسؤولياته كلها أما والدته

فلن يجدي معها سوى التمرد والعصيان لكن عليا كسب وقوف

جابر بجانبه أولا لأن محاربتها وحيدة ستكون غباء وتهور

وصلت للداخل على صوت رنين هاتفي نظرت للمتصل فكانت

سوسن فرفعت الهاتف وخرجت من الغرفة وتوجهت لجناحي

ولغرفة النوم تحديدا وأجبت عليها فقالت من فورها

"مرحبا بزوجة رئيس مكتب الشرطة الجنائية ، أصبح

الجميع يعرفني بصديقتك لا بسمي ولا اسم زوجي"

قلت ببرود " قد أكون متزوجة برئيس البلاد ولا أعلم"

قالت بضيق " غبية من تتزوج بصاحب شركة صغيرة لا تنظر

إلا للسماء فكيف بك ، معك حق فأنتي لم تري الحسد والحسرة

في كلام العاملات في المصنع"

تنهدت وقلت " ما لا يعلمنه أني أحسدهن جميعهن فلا

شيء يبقيني هنا سوا الأولاد"

قالت بتذمر " لا أعرف كيف تحولت لغبية فجأة"

قلت بضيق " نعم ستقولين هذا لأنك لا تشعرين بما أشعر فليدك

زوج يحبك يغدقك بالهدايا والكلام العذب ومنزل أنتي الأمر

الناهي فيه فكيف ستشعرين بما أعاني"

تأففت وقالت " أنتي أكثر من يعلم كيف كانت حياتي معه وكم

مرة وصلنا للطلاق وكيف كنتي تشجعيني ونجوب المكتبات

نقرأ عن الشخصيات وطرق كسب الزوج ونطبق عليه وهو غافل

حتى أصبح كما أريد وأبعدت أهله عن حياتنا ، تذكرين أم أذكرك"

تنهدت وقلت " أذكر طبعاً لكن لا تنسي أن ما لدي مختلف عن

زوجك أشعر أنه يقرأ حتى صمتي فلن تتصورني كم مرة يجيب

على السؤال قبل أن أسأله"

قالت بجديّة " يبقى رجلاً مهما كان عقله وتبقيين امرأة ولا

تنسي أن من أعادت الشيطان للقارورة بعدما أخرجته منها

وحررته تكون امرأة مثلك"

قلت بهدوء " لا حل أمامي غيره لأنه وحده من سيجعل

كل ما أريده يحدث"

قالت بجديّة " إذا عليك به وأول شيء طفل ع" ...

قاطعتها بضيق " الطفل آخر شيء يجب أن يحدث ، لم أجن أنا لأربط

نفسي أكثر يكفيني أبناءه ، هذه الخطوة ستكون آخر ما أفكر فيه"

قالت بلهجة ساخرة " وهل بظنك سيوافقك يا غبية أنظري لزوجته

الأولى خلال أربع سنوات كان لها منه ثلاث أطفال"

قلت ببرود " هذا إن أخبرته بما أفكر فيه لكني سأفعل ذلك دون علمه"

قالت بصدمة " وماذا إن اكتشف الأمر"

قلت " لن يكتشف"

قالت بهدوء " أرجوان لا تلعبى بالنار إن اكتشف الأمر

قد يضربك حتى الضرب"

قلت ببرود " لن يكون ذلك الآن يعني لن يكون ، ليس

وقته يا سوسن أمامي أشياء كثيرة قبله"

سمعت حينها منبه سيارته وهذا يعني أنه جاء ليغير السيارة ومؤكّد

سيستحم ويغير ملابس الشرطة بالبذلة الرسمية لأنه سيعمل خارج

المكتب فقلت من فوري " وداعا الآن يا سوسن ونتحدث لاحقا"

ضحكت وقالت " وداعا ولا تخرجيه من رأسك إلا

وأنتي قد أجهزتي عليه"

قلت وأنا أدخل غرفة الملابس " دعواتك لي يا صديقتي وداعا"

عدت خطوات للوراء رميت الهاتف على السرير وعدت للغرفة

أخذت أحد الفساتين القصيرة ولبسته سريعا ، كان أصفر اللون

يصل طوله تحت الركبة بقليل كان بسيطا وأنيقا من القماش

القطني الممتاز أخرجت مشبك الشعر من شعري طبعا قبل أن

يتحول لقطع بين قبضته وخرجت مسرعة جهة المرآة نظرت

لوجهي ثم أمسكت كحلا سائلا ، أشياء لم ألبسها قبلا رسمت عيناوي

بسرعة ووضعت ملمع شفاه زهري اللون وعدلت خصلات شعري من

الأمام لتحتضن وجهي ورششت عطرا كثيرا ثم توجهت من فوري

للسرير وجلست واضعة ساق على الأخرى لينزل الفستان حتى

أول الفخذين وشغلت نفسي بالهاتف في يدي حتى سمعت خطواته

يدخل الجناح ، سنبداً الجولة يا جابر وإما أن أغيرك وأصلحك

## أو تدفني كزوجتك الأولى

انفتح الباب وأنا نظري على الهاتف طبعاً وما أن دخل حتى رفعت

رأسي ونظرت له ، كان ينظر لي باستغراب بادئ الأمر ثم قال بسخرية

"يبدو أنك أخطأت الغرفة يا سيدة زوجتي أعرفها الآن أين تكون"

نعم تخابث علي لن أكون أقل منك يا ابن الصخرة ، رميت شعري

للخلف وقلت بغنج لم يره مني سابقاً وقد عدت بنظري للهاتف

"حلمت صباحاً بك فقلت يا أرجوان لك زوج وأنتي لا تعلمي

فجئت انتظر أن أرى إن كان حلمي حقيقة"

سمعت حينها ضحكته التي لا تسمع إلا نادراً كالأعياد مرتين في

العام ثم وصلني صوته قائلاً " ظننتك لا ترين الأحلام أبداً"

رميت الهاتف من يدي وغيرت جلستي متربعة وقلت وأنا أنظر

لعينيهِ بابتسامة " لا بالطبع ليس النساء من لا يعرفون الأحلام"

سيفهمني جيداً وما أقصد بهذا دون أن أوجهها له مباشرة ، نظر

لي بمكر وأعلم فيما يفكر يضمنها دعوى مني ، خيالك سافر بك بعيداً

يا جابر ، نزع ساعته أولا وقال وهو يضعها على الطاولة

"أنا مشغول يا أرجوان"

كما توقعت سافر به خياله لذلك ، ومن قال لك أنني أريد ذلك يا متعجرف

غادرت السرير وتوجهت نحوه قائلة " ومن قال لك أنني لست مشغولة  
أيضا"

وقفت أمامه وبدأت بفتح أزرار سترة بذلته وأنا أقول ونظري على يداي

المشغولتان بما أفعل بابتسامة " عندما كنت صغيرة وكنا نلعب في  
الشارع

كنت أضرب الأطفال جميعهم لآخذ دور الشرطي رغم اعتراض الأولاد

لأنني فتاة فكنت لا أقبل بغير هذا الدور في لعبة الشرطة والمجرمين "

ثم تابعت وأنا أنزع له السترة " وتقابلت مرة في المستشفى وأنا آخذ  
ترف

محمومة برجل مع ابنه عرفني دون أن اعرفه ، أتعرف ما قال لي "

ثم توقفت وأنا أطوي السترة على اثنين وأضعها فوق السرير فوصلني

صوته قائلا " مؤكد ناداك بشرطية الحي "

ضحكت وعدت ناحيته وكررت ما كنت أفعل مع القميص الأبيض

تحتها وأنا أقول وعيناي على الأزرار التي تنفتح بين أصابعي

"بل قال : هل أنتي المجرمة أرجوان"

ثم ضحكت ضحكة صغيرة و نظرت لعينيه وقلت " وحين قلت له

بصدمة : أي مجرمة تتحدث عنها ، ضحك وقال : لم أرى في

صغري فتاة في إجرامك وتجعلنا مجرمين"

ثم ابتسمت ونزعت له القميص وأنا أقول " ثم قال : هل تعلمي

ماذا أصبح معتر الآن ، وهو أحد أطفال الحي"

عدت للصمت مجددا وأنا آخذ القميص حيث أخذت السترة وشغلت

نفسي بهما منحنية قليلا على السرير أبعد شعري للخلف بيدي

الأخرى فاقترب مني وأمسك خصري بيداه وعاد بي للخلف

ثم لفني ناحيته وقال " وماذا أصبح معتر"

قلت بضحكة صغيرة وأنا أنزع حزام سلاحه " قال انه أصبح

عداء بسبب ركضه في صغره هربا مني فهو كان أكثر

مجرم الألقه في الشارع لأنه أصغرنا"

أمسك مني الحزام وأخذه لأن الموجود فيه سلاح وهو أحرص

الناس على هذه الأشياء الخطرة ، نظرت لعينيه وقلت بابتسامة

"الحمام جاهز تبدا مشغولا جدا"

قال بابتسامة جانبية " نعم وأنتي أخرتني بحكايات طفولتك"

لازال يلعب بمكر لكني أمكر منك يا جابر ، مددت يدي وأمسكت

يده الفارغة وقلت وأنا أعد له بأصابعه ونظري عليهم

"لا تنسى أن لك أبناء وزوجة هم عائلتك"

ثم نظرت لعينيه وهو يترقب ما أتوقع جيدا انه يفكر فيه وهو

أني سأقول : لهم حق عليك وأنت تهمله لكني ابتسمت وقلت

وأصابعي تتحرك في كفه " يحتاجون لك كثيرا فاعتني بنفسك من أجلهم

"

بدأت عيناه بالتنقل بين عيناى وهذا دليل واضح على ضياعه في

جوابي وأنه لم يتوقعه ثم فعلت الخطوة الأكبر ورفعت كفه لوجهي

وقبلت باطنه ثم غادرت من أمامه قائلة " لن أعطك أكثر لتقول أنني

السبب"

ثم خرجت من الغرفة أضحك مع نفسي وغادرت الجناح بسرعة جهة

ممر غرف الأطفال ودخلت غرفة الفتاتان وأغلقتها خلفي فقالت بيسان

بصدمة " ماما كم أنتي جميلة "

اقتربت منها قبلت خدها وقلت " لست أجمل منك بالتأكيد "

كانتا تنظران لي باستغراب فكل حياتهما معي لم ترياني بفستان

قصير وزينة في وجهي ، فُتح حينها الباب وكما توقعت كان جابر

ولكن المفاجأة أنه كان كما تركته بالقميص الداخلي الأبيض وبنطلون

بذلة الشرطة ، وقف منحنيا ومتكأ عليه وقال بابتسامة جانبية

" لم تكلمي باقي الحكاية وثمة شيء لم تنزعيه بعد "

تحركت حينها ترف من خلفي وشهقت بقوة وكل ضني أن

شهقتها من أنه بلا ملابس لكنها قالت بصدمة

" ماما بابا هنا وفستانك قصير يكفي شعرك يراه دائما "

ضحكت حينها رغما عني وأشرت له بيدي بأن تصرف أنت في

الأمر فقال بتحدي " وتنام معي في الغرفة أيضا وفي حضن " ....

صرخت به بلا وتوجهت نحوه وسحبته معي للخارج وقلت بصوت

منخفض " مجنون هم أبناك قبلي كيف تقول هذا أمامهم "

أمسك خصري وسحبني نحوه ليلتصق جسدي بجسده وخلل

أصابع يده الأخرى في شعري قائلا " لو لم أكن مشغولا حقا

وورائي مشوار مصيري لعرفت كيف أتصرف معك يا مجنونة"

قلت بابتسامة وأنا أتصنع الابتعاد عنه " جابر لا تنسى أين نحن فاتركني  
"

ابتسم ابتسامة جانبية ثم قرب شفتيه من أذني وقال هامسا

"مستحيل ولكي أبقى بخير من أجلكم عليا أن أفعل هذا"

ثم قبلني بقوة وغادر وما أن اختفى من الممر حتى ضحكت بصمت

هذا المخطط نجح ووصلته المعلومة أننا نحتاج له رغم الحرس

والحماية الآلية في القصر والخدم والسائقين نحن نحتاجه فلم

ينصرف عن مسؤولياته إلا لأنه يشعر أن ثمة شيء غيرہ نعتمد عليه

والآن عليا أن أبحث عن خصمي الثاني وأعكر مزاج والدته قليلا

\*

\*

لم أصدق نفسي وأنا أستمع لكلماتها في شريط الفيديو وهي تخاطب

شبيحتها الصغيرة قائلة ( أخبريه أنني موافقة عليه ولكن بشروطي )  
أي لعبة تنوين لعبها يا زهور وما تخبئين لي ، لكن مهما كان ما  
ستشترطينه سأوافق عليه ولو كان سنينا من حياتي ثمنا لأن تصيري  
عندي بين يداي ووسط حضني ، أشياء ضننت أن السنين سرقتها

مني ولن أحضا بها ، أغمضت عيناى بشدة وقلت بابتساماة

"لي يا زهور ستصبحين لي أخيرا فلعلك تفهمين فقط كم

أعشقك وأتففسك وأعيش الحياة لأنك فيها"

وقفت بعدها وأخرجت الشريط وأخذته لغرفتي ، و قد مر بعدها

يومان أحاول الاتصال بجابر وكعادته لا يجيب فجلست له اليوم

متفرغا حتى يجيب علي رغما عنه أو سأقتله وبعد جهد أجاب

فقلت بضيق " من تضمن نفسك رئيس البلاد"

ضحك وقال " هاتفي هذا لم أستخدمه منذ أيام وكان في درج

المكتب ولم أرى اتصالاتك إلا اليوم"

تنفست بضيق ثم قلت " طبعا مشغول سأختصر من نفسي"

قال بضحكة " ذكي كما عرفتك"

قلت بضيق " وأنت وقح ولا يهملك أن تجرح مشاعر غيرك

المهم تحدث مع زهور وخذ رأيها"

قال من فوره " أخبرتك أني سأتركها تعطيني رأيها من نفسها"

قلت بأمر " بل تتحدث معها ، أنا لا آخذ رأيك"

قال ببرود " دعها تفكر فقد جاءها عريس منذ أيام ابن تجار

سيارات وقد توافق عليه"

قلت بصدمة " جاءها ماذا !!! وتوافق على ماذا؟؟"

قال " لقد سمعت ما قلت والخيار لها كما أخبرتك"

قلت بحزم " الليلة تكلمها تفهم وأخبرها أني أوافق على أي شيء تطلبه  
"

قال من فوره " سأرى وداعا الآن"

قلت بسرعة " هيه لا تقل سأرى بل تفعل ، غدا سأكون هناك

وسأقتلك إن لم تكن تحدثت معها"

قال ضاحكا " حسنا وأمرني الله وداعا"

لا أصدق أن تزول كل تلك العقبات وأكبرهم والدتها التي كانت ترى

زواجي بها من سابع المستحيالات وكل حجتها أني خريج كلية  
الآداب وكاتب ولا مستقبل لي ، أعلم أن زهور لم توافق عبثا ولن  
تضع شروطها لعبا لكنها تحبني مهما حقدت علي ولأنني أستحق  
سأتحمل كل شيء حتى أعيدها حبيبة طفولتي كما كانت لا تعيش  
بدوني ولا يمضي يوم لا تطلب فيه أن تراني وتتحدث معي

\*

\*

نزلت للطابق الأرضي وسألت الخادمة عن عمتي فقالت أنها  
ليست موجودة ، لا تترك مكان لا تزوره ولا حفل لصديقاتها لا  
تحضره وتسجن هؤلاء المساكين في غرفهم وابنها يسجنني معهم  
علمت من سيلا أن معتصم غادر مجددا وهو يتغيب أغلب الوقت  
فنزلت بفستاني القصير وزينتي وقفت عند الصالون الكبير الذي  
يتوسط المكان وأكثر جلوسها ومن يزورها عليه وقلت للخادمة  
"أجلبني من يساعدك سنغير مكانه ، هناك سيكون أفضل"

قالت الخادمة من فورها " ولكن السيدة الكبيرة قد تغضب"

قلت بأمر " وجابر لن يعجبه أن أكون جالسة هنا والباب مقابلا

حين يفتح والحراس في الخارج وأنا هكذا بزيتي وفستاني "

قالت من فورها " كما تريدن سيدتي "

لم أبرح مكاني حتى غيروه ثم صعدت للأعلى مبتسمة ، أعلم

أنها ستعيده حيث كان ولكن لا يهم المهم أن تجدني غيرته

والخادمة ستخبرها بما قلت عن السبب ولن تستطيع قول

ذلك لجابر حسب أوامره وباقي الخطة سيأتي بعد هذه تباعا

عدت لغرفة الأطفال وقفت عند الباب وقلت

" سأذهب لغرفتي قليلا لا أريد شجار وأحدكم يطرق الباب مفهوم "

هزوا رؤوسهم بحسنا وأعينهم ملئها استغراب فابتسمت لهم وأرسلت  
لهم

قبلة في الهواء وغادرت لجناحي دخلت الغرفة وفتحت الدرج الكبير

في طاولة التزيين وأخرجت من عدة الماكياج قطعاً لأحمر شفاه

بألوان متعددة وبدأت الخطوة الجديدة ، أنهيت كل شيء ثم استحمت

وغيرت ملابسني ونزلت للأسفل فكان الصالون عاد لمكانه ، جيد وهذه

الخطوة الثانية نفذتها تلك العجوز كما أريد ، عند المغيب صلينا المغرب

وجلست مع الأبناء ، كنت أرتدي بيجامة قطنية قصيرة زهرية اللون فقد

قررت اكتساح غرفة التبديل ولبس ما اشتراه بل وسأشتري أكثر منه

اقترحوا أن نلعب لعبة كنا نلعبها كثيرا فوافقنا وربطنا عينا أمجد

وبدأ يبحث عنا في الغرفة الخالية التي خصصناها للقلعة والجنود

لأن اللعبة تستلزم مكانا فارغا وواسعا ، كنا نركض وهو يحاول

الإمساك بنا وبالتبادل وكنت أغلب الوقت أنا من يمسون بها لأنني

حين أهرب يعرفون صوت خطواتي فلست خفيفة وصغيرة مثلهم

ربطوا لي عيناى بعدما انضمت سيلا لنا أيضا فهي معنا أغلب الوقت

كنت أبحث عنهم وبيسان تقول " هنا ماما أمسكي بي "

وحين أذهب لها أسمع ضحكها في مكان آخر وخطواتهم تكثر

ولا أركز عليهم ، شعرت بهم وقفوا جميعهم فقلت ويديا يبحثان

في الهواء " أين أنتم يا مخادعين سأزيل العصا عن عيناى

لأرى إن كنتم خرجتم من هنا "

قالت ترف حينها " لا تغشي ماما "

فعلت أنهم هنا ولكن كيف لا أجدهم وما سر هذا الصمت والسكون  
تقدمت أكثر وأنا أسمع ضحكات خافته من ذاك الجانب ، مؤكد هناك  
فالأطفال لا يخفون ضحكهم جيدا كالكبار لكن ما سر أن يقفوا مكانهم

حتى أصل إليهم ودون أن يهربوا ! تقدمت أكثر وأنا أقول

" أسمعكم تضحكون هناك يا محتالين وسأمسك بكم جميعا "

اصطدمت حينها بشيء بقوة فقلت " سيلا أمسكت "

لكني سكت عندما تلمست الملابس ورفعت يداي للأعلى أكثر

ليست سيلا بهذا الطول والعرض ، وصلت لوجه خشن فعلت

من يكون أمامي فادعيت السذاجة وتلمست ذقنه وخديه لأنني

أعلم أن الأطفال خلفه ثم قلت بهمس وابتسامة ماكرة

" هل عاد السيد مشغول "

ثم مررت إصبعي على شفته وقلت بذات الهمس

" صاحب القبلة المجنونة الغبية في الممرات "

شعرت من تحرك خده تحت لمستي أنه يبتسم الآن

فنزلت بإحدى يداي لصدرة وضممت أصابعي عدى السبابة

والوسطى مصوبة لهما على قلبه وقلت بابتسامة ماهرة

"مجرم سأقتله الآن وأريح العدالة منه على فعلته"

أمسك يدي من على صدره وقال " وما تكون جريمته"

حركت رأسي وكتفي بعفوية بمعنى لا أعلم أو لا أريد أن أقول

ليفهم ما يريد منهما ، فصوب يدي على قلبي أنا وقال بهمس

"وإن قتلوا له زوجته عقابا له"

عضضت شفتي السفلى ثم قلت " لا أعلم ... لما لا تسأله"

فاجأني حينها بقبلة وكل ما فكرت فيه وقتها الأطفال فحاولت

أن ابتعد ولم استطع حتى ابتعد وحده قائلا

"انزلي للعشاء يا شرطة مكافحة المجرمين"

فأزلت العصابة عن عياني بقوة وضيق فكان خارجا من

الغرفة ولا أحد هنا غيرنا ويبدو أنه أمرهم بالخروج منذ وقت

خرجت خلفه مسرعة لأدركه وسرت بجانبه وأنا أقول

"أريد شراء فساتين ساترة بدلا عن كل ما اشتريته يا حضرة المجرم"

نزل السلام قائلا " ولما"

قلت وأنا أسابق خطواته " لأنه لا يمكنني النزول بها للضيوف"

وقف عند آخر السلام ونظر لي وقال

"ولما ومعتصم غير موجود أغلب الوقت"

قلت ونظري مشتتا بعيدا عنه " لأن صالون الاستقبال مقابلا

للباب وحين يفتح يكون الحراس في الخارج"

قال وقد عاد للسير جهة غرفة الطعام

"الحراس بعيدين لا يقتربون من هنا إلا للضرورة"

قلت مسرعة خلفه لينتهي الحديث قبل أن ندخل

"وأنا أخاف حتى من الضرورة وهم في النهاية رجال"

لم يزد أكثر ولا حرف ودخل وأنا بجانبه ، لو نجح مخططي فسيأمر

بتحويل الصالون من مكانه وستعتقد والدته أنني أنا من قال له وهو

نفذ أمري وتكون الخطوة الأولى نجحت لتضمن أنه ينفذ ما أريد ولو

كان ضد رغبتها ولازال هناك المزيد حتى أقتلها بالوهم

جلس جابر وجلست بجانبه كالعادة والأطفال في الجانب الآخر

حتى قالت ترف " بابا الم تعدني "

نظر لها وقال " نعم تعالي هنا "

نظرت له ثم لها باستغراب فقالت " ماما أنزليني أجلس بجانبك "

أسرعت الخادمة لها وأنزلتها فوقفت وقلت وهما تقتربان

" اتركيها أنا أجلسها "

أجلستها بجانبني ولا اعلم طبعاً سر هذا الوعد منه لها وسببه

بدأنا الأكل ثم قالت ترف مبتسمة " ماما أطعمني الزيتون "

وهي طبعاً حرمت لمسها بيدها والعبث بالطعام إلا بالخطأ

أطعمتها وهي تقول " أريد الآن واحدة سمينة "

فأختها لها وأنا أضحك بصوت منخفض وأعلم من يحترق في

الجانب الآخر وهي جدتها طبعاً وبقيت أطعمها كل واحدة تصفها

لترى اختياري إن كان صحيحاً ، كنت مائلة جهتها فشعرت

بيد جابر أمسكت ذراعي وتسحبني نحوه ، مؤكداً تأفف والدته

المستمر أثر به ، قربني له وقرب وجهه وهمس في أذني

"إن وجدتك نائمة الليلة رميتك من الشرفة فهمتي"

نظرت له مبتسمة ليس من أجله بل من أجل والدته كي لا

تفرح بها وتضنه تحدث معي من أجل إطعامي لترف

ثم وقف حامدا لله وغادر في صمت فوقفت وقالت ترف

"وأنا ماما أنزليني"

أنزلتها وأنا أقول بضحكة " متى ستطول ساقيك وتعتمدي على

نفسك ، لا أعلم من أين ورثتي قصر القامة والعبث بالأشياء"

قالت جدتها ببرود " من والدتها وعائلتهم طبعاً"

لا أعلم ما تعني بهذا ولما تتحدث عنها هل لتذكرني بها

أم لسبب آخر ! تجاهلتها طبعاً وحملت ترف وقلت وأنا

أغادر " بيسان أمجد أغسلا أيديكم قبل أن تصعدا"

ثم صعدت بها لغرفتهم ولحقا بنا أمجد و بيسان بعد قليل

وراجعت لهما دروس اليوم لأنني أختار هذا الوقت دائما

وأكره تدريسهم وقت العودة من المدرسة أما بعد العصر

فمخصص للعب دائما وعند العاشرة كانوا في أسرهم  
قبلتهم وخرجت وأمجد وصلت به لغرفته وقبلت خده وقلت

"تصبح على خير بني"

قال مبتسما " تصبحين على خير ماما"

ثم غادرت جهة جناحي حاملة معي السلك الأبيض  
الذي طلبته من سيلا لأكمل ما بدأت به ثم أرسلت  
له رسالة اشغله بها فعليا أن أدخل بين مشاغله وأخذ حيزا

\*  
\*

أغلقت الملف وقلت " مؤكدة ثمة تجارة مشبوهة مرتبطة بالهند  
والتجار والمصانع مورد لها ومن يعارضهم أو يختلف  
معهم يقتلونه ، لا تخمين آخر لها"

تنفس بقوة وقال " سلسلة ممنهجة من القتل وخطط محبوكة وأدلة  
مطموسة ولا أحد يبلغ حتى عن أنهم يهددونه ، ترى أكون

كل من يقتلونه شريكا لهم"

قلت بشرود " ليس بالضرورة قد يكون لهم أسلوب مختلف

يجعله لا يبلغ تحت أي ظرف كان والمشكلة أن المباحث لجناية

في الهند تتقاعس عن التعاون معنا وبشكل ملحوظ وفيه ريبة"

ثم فتحت الملف الآخر وقلت وأنا أتتبع الأسماء بإصبعي

"آخر ضحاياهم عيسى أحمد العارم في الستين من العمر دخل

شراكة جديدة مع تاجر لمواد تجميل أغلب المصنّع لها الهند ويستلمون

الحاويات من هناك ، شريكه قال أنه كان خائفا المدة الأخيرة ولا يتحدث

عن السبب ، الشريك كان كل تخصصه التوزيع في الداخل وقال أنه

يتعاون معهم منذ سنين وليس حديث تجارة كما كتبت التقارير"

ثم رفعت رأسي ونظرت له وقلت " لن يكون الهنود بالطبع من يقتلون

هنا فلهم ذراع هنا أو لمن هنا الذراع هناك ، قضية رفعت الشاطر

الذي قتلوه وعائلته يكون فيها حل اللغز لأنه الوحيد الذي لم يقتلوه

وحده خصوصا لو كانوا لزالوا يبحثون عن ابنته التي لم يقتلوا فيبدووا

يخافون من اكتشاف شيء ما"

نظر لعيناي وقال " قد يكون يبحث عن المال فقط وليس عنها"

هزرت رأسي بلا وقلت " لم يكن غرضهم المال أبدا ولن يكون "

رن حينها هاتفي بنغمة رسالة فأخرجته وأنا منشغل معه بما يقول

قرأتها على السريع وأعدت الهاتف لجيبي ثم أخرجته ثانيًا أنظر

لها بتركيز كانت من أرجوان وفيها ( إن لم أنام تجدني خلف

الأشياء ) قرأتها مرة ثالثة بحيرة ثم أعدت هاتفي لجيبي وعدت

لما كنا نقول وما مرت دقائق حتى عادت الرسالة تشغني

ما الذي فعله هذه المشاكسة ، من مهمة متجاهلة لي لمشاغبة

تطاردني حتى هنا في عملي ، بعد وقت قال أسعد " أنت لم تعد

منتبها لي لأبد وأنتك تشعر بالنعاس ، أترك كل شيء للغد "

وقفت وقلت " يبدو ذلك "

ثم قلت بابتسامة " فعليا معرفة تلك الأشياء "

نظر لي باستغراب فضحكت وغادرت تاركًا له وعدت

لمدينتي وللقصر ، دخلت وصعدت السلالم متوجهًا لجناحي

فتذكرت زهور ورضا الذي سيأتي في الغد ويأكلني إن لم يجد

جوابها ، التفت جهة الممر الآخر ثم ابتسمت بمكر وغيرت وجهتي

عليها معرفة قصة تلك الرسالة أولا فلينتظر رضا للصباح

دخلت الجناح والغرفة ولم تكن هناك ، تلك المحتمالة لا نائمة ولا

موجودة ولكنها قالت في الرسالة إن لم تجدني نائمة ، يعني أنها

خلف الأشياء المجهولة ، بحثت عنها في الشرفة والحمام وغرفة

الملابس ولا وجود لها ، كنت سأغادر حين لفت انتباهي أحمر

الشفاه على طاولة التزيين على غير العادة ، اقتربت منه فكان

مكتوب بجانبه على الطاولة وبه هوا نفسه ( أنا في المطبخ السفلي)

نظرت للكتابة بحيرة ، ما فعله هناك هذا الوقت !! نزلت السلالم

مجددا وقبل دخولي له اصطدم شيء بوجهي كان معلقا بسلك

وكان أحمر شفاه آخر والسلك ما يزال نازلا فسحبته وكان يخرج

من المطبخ حتى ظهرت الورقة المثبتة في نهايته وكان مكتوب

فيها بذات لون أحمر الشفاه ( أنا في غرفة ابنتيك)

ابتسمت ابتسامة جانبية وقلت بهمس " هكذا إذا يا أرجوان "

أخذت أحمر الشفاه والورقة معي وصعدت ، لم أفكر أن أبحث

عنها واجدها بل أحببت هذه اللعبة لأرى أين ستصل بي وسأريها

وصلت عند الغرفة فكان معلق على بابها ورقة وفيها

(أعلم أنك متعب ومشغووووول لكني في حمام الجناح)

وتحت الكتابة قبلة بأحمر شفاه دمي اللون وواحدة أخرى على

كلمة مشغول ، هزرت رأسي مبتسما وأخذت الورقة وعدت

للجناح ، دخلت وكان مكتوب على باب الحمام ( افتح الباب)

هذه الكتابة لم تكن موجودة عند وصولي ، هي هنا إذا تلك

المحتالة ، فتحت باب الحمام ولم تكن فيه فوقفت وسط

الردهة وقلت " أرجوان تخرجين وإلا"

ولم تخرج فقلت بصوت أعلى " لا أريد أن أقسم بما سأفعله"

ولا فائدة فعدت جهة الغرفة وفتحت الباب ففوجئت بالشموع

والموسيقى الخافتة وهي غير موجودة طبعاً ، دخلت ووقفت في

منتصف الغرفة ويدي وسط جسدي أفكر أين ستكون فشعرت

بيدان تتسللان من الخلف جهة خصري فابتسمت بمكر وأنا أسمع

همسها في أذني قائلة " ظننتك محقق ذكي وستكتشف مكاني من

وقت دخلت أول مرة وأنا هنا في الغرفة"

أمسكت يدها وسحبتهأ أمامي فقالت بضحكة صغيرة

" عدت مبكرا سيد مشغول"

طوقتها بذراعاي وقلت بابتسامة جانبية " متى سننسى مشغول هذه"

قالت بابتسامة مكر " حتى تستغني عنها"

ضحكت وقلت " هي جزء مني كيف أتركها"

لعبت بيدها تغرسا في شعرها وتحركه بها وقالت

"إذا هي من تحدد لديك المهم من الأهم"

شدتها بذراعاي أكثر وقلت من بين أسناني

"من أين خرجت لي أنتي أرجوان جديدة"

دست وجهها في صدري وقالت

"ستقتلني وسيريك زوجي رئيس الشرطة الجنائية"

رفعتها عن الأرض وتوجهت بها للسريير قائلا " بل رئيس

الشرطة الجنائية هوا من سيريك على مشاغبتك طوال اليوم"

نهاية الفصل .... أتمنى يكون نال إعجابكم ودمتم في حفظ الله

### الفصل الخامس عشر

ما أن سمعت منه تلك الكلمة بل ذاك الاسم حتى وقفت كالمسوعة  
وابتعدت عنه وخياله رغم ظلام الغرفة يتراء لي واضحا وهو  
يستند بمرفقيه على ركبتيه ورأسه بين يديه لا يزال جالسا على  
السرير ، تنفست بقوة عدة مرات ثم قلت " لماذا تزوجتني يا نواس"  
رفع رأسه وقال من فوره " آسف حدث هذا بالخطأ"  
قلت بعبرة " لا ليس خطأ فلما تتزوجني وأنت تحب أخرى حد  
أن تهدي باسمها وتتخيلني هي وأنا في حضنك"  
قال بهدوء " دعينا ننسى ما حدث يا مي ونترك هذا الأمر  
ونؤجله قليلا ، أحتاج لبعض الوقت فقط"  
قلت بجدية " بل لن يحدث هذا مجددا"  
وقف وقال " مي أنتي زوجتي وتزوجتك برضا واقتناع

وما حدث كان خطأ لن يتكرر"

قلت بهدوء " لما تزوجتني أجبني يا نواس"

قال بهدوء " والدك رحمه الله كان له الفضل الأول في كل

ما أنا فيه الآن من أموال وأردت أن أفي له بذلك"

قلت من فوري " فقط"

قال " فقط"

قلت مباشرة " وليس لتجرحها بي ولا لتتساها"

قال من فوره " لا"

قلت " أقسم لي بذلك"

تنهد وقال " أقسم أنها ليست السبب فلكل منا حياته وانتهى

كل شيء بيننا ، كنت فقط أحتاج لبعض الوقت ولم أرغب

في جرحك الليلة برفضك لك"

مستحيل رغم حبي لوليد رضيت أن أعيش حياتي الجديدة لأرضي

بواقعي ولم أتخيله هوا ولم يأتي في مخيلتي لحظتها فأبي حب هذا

الذي يحبه لها حد أنه لا يستطيع الاقتراب من أخرى إلا إن

تخليها هي ، قال بهدوء " مي أنـ" ....

قاطعه بجدية " لا يا نواس أنا لن أظلمك قبل نفسي ، نحن لا يمكننا

العيش معا كزوجين ، هذا الزواج نهايته الفشل والقلوب المحطمة"

اقترب مني وقال " ليس الحب وحده ما ينجح به الزواج فكم من زواج

تدمر رغم أن أساسه الحب فالعشرة قد تأتي بالحب والحب لا يفعل ذلك"

هزرت رأسي وقلت " لن تنجح يا نواس ، أنت لن تنجح في هذا أقسم لك  
"

أمسك ذراعي بيديه وقال " مي أنتي ظلمتي بما فيه الكفاية فلا أريد

أن أكمل باقي مسيرة عذابك فأمهليني الوقت فقط"

قلت بابتسامة حزينة " لا تظلم نفسك على حسابي يا نواس"

ابعد يديه عني وقال " ولن أظلمك أيضا ولا أريد جرحك يا مي"

توجهت لمفتاح الإضاءة شغلته وتوجهت للقميص الحريري

الطويل لبسته وسترت جسدي به وربطت حزامه وقلت

"أنا محرمة عليك وأنت كذلك حتى تنتهي السنة المحددة في

العقد وكل واحد منا يذهب في حال سبيله"

فتح فمه ليتكلم فأشرت له بيدي أن يسكت وتابعت " أنت إنسان

رائع يا نواس ، معنى للعطف والتقدير وعقلك يزن البلاد بأكملها

لكني لن أكون أكثر من شقيقة لك ولن تكون أكثر من شقيق

أحترمه طوال بقائي معه حتى يذهب كلن في حاله"

قال " الشرط لن ينتهي عند السنة يا مي"

قلت بابتسامة " لن يستمر زواجنا يا نواس مهما كان ثمن ذلك"

تنفس بقوة ثم قال بهدوء " مادمت من أراد هذا فلن أجبرك على

شيء يا ابنة أعز إنسان لدي لكن عديني أنه لا أحد يعلم بسبب

زواجي بك ولا كل ما بيننا ... عديني يا مي"

قلت " أعدك وأعلم أنك تفعلها من أجلي وليس من أجل نفسك"

نظر للجانب الآخر وقال " قلتها وسأعيدها لن أظلمك ويوم تري

أننا نصلح أن نكون زوجان أنا لن أرفض ذلك"

قلت بابتسامة " وأنا حين أرى ذلك سأكون صريحة معك كالليلة"

\*

\*

خرجتُ مي من الغرفة للغرفة المجاورة وخرجت أنا للشرفة لأنني

أشعر بكم هائل من الاختناق ، وقفت أراقب السكون والليل الأسود

الذي هجره القمر والنجوم ، فشلت في كل شيء يا نواس حتى

في إسعاد ابنة الرجل الذي ساعدك وفعل الكثير لك وأوصاك بها

فشلت مع نفسك وفشلت مع غيرك ولازال ينتظرك الكثير

بقيت مكاني لوقت ثم عدت للغرفة ونمت ولم استيقظ إلا

على صوت مي توقظني وهي تقول " نواس الفجر

سيخرج وقته ولن تدركه"

فتحت عيناى ونظرت لها فقالت بابتسامة " بسرعة

بالكاد لديك وقت تدخل الحمام"

غادرت السرير مسرعا ودخلت الحمام توضأت وخرجت ووجدتها

جهزت لي ملابسى فلبستهم بسرعة وخرجت مسرعا ومارا

بها تصعد السلالم فقلت " شكرا لك يا مي"

وصلني صوتها المبتسم قائلة " لا يشكر الشقيق شقيقته"

وقفت مكاني ونظرت لها فكانت تصعد السلالم معطية ظهرها

لي فتنهت بأسى وغادرت للمسجد لألحق بالمصلين

مي إنسانة رائعة ويبدووا أنها تستحق رجلاً أفضل مني وأتمنى

أن يأتي اليوم الذي أسلمها فيه لغيري وأشكر الله فيه أني لم أقربها

وتركتها له قبل أن اربطها بأبناء وتعيش معي تعيش طوال العمر

مي لم تحمل بعد أي مشاعر اتجاهي لكنت حماقتي البارحة جرحتها

بعنف ، لا أعلم كيف سيطرت تلك الفكرة على دماغي ولم أستطع

الاقتراب منها دون ذلك ، لما لا تتركيني أعيش حياتي يا وسن لما

وصلت المسجد صليت وعدت للمزرعة تناولت فطوري لوحدي

وخرجت للإسطبلات وقضيت الصباح كله هناك ، اليوم سيرجع

وليد ومعاذ وعلى الأقل سيحملان الأعمال معي ، هذان الغيبان

لا أعلم كيف يفكران هل أرادا راحتي أم إتعابي

\*

\*

خرجت من قسم موظفي الجامعة والأبخرة تتصاعد من دماغي

قابلتني ملاك عند بداية الممر وقالت بحيرة

"وسن ما بك ملامحك وكان فاجعة قد حدثت"

قلت بحرقة ونحن نسير معا

"ألغوا منحتي المالية المساعدة بخصوص رسالتي"

قالت بصدمة " ولما" !!

وقفت مقابلة لها وقلت " لأنه ثمة من طلب إلغائها ودفع كل

رسوم المواد ورسالة التخرج أيضا"

قالت بعد صمت " نواس أليس كذلك"

قلت بضيق " ومن غيره ، لا أعلم لما يريد إذلالي طوال

الوقت؟؟ ما الذي لم يفعله بعد وسيفاجئني به"

سمعت حينها صوت رجولي خلفي قائلا " أنسة وسن"

التفت للخلف فكان ثمة رجل غريب لا أعرفه ولم أره سابقا

قلت باستغراب " عفوا هل تعرفني؟"

مد يده وقال " أنا الطبيب سليمان ابن خال فرح شقيقتك"

مددت يدي مصافحة له وقلت " أعذرنى فأنا لم أرك هنا قبلاً"

قال بابتسامة " لأنه لدي محاضرة واحدة فقط في الأسبوع

ويبدو أنك لا تداومي فيه"

قلت بابتسامة " سررت بمعرفتك وأعذرنى المحاضرة ستبدأ"

قال من فوره " انتظري قليلا أود قول شيء بسرعة والمحاضرة

بقي عليها عشر دقائق"

نظرت لملاك وقلت " اسبقيني أنتي يا ملاك وسأتي حالا"

لوححت لي بيدها مبتسمة وغادرت ، أعلم عمّا سيتحدث بما أنه ابن

خال فرح وطبيب فهوا ذاك العريس بلا شك ، نظرت له فقال

" هل لديك علم بأمر خطبتي لك"

قلت باختصار " نعم"

قال من فوره " لكن لم يأتيني سوى رأي ابن خالتك ولم أسمع رأيك أنتي

"

نظرت له بحيرة ثم قلت " رأي ابن خالتي !!"

قال " نعم اتصلت به لنحدد موعدا ونتحدث في الأمر رسميا

فرفض الأمر فوراً لأسباب لا أراها منطقية"

ضغط على أسناني بقوة وغيض ، ما هذا الذي تفعله يا نواس ومن

تظن نفسك ، صحيح أنني لم أوافق عليه ولكن ما علاقته هو لي رفض

هل يريد إبقائي أمامه يدمرني طوال العمر ، تنفست بضيق ثم قلت

"تحدثت معي خالتي في الأمر وأعطيتها جوابي ومادامت لم تبلغكم

به فلن أقوله لأنني أحترمها ولن أفعل شيء من ورائها"

قال بابتسامة " إذا سأمل أن يكون الموافقة لأنني

لم أقتنع بأسباب وليك ذلك"

ثم مد يده مجددا لي وقال مبتسما

"كانت فرصة سعيدة وأتمنى أن لا تكون الأخيرة"

صافحته بابتسامة مغصوبة وغادرت ورأسي يغلي كالبركان

وأحشائي عادت تتمزق بقوة ، وصلت القاعة ووجدت ملاك

عند الباب فدخلت ودخلت هي ورائي قائلة

"وسن أرى أن تستأذني وتغادري تبدين لست بخير"

قلت بضيق وأنا اجلس " أنا أدري الناس بصحتي"

جلست بجواري وقالت ببرود " يفعلها السيد نواس وأدفع أنا الثمن "

ضحكت ضحكة ساخرة خرجت رغم الألم في داخلي وبعدها

أنهينا المحاضرة خرجت مسرعة على صوت ملاك وهي تقول

" هيه وسن لا تنسي أننا سنبدأ العمل الأسبوع القادم "

لوحث لها بيدي وأنا أتابع سيرتي دون أن التفت إليها وخرجت

للخارج حيث موقف السيارات ووجدت السائق ينتظري فوقفت

عند نافذته وقلت " لن أذهب معك غادر لمنزلك "

قال بحيرة " ومع من ستذهبين وأين "

قلت بضيق " سائق أنت أم جاسوس ، سأذهب للجحيم ما علاقتك

بي ، وأخبر سيدك أنني لم أعد بحاجة لك فلا تأتي مجددا "

ثم تركته وخرجت من الجامعة وأوقفت سيارة أجرى وركبتها

وعدت للمنزل ، دخلت وتوجهت من فوري لغرفة خالتي فتحت

الباب وقلت بضيق " ما به ابنك معي متى سيرتاح ويريحني "

تنهدت وقالت " ما به ماذا فعل "

قلت بحرقة " ألقى منحة الجامعة التي سيدفعونها لرسالة تخرجي

ودفع هوا المال وليس هي فقط بل ورسوم مواد الفصل الجديد

ألم نتفق أن الدراسة ستكون من مالي "

هزت رأسها وقالت " لقد عجزت معك ومعه "

قلت بغضب " وكيف يرفض ابن خال فرح دون أن يعلم

رأبي أو يسألني ، من يضمن نفسه أم يريد أن أبقى عانساً

كل حياتي وأنا أشاهده هوا وأبنائه وأتحسر "

قالت من فوها " ألم ترفضه أنتي أيضا فلما يضايقك الأمر "

قلت بضيق " يأخذ رأبي ، هذا أمر يخصني أنا وليس هوا "

قالت بهدوء " ما أن يزورني سأحدث معه في كل هذا فهوا

مشغول هذه الأيام ويقضي أغلب وقته خارج العاصمة "

قلت مغادرة " وأخبري والدة الدكتور سليمان أنني موافقة "

\*

\*

منذ ثلاث أيام ونواس غير موجود إلا لأخذ شيء مهم ويغادر

بعد تلك الليلة لم نعد نرى بعضنا إلا نادرا ، جيد أنه حدث ما حدث

لأفهم من البداية كي لا أفاجئ بعد سنين أنه يحب أخرى وأناي

مجرد مسئولية ويكون حينها لدينا أبناء وقد أكون أحببته وتعلقت

به فنواس رجل رائع ومن تعاشره ستحبه بالتأكيد

أنا إنسانة نحسها لا يفارقها ووجدت شخصا أكثر نحسا مني

تري من تكون وسن تلك ، لدي الفضول أن أعرفها وأعرف قصته

معها ، ليس اهتماما به ولا غيرة منها طبعا لكن فضول يدفعني لمعرفة

من تكون هذه التي تسلبه عقله هكذا بل وفرسه المفضلة الوسن على

اسمها وكأنه يريدنا معه للأبد حتى في غيابها فكم مرة رأيت من

الشرفة كيف يعاملها كبشر وليس فرسا ، ولما يا تري سمها هي تحديدا

باسمها وما الصفة المشتركة بينهما أم أنها هي سمها كذلك أو تكون

فرسها ، لكن راضية أخبرتني أنه هوا من اشتراها وسمها أيضا

آه يبدووا أنني من كثرة فراغي ووحدتي بث أفكر فيما يعنيني

ولا يعنيني أيضا ، ولكن ما لدي ليشغلني فحتى الطابق الأرضي

لم أنزله لأتسلى مع راضية رغم أن نواس أخبرني أن أتجنب

فقط حين أنزل ولم يطلب مني أن لا أنزل ، هوا خارج البلاد

مع صديقه المدعو معاذ يعني ليس هنا سوى ذاك المجهول ومؤكد

الآن هوا مع العمال في الإسطبلات وسجني هنا مستحيل لأن

المطبخ في الأسفل ، وقفت ولبست حجابي ونزلت بهدوء وتوجهت

للمطبخ فوجدت راضية وحدها هناك ، دخلت وقلت مبتسمة

"صباح الخير"

التفتت لي وقالت " صباح النور وأخيرا غادرتِ غرفتك"

توجهت نحو الجانب الآخر وقلت " قتلني الممل واشتقت لحكاياتك"

ضحكت وقالت " إذا الممل أنزلك لي وليس الشوق"

فتحت فمي لأتحدث فسكت وأنا أرى الظل الذي عبر الباب دليل

أن أحدهم واقف أمامه الآن ثم جاء صوت رجولي قائلا

" هل جننتي يا روضة وبشي تحدثين نفسك"

ضحكت وقالت وهي منشغلة بما تفعل " ومن يعرفك ولا يجن يا معتوه"

كان الصوت ليس غريبا عني أو يشبه صوت أعرفه جيدا ويبدووا

صديق نواس الذي يعيش معه ، قال ضاحكا

" هذا بسبب غيابي عنك أسبوعا كاملا "

قالت راضية وهي متجهة نحوي ومبتسمة تكمل الدور وكأني

غير موجودة " بل كان أجمل أسبوع عشته مع فتاة رقيقة وجميلة

ليس ثلاث رجال يحومون حولي كالنسور ويصيبونني بالغثيان "

سكت لوقت حتى ظننته غادر ثم قال " وكيف أحوال نواس مع زوجته "

صدمت لهذا السؤال وكيف يسأل عن أمر شخصي كهذا

قالت وهي تفتش في الخزانة " لا اعلم وليس لدي ما أقول "

قال بذات الضيق " سألتك اليوم فوق العشر مرات عنهما

وتتعدي أن لا تجيبي "

وقفت ونظرت له بضيق ويدها وسط جسدها فقال بنفاذ صبر

" راضية للمرة الأخيرة أسالك هل يقسوا نواس على مي "

انفتحت عيناى من الصدمة لما سمعت ، أقسم أنه ليس رجلا

غريبا ويعرفني أيضا ، تحركت من مكاني وتقدمت حتى بات

الباب مقابلا لي وما أن وقعت عيناى على الواقف أمامه ينظر

لي بصدمة حتى قلت بصدمة أشد منه

"وليد" !!

\*\*\*\*\* \*\*

فتحت الباب فكان واقفا أمامه نظر لي مطولا بصمت ثم قال

"أخرجي للممر يا سما أريد التحدث معك قليلا"

خرجت ووقفت مستندة بالجدار وهو أمامي وقلت بهدوء

"ما بك تبدوا مستاء هل أخطأت بشيء أزعجك مني"

نظر للجانب الآخر وتنفس بقوة ثم نظر لي وقال

"سما أنتي أمانة لدي سأعيدها لأهلها يوما ولا أتحمك بك ولا

بمصيرك فمهما طالت فترة بقاءك عندنا لن أزوجك حتى إن كان

هذا برغبتك ، حتى أعيدك لأهلك والقرار حينها لك ولهم أو

تبلغين سنا يناسب للزواج فأتمنى أن لا تنزعجي من كلامي

هذا ولا تعتبره يوما من الأيام تحكما بك"

فكرت في كلامه حين قال حتى إن كنت أنا أرغب بذلك ، هل أنا

حقا أفكر في الزواج !! وبمن ؟ وهل سأفكر فيها يوما ؟ هل أقول

له الآن سأفعل ما تريد ويأتي اليوم الذي أخالفه وأناقض نفسي

بقيت انظر لعيناه بحيرة ولم أعرف ما أقول فتركته وتوجهت

جهة غرفتي في صمت فأمسك يدي وقال

"سما لا يكون جوابك الصمت"

التفت ناحيته وقلت " أنا الآن لا أفكر في كل هذا أبدا وعلينا أن

لا نستبق الأمور ونصنع مشكلة بلا داعي ، سمعكما أنت وخالتي

تتناقشان بحدة ولا أعلم عن ماذا لكني الآن علمت فلا أريد أن أكون

سببا في أي مشكلات أرجوك نزار ولا أريد أن أغضبك ولا أن

أعدك بشي قد أخلفه يوما لكني حقا لا أفكر في ذلك"

ترك يدي وقال مغادرا جهة غرفته " إذا لن نتحدث في هذا ثانيا"

راقبته حتى دخل غرفته ثم عدت لغرفتي وأغلقت الباب وتوجهت

للسرير اتكأت عليه وبكيت ولا أعلم لما وعلى ماذا ! لم أبكي

هذه المرة عائلتي ولا مصيري بل كنت أبكي شيء لا أعلمه

وأشعر بألم غريب في قلبي يعتصره بشدة تكتم على صدري

ونمت ودموعي على وسادتي لم تجف بعد

في اليوم التالي استيقظت على صوت منبه الساعة فجلست أشعر

برأسي يؤلمني بشدة وقفت مغادرة السرير صليت الفجر ونزلت

لغرفة خالتي ببيجامة النوم ، دخلت غرفتها فكانت تصلي الفجر

سلمت ونظرت لي وقالت " ما بك يا سما ما أنزلك الآن"

أمسكت رأسي وقلت " أشعر أن رأسي يؤلمني كثيرا"

نظرت لعيناي مطولا وقالت " وعيناك محمرتان ومتورمتان ماذا

قال لك نزار البارحة وأبكاك ؟ أجزم أن حديثا دار بينكما"

هزرت رأسي بلا دون كلام فقالت بهدوء " وما أبكاك إذا"

أنزلت يدي من رأسي وقلت بحزن " أشعر بالضيق من ماذا لا أعلم"

ربتت بيدها على السرير وقالت " تعالي بنيتي اجلسي هنا"

توجهت ناحيتها وجلست بجانبها فأخرجت لي من كيس أدويتها

حبوبا وأخذت منهم واحدة وقالت " خدي هذا مسكن لآلام

الرأس ، الماء بجانبك هناك خديها وستريحك"

أخذت الحبة منها وبلعتها بالماء وأعدت الكوب مكانه فضمتني لكتفها

لأتكى عليه وقالت " ما يضايق صغيرتي الحبيبة لما لا تتكلم لترتاح "

قلت بحزن " بث أخاف فقد أشياء وتركها والابتعاد عنها وأكره

أنها ليست لي وأناى لن أبقى لها ولا أفهم لما "

قالت بحنان " ستفهمين يوما فلا أحد يجهل طوال حياته لكن

بعض الأشياء يا سما الجهل فيها أفضل من العلم "

قلت بهدوء " وقد أرتاح إن فهمت أليس كذلك "

مسحت على شعري وقالت " ربما نعم وربما لا "

ابتعدت عن حضنها ونظرت لها فأمسكت يدي وقالت

" سما لا تترددي في سؤالي عن أي شيء بنيتي حسنا "

قلت مبتسمة بهمس " حسنا "

بادلنتي الابتسامة فقلت بهدوء " ما سبب مرضك يا خالتي

ولما لا تستطيعين مغادرة السرير "

تنهدت وقالت " من سنين بدأ هذا المرض يتسلل لساقاي

في البداية كنت أشعر بالآلام بسيطة تتعبني ومع الوقت أصبحت

تزداد وفي المدة الأخيرة باتت أي حركة بسيطة تتعبهم كثيرا ولا

أرتاح إلا وأنا جالسة أو نائمة لأني إن تحركت سأعاني الألم لساعات"

قلت بحيرة " أراك تذهبين للطبيب دائما لما لم تشفي"

قالت بحزن " بل ذهبت لأطباء ولم يترك نزار مكانا لم يأخذني

إليه ودفع أموال كثيرة على كشوفات وصور وتحاليل

وأدوية ولا فائدة سوى بالعملية"

قلت " ولما لا تجريها إذا"

هزت رأسها بيأس وقالت " العملية لا يمكن إجرائها إلا في ألمانيا

دولة طب العظام ولا يمكنني السفر سوى في طائرة طبية وخاصة

الرحلة وحدها تحتاج لثمن منزلنا وسيارة نزار هذا غير الطائرة

والعملية مبلغها فوق الخيالي وهذا غير السكن والطعام والأدوية

وبقائي في المستشفى يُدفع ثمنه كل ليلية بليلتها وقد تلزمني بعد

العملية تلك واحدة أخرى مماثلة لها لا يمكن تحديدها قبل إجراء

الأولى وإن تحددت ولم يجروها لي لن أتمكن من المشي

ما حييت وسأصاب بالشلل الدائم"

قلت بحزن " والحل خالتي هل ستبقي هكذا كل حياتك "

مسحت على وجهي بكفها الدافئ وقالت بحنان " نزار يجمع

المال منذ سنوات على أمل أن يجمع ثمن العملية وهو يدرك

جيذا أنه لن يتمكن من جمعه فمنذ ازدادت حالتي سوءا في

السنوات الأخيرة وهو يعمل أي شيء ليوفر المال وكما تري

يخدمني ويخدم نفسه ويصرف على علاجي هنا والكشوفات

المستمرة كي لا تتفقر حالتي أكثر من هذا والحمد

لله على كل حال "

وضعت يدي على يدها المحتضنة لخدي وقلت

"ولما لا يأخذ المال من أحدهم ثم يعيده إليه ؟ لما لا يساعده

صديقه الشرطي ذاك أليس لديه قصرا وأموال "

قالت بابتسامة " المبلغ كبير جدا لو حسبنا العملية الواحدة فكيف

بالاثنتين فممن سيستلفهم وجابر قصرهم من والده وأموال والده

ورث له وأخوته وأمه أما منصبه فيذر عليه مالا كثيرا لكن العملية

مكلفة ونزار لا يحب أن يمد يده لغيره ولا أنا أريد ذلك "

قلت بحيرة " ولكنك على هذا الحال ستبقي هكذا كل

عمرك فعليه أن يتنازل عن أفكاره"

تنهدت تنهيدة طويلة وقالت ونظرها للأسفل " منذ سنوات وفي

بداية مرضي حين كانت عملية واحدة تكفيني اعتمد نزار على

غيره واتفق وخطيبته رهام على أن يتزوجا وتبقى هي معي هنا

تعتني بي وتصرف علي وعلى المنزل وعلاجي حتى يكمل

هوا دراسته ويعود سريعا ليحصل على العمل الذي سيمكنه من

السفر بي بسرعة لكنها أوصلته لآخر نقطة حتى بات سفره

قريبا وتخلت عنه وتزوجت بغيره ، كانت صدمة كبيرة له

الفتاة التي أحبها خدعته وخانتها والتي أعتمد عليها ومد يده

لها طالبا مساعدتها رمت بيده على وجهه وأولته ظهرها فمن

المستحيل أن يعود نزار لمد يده لغيرها مهما كان

ومستحيل أوافقها أنا على هذا"

قلت بهدوء " يعني ليس نزار وحده من سيرفض أخذ

المال من غيره بل وأنتي أيضا"

قالت بحزن " أعلم أني العقبة في طريق نزار عن تحقيق

كل أحلامه بأن يدرس ويصبح كما يريد وأن يكون له زوجة

وعائلة لكني كرهت أن تُجرح كرامته بسببي مجددا ولعل

موتي يكون قريبا ويرتاح مني"

حضنتها وقلت بدموع " لا خالتي لا تموتي أرجوك"

مسحت على شعري وقالت " البعض موته راحة للجميع

ولا تخافي فإن استثنيت ساقي فصحتي كالجبل ولن أموت"

ابتعدت عن حضنها وقلت " ولما لا تأخذوا الأموال التي

في القبو أقسم أني لا أحتاجها ولا أريدها"

قالت بابتسامة " أعلم أنك ستفكرين في هذا ، إن سمع منك نزار

هذا الكلام فسيغضب وأعرفك لا تريدين إغضابه أبدا"

قلت " أقنعيه أنتي إذا"

تنهدت وقالت " سما أخبرتك أن الماضي لن نكره مجددا"

فتحت فمي لأتحدث فقالت بابتسامة " كيف تشعرين الآن"

هزرت رأسي وقلت " أفضل بكثير "

قالت " عودي للنوم الآن ما يزال أمامك ساعتين قبل وقت المدرسة "

ابتسمت لها وقبلت خدّها وغادرت صاعدة لغرفتي

\*

\*

رفعت سجادة الباب فوجدت المفتاح لا يزال تحتها فمنذ عادت تلك

الفتاة لدراستها أعاده نزار هنا لأن والدته تبقى وحدها صباحا

فتحت الباب ودخلت بهدوء وصلت لغرفة الخالة فكانت نائمة ، جيد

ستكون فرصتي ، سعدت السلالم وتوجهت لغرفة الفتاة فنزار لديه

ثلاث حصص متتالية اليوم والفتاة لن تعود قبل الظهر

دخلت الغرفة كانت مرتبة وكأنه لا يعيش فيها أحد عكس

غرفة هيام شقيقتي التي في سنّها فبعد مغادرتها للمدرسة تكون

وكان إحصارا مر عليها ، اقتربت من الخزانة وفتحتها فكانت

لا تقل ترتيبا عن الغرفة حتى خفت أن أحرك شيئا من مكانه

وتكتشفتني ، نزلت للدرج الموجود داخلها في الأسفل وفتحته

ففوجئت بالحلي الذهبي الكثير فيها ، من أين لها كل هذا!!!

نظرت لآخر الدرج كان هناك برواز مقلوب لصورة متوسطة

الحجم ، أخرجتها وقلبتها فكانت لسيدة رائعة الجمال ورجل

يبدوا زوجها وفتى صغير وسما في سن يبدوا العاشرة أو الحادية

عشر ، هم عائلتها بالتأكيد فأين يكونون ! مؤكد ميتين ولكن كيف

ماتوا جميعهم وهي لا ؟ أعدت الصورة وأغلقت الدرج والخزانة

وتوجهت لمكتب الدراسة الخاص بها فتحت الأدراج وفتشت بين

الكتب ولا شيء سوى خط نزار في حل بعض المسائل وبعض

الملاحظات على مسائل هي من حلها فقط ولا غير فيبدوا أنه

يدرسها وليس كثيرا فما فهته من هيام أنها شديدة الذكاء فلن

تحتاجه إلا قليلا ويبدوا لا تتعمد فعل ذلك فقط ليشرح لها

هذه المرة لم أجد شيئا لكنها لن تكون الأخيرة بالتأكيد ، خرجت

من غرفتها وتوجهت لغرفة نزار فتحتها ودخلت كانت أيضا مرتبة

أكثر من العادة ويبدوا أنها ترتب غرفته أيضا ، فتحت خزانته

وكانت وكأنها خزانة في فندق من العناية حتى في ترتيب الفوط

والملابس الداخلية ، مؤكد والدته لن تفوت فتاة مثلها على ابنها ولا

هوا أيضا وهوا يرى كل هذا مجتمع فيها وسيعتاد وجودها ونظامها

العالي الدقة ، أغلقت الخزانة وخرجت بمزاج سيء جدا نزلت

للأسفل ودخلت غرفة والدته فوجدتها مستيقظة ، نظرت لي

وقالت بابتسامة " مرحبا يا دعاء كيف لم أشعر بدخولك "

اقتربت منها وقلت مبتسمة " دخلت منذ قليل ووجدتك نائمة

فمررت بالمطبخ لأرى ما يمكنني إعداده لكم "

قالت بابتسامة " سما تطهوا الطعام قبل أن تذهب "

جلست وقلت " ولما تتعب نفسها من الصباح الباكر "

جلست وقالت " لا تريد أن يقوم نزار بذلك فإن لم يجد الغداء

جاهزا بالتأكد سيعده هوا لأنها لا تعود قبل الواحدة ظهرا "

قلت " أين كانت تعيش سما قبل مجيئها هنا "

قالت من فورها " في مدينة أهل زوجي ، توفيت عائلته في

حادث وليس لديها غيرنا حتى يعود أهل والدها من الخارج "

هزرت رأسي بحسنا ولم أعلق على كلامها ، إذا ثمة ما يخفونه

فكيف تكون الفتاة من مدينة أهل زوجها وكانت تدرس هنا

منذ حوالي بداية العام ، لو لم تخبرني هيام شقيقتي أن نزار

عرف اسمها وذكائها من أول حصة له معهم لشككت أنها ليست

قريبته من أساسه ، قالت بهدوء " كيف هم شقيقتك ووالدتك "

قلت " بخير جميعهم الفتاتان مع والدهما منذ يومين "

قالت بحنان " جيد أنه لم يحرم والدتك منهما فكم من

أمهات حرموا من أبنائهم بسبب الطلاق "

قلت بهدوء " كانتا صغيرتان وقتها وهوا يفكر بالطبع في

الزواج من أخرى فالحل الأنسب أمامه تركهما لها

ليعيش حياته كما يريد "

ثم وقفت وقلت " هل تحتاجين شيئا أفعله لك يا خالة "

قالت مبتسمة " شكرا لك يا ابنتي سما قامت بالواجب قبل ذهابها "

هزرت رأسي بحسنا مبتسمة وخرجت ، سما هذه لم تترك شيئا

لغيرها ورهام تبدوا لا تقيم لها وزنا ولا تفكر في أن تبعتها

عنه ولكن هدونها غريب ولا بد تعد لشيء قريبا

\*

\*

"سما كم جمعت حتى الآن"

فتحت حقيبتي وأخرجت النقود عددهم وقلت

"خمس وعشرون"

قالت " وأنا معي عشرون هيا نذهب لمروى لنرى ما لديها"

قلت بيأس " ألم تقولي أن أشيائها مرتفعة الثمن ونادرة أي

لن نشترى شيء سوى الحسرة وعليها جمع مبلغ قبل

ثلاث أيام لأشتري هدية منها"

سحبتني من يدي وقالت " لن يكون أمامك وقت عليك شرائها من

الآن افرضي أن مروى غابت حينها فهي تغيب كثيرا

ولم يتبقى أمامك سوى الغد"

سرت أتبعها وقلت " وريحان ألن نخبرها لتأتي معنا"

وقفت والتفتت إليها وقالت " تلك الجشعة إن رأت النقود

فلن تخرج صفر اليدين ، بسرعة قبل أن تدركنا"

لفت بي المدرسة كثيرا وسألت فتيات كثر عنها حتى وجدناها

وما أن رأتها حتى قالت " بتول أين أنتي لم تزوريني من مدة"

قالت بتول بضحكة " وجدت مكانا غيرك أسكب عنده

نقودي ، هيا أرنا ما لديك"

وقفت وقالت " اتبعاني إذا"

دخلنا خلفها لمبنى المدرسة ثم لفصلها وأخرجت كيسا كبيرا

وآخر صغير وبدأت تُخرج أشياء كانت بالفعل نادرة وجميلة

وكأنها تذكارات جمعت من دول مختلفة ، لفت نظري مجسم

لمبنى وكأنه مصنع أو شركة كل شيء فيه صغير جدا وحتى

السيارات في الخارج والأشجار وأدق التفاصيل ، قاعدته خشبية

ومغطى بالزجاج وشكله كله مستطيل ، رفعتة وقلت

" هذا رائع كهدية"

ستكون أفضل هدية له في عيد ميلاده فما عرفته من خالتي

أنه بعد ثلاث أيام ، نزار مهندس وهذه ستعجبه بالتأكيد

قالت الفتاة من فورها " هذه بمئة "

نظرت لها بصدمة وقلت " ماذا مئة " !!

قالت " نعم ألا تريها خذي هذه بخمسين "

قلت " ولكني أريد هذه "

رفعت كتفيها وقالت " هذا ثمنها وهناك فتاة تريدها فإن

أنت اليوم لن تجديها "

قالت بتول " هيه مروى اتركينا من حركات السماسرة أنتي

رأيت أنها أعجبتها فزدت السعر وقصة الفتاة ملفقة "

أخذتها من يداي وقالت " إذا اذهبا في حال سبيلكما "

قلت بحسرة " ولكني أريدها حقا "

قالت ببرود " مئة أو لن أبيع "

قالت بتول بضيق " وهل تضنينا برواتبنا لنعطيك مئة "

ضحكت وقالت " إن كنتي أنتي ووالدك لديه المال تقولين هذا

فما سيقول غيرك واذهبي وابحثي عن مثل هذا الجسم في الأسواق

ولن تجديه بأقل من 500 وأتحداك أن تجديه بأقل من ذلك"

قالت بتول ببرود " هذا لأنه بضائع صينية تقليد عن الأصل"

رمت بيدها وقالت " المهم لن تجدي مثيلا لها"

نظرت لبتول وقلت بحزن " أريده فما الحل"

حسبت بأصابعها وقالت " ما لدينا كلينا خمس وأربعون

فقط أي أقل حتى من نصف المبلغ"

خرجت قبلها ووقفت في الممر فخرجت ووقفت

بجانبي وقالت " لابد وأن نجد حلا"

مستحيل حتى القبو سنزوره نهاية الأسبوع ولا أمل في

الحصول عليها ، نظرت لها وقلت " قد تبيعه وأنا لا أريد

غير ذاك المجسم ، هوا سيكون الهدية المناسبة"

شدتني من يدي عائدة بي للفصل وهي تقول

"لا تقلقي لن يكون إلا لك"

دخلنا وكانت المدعوة مروى تجمع أشيائها فقالت بتول

" اسمعي سنشتريه معنا خمس وأربعون وسأحضر لك الباقي غدا"

نظرت لنا وقالت " لا أحضري المبلغ أولاً"

وضعت بتول يداها في وسطها وقالت " مروى تعرفين أنني لا

أكذب ولا أسرق وأتعامل معك منذ وقت طويل وقد تغيبني في

الغد ونريد المجسم كهدية ولا وقت لدينا لنتظرك"

قالت " نعم في الغد لن نكون هنا سنزور جدتي ولن

نعود قبل الجمعة"

قالت بتول " والحل إذا"

نظرت لنا مطولاً ثم قالت " خمس وخمسون كثير قد لا تأتيني بها"

خلعت بتول سلسالها من رقبتها ومدته لها قائلة " هذا سيبقى لديك حتى

أتيك بالمال ولا تجربي خداعي وتتكريه لأنني سأفصح أمرك وبالذليل"

أخذته منها وقالت " لا تخافي سأعيده لك ما أن تأتيني بالمبلغ"

ثم أخرجت لنا المجسم وناولتني إياه فأخذته منها وقالت بتول

" هيا نخبئه في حقيبتك لن نخرج به"

نظرت له وقلت بحيرة " وأين سنخبئه ولا كيس لدينا"

فتحت حقيبتها وقالت " افتحي حقيبتك وأخرجي كتبك وضعيها

عندي أتركي الأشياء المهمة فقط وفي الغد سأحضرهم لك

ونضع المجسم في حقيبتك"

أخرجت أغلب الكتب ودسنا المجسم في حقيبتي بصعوبة

وقلت " كيف تحضر هذا الكيس الضخم يوميا"

ضحكت وقالت " بل تتركه هنا وتغادر آخر واحدة وتأتي

صباحا الأولى وإن غابت صديقتها تتكفل بالمهمة"

قلت ونحن نخرج من الفصل

"ماذا إن أمسكوا بها ، هذه مخاطرة كبيرة"

قالت بلامبالاة " حتى المعلمات في المدرسة يعلمون عنها

ويشترون منها أيضا وحده المدير من لا يعلم"

قلت " بضاعتها كلها جميلة ومميزة جدا"

وقفت ونظرت لي وقالت " نعم فشقيقتها يتعامل مع تاجر يحضر له

هذه البضائع المقلدة من الصين وهم يبيعونها له ويحصلون على نسبة"

قلت بابتسامة " شكرا لك يا بتول وسأعيد لك المبلغ قريبا"

قالت " لا تهتمي للأمر "

قلت وقد عدنا للسير " ومن أين ستأتي بالمال نحن نجمعه

منذ أيام ولم نأتي بنصف ثمنها "

قالت " سأتدبر أمري أمامي حتى يوم السبت لآتيها به

وسأطلب من والدي أن يعطيه لي "

حضنت الحقيبة وقلت " حمدا لله أننا حصلنا عليه لو تركنا

الأمر للغد ما وجدناها "

وصلت حينها ريحان جهتنا وقالت

" أين أنتما يا محتالتان لففت المدرسة ولم أجدكما "

قالت بتول " وما تفعليه بنا لما لا تفارقينا لحظة "

قالت بضيق ويدها وسطها " بعثني يا بتول "

ضحكت بتول وحضنتها وقالت

" كيف أبيع الريحان من سيشتري مني بضاعة فاسدة "

دفعتها بعيدا عنها وقالت ضاحكة " نعم جئتِ تصلحين الأمر فأفسدته "

خرجنا بعدها للخارج وجلسنا وقالت ريحان

"كم جمعتما حتى الآن يا بخيلتان"

ضحكت بتول وقالت " لا شيء وعلينا دين أيضا"

ضحكت أنا وقالت ريحان بصدمة " كنتم عند مروى إذا"

قالت بتول ببرود " نعم بالتأكيد"

ضحكت ريحان وقالت " هل تذكرني المحفظة التي اشتريتها منها الشهر

الماضي وأهديتها لمصطفى وانبهر بها وقال أنها باهظة الثمن"

قالت بتول " ما بها نعم اذكرها"

عادت للضحك وقالت " تمزقت بعد يومين"

ضحكنا كثيرا رغم أنني لا أفهم الحكاية جيدا ثم قلت

"وهل هوا شقيقك"

هزت رأسها بلا وقالت " هوا لا يقرب لي هوا ابن الجيران"

قالت بتول بابتسامة جانبية " تقول صديقي لكنه حبيبها"

نظرت لها بصدمة ما الصديق في الرجال وما الحبيب !! إن سألت

ستضحكان علي ، قالت ريحان " بلى صديقي أنا لا أحبه أحب ابن خالي

"

قالت بتول " وصديقك تقدمين له الهدايا وابن خالك يعيش في

الجنوب لا تريه سوا مرة في العام وقال لك سأ تزوجك

ما أن أخرج وهو يعيد السنة مرتين "

وضعت ريحان يداها وسط جسدها وقالت " مصطفى صديق

طفولتي أنا لا أحبه هو يقدم لي الهدايا دائما فاشتريت له مرة

هدية وابن خالي يحبني حقا والجميع في عائلتنا يعلم فأرني

أنتي ما يكون ابن عمك الذي يسخر منك طوال الوقت "

ضحكت بتول وقالت " ابن عمي لا صديقي ولا أحبه والحب

يكون بعد الزواج غيره تخاريف يستغل بها الشباب عقول

الفتيات ليأخذوا منهن ما يريدون "

قلت باستغراب " هل يسرقون أموالهم " !!

ضحكتا عليا كثيرا فوقفنا وقلت بضيق " وما قلته مضحك "

قالت ريحان بضحكة " معدومة ما سيسرقون منك إنهم يأخذون " .....

وقفت حينها بتول وقالت " وقت المغادرة بسرعة حافلتنا جاءت

وأنتي يا سما مؤكّد قريبك في الخارج"

خرجنا وريحان تقول " سما ألا تفكرون في إيصالني لمنزلنا

أود أن أسمع صوت قريبك"

ضحكتُ وقالت ببول ضاحكة " قَرَبك عقرب وأنتي نائمة ، ما

تفعلين به ولديك الصديق والحبیب أم تكذبین علينا"

تجاهلتنا وسبقتنا قائلة " غبيتان ولا تعرفان قيمتي أقاربي كلهم

يموتون علي وأنا أرفضهم"

توجهت هي وبتول تضحك عليها جهة حافلتها وودعتهم ملوحة بيدي

وتوجهت لسيارة نزار وركبتها وانطلق قائلاً " يبدوا الوضع هنا

أفضل من مدرستك السابقة"

قلت بابتسامة " نعم أنا أحببت الجميع هنا"

قال مبتسماً " هذا جيد"

وبعدنا لذنا بالصمت حتى وصلنا المنزل نزلت وصعدت لغرفتي

من فوري وأغلقتها خلفي أخرجت الجسم ولمعت زجاجه ثم

وضعته في الخزانة وخبأته تحت ثيابي ، سيكون مفاجئة له  
وأتمنى أن يعجبه ، استحممت سريعا وغيرت ثيابي ونزلت  
للمطبخ لأكمل إعداد الغداء وفتحت القدر لتشلني الصدمة

\*

\*

دخلت غرفة والدتي على رنين رسالة في هاتفي أخرجته  
وفتحتها فكانت من ذات الرقم وفيها ( لا يموت ماضي  
الإنسان إلا بموته ) غريب من هذا الذي يرسل كل هذه  
الرسائل التي تتحدث عن الماضي والذكريات يبدووا شخصا  
أخطأ في رقمي أو قد يكون يعرفني ويريد أن يصنع مقلبا لي  
جلست على الأريكة أقلب الرسائل التي وصلت منه خلال  
كل هذه الأيام فوقفت سما عند الباب وقالت " من سكب الزيت  
في قدر الأرز وفي صينية البطاطا المحمرة واللحم"  
نظرت لها باستغراب وقلت " لم يمسخها أحد"

قالت أمي " قد تكونين أكثر الزيت فيه وحين برد ظهر أنه كثير"

قالت باستياء " مستحيل ليست المرة الأولى التي أعده فيها

ويرد قبل أن أذهب ... كيف حدث هذا"

نظرت لأمي وهي نظرت لي ، أعرف سما جيدا كل شيء إلا

طعامها الذي تطبخه ولن تمر هذه المسألة على خير

وقفت وقلت " لا بأس سأجلب شيئا من الخارج لنتناوله"

ثم وقفت مصدوما حين نزلت دموعها وقالت ببكاء

" أقسم لم أكثر الزيت بل هناك من سكبته"

قلت بهدوء " حسنا سما لا مشكلة"

ثم نظرت لأمي لتتقد الوضع لأن دموعها لم تتوقف وهي

تمسحها باستمرار بكم بيجامتها فقالت أمي " لا بأس بنيتي كل

يوم تطبخين الطعام لذيذا لن يحدث شيء إن خرب مرة"

ضربت جبهتي بيدي لقد أفسدت الأمر بدلا من إصلاحه ، خرجت

سما راكضة وصعدت للأعلى ومؤكدا لتكمل بكائها في غرفتها

نظرت جهة أمي وقلت " أردت أن تنقدي الوضع لا أن تأزميه"

قالت بضيق " وما قلته أزم ويؤزم هوا متأزم من يومه"

تأففت وخرجت توجهت للمطبخ وفتحت القدر وحركته جانبا  
لأرى الزيت ، كان زيتا نقياً أنا اطبخ لي ولوالدتي منذ سنوات  
وأعرف الزيت المستعمل من النظيف ، فتحت الفرن وأخرجت  
صينية البطاطا واللحم وكان الزيت فيها متجمعا في بقع ولونه

صاف أيضا ولم يؤثر به احمرار الطماطم ، غريب أنا

لم ألمسه وأمي لا تغادر السرير ولن تفعلها بالتأكيد

خرجت عائدا لغرفتها وقفت عند الباب وقلت " الزيت بالفعل

مسكوب عليه وليس ناضجا معه ، هل زارك أحد"

فكرت قليلا ثم نظرت لي ولانذت بالصمت فقلت

"أمي لما كل هذا القدر من التفكير"

تنهدت وقالت " غيرة نساء بني لا تكترث للأمر"

نظرت لها باستغراب وقلت " لم أفهم ما تقصدين"

قالت " لا يهم اذهب لها وتحدث معها فأنت تعلم بحالتي

ولا يمكنني الصعود"

رفعت يداي وقلت " أنتي تعرفينها إن تعلق الأمر بطعامها

الذي تعده ، لن أزيد الأمر إلا سوءا إن تكلمت"

قالت بهدوء " حاول بني لن تسوء أكثر من هذا هي تحترمك كثيرا"

تنهدت وقلت مغادرا " سأحاول رغم أنني سأفشل بالتأكيد"

أوقفني صوتها منادية لي فنظرت لها فقالت

" لا تترك المفتاح تحت دواسة الباب ثانيًا"

نظرت لها بحيرة ثم قلت " مستحيل أمي أنتي وحدك هنا صباحا"

قالت " لا تفكر بي مادام يوجد اختراع اسمه هواتف ثم سما لا تترك

شيئا لا تفعله لي قبل أن تذهب حتى أنها تفصل جميع الكهربيات

تحسبا لأي خطر فلا تترك المفتاح"

قلت بعد صمت " هل تقصدين أن ثمة من دخل وفعل بالطعام ما فعل"

قالت بهدوء " لا أعلم"

غادرت من عندها وصعدت للأعلى ، أمي يبدوا تعلم شيئا ولا

تريد أن تقول ، من يعرفون مكان المفتاح هم جابر وعوني وزوجته

ودعاء وانتصار جارتنا والسيد خليل جارنا لأنني أوصيهم يمروا

بوالدتي من وقت لآخر ، فمن له المصلحة أو سيفكر في فعلها  
يا ترى ! ومن هذا الغبي لهذه الدرجة ليفوته أنا سنكتشف الأمر  
طرقت باب غرفتها عدة طرقات ولم تجب فطرقت أكثر ففتحت  
الباب وعيناها حمراوان من شدة البكاء ووجنتاها مشتعلتان من  
الاحمرار فقلت بعتب " سما لما كل هذا لقد أقلقت والدتي عليك

متأكد أنك لا تخطئين في مقادير الطعام"

قالت بحزن " من فعل هذا إذا"

رفعت كتفائي وقلت " لا أعلم وكثير يعرفون مكان المفتاح في

الخارج ولن نظن بأحد وقد يكون بريئا"

نظرت لعيناي مطولا بصمت ثم قالت " دعاء تعرف؟؟"

قلت بحيرة " نعم فهي تزور والدتي"

قالت مغادرة الغرفة وماره من أمامي " إذا هي"

بقيت أنظر لها مصدوما ثم نزلت خلفها وأنا أقول

"لا تظني يا سما قد يكون ظنك سوءا"

لم تتكلم ولم تضيف حرفا واحدا وتوجهت من فورها للمطبخ فتبعتها وقلت

"سأحضر طعاما من الخارج أنتي متعبة ولا وقت لتطبخي"

حركت الأرز بالملعقة وقالت ودموعها عادت للنزول

"انظر يا نزار ضاع تعبي كله"

تنهدت وقلت " لن اترك المفتاح لأحد ثانيتا لا تقلقي"

نظرت لي وقالت " أحدهم دخل غرفتي"

قلت بصدمة " ماذا تعني " !!!

مسحت دموعها وقالت

" أعني أن من سكب الزيت هنا دخل للغرفة أيضا"

قلت والصدمة لم تفارقني " أمتأكدة من ذلك"

هزت رأسها بنعم وقالت " بلى وكل التأكيد لقد فتش في مكتبي

وأدراج مكتبي ولم يسرق من حليي أي شيء"

قلت بصدمة " وكيف علمت"

قالت وهي تشير بيديها كصفوف " أنا أرتب مكتبي دائما ترتيبا

معينا كي أدرس فيها تباعا بالأهم في اليوم التالي وأفعل هذا

كل ليلة ووجدت أمكنة الكتب متغيرة"

قلت بحيرة " من يكون " !!

لأذت بالصمت مشيحة بوجهها فقلت " سما لما شككت بدعاء تحديدا"

رفعت نظرها لي وقالت " لأنها لا تحبني"

قلت بحيرة " دعاء فتاة طيبة نعرفها من وقت طويل لم تكن سيئة يوما"

امتلت عيناها بالدموع وقالت " إذا أنا السيئة وأكذب أيضا"

قلت من فوري " أبدا لم أقصد ذلك"

قالت بأسى " بلى قصدت ذلك هي تعنيك أكثر مني ولا تصدقني"

تنهدت وقلت " سما لما هذا الكلام أنتي تعلمين جيدا كم أحترمك

وأقدرك ولن أطيل في الشرح فأنتي تعرفين ذلك"

غادرت من أمامي وخرجت من المطبخ وقد عادت للبكاء فهزرت

رأسي بيأس ، كم هوا صعب التعامل مع المراهقات

خرجت من المنزل وتوجهت لأحد المطاعم أخذت لنا غداء

وعدت ، دخلت بالأكياس وتوجهت لغرفة والدتي وضعت

الأكياس على الطاولة وقلت " أين سما"

رفعت كتفيها وقالت " لم أرها منذ خرجت أول مرة "

تنهدت وقالت " يبدوا بالفعل دخل أحد للمنزل وفتش غرفة سما أيضا "

قالت بصدمة " وصلت الأمور لهذا "

نظرت لها باستغراب ثم تذكرت كلامها السابق عن غيرة النساء

وكلام سما فقلت " دعاء إذا "

ضحكت ضحكة صغيرة فنظرت لها باستغراب وقالت

" وهل بالأمر ما يضحك "

عادت للضحك وقالت " أخشى أن نصل لمرحلة الشجار بالأيدي "

وضعت يداي وسط جسدي وقالت " أمي كم تحبين التسلي بي حين

تتاح لك الفرصة فلا تنسي أن دعاء ليست صغيرة وسما بعقل

كبير ولا تهتم لأمرى بحيث تتشاجر معها "

قالت بابتسامة " اذهب لها لتأتي وتأكّل معنا أعان الله ساقيك

اليوم على كثرة الصعود والنزول "

نظرت لها نظرة ضيق وتركتها وصعدت من جديد طرقت الباب

وقلت " سما أنا لا أكذبك صدقيني ولن أترك المفتاح لها ولا

لغيرها وسأعطيك مفتاح غرفتك أيضا"

لم تجب فقلت " سما إن لم تنزلي لتأكلي معنا فلن آكل أنا أيضا ولا أُمي"

فتحت حينها الباب وخرجت

\*\*\*\*\* \*\*

فتحت عيناى ووجدت نفسي في حضنه فأبعدت يده لأغادر السرير

لو كنت أعلم أنني سأتزوج به للعبت رياضة رفع الأثقال لعام كامل

توجهت للحمام على صوت رنين هاتفه وتعثرت بشيء نظرت

للأسفل فكان قميص النوم فرميته بعيدا وأكملت سيرى ، لا أعلم ما

نفعه من أساسه ، دخلت الحمام واستحمت ثم خرجت فكان غير

موجود لا في السرير ولا الغرفة ، نظرت للساعة فكانت الثامنة

فتحت عيناى جيدا ولم يتغير مكان العقرب ، انفتح الباب حينها ودخل

منه بالمنشفة على خصره وشعره يقطر بالمياه ، فتح الخزانة بقوة وقال

بضيق " النساء لا يأتي من ورائكن خير أبدا حتى الثامنة لأستيقظ"

ثم تابع وهو يرمي ملابس داخلية أخرجها " صدق من قال تنومن

التنين وتأخذن شعرة من رأسه ولا يستيقظ"

شعرت بالغيظ الشديد وعيناى بدأتا تضيقان شيئا فشيئا ، من الذي

قال لي بالأمس لا أجذك نائمة حين أعود ثم هوا يستيقظ كل صباح

كالديك على مواعده ودون منبه ، وهل يعلم أنه هوا التنين في كلامه

تمالكت نفسي وكتمت غيضي محاولة تهدئة أعصابي لأنى إن تكلمت

ستكون النتيجة شجارا أكيدا لكن حقي سأخذه منك يا ابن الصخرة

جفف شعره بسرعة وبدأ بلبس ملابسه فتوجهت لبدلته دون كلام أزلتها

من علاقتها فأخذ البنطلون من يدي ولبسه فمددت له القميص أخذه

لبسه أيضا وأغلق أزراره ورفع ياقته فأخذت ربطة العنق ولففتها

حول عنقه وربطتها له بعدما أعطيته السترة وبدأ بلبسها ، ربطتها بخفة

لتعودي على ذلك ففي المصنع الذي كنت أعمل فيه كنت في قسم

تجهيز الملابس المكوية قبل أن أصبح في قسم التطريز وكنت أربط

فوق مئة ربطة عنق يوميا وبسرعة وخفة من كثرة ما أربطها

أنهيت ربطها وهوا يغلق أزرار السترة فكانت الأولى من الأعلى

فقط التي لم يغلقها فمددت أصبعي لها وأغلقتها قبله ثم مررت

يدي ماسحة بها على ربطة عنقه الزرقاء الغامقة وصولاً للسترة  
التي تأخذ نفس اللون تحتضن ربطة العنق وصدره العريض وقلت  
بشبه همس ونظر على يدي " استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه"  
ثم ابتعدت من أمامه دون أن أنظر لوجهه وعينيه وجلست عند  
طاولة التزيين وبدأت في تمشيط شعري الرطب لأجففه وأنا أتابع  
حركته في الغرفة وهو يأخذ حدائه وجلس على طرف السرير يلبسه  
أنهى ربط خيوطه بإحكام وعدل بنطاله عليه ثم وقف ولبس حزام  
سلاحه وتبثه ثم قال " لن أعود عند الغداء لا تنتظروني"  
التفت له ووقعت عيني في عينه دون كلام فقال مغادراً  
"لدي قضية في الجنوب وسأعود متأخراً"

ثم غادر من فوره مسرعاً بخطواته الثقيلة على أرضية الجناح  
ولم أسمع بعدها سوى صوت السيارات التي تغادر مسرعة خارجة من  
القصر ، تنفست بارتياح وارتسمت شبه ابتسامة على شفاتي ، في المرة  
الماضية اتصل بمنزل الحرس في القصر ليخبرهم أنه لن يأتي للغداء

فاتصلوا بمنزل الخادمت رغم أنه كالיום وردده الاتصال أمامي وخرج  
من عندي ولم يعلمني أو يهتم بإخباري ، لا وقال أيضا أين تكون قضيته  
فلم

يهمشني كالسابق ، جففت شعري وأنهيته بعد وقت على صوت طرقات

خفيفة ومتقطعة على باب الغرفة فابتسمت بحب ، ها هوا زائر كل

صباح قد جاء ، قلت بذات ابتسامتي " تعالي حبيبيتي "

انفتح الباب لتظهر الواقفة خلفه على رؤوس أصابعها ممسكة

بالمقبض لتفتحه فمدت يداي لها وقلت " تعالي يا قزمتي الحبيبة "

ركضت جهتي واحتضنتني قائلة " صباح الخير ماما "

قبلت خدما عدة قبلات وقلت " صباح النور يا قلب ماما "

يبدووا ورثي من والدك الاستيقاظ مبكرا "

قالت وهي متعلقة بحضني ورأسها ينام على صدري

" أحبك ماما رائحتك جميلة "

شددتها لحضني أكثر وقلت " وأنا أحبك يا ملاكي "

ثم أبعدها عن حضني وتوجهت جهة قميص النوم ورمىته في غرفة

الملابس قبل أن تراه وأكون في سيل من الأسئلة ، توجهتُ جهة  
السريـر صعدت عليه وقالت " سريـرـك مرتفع ماما هل أقفز عليه أرجوك  
"

نظرت لها ثم وقفت وقلت " لا بنيتي أنتي تري الأعمدة في زواياها

ستضربين إحداها حينها"

توجهت لغرفة الملابس ولبست فستانا زيتي اللون قصير قليلا وبأكمام

قصيرة وخرجت ألف شعري على صوت شهقة ترف ، نظرت للسريـر

فكانت منحنية جهة الجانب الآخر وتنظر للأرض ثم رفعت جسدها

والتفتت إلي وقالت مشيرة بإصبعها هناك " أنظري لملابس بابا هنا"

شعرت بعروقي جفت وتيبس لساني ، كيف نسيتها ! ما هذا المأزق

توجهت نحوها حملتها من السريـر وقلت

" هذا لأنه غير ثيابه هنا ، هيا لنخرج بسرعة يكفيك هذا"

قالت بحيرة " وكيف يغير ثيابه عندك"

ضربت جبهتي بيدي ألم أجد غير هذا الجواب

أنزلتها ونحن نخرج من الجناح وقلت

"كان مستعجلا فغيرها هناك ويكفي يا ترف"

نظرت لي للأعلى وقالت

"لما لم تكوني تنامين مع والدي قبلا والآن بلى"

وضعت يدي وسط جسدي وقلت بضيق " ترف كفي عن هذه الأسئلة

فلأعيش معكم هنا ونكون سويا عليا أن أنام مع والدكم فهمتي"

هزت رأسها بنعم فأمسكت يدها وسرت بها نازلتان للأسفل

وصلت ووجدت الصالون تغير مكانه فابتسمت ابتسامة انتصار

مرت إحدى الخادمت فأوقفته قائلة " من غير مكانه"

قالت " أوامر السيد جابر سيدتي"

قلت بابتسامة " يمكنك الذهاب لعمك"

رائع ستأكل الوسواس رأس تلك العجوز ، أنا تقول عني أمام ضيفتها

أني يتيمة راف جابر بحالها لأنها تحب الأولاد ، سأريك أي رافة هذه

إن لم أجعله كما أريد أنا وأكسر أنفك الذي ترفعيه به أمام الناس

دخلت المطبخ ووجدت الخادمت على قدم وساق نظرت لهن وقلت

"ماذا هناك"

قالت إحداهن وهي منشغلة بما تفعل

"السيدة الكبيرة لديها عزيمة بعد العصر"

هزرت رأسي بحسنا على صوت ترف تقول

"ماما أئن نعد شطيرتنا المفضلة"

قلت " لا حبيبي لا نريد أن نربكهم"

وقفت إحداهن وقالت " يمكنك فعل ما تريدين سيدتي"

قلت بابتسامة " أكملن عملكن لن أضايقكن وأعرف ترف

وفوضتها جيدا ، أخبروا سيلا تنظف جناحي وأحضروا

لنا الإفطار في غرفة الأطفال"

قالت من فورها " حاضر سيدتي"

خرجت من هناك وعدت وترف للأعلى ، كم رائع هذا العالم

من يصدق يا أرجوان أن خدم هذا القصر سيصبحون تحت إمرتك

أعلم أن والدته لن ترتاح حتى تنتشليني من هنا وتحضر ابنة راضية

التي تذكرها أمامي عمدا لكن لن أكون أرجوان إن حدث ذلك

توجهت لغرفة الفتاتين دخلتها واقتربت من السرير وأجلست النائمة

عليه وقلت " بيسان هيا حبيبتي ستتأخرين على المدرسة"

فركت عيناها ثم عادت مرتمية على السرير فقلت بتذمر

"بيسان هيا انهضي"

قالت وعناها مغمضتان " لما لا نغيب يوما واحدا ماما واحدا فقط"

ابتسمت وقلت " لديك يومي إجازة يا كسولة ثم انظري

لوالدك الذي لا إجازة لديه"

لم تجبني ولا اعلم إن عادت للنوم أم لا ، شعرت بشيء يشد فستاني

فنظرت جانبا فكانت ترف وقالت بهمس " هيا ندغدغها"

ابتسمت وهي تضحك مخبئة فمها بيدها الصغيرة فغمزت

لها جهة بيسان وقلت بهمس " هيا"

قفزت ترف على السرير وبدأنا بدغدغتها وهي تضحك بهستيرية

كانت تمثل النوم إذا هذه المحتالة ، أوقفها خارج السرير وقلت

"للحمام بسرعة سأوقف أمجد وآتي إليك"

توجهت نحوه تتنأب وخرجت من الغرفة وترف تتبعني

قائلة " ندغده أيضا ماما حسنا"

فتحت الباب وقلت مبتسمة " ضاعت منك الفرصة ها هوا مستيقظ"

نظر لي وقال وهو يحك شعره الكثيف

" حلمت بالمدرسة سقطت لتأكد منها أولا"

ضحكت وقلت " حلمت بهذا كثيرا في سنك ولم يحدث

هيا بني للحمام بسرعة ستتأخران ويوبخانكم"

غادر السرير ودخل الحمام فقلت بصوت مرتفع

"أجد أغسل أسنانك بني لا تنسى"

ثم نظرت لترف وقلت " وأنتي يا مشاغبة سنتناول الفطور ثم ندرس"

حركت إصبعها الصغير بلا أمام وجهها دون كلام فضحكت ونزلت

لها حضنتها وقلت " بلى حبيبتي أقسم أن تدرسي اليوم لتكوني ذكية

كأخويك"

\*

\*

"لقد أنهينا كل شيء سيدي"

قلت وأنا أقلب الأوراق الملطخة بالدماء بين يداي

" هل وصل العقيد أسعد "

قال من فورهِ " ها هوا قادم من هناك "

التفت له فوصل عندي وقال بنفس متقطع

" ما هذا بحق الله وكأن الجدران مطلية بالدماء "

قلت بضيق " لو رأيت الجثتين لما استغربت هذا "

تنفس بقوة وقال " نفس الجريمة والأدلة ممسوحة من

مسرح الجريمة بالتأكيد "

رميت الأوراق من يدي جانبا وقلت " ثاني جريمة في نفس

الشهر ونبحث منذ ساعات ولا شيء سوى أوراق لأرقام

حسابات وتصدير لبضائع وطبعا من الهند وبطريقة غير

قانونية فحتى شرطة الجمارك لا معلومات لديها عن إن كان

هناك خلل في بضائع هذا المستودع ، وكأنهم يقولون لنا لن

تكتشفوا حتى أسرار تجارتنا "

قال وهو يحك لحيته بتفكير

"إذا هذه المرة تركوا شيئاً وليس ككل مرة"

تنهدت وقلت " بل تركوا شيئاً نضحك به على أنفسنا

أخبرتكم أنهم يسخرون منا"

قال بهدوء " وما الجديد في موضوع الفتاة"

نظرت للجدار الملطخ بالدماء وقلت " جيران المدعوة عفراء

قالوا أنهم لا يعرفون اسمها واسم زوجها الكامل ولم نحصل سوى

على اسمه الأول ( رافع ) وهذا ما قالت الفتاة أيضاً لأنهما لا يحتكان

بأحد وهو سكير لا أحد يصادقه أو يتحدث معه ، أخذنا معلومات

عن ملامحهم من الجيران ونحاول البحث أكثر واستعنا برسام

لرسمهما رغم أن معلومات الفتاة عنه أنه موكل فقط بسرقة

الأوراق من ساحة الجريمة قبل الحادث ويبدووا يبتز أحدهم ليعطيه

بعضها ، أي أن تعامله ليس مع الرأس مباشرة لكانوا قتلوه

ويبدووا يوكلون شخصاً بذلك وهو أوكل رافع ذلك بالأمر"

نظر للجانب الآخر وقال " وما بك مع رجالي هناك"

قلت بضيق " الحمقى المستهترين وجدتهم أدخلوا إحدى

الصحف لمسرح الجريمة قبل حتى رفع الأذلة فهذا

عقاب بسيط يستحقونه كي لا يعيدوها"

ثم غادرت من عنده ووقفت أمام فريق التحقيق وقلت

"دعوهم ينظفون المكان أيضا وأريد جميع الشهود في مركز

الجنوب هنا حالا ، أصلي العصر وأريدهم عندي"

ثم خرجت مغادرا من هناك للمركز

\*

\*

ركضت خلفه جهة باب المنزل وأنا أقول

"أبي هل لي بطلب صغير وجميل مثلي"

ضحك وقال وهو يفتح مقبض الباب

"وما يكون هذا الصغير والجميل مثلك"

قلت بابتسامة " نقووود"

قال وهو يفتح الباب قليلا " درج غرفة النوم فيه

خمس جنيهات خديها"

أمسكته قبل أن يخرج وقلت " لا أبي ليس خمسة"

نظر لي وقال " كم إذا"

أشرت له ببداي مفرودتا الأصابع ومتباعدتان فقال

" عشرة؟"

هزت رأسي بلا وقلت " بل خمس وخمسون"

فتح الباب قائلا " لم أجن بعد لأعطي فتاة خمسون جنيها في يدها

دون سبب ولن يوجد سبب يستدعي هذا"

أمسكت يده أكثر وقلت بغنج " أبي أرجوك أنا أحتاجهم"

على فتحه الكامل للباب ومعتصم واقف أمامه فخرج

والذي قائلا " إنسي هذا قبل أن أحقق معك عن السبب"

تأففت وعدت مغادرة للداخل فشعرت بيد تمسك ذراعي وأعلم

طبعا صاحب هذه اليد من يكون وحركته الدائمة ، لفني

جهته فقلت بنفاد صبر " ماذا تريد بي يا معتصم"

سحبنى ناحيته بخطوتين وقال

"جئت أعدل مزاج يومي بك لأنك تنجحين في هذا"

سحبت ذراعي من يده وقلت " وما يجبرك على هذا"

قال ببرود " لماذا كنتي تريدين النقود"

قلت مغادرة " لا شأن لك"

أمسكني مجددا وسحبنى نحوه وقال

"بل ستقولين ورغما عنك ما تريديه بهذا المبلغ"

قلت وأنا أحاول تخليص ذراعي منه " والدي لم يسأل ما شأنك أنت"

قال من بين أسنانه " كل الشأن لي يا بتول قلتها ولن أعيدها في كل مرة  
"

ابتعدت عنه وقلت بحدة " ما هذه الوقاحة يا معتصم ألا تراني بلا

حجاب وببيجامة قصيرة وبلا أكمام أنا لم أعد طفلة"

نظر لي من أعلى لأسفل ثم قال بسخرية متكأ على الباب

"حقا!! لم أنتبه جيد أنك أخبرتني"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت " غادر بسرعة إذا"

ضحك وقال وهو يلعب بخصلة من شعري في يده

"ووالدك يا أم والد خرج أمامي ولم يطردني ويعلم ما ترتدين"

نظر بعدها لصدري بتركيز فشددت ياقة البيجامة بقبضتي

وقلت بضيق " أبعد عيناك يا وقح"

مد يده وأبعد يدي بالقوة وسحب الياقة للأسفل وقال بصدمة

"أين سلسالك الذهبي"

أبعدت يده وأنا أشعر بالدماء ستتفجر من وجهي من الخجل

وقلت " معتصم لم أعرفك قليل حياء هكذا"

شد طرفة الياقة وقال بحدة وعيناه في عيناى

"أين السلسال وما تريدين بالنقود يا بتول"

مرت حينها أُمى من خلفي على بعد مسافة منا قائلة

"أدخل يا معتصم لما تقف عند الباب"

وغادرت مبتعدة على نظراتي المصدومة ، تراني بلا حجاب

ويمسك بياقة بيجامتي التي أصبح زرها الأول مفتوحا على ناظره

وتقول له بكل بساطة أدخل لما تقف عند الباب!!

شدني له أكثر وقال " تكلمي بسرعة"

نظرت للزر الثاني في بيجامتي وهو يوشك على أن يفتح

فشدته منه بقوة حتى ابتعدت عنه وقلت بغضب " وانزع لي ثيابي

أيضا فأنت لا حسيب ولا رقيب عليك ولا أحد ينهاك هنا"

أمسكني من يدي وسحبني جهة مجلس الرجال وأغلق الباب

وقال بحدة " بتول لن أعيد الأسئلة مئة مرة"

قلت بتذمر " بالرفق بالرفق لست مثلك رجل تحدث معي باللين"

تأفف وقال " قولي بسرعة"

قلت " ولا تخبر أحدا"

قال بنفاذ صبر " لا لن أخبر أحدا"

قلت بابتسامة صفراء " وتعطيني أنت النقود"

نظر لي بصدمة فقلت " اقصد تصدقني فيما سأقول"

هز رأسه بنعم دون كلام فقلت " رهنت السلسال حتى أحضر النقود"

اتسعت عيناه من الصدمة فرجعت بخطواتي للوراء قائلة

"معتصم أصبر قليلا لأشرح لك الأمر"

قال بأمر وعيناه في عيني " أغلقي أزرار بيجامتك وتكلمي فورا"

نظرت لها وأغلقتها بسرعة ، كيف نسيت أمرهم وأعرض

بضائعي لمن يريد المشاهدة ولا أحد غير هذا المشتري الوقح

قلت بخوف " صديقتي أرادت أن تشتري هدية وليس معها مال كافي ف  
... "

قاطعني بحدة " لست طفلا لأصدق هذا يا بتول"

قلت بغضب " بلى أنا لا أكذب يا معتصم ولم يربباني والداي

على الكذب والقصة حقيقية هي تريد شراء هدية لقريبها من

أجل عيد ميلاده والفتاة التي تباع الهدايا في المدرسة طلبت مئة

ثمنها وليس معنا سوى خمس وأربعون فرهنت سلسالي

لديها حتى أحضر لها باقي المبلغ"

بقي ينظر لي بجمود فقلت بهدوء

" أقسم أنها الحقيقة يا معتصم ولم أكذب عليك في حرف واحد"

قال بجدية " وما علاقتك أنتي بها هي تشتري له وترهني أنتي

السلسال الذي أنا من اشتراه لك وتدفعي النقود أيضا"

نظرت له باستغراب وقلت " والدي اشتراه لي وليس أنت"

قال بحدة " بل أنا يا نبيهة"

نظرت له بصدمة فقال " غدا أكون في إدارتكم وأتأكد من كل هذا"

أمسكت يده وقلت " لا تفضح أمر الفتاة للمدير أنا وعدتها أن

أحضر لها النقود وسما قالت ستعيدهم لي"

أدخل يده في جيبه وأخرج نقودا رماهم على الطاولة وقال

"إن لم يرجع السلسال كان لي تصرف آخر معك وإن اكتشفت

أنها كذبة فلن ينقذك أحد مني يا بتول"

قلت بضيق " هل تمن علي بسلسالك أنا لم أطلبه منك

ولو كنت اعلم أنه منك ما لبسته"

ضغط على فكيه بقوة من الغيظ فرجعت للخلف بضع خطوات

وقلت بشبه ابتسامة " لم أقصد ... أعني شكرا لك على الهدية"

خرج في صمت وبخطوات غاضبة فتنفست بارتياح أهف بيدي

على وجهي ، أي يوم تعيس هذا ؟ توجهت للطاولة وأخذت النقود

حسبتهم فكانوا مئة ، قفزت من الفرحة وذهبت من فوري لغرفة  
والدي وأخذت الخمسة التي قال لي عليها وتوجهت لغرفتي

فورا وخبأتهم في حقيبتني

\*

\*

مر عصر اليوم ولم أنزل للأسفل سأترك الجميع يسألها عن

زوجة ابنها ومن نفسها في المرة القادمة ستطلب نزولي بأي طريقة

خرجت من ممر غرف الأطفال و بيسان معي ، كنت أرتدي حجابي

لأن معتصم هنا اليوم وكنت أنظر لها ونحن نسير وتتحدث عن

قلعتها وجنودها حين وقفت وقالت ناظرة للأمام " لورد معتصم"

ثم ركضت ناحيته فرفعها له وقبلها وأنزلها فقالت

"لما لم تأخذني للخيل"

ضحك وقال " أخاف حينها أن تحولني جدتك لحمار"

لم أستطع إمساك نفسي من الضحك فنظر باتجاهي وقال

"مرحبا يا أرجوان سررت بمعرفتك"

قلت بابتسامة " وأنا كذلك"

قالت بيسان مشيرة لي بإصبعها " هذه هي ماما التي أخبرناك عنها"

قال ضاحكا " جيد أنها لم تفعل جريمة ما لأمسكت بها الشرطة بسهولة"

ضحكت فنظر لي وقال " الأطفال يحبونك كثيرا تعجبني تربيتك لهم

أتمنى أن لا تفرطي في هذا كي لا يتعبوا كل حياتهم"

يبدوا مختلفا حقا كما توقعت من حديث الأولاد عنه ويبدوا تعب

من والدته كثيرا ، قلت بابتسامة " ولأجل هذا أنا هنا"

رفع لي إبهامه وقال غامزا بعينه

"يعجبني هذا وأي مساعدة أنا في الخدمة"

قلت بدهشة " حقا ستمد لي يد المساعدة إن احتجت"

أدخل يده في جيبه وأخرج هاتفه ومده لي قائلا " بل وفيها هاتفي

أيضا ، هيا دوني لي رقم هاتفك واطلبي مساعدتي متى وكيف أردت"

رائع سأحتاجه في بعض مخططاتي ، أنت من كان ينقصني يا معتصم

أخذت هاتفه وسجلت له رقمي واتصلت به ليظهر عندي ثم أعدته

له قائلة " وكيف تتق بي ولا تعلم ما سأفعل وتراني للمرة الأولى"

قال مبتسما " صحيح أراك للمرة الأولى لكنها ليست المرة الأولى

التي أسمع فيها عنك ووثق من أنه تهمة مصلحة الأطفال"

ثم قال بابتسامة جانبية

"وإن روضتي المسمى جابر سأتوجك بوسام ذهبي"

ضحكت ولم اعلق على كلامه فقال مغادرا

"سنعتبرها تبادل خدمات إذا فقد أحتاجك في بعض الأمور"

ثم توجه جهة السلالم ونزل دون أن يسمع رأيي

ومر باقي المساء ولم يتصل جابر ولم يرجع ولا أعلم كيف

أتصرف ، إن اتصلت به ستكون خطوة غبية وأعرف الرجال

لا يحبون هذا ولكنه لم يخبرنا أنه لن يأتي للعشاء أيضا ولم

يتصل حتى بالحراس ليخبرهم ، قد يكون اتصل بوالدته أو

اتصلت به مستحيل يغيب ابنها يوما كاملا ولا تسأل عنه

نزلت ابحت عن سيلا ووجدتها تنزل من ممر الطابق

الثاني فقلت " سيلا هل اتصل جابر وقال أنه لن يأتي للعشاء"

قالت من فورها " لا سيدتي"

قلت بقلق " ولم يخبرني أنه لن يأتي للعشاء قال الغداء

فقط ! هل تعلمي إن اتصلت السيدة الكبيرة به"

مرت حينها والدته بجانبني تصعد السلالم وقالت ببرود

"ليس طفلا نبحت عنه يفترض بالمرأة أن تكون عاقلة"

وأكملت صعودها ، يالك من متحجرة أي قلب هذا الذي تعيش

به ، تتبرأ منها الأمهات فحتى الحيوانات يشعرون بأبنائهم

عدت لغرفتي أحاول تجاهله لكن كيف مهما كان هوا زوجي

ووالد من أعدم أبنائي ، أمسكت هاتفي وأرسلت له

(ليحفظك الله أينما كنت لكنني قلقة عليك)

وانتظرت لوقت ولم يأتي منه أي رد ، جبت الغرفة جيئة وذهابا ثم

أمسكت الهاتف لأتصل بمعتصم هوا حلي الوحيد فرنت رسالة

فتحتها فكانت منه وفيها ( لن أعود الليلة)

قرأتها أكثر من مرة ثم قلت ببرود

" هذا فقط ما استطعت عليه يا بارد يا جاف يا جابر"

وصلت حينها على الفور رسالة أخرى فتحتها فكانت منه أيضا

وفيها ( تصبحين على خير ) ضحكت ضحكة صغيرة وقلت

"ليست أفضل من سابقتها لكنها بالنسبة لصخرة مثلك تعد رسالة  
غرامية"

عدلت منه الساعة على الثالثة فجرا ونمت حتى استيقظت على

رنينه ففتحت عين واحدة وأمسكت الهاتف وأرسلت له الرسالة التي

جهزتها وفيها ( اشتقت لك يا تنين ) وابتسمت على موقفه حين يراها

قد يكون نائم الآن أو قد يكون ... رن حينها هاتفي قاطعا سيل

أفكاري ففوجئت باسمه يضيء على الشاشة ، بقيت أرمش

ونظري عليه لوقت ثم رفعت الهاتف وأجبت عليه فقال

مباشرة وبلهجة جافة " هل تعلمي أين أنا الآن "

بلعت ريقي وقلت " في الجنوب "

قال بحزم " وأين في الجنوب "

لذت بالصمت فقال " في قسم الشرطة يا حرمي المصون "

قلت بابتسامة صفراء " هل أمسكوا بك الشرطة "

قال بحدة " أرجوان "

شعرت بالحرقة في قلبي أكتب له اشتقت إليك ويكون هذا جزائي

قال عندما طال صمتي " إن أزعجتني ثانيًا كان لي حساب معك"

لا أعلم من أين اجتمعت عندي حينها كل القدرات الكونية على

الصمت ولم أصرخ فيه بحرقة وخيرا صنعت لأنها ستكون

كارثة قلت بهدوء " وداعا"

وأغلقت الخط ، لما لا يشعر بأنه أهانني فأنا لم أخطأ ، لكنك

تسرع يا أرجوان وصدقتِ نفسك ونسيتِ من يكون هذا

الصخرة ولن يلين معك بسهولة ، لكنه أهانني حقا

أمسكت هاتفني ودون أدنى تفكير استشهدت على نفسي

وأرسلت له ( رغما عنك اشتقت لك يا تنين)

وأرسلتها بسرعة قبل أن أتردد رغم أنه قد يكون فيها

موتي غدا ما أن يعود وفي الحاليتين هوا غاضب مني

فوجئت برسالة وصلت منه فتحتها فكان فيها

(لا تتمني أني أمامك الآن لأنني سأريك)

أرسلت له ( بل اشتقت إليك وليتك معي الآن )

وما هي إلا لحظات وانفتح باب الغرفة بقوة وكان هوا واقفا

أمامه فصرخت من الفرع والمفاجئة وخبأت نفسي تحت اللحاف

وأنا جالسة على السرير فسمعت خطواته تقترب ثم صوته قائلا

"من هوا التنين يا سحلية"

قلت من تحت اللحاف " أنا لست سحلية أنت قلت عن نفسك تنين"

وصلني صوته قائلا " متى أنا لا أذكر"

قلت " صباح الأمس ألم تقل عني أسرق الشعرة من رأس التنين وهوا  
نائم"

وصلني صوته الساخر " وأين الشعرة يا ذكية"

أخرجت له يدي من تحت اللحاف وفيها شعرته وقلت

"هذه"

لم أشعر سوى بيده تقبض بقوة على يدي وسحبني بسرعة

ناحيته حتى أخرجني من السرير وأوقفني أمامه وقال

" هل تعلمي ما يفعله التنين يا مشاغبة"

حركت أصابع يدي التي في قبضته و قلت بمكر

"يكذب طبعاً"

نظر لي بنصف عين فقلت بابتسامة جانبية

"تتين كاذب يقول لي أنه في الجنوب وهو هنا"

قال بابتسامة " وماذا أيضاً"

أدعيت التفكير وأنا أنظر للسقف وأصبعي على شفتاي ثم قلت

"ويصرخ بزوجه في الهاتف وكل ذنبها أنها اشتاقت له"

سحبني ل صدره وقال بذات ابتسامته " وأيضاً"

دفعته بإصبعي من صدره وقلت

" عليه أن يستحم وينام لأنه متعب جداً وغدا مشغول"

رفعني ورماني على السرير وقال

" إن خرجت من الحمام ووجدتك نائمة أريك التتين على حقيقته"

نهاية الفصل .... أتمنى يكون نال إعجابكم

وكل عام والجميع بخير بحلول شهر رمضان الكريم

جعلني الله وإياكم من صائمية وقائمية

## الفصل السادس عشر

بقيت أنظر له بصدمة حتى كسر نظرتة وقال بهدوء

"كيف حالك يا مي"

تنقلت بنظري بين ملامحه ثم قلت ببحة " بخير "

قال ونظره لازال أرضا

"إن احتجت أي شيء فترة غياب نواس فأخبريني فقط"

قلت وعياني لا تزالان معلقتان به " هل أنت صديق نواس الذي يعيش هنا "

رفع نظره لي وقال " نعم إن لم يضايقك ذلك "

قلت من فوري " أبدا ولما سأتضايق فقط تفاجأت لأنني لم أكن أعلم "

قال باستغراب " ألم يخبرك نواس " !!

هزرت رأسي بلا وقلت " قال فقط أنزلي بالحجاب "

قالت راضية مبتسمة " عرفاني بكما فيبدووا أنني

أعرفكما ولا أعرفكما أيضا"

نظر وليد جهتها وقال " مي تكون ابنة خالتي"

كانت تتحدث معه بمفاجأة وأنا عيناى علقنا على ملامحه

كنت أعلم أنى منحوسة ولكن ليس لهذا الحد ، وليد وهنا ! وبعدهما

علمت أنه أراد خطبتي ! لو أعلم فقط من هذا الذي دعا عليا دعوة

سيئة وصلت للسماء فورا ، كنت أعلم أن وليد يواجه مشاكل مع أحد

أعمامه وأخذ كل أموال والده منذ سنوات وأنه يعمل في مدينة

بعيدة لكن لم أتوقع أن يكون هنا

قالت راضية بابتسامة " إذا أنتما أبناء خالة ولا أعلم"

قال مغادرا ونظره للأرض " نعم وإن احتجتما شيئا فلا تترددا"

ثم غادر ، نعم اختفى من أمامي كما جاء ، ترى أكون احد

أسباب زواج نواس بي طلب من وليد ؟ ولكن مستحيل ثم لما

لم يرجع لخطبتي رسميا أم صدق كل ما حدث ولكن ما كان

ليخاف إن كان نواس يعاملني بقسوة إن كان بالفعل يصدق أنني

فتاة سيئة ، أخرجني من أفكاري صوت راضية وهي تقول

"مي أنا أكلمك"

نظرت لها وقلت " ها ... لم أسمعك"

قالت بابتسامة " أتحدث معك منذ وقت وعيناك معلقتان

عند الباب ، يبدووا فوجئت بوجوده هنا"

هزرت رأسي بنعم دون كلام فلازلت أعيش تأثير الصدمة

وإعصار اللقاء بعد كل هذا الوقت ، قالت بابتسامة

"وليد نكهة المنزل هنا رغم أنه مزعج ويزعجني كثيرا لكني

لا أتخيل المكان من دونه ولم أتصور أن يكون ابن خالتك"

قلت بشبه همس " ولا أنا"

ضحكت وقالت " ولا أنتي ماذا"

قلت وعيناي ستمدعان " ولا أنا تخيلت هذا"

ثم غادرت المطبخ وصعدت لغرفتي فورا أحاول فقط أن لا أبكي

فتحت النافذة ووقفت أمامها لأجده في طرف ساحة الخيول المقابلة

يمسك لجام إحدى الخيول ويلف بها حول نفسه في حركتها البطيئة

وهي تدور حوله ، فأغلقت النافذة وابتعدت عنها ، تخيلي هذا يا مي

هوا أمامك الآن في كل مكان في المزرعة ولا مهرب لك منه

توجهت من فوري للخزانة أخرجت الصندوق وأخرجت منه علاقة

مفاتيحه وجلست على السرير قبضت بيدي عليها بقوة وضممتها

لصدري لتتنزل دموعي التي أسجنتها منذ وقت

\*

\*

أخرجت إحدى سماعتي الأذن من تحت حجابها

وقالت " وسن بسرعة ضعيفا واستمعي"

نظرت لها ثم نظرت للبعيد وقلت ببرود " ملاك توقفي عن الجنون

واتركي هذه الإذاعة ، حتى في الجامعة تستمعين لها"

وضعت لي السماعة تحت حجابي عند أذني ورغما عني ثم رفعت

الصوت في هاتفها وقالت " سيتصل بالبرنامج الآن لقد ذكروا اسمه"

تنهدت بضيق وأنا أستمع معها للمذيع وهو يقول

" سنترك لك الخط مفتوحا يا أحزان السنين"

جاء حينها الصوت الرجولي الهادئ وكأنه روحاني يبعث في

النفس السكينة قائلا " شكرا لك أردت فقط أن أقول أننا كلنا في

الحياة مسافرون والحياة باقية كما الحزن باقي ، موضوع حلقتك كان

مميزا جدا كنت انتظر أن أستمع لمداخلة ملاك الليل أولا ولكن يبدو

ثمة ما منعها الليلة ، رأيي في موضوعك أن الموت نعمة أكثر من

كونه نقمة فنحن نحزن على موتانا ونشتاق لهم ونفتقدهم وفي ذات

الوقت نحمد الله أنهم غابوا عنا ونحن نحبهم ويحبوننا فبعض الأحياء

ماتوا من وجودك وهم على قيد الحياة فتمنى أنهم ماتوا قبل أن تصدم

بهم وبحقيقتهم ، جعلتني الليلة أسافر كثيرا بذكرياتي لكل من ماتوا

وغابوا عني من سنوات وتذكرت أشياء جميلة عنهم وجعلتني أبتسم

تلك الابتسامة الحزينة فشكرا لك وتحيتي لكل مستمعك الليلة

وكما أقول دائما لن أحزن إن سرقت من فرحي السنين "

نزلت دمعتي ومسحتها وأنا أتذكر أمواتي أيضا على صوت

المديع يقول " مداخلة مميزة ككل حلقة ومداخلات كثيرة وجهت

لك التحية وتنتظر مداخلتك وملاك الليل فشكرا أحزان السنين "

أخرجت السماعة من حجابي ورميتها عليها قائلة بضيق

"من قال لك أنني أريد أن أحزن على حزني ، لا بارك الله

فيك ولا في أحزان سنينك ذاك"

ضربتني على كتفي وقالت " لا تدعي عليه يا مغفلة"

ثم ضمت يداها لصدرها وقالت

"استمعت له البارحة والإعادة فجرا والآن ثالث مرة"

نظرت لها بنصف عين وقلت

"ولما لم تصدعي رؤوسهم أنتي أيضا بشعاراتك ككل حلقة"

ضحكت وقالت " أردت أن أرى إن كان سيفتقدني أم لا"

قلت ببرود " ملاك ما هذا الهراء لا تتعلقي بالأوهام وتنتهي كنهايتي"

وقفت وقالت بضيق واضعة يداها وسط جسدها

"مابك يا وسن تعكرين المزاج وتتعسينني في غمرة فرحتي"

وقفت أيضا وقلت " لا أعلم كيف تتعلقين بشخص عبر برنامج في

المذياع كل ما بينكم شكرا يا ... شكرا يا .... وكلامك رائع وووو

ملاك لا أريدك أن تسقطي على قلبك فنحن الفتيات مغفلات دائما

ونصدق الرجال بسهولة وأراك أكبر مغفلة في الوجود ، هوا

حتى لم يقل شيئا تصديقين به نفسك"

تجاهلتي وغادرت داخلة لمبنى الجامعة ووقف أمامي

طلال قائلا " مرحبا وسن أين ملك وماذا عن رسد" .....

قلت مغادرة من أمامه " ليس بعد سنوقف كل شيء الآن"

ثم خرجت من الجامعة عائدة للمنزل ، نواس سيعود اليوم ومؤكد

سيزور والدته الآن لأنني غير موجودة فأنا بث كالوباء يهرب منه

دائما لذلك علينا تصفية الحسابات سريعا

\*

\*

طرقت الباب وفتحته على ابتسامتها الحنونة قائلة

"مرحبا بني وحمدا لله على سلامتك"

دخلت واقتربت منها وقبلت رأسها وقلت

"سلمك الله كيف أنتي الآن"

قالت بهدوء " أشعر أنني أفضل ، كيف كان عملك وتجارتك"

جلست وقلت " جيدة ولم يضع تعبنا سدا"

قالت مبتسمة " وفقك الله بني ولي عليك عتب يا نواس"

قلت من فوري " لماذا يا أمي ما الذي فعلته"

قالت بلوم " ألم نتفق أنك لن تدفع أي نقود بخصوص دراسة

وسن فلما تذهب للجامعة وتدفع كل المال"

قلت بضيق " لأن ابنة شقيقتك فقدت عقلها ، كيف تقدم على منحة  
الجامعة من أجل رسالة تخرجها كالأيتام والمتسولين ليدرجوا أسمها  
معهم وكأنهم يتصدقون عليها وعلينا والمال لدينا يكفيها وكل دفعتها  
ويزيد"

قالت بجدية " ولكنك تعلم وجهة نظرها وسبق واتفقنا هنا جميعنا

ووافقت هي على كلامك وجاءت للعيش معي وأنت ضربت كلامي

وكلامها عرض الحائط بأن تنهي دراستها بعيدا عن مالك"

قلت بحدة " أي جنون هذا الذي تقولينه يا أمي كيف لا أدفع لها المال

هي في النهاية ابنة خالتي وأنا وليها ووكيلها"

قالت ببرود " ذاك قبل أن ينكسر كل شيء ، وسن مجروحة مثلك

يا نواس ولست وحدك تشعر بالذل ولك كرامة"

قلت بضيق " تقفين في صفها دائما وضدي ، تشعرين بها وبي لا"

تهدت وقالت " بل اشعر بكل واحد منكما وكما أقول لك ضع

نفسك في مكانها أقولها لها دائما"

أشحت بنظري للجانب الآخر فقالت " تكلم لما سكت"

نظرت لها وقلت بحدة " وهل تعلمي أنها طردت السائق من أمام

الجامعة وتركب سيارات الأخرى فكيف أتعامل معها برأيك"

فتحت حينها وسن الباب وقالت

"تتركني وشأني ولا دخل لك بي هكذا تتعامل معي"

وقفت وقلت بحزم " اسمك لن يدرج مع من تتصدق عليهم

الجامعة بالمال قلتها وانتهى الكلام في الأمر"

رمت بإصبعها في الهواء وقالت بغضب

"كم مرة قلت لا أريد مالك لما لا تفهم أنت"

صرخت أمي بتعب " توقفا وأنتما كالأطفال"

نظرت لها وقلت صارخا " لا لن نتوقف هل تراني رجلا أمامها

أم طرطور تفعل ما يحلو لها وأوافق على ما تريد وكلها

أمور أبعد ما تكون عن العقل"

قالت وسن بحدة " نعم بت أنا الآن في نظرك المجنونة الطفلة وأصبحتُ

الآن صاحبة الأفكار الناقصة عديمة التربية التي لا تحترم الرجال"

نظرت لها وقلت بحدة " وسن احترميني"

قالت بحرقة " وزدها عليهم هي أيضا"

قلت بغضب " وسن توقي"

امتألت عيناها بالدموع وقالت ببحة بكاء

"نعم فأنت بعدها أصبحت لا تراني سوا نكرة ناقصة عقل"

أشحت بوجهي جانبا قبل أن أرى دمعها تنزل على خدها

فوصلني صوتها قائلة بحزن " سأتزوج وأرحمك مني يا ابن

خالتي لترتاح ويرتاح دماغك"

رفعت نظري جهتها بسرعة مصدوما فلم أجدها عند الباب

اختفت !! رمثني بها وغادرت ، نظرت جهة والدتي فقالت بضيق

"متى ستعقلان كليكما ، حمدا لله أنكما لا تملكان السلاح"

بقيت انظر لها بجمود ثم قلت " من هذا الذي ستتزوجه ؟"

قالت بجدية " كيف ترفض ابن خالة فرح من نفسك

ودون أن تسألها عن رأيها"

قلت بعد صمت " وكيف علمتم بذلك"

قالت ببرود " علمت منها وهي لا اعلم كيف علمت"

نظرت جهة الباب بغضب .... تحدثت معها إذا ، لم يخطر

في بالي أن يفعلها ، ما قصده بهذا أيلعبها من ورائي

"وهي وافقت"

أعادت هذه الجملة عيناى لوالدتي لأنظر لها نظرة من أصابوه

برصاصة في قلبه وبقيت انظر لها كالتائه فتابعته " قالت أنها موافقة

فأتمم الأمر معه ، هوا الحل الوحيد لكما والسنين كفييلة بمحو كل ما كان

"

رميت بيدي في الهواء وقلت بحرقة

"أي سنين وأي هراء يا أمي ما الذي ستمحوه السنين من ماذا"

قالت بهدوء " أنت تزوجت ولك حياتك وستصبح لك عائلة وهي

أيضا عليها أن تُقدم على هذه الخطوة وتبتعد عن هنا هوا

الحل الوحيد بكل سلبياته"

نفضت سترتي أريد الكلام بغضب الصراخ أي شيء ولم يخرج من

حنجرتي ولا صوت فتوجهت لباب الغرفة وأغلقته بقوة وعدت جهتها

وقلت ضارباً على صدري وبحرقة " تقتلينني يا أمي هل

تريدي قتلي بالبطيء"

امتلأت عيناها بالدموع وقالت بأسى

"ولما تقتلها هي يا نواس ، توقفوا عن إحراق قلبي عليكما"

كانت المرة الأولى التي أرى فيها دموعها تملأ عيناها رغم

مرضها وألمها لسنين فجلست بجانبها وضممتها لحضني

استمع لبكائها المكتوم ثم قبلت رأسها وقلت

"كل ما تريدينه سيحدث ، أموت أنا ولا أرى دمعتك يا أمي"

ابتعدت عن حضني وقالت " وتفعلها حقا ومهما كانت"

مسحت دموعها وهزرت رأسي بنعم فقالت

"حتى إن لم ترضاها نفسك"

قبضت على يدي بقوة وقلت بألم " أعدك بذلك"

قالت من فورها " تزوجها إذا"

بقيت أنظر لها بصدمة فقالت " أنت وعدت فأفي لي بوعدك"

وقفت أنظر لها بصمت فقالت بجدية " تزوجها أو اتركها تتزوجه"

قلت بضيق " وهل تري زواجي بها حلا وسينهي المشكلة ؟ هوا

سيعقدها أكثر وزيدي عليه أن تعلم أنك من طلب هذا"

نظرت لي بصمت وثبات وكأنها تذكرني بوعدني لها منذ قليل

فهزرت رأسي ثم نظرت لها وضربت على صدري بقبضتي

وقلت بأسى " مجروح منها يا أمي مجروح حد الوجع وأنتي

تري بعينك كيف تزيد جرحي في كل مرة أكثر"

قالت بجمود " وتحبها ولا تستطيع تزويجها لأحد وكلما تحدثت

معك في الموضوع انتفضت واقفا وكان الكرسي تحتك تحول

لمسامير ، أنت تناقض نفسك يا بني"

أبعدت نظري عنها وأمسكت عيناى بأصبع يدي أتنفس بقوة

فوصلني صوتها هادئا " تزوجها وارحم نفسك على الأقل

والجراح كفيلة أن يداويها القرب يا نواس "

أبعدت يدي عن عيناى ونظرت لها وأشارت بإصبعي للباب

وقلت بسخرية " أنتي ترينها بعينك كيف تهينني ومع هذا لا

تعلمي ما تفعله بداخلي ، هي لا تزيدني إلا جروح "

قالت بهدونها ذاته " أنا أراها كما أراك وكل واحد منكما يجرح نفسه

قبل أن يجرح الآخر ، لا تمت بحسرتك يا بني فلن ترتاح إلا وهي

في حضنك فلا تتركها لغيرك ولا تستهن بالأمر فأنت لم تجربيه "

لذنا بالصمت لوقت طويل حتى وصلني صوتها قائلة

"ماذا قررت"

نظرت لها وقلت " ليس الآن "

قالت من فورها " متى إذا "

أبعدت نظري عنها وقلت " لا أعلم حتى أنسى جرحي أولا "

قالت بهدوء " عامان مرا يا نواس إن كنت لا تعلم "

نظرت لها وقلت " هي لن توافق في كل الأحوال "

قالت بسخرية " تبحث عن الحجج يا نواس؟؟ أتركها

تتزوجه إذا وأرني كيف سيشفى جرحك "

تركتها وخرجت من الغرفة ومن المنزل برمته

\*

\*

وصلت المنزل مقربة العصر فأنا وطلال قررنا العمل على

رسالة التخرج بالخفية عن وسن ولن ننتظر حتى تحل مشاكلها

وابن خالتها على حساب وقتنا ومستقبلها ومستقبلنا ، توجهت

للداخل ومررت بغرفتها أولاً طرقت الباب ومددت رأسي

قائلة بابتسامة " مساء الخير على أروع جدة في الوجود "

رفعت رأسها مما كانت منشغلة به وقالت ببرود " أي جامعات

هذه التي يبقون فيها حتى المساء ! أين تذهبين يا فتاة "

دخلت وقلت ضاحكة " وأين لي غير الجامعة نحن نعمل على

رسالة التخرج ، أخبرتك مرارا "

تنهدت وقالت " أعرفك مجنونة وتعرفين والدك جيدا لا يرحم"

جلست بجوارها على السرير وضممت كتفها وقلت بحنان

"ووالدي لم يتركني هنا معك لأدرس في جامعة العاصمة إلا

لأنه يثق بك وبخالي وبي وإلا ما وافق وأنتي تعرفيه أكثر مني"

هزت رأسها بنعم دون كلام فقلت " الم ترجع إيمان بعد"

قالت بضيق " متى ذهبت لترجع ومتى رجعت لتذهب اتركها

هناك علنا نرتاح من شجارهما الدائم قليلا"

ضحكت وقلت " لم يكن هذا كلامك سابقا وكنت تقولين

دائما أن ابنك لا يخطئ"

قالت ببرود " اذهبي وأعدي شيئا نأكله بدلا من الجلوس والثرثرة"

وقفت وقبلت رأسها وقلت " من عيناى ولتعلمي فقط فوائد إيمان

على الأقل تطهوا لكما الطعام"

تمتت بكلمات لم أفهمها فخرجت مبتسمة ، أعان الله إيمان

عليك وعلى ابنك ، طهوت شيئا سريعا نأكله ووقف خالي

عند الباب وقال " رائحة طعام هنا"

نظرت له وقلت مبتسمة " بل رائحة رجل بلا زوجة فاذهب

وأحضرها فأنا لا يمكنني الدراسة والاهتمام بالمنزل معا"

قال ببرود مغادرا " هي خرجت من نفسها وهي تعود ومن نفسها"

تنهدت بضيق وأكملت ما كنت أفعله ، وضعت له ولجديتي الطعام

وأخذت طعامي لغرفتي فلست بمزاج لهما فسيفتحان

الموضوع نفسه ويصدعان رأسي بمشاكلهم

أنهيت طعامي وصليت المغرب ونمت من فوري حتى

صلاة العشاء استيقظت وصليت وخرجت للمطبخ طبعا لأعد

شيئا للعشاء ، ألم تجد وقتا لترجع لأهلها غاضبة إلا الآن

آه منكم أنتم الرجال ، ترى هل أحزان السنين مثل خالي وابن

خالة وسن !! لا لا هوا يبداوا هادئا ورقيقا وصوته يا إلهي عذبا

كالماء ليس ذنبي بل الذنب عليه هوا علقني به ، نعم ليس وهم هوا

حقيقة وهذا يكفي ، ترى كيف شكله وما هوا اسمه وما هي قصته مع

اسم أحزان السنين ، نظرت للمقلاة وصرخت بصدمة وأبعدتها عن

النار ، لقد كاد يحترق العشاء بسببه ، تعشينا معا ثم عدت لغرفتي  
وانشغلت بدراستي وعند الحادية عشرة والنصف فتحت المذياع في  
هاتفني ووضعت السماعات في أذناي وأنا جالسة على السرير كي لا  
يفوتني شيء من البرنامج ولا أسمع مداخلته ، بدأ المذيع في استقبال

الاتصالات حتى شعرت بالمرض من الذي يشكي والذي يبكي  
ويحكي قصته وكان موضوع الحلقة عن النسيان ، انتظرت طويلا  
ويبدو أنه لن يتصل هذه الحلقة ، أمسكت الهاتف واتصلت بالبرنامج  
فأدخلوني بسرعة لأني بث صاحبة مداخلة مهمة فيه ولا يتركوها  
تنتظر طويلا ، قال المذيع بصوت مبتسم

" ها هي ملاك الليل سوف تعطينا رأيها في موضوع حلقتنا"

قلت بصوت هادئ " لا أذكر أنني نسيت لحظات بانسة وأشخاص

أدوني لكن بعض الأحيان يسألني أحدهم أتعرفيني ؟ أنا في ذاك

العام مررت أمامك وابتسمت لك فأضحك عليه في قلبي وأقول ما

يضنني لأذكر من يكون بينما وفي يوم آخر أتقابل مع شخص آخر

بالمصادفة فأقول هذا أذكر يوما رأيته نظر لي نظرة سيئة أو قال  
لي كلمة جرحتي فنحن نذكر الإساءة ونتحجج بأننا لا نستطيع  
النسيان بينما ننسى الإحسان مثلما ننسى ديونا يريدنا الناس منا"  
ضحك المذيع وقال " معك حق كم ننسى ديوننا وكم نذكر مآسينا"  
قلت بابتسامة " نعم فإن سألت أحدهم عن اللحظات السعيدة في  
حياته سيستغرق وقتا لتذكر حدث كبير جدا وإن سألته عن أحزانه  
لسرد لك منها حتى تعبت ، هذا بالنسبة للأحداث والأشخاص بصفة  
عامة أما الحبيب فشيء لن أتكلم عنه لأنه أصعب أنواع النسيان"  
قال المذيع " شكرا لملاكنا الليلي وبما أنك المتصل الخامس  
فإهداء الأغنية سيكون لك كالعادة فلمن ستهديها"  
قلت بعد تفكير " امم للمتصل بعدي وعمتم مساء"  
قال المذيع " إذا أغنية ( لم أنساك ) إهداء من ملاك  
الليل للمتصل القادم"

استمعت الأغنية حتى نهايتها وانتهت موسيقاها على صوت

المذيع قائلا " وهذا المتصل الجديد معنا أحزان السنين"

صرخت بحماس ضاحكة وارتميت على السرير على صوت  
ضحكته الهادئة وهو يقول " كانت الأغنية من نصيبي إذا فشكرا  
يا ملاك ، لن أتحدث عن النقاط الأولى لأنها وفتها حقها ككل مرة  
أود فقط أن أتحدث عن مسألة الحبيب ونسيانه يكون بحجم مساوئه  
وهنا ستتجح معادلة ملاك فحين ستذكر مآسيه جميعها فسيسهل  
عليك نسيانه إلا إن انكسرت المعادلة وأصبحت تذكر محاسنه فقط  
بالنسبة لي لم يصعب عليا نسيان الإنسانة التي أحببتها لأنها  
لا تستحق ولكنها سدت نفسي حقا"  
ثم ضحك هوا والمذيع وقال المذيع " جرب مجددا قد ينجح الأمر"  
قال بصوت مبتسم " كل شيء في الحياة يجوز ، ليلة سعيدة  
أتمناها للجميع ولن أحزن إن سرقت من فرحي السنين"  
ثم أنهى المكالمة ولم أوقف المذيع طبعاً حتى انتهى البرنامج وكأني  
أخاف أن يتصل ثانيها ولا أعلم به ، استمعت لباقي المكالمات وأنا  
أموت غيضا من الفتيات اللاتي يسألن عنه ويطلبن من المذيع سؤاله

عن معلومات شخصية عنه رغم علمهم أنه لا يريد التحدث عن نفسه

وأنا لا أجنبي من متابعة باقي البرنامج سوى أن تحترق أعصابي

أبدوا غيبة لكنه شعور يتملكني حقا

\*

\*

منذ عاد نواس قبل يومان ومزاجه لا يعجبني أراه كئيبا ويجلس

لوحده يفكر كثيرا لا أعلم في ماذا ! وكأنه يحمل هموم الدنيا

فوق كتفيه ، يبدوا حدث معه شيء في سفرته الأخيرة أو بعد

قدومه ، اقتربت منه وقلت " هل أعد لك شايًا بالزنجبيل هوا

مهدئ جيد للأعصاب وأراك منزعجا جدا"

قال ورأسه في الأرض جالسا على الأريكة

"لن ينفع في شيء أريد فقط أن أبقى وحدي"

قلت بهدوء " سأعده لك واشربه ولن تخسر شيئا وأريد

زيارة والدتك متى وجدت الوقت مناسباً"

قال وحاله كما هوا عالية " في الصباح آخذك لها"

قلت بابتسامة " جيد فأنا متشوقة للتعرف عليها"

نزلت بعدها للطابق السفلي دون أن أزيد كلمة ، ترى هل قابل  
المدعوة وسن في رحلته ! لا بد وأنها سبب حزنه مادامت أمور  
تجارته على ما يرام ، دخلت المطبخ وبدأت بإعداد الشاي له

وأضفت له الزنجبيل ووقفت أنتظر أن يجهز على دخول

راضية قائلة " ابتعد عني لست في مزاج لك يا وليد"

تبعها قائلاً بضحكة دون أن يراني

" لا مفر لك مني يا روضة باق لك هنا"

وماتت ضحكته حينما رأي في المطبخ وقالت راضية

"ماذا تفعلين يا مي لما لم تخبريني أفعل لك ما تريدينه"

قلت بابتسامة صغيرة ونظري للأرض " لاشيء متعب كوب شاي فقط"

قالت وهي تتوجه للثلاجة " خلصيني من ابن خالتك

هذا فسأهرب من هنا بسببه"

قلت بابتسامة ونظري عليها " لن يسمح نواس بذلك

وهو أكثر من أخ له"

أخرجت رأسها من الثلاجة قائلة " فقط دعينا نجد حيلة

فالنساء لا يغلبهم شيء "

قال وليد بضيق " كنت أعلم من البداية أنك خائنة والآن تأكدت "

نظرت له وقالت ببرود " لم أكن أعلم بأنني أعمل في جهاز مخابرات "

ضحك وقال " لهذا أمن البلاد بخير لأنك لست فيه "

ضحكتُ بضحكة غلبتني فنظرت لي راضية وقالت بضيق

"نعم تضحكين ، هوا ابن خالتك وأنا ليس لي إلا الله "

قال وليد بمكر " وأين ذهبت أنا "

رمت بيدها في وجهه قائلة " أخرج هيا لا تعكر لي مزاجي أكثر "

نظر لي وقال " هل تسمعينها يا مي وقالت إن خرج

وليد من هنا خرجت بعده "

بقيت أنظر له بصمت بل بحسرة ، لم أقترب من وليد قبلا كما

الآن ولم أعرفه هكذا بروح طيبة تبعث السرور لمن حولها

أبعدت نظري عنه حينما لاحظت أن نظراتنا علقت في بعضها

دون أن ننتبه وغادر هوا من فوره وكأنه هرب من شيء أو فهم

شيء ، يا حمقاء يا مي كيف تغلبت عليك مشاعرك ؟ أنتي في  
نظره متزوجة وبصديقه أيضا ، سكتت الشاي في كوب وصعدت  
به ولم أجده ، بحث عنه فكان في مكتبه يقف أمام النافذة اقتربت منه  
وكان وكأنه في عالم آخر ولم ينتبه لوجودي ، كانت عيناه على  
إسطلب الوسن المنفرد عن باقي الإسطبلات وكأنه يراها من  
خلفه ويتحدث معها ويمنع نفسه من النزول لها  
وضعت كوب الشاي بقربه وقلت بهدوء " سأذهب للنوم هل تريد شيئا"  
قال بهدوء وعيناه مكاتهما " شكرا يا مي وتصبحين على خير"  
تركته وغادرت المكان وأغلقت الباب خلفي وتوجهت لغرفتي  
عند الصباح جهزت نفسي وغادرنا لزيارة والدته ، وصلنا العاصمة  
بعد مقربة النصف ساعة ووقفنا أمام منزلهم هنا ونزل وأنا أتبعه  
دخلنا وتوجه من فوره لغرفة معينة وأنا خلفه ، طرق الباب ودخل  
ملقيا التحية ثم نظر لي للوراء وقال " ادخلي يا مي"  
دخلت ووقع نظري على الجالسة على السرير بلامح متعبة

وأول ما خطر في بالي مكالمتها لي يوم العيد دون كل مكالماتها

اقتربت منها وقلت رأسها وقلت بهدوء

"كيف حالك يا عمتي وأمدك الله بالعافية"

قالت مبتسمة " حفظك الله يا ابنتي وسررت بلقائك"

قلت مبادلة لها الابتسامة " بل أنا من سررت بهذا حقا وكنت

أود زيارتك منذ وقت لكن نواس كان مشغولا"

اكتفت بالابتسام دون تعليق وقال نواس

"سأغادر قليلا وأعود لك بعد ساعة يا مي"

نظرت له وقلت باستغراب " ولما بسرعة هكذا" !!

نظر لوالدته ولم يتحدث وشعرت وكأن ثمة سبب وراء ذلك

سمعنا حينها باب المنزل يغلق وكان نواس سيقول شيئا على وقوف

فتاة أمام الباب بحقيبة على كتفها ومذكرات في يدها ، كانت مبتسمة

وماتت تلك الابتسامة ما أن رأتنا وكان ثمة من سكب عليها ماءً باردا

كانت بملامح جميلة لكني لم أركز على شيء سوا عيناها ، لقد

كانت أغرب عينان رأيتها في حياتي بل أجمل وأوسع ما رأيت

تجعلناك تنظر لهما فقط ولا تركز على باقي ملامحها ، كانت تنظر  
لي بجمود وكأنها تمثال حجري وشككت أن تنفسها توقف ، لا بد وأنها  
الفتاة التي تقرب لنواس ، ظننتها صغيرة حين قالت راضية أنه وليها  
وذهب لأخذها للمستشفى ليلا ، كنت أنظر لها بحيرة من نظرتها  
الجامدة لي فنظرتُ لعمتي فكانت تنظر للفتاة بتوجس وريبة وكأنها  
تخاف أن يحدث لها شيء ، نقلت بعدها نظري لنواس فكان ينظر  
للأرض دون أي ردة فعل وكأنه تجمد هوا أيضا فعدت بنظري  
للفتاة فكانت على حالها تنظر لي فقلت بابتسامة  
"لابد وأنت قريبة نواس التي يكون وكيلها لقد سرر" ....  
قاطعتني قائلة بسخرية " نعم أخبرك أيضا أنني اليتيمة العالة المتسولة"  
نظرت لها بصدمة وقال نواس بضيق ونظره لازال للأسفل  
"وسن يكفي"

\*\*\*\*\*

خرجنا اليوم صباحا لنزور قبو منزلنا ، ركبت سيارة نزار وانطلقنا

لنتبعنا بعد مسافة ثلاث سيارات سوداء ، وصلنا المكان ونزلنا على بعد  
مسافة ونزلوا هم في أماكن لم أراها ، سرت برفقة نزار في المساحة  
الخالية حتى وصلنا الأشجار و سلكننا الطريق المؤدي للباب وصلنا هناك  
ووصل صديق نزار ورجاله بعدنا على الفور ، نظرت لهم جميعهم

ثم نظرت لنزار فقال " هيا يا سما"

نظرت لعيناه مطولا ثم توجهت نحو اللوح أزلت الأوراق  
وفتحت لهم الباب ووقفوا ينتظرونني فنزلت الأولى وهم يتبعونني  
شغلوا مصابيح كثيرة حتى أصبح كل الممر مضاءً فسرت وهم  
خلفي وكأنهم يخشون أن يكون ثمة فخ لأقع أنا فيه قبلهم ، وصلنا  
للفتحة أغلقتها وتابعا سيرنا حتى وصلنا القبو فوقفت وشعرت بالخوف  
وكأني لم أكن فيه لأشهر وحيدة ، شعرت بيد على كتفي فنظرت لصاحبها  
فكان نزار ينظر للبعيد ثم أشار بإصبعه وقال " مفاتيح الإنارة هناك"  
توجه واحد منهم وشغل جميع مفاتيح الإضاءة لتتير القبو بأكمله وابتعد  
نزار جهة صديقه جابر وتوزع رجاله يبحثون في كل مكان وهو واقف  
يداه وسط جسده ينظر لكل شيء نظرة شاملة ، تبدوا شخصيته مخيفة

جدا ونظرته حادة رغم أن نزار طويلا وعريضا إلا أنه أضخم منه ، نظر

ناحيتي وقال " ستفتحين لنا الباب الموصول بالمنزل أيضا نريد أن

ندخله دون أن يلحظ أحد أننا دخلنا إليه"

نظرت لنزار فأشار لي برأسه أن أفعل ما يريد فتوجهت حيث السلالم

وفتحت لهم الباب وصعد عدد منهم للأعلى ، اقترب رجل من جابر

بحقيبة في يده وقال " من الخارج يستحيل اللعب في نظام الأبواب

لكن الداخل ممكن وأستطيع إضافة بصمة واحدة"

قال جابر " جيد"

اقتربت منهم وقلت " ماذا ستفعلون"

قال جابر ونظره على جدران القبو البعيدة " سندخل بصمة

أخرى غير بصمتك لفتح الأبواب تحسبا لأي طارئ"

قلت ونظري معلق به " لمن"

نظر لي مطولا بصمت ثم قال " لي أو لأحد رجالي طبعاً"

هزرت رأسي بلا فقال بضيق " لا تتعبينا معك يـ...."

صرخ نزار بحدة " جابر "

نظر له نظرة قوية فقال نزار بضيق " ليس هذا اتفاقنا لكي

تأتي بكم إلى هنا وأعرفك جيدا عند كلمتك "

قال جابر بضيق أكبر " جد لنا حلا لهذا إذا "

نظر نزار لي في صمت فنظرت للأرض وقلت بهدوء

" أنت وغيرك لا "

قال جابر بضيق " نفذ بسرعة "

فتح ذاك حقيبته وأخرج شيئا أخذ به بصمات نزار وبصماتي وابتعد

جاب رجاله كل المكان وفتشوه تفتيشا دقيقا وكلما عاد ناحيته واحد

منهم قال أنه لم يجد شيئا فنظر لنزار وقال

" النقود يجب أن تخرج من هنا فعددها كبير وبقائها غير مستحب "

قال نزار " وأين سنذهب بها ؟ أنا أرى أن القبو آمن مكان لها

خصوصا أن سما لا حساب مصرفي لديها "

قال جابر " لا يمكن فقد يحدث حتى ماس كهربائي أو يتعمدوا

إحراق المكان وهم في الخارج لظنهم أن ثمة دليل بداخله ولن

نستبعد حتى أن يدخلوه بأي طريقة كانت"

نظر نزار ناحيتي وكأنه يريد رأيي فقلت " نخرجهم "

لأن كل غرضي من المجيء هنا إخراج النقود ، قال جابر

"سنضعهم في حسابك"

قال نزار معترضا " مستحيل هذا لن يحدث أبدا"

قال جابر بضيق " ولما ؟ ومن غيرك فأنت تعلم أنها مبرمجة

عليك أنت وحدك ولن ترضى بأن نضعه في أي حساب آخر "

قال نزار بحدة " جابر هذا الكلام لا داعي له "

ابتعد جابر بنا عن البقية وقال بغيب

"نزار احترمني أمام رجالي وتحدث معي بأدب "

قلت بضيق " يكفي لا تتشاجرا بسببي "

قال نزار " لن يحدث ذلك ولا تنسى أن لها عائلة سيضنون فيما

بعد أني سرقت من نقودها لذلك لديك سيكون أفضل ولن يحاسبوك

على شيء وأعرفك نزيها ولن تقرب منهم قرشا واحدا "

قلت بضيق " لما لم يسألني أحد عن كل هذا

هي أموالى لذلك سأخذها معى أنا"

نظرا لى باستغراب فقلت بإصرار " أرىها عندى "

فتح جابر فمه لىتحدث والسوء بادىا على ملامحه فأوقفه نزار

مشىرا بىده وأمسكنى من ىدى مبتعدا بى عن الجميع وقال

"سما ما هذا الذى تقولىنه ؟ كىف تأخذىن الأموال معك

ماذا إن سرق أحدهم المنزل وكما تعلمى المفتاح كان

لدى أغلبهم وقد ىكونوا أخذوا نسخة عنه"

قلت من فورى " استبدله بأخر "

قال بضىق " سما لا ىمكننى النوم مرتاحا وكل هذه الأموال فى

منزلى وتحت عهدتى ، ىكفى أنى لا أنعم بنوم هادئ وأتجول حول

المنزل لىلا أكثر من مرة خوفا من أن ىكون أحدهم ىراقبك أو وجدك"

هزرت رأسى بلا وقلت " بل أرىها معى نزار أرىها"

نظر لى مطولا بصمت ثم قال

"ولما وأنتى بنفسك قلتى أنها لم تعد تعنىك ولا ترىدىنها"

لذت بالصمت فقال " ليس من العقل فعل ذلك يا سما"

قلت بضيق " لما تعاملني دائما كالطفلة ، لا أقول شيئا سليما

ولا أتصرف بحكمة ، لما تجرحني دائما يا نزار"

نظر لي بصدمة وقال " متى حدث ذلك" !!

قلت وقد ملأت دموعي عيناى " كثيرا"

تركنى وتوجه ناحية جابر تحدثنا لوقت ثم عاد ناحيتي

وقال " سنفعل ما تريدينه لكن عديني أولا أنه لن ينقص

منها مليما واحدا ولأى سبب كان"

بقيت أنظر له بصمت فقال بجدية

" عديني يا سما أولا وأنا أتق في وعودك جيدا"

يا إلهي إن وعدته لن أستطيع أخذ شيء منها لأدفع باقي ثمن

الهدية وأشتري الأشياء التي تلزمني دون أن أكلفه بها وإن لم

أعده سيعلم أنى أفعل ذلك لأخذ منها ، نظرت للأرض بخيبة

أمل وقلت " أعدك"

عاد حينها ناحية جابر وبدأ رجاله بإخراج النقود وغادرنا القبو

وكان نزار هذه المرة من أغلق الطريق وفتح باب الخروج

وأغلقه أيضا لأن بصمته أصبحت معرفة لبرمجة الأبواب

صعدنا السيارة وعدنا جهة المنزل ونحن في الطريق رن

هاتف نزار فأخرجه ونظر للمتصل وقال " وأخيرا "

ثم أجاب عليه دون كلام ثم قال " رهام "

سكت بعدها لوقت ثم قال بهدوء " أنا مشغول الآن وداعا "

رهام !! أليست خطيبته التي ذكرت دعاء وخالتي اسمها

هل عادت له كما قالت دعاء ! نظرت لوجهه وكأني كنت

أبحث عن جواب لديه ، تمنيت أن يتحدث معي ويحكي لي ما

قالته له وما بينهما ، شعرت بضيق كبير ودموعي تريد النزول

ولا أعلم لما !! نظرت جهة النافذة أحاول كتم دموعي ولم أستطع

فبدأت أمسح كل واحدة تنزل منها حتى قال نزار " سما مابك "

قلت ببحة " لا شيء "

وقفنا حينها عند باب المنزل ونظر باتجاهي وقال

"كيف لا شيء ، ما الذي يبكيك"

نظرت لعينيهِ بحيرة وصمت ثم نزلت من السيارة ووقفت عند

باب المنزل فنزل وفتح لي الباب فتوجهت من فوري لغرفة

والدته وأدخل هوا والرجال صندوقَي الأموال ، ركضت

لحضن خالتي من فوري فقالت ماسحة على كتفي

"مابك يا سما من هذا الذي أبكاك"

بقيت أبكي في حضنها بصمت فدخل نزار وقالت له

"من الذي أبكاها وما الذي حدث"

وصلني صوته قائلاً " الجواب لديها فلم نفعل شيئاً اليوم ضد رغبتها"

ابتعدت عن حضنها ومسحت دموعي وقلت

"لا أريد زيارة القبو فقط لقد أشعرتني بالحزن"

قال نزار " لن نأخذك له بعد أن أصبح بإمكانني فتحه لهم"

وقفت وقلت ونظري أرضاً " سأصعد لغرفتي لأرتاح قليلاً"

\*

\*

خرجت سما من الغرفة ونظري يتبعها وقالت والدتي

"ما بها"

نظرت لها ورفعت كتفائي وقلت " لا أعلم لم نغضبها في شيء

وفعلنا كل ما طلبته وكما تريد"

رن حينها هاتفني فأخرجته وكان رقمها مجددا ، بعد كل تلك

الرسائل اتصل بي الرقم اليوم لأفاجئ أنها رهام ولم أكن أتوقعها

أبدا ، استأذنت من والدتي وصعدت لغرفتي ليعود الرقم للاتصال

مجددا فأجبت قائلا " ماذا يا رهام"

قالت من فورها " اشتقت لك يا نزار"

قلت بسخرية " ضننت أنك لا تعرفين الشوق"

قالت بحزن " أعرفه كما أعرف الندم والحسرة لقد لعبوا

بي وتزوجته رغما عني أقسم لك"

قلت ببرود " أتعلمي آخر ما توقعته أنني حين سأسمع صوتك لن

أشعر حتى بالألم أو الجرح ولا حتى الكره فأنتي ميتة من

حياتي نهائيا والآن فقط اكتشفت ذلك"

قالت بعد صمت " بل لم تتسني ونحن نحب بعضنا

مثلما لم أنساك أنا"

قلت بسخرية " أنتي لم تعرفي الحب يوما أما أنا فقد كان

هناك منه الكثير لك ومات"

قالت من فورها " أنت عاتب عليا فقط وأنا أعذرك"

قلت بضيق " لا تعذريني ولا لدي ما أعتب عليك فيه أنتي ماض

وانتهى يا رهام ومن باعنا بالمال نبيعه بالتراب"

ثم أغلقت الهاتف في وجهها ورمىته على السرير بغضب

تافهة وتتذكر الآن أن لها حبيبا هجرته منذ سنين

\*

\*

دخلت غرفتي وفتحت صندوق النقود ونظرت له بأسى ، لم يعد لك

نفع بعدما وعدته ، سأتركهما لأيام هنا ثم سأطلب من نزار أن يضعهما

في حسابه ، ولكنه رافض لذلك ... إذا يضعهم عند جابر فلم أعد أريدهم

جلست على السرير أشعر بالضيق من تلك المسماة رهام ، لو فقط

يشرح لي أحدهم ما يحدث معي ، لما لا أريد أن يرجع لها ! نعم لأنها

لا تستحقه ولأنها تركته وهو يحتاجها ، حسنا ودعاء أيضا لا أريده أن

يتزوجها لأنها.... !! ممكن سيئة ، إذا يتزوج غيرها .... لا لا أريد

تأففت واستلقيت على السرير أحاول التفكير في أشياء أخرى ثم

وقفت وتوجهت للخزانة وأخرجت الجسم الذي سأهديه له و لمعته

مجددا رغم أنه يلمع ثم حضنته بابتسامة ، ترى هل ستعجبه هديتي

ثم ماتت ابتسامتي حين تذكرت أن تلك التي اسمها رهام قد تهديه

شيئا أجمل من هذه ، نظرت بعدها للسلسلة الذي أهواه لي في عنقي

وفكرت أن أنزعه لكني تذكرت وعدي لخالتي أن لا أنزعه أبدا

أعدت الجسم لخزانتني ، سيكون عليا جمع مصروفي مجددا حتى

أعطي لبتول نقودها ، آه خمس وسبعون كثير وسأحتاج وقتا لجمعها

جيد أنني حصلت على الهدية لأنني ما كنت سأحلم بها أبدا ولكن ماذا

إن لم تحضر بتول المبلغ فلن يكون أمامي حينها سوى أن أعطي

المدعوة مروى إحدى قطع حلبي الذهبي بدلا من النقود لأنني لن

أستطيع لمس النقود بعدما وعدته ومن الجيد أنها أحضرتهم بل

أحضرت معها مئة كاملة ومروى تلك كذبت علينا ولم تغب كما  
قالت فسددت لها بتول باقي المبلغ ، نزلت بعدها للمطبخ وأعددت  
الغداء ومر باقي اليوم لم نرى نزار إلا وقت الأكل وكان صامتا  
طوال وقت الطعام على غير عادته ولم يتحدث سوى بجمل  
مختصرة ونام مبكرا أيضا ، جلست مع خالتي وقالت  
" هل نقرأ قصتنا أم ليس بعد "  
قلت مبتسمة " فكرة جيدة لأنني أشعر بالضيق "  
قالت باستغراب " نزار يبدو ليس طبيعيا اليوم وأنتي أيضا فما بكما "  
فكرت أن أخبرها بما حدث لكنني تراجعته فالأمر يخصه وليس  
من أحقي أن أخبرها به ، نظرت لها وقلت  
" خالتي هل أسألك عن أمر "  
قالت من فورها مبتسمة " بالتأكيد بنيتي "  
قلت " كيف يكون الرجل صديقا وحبيبا "  
ضحكت وقالت " لا يكون الاثنان معا "  
قلت مبتسمة " لم أقصد نفس الشخص عنيت كيف

يكون حبيبا وكيف يكون صديقا"

بقيت تنظر لي في صمت فقلت " هل سألت شيئا سيئا"

قالت مبتسمة " لا طبعا لكن هل أجيب فقط أم ستتحدثين

معي عن معنى السؤال لديك"

قلت باستغراب " لم أفهمك خالتي"

قالت مبتسمة " حسنا سأشرح لك مثلا نزار ودعاء صديقان أو لنقل نزار يعد دعاء صديقة له أي يسلم عليها يطلب منها شيئا تستطيع تقديمه

له ويساعدها إن احتاجته لكن لا يكن لها مشاعر خاصة فهي صديقة

وليست حبيبة وهكذا بالنسبة للرجال"

قلت بحيرة " كيف يكن لها مشاعر خاصة"

قالت من فورها مبتسمة " أي يفكر فيها دائما يحب التحدث عنها يريد

رؤيتها في كل وقت ولا يريد أن يتباعد عنه أبدا وغيره الكثير"

قلت بحيرة أكبر " يعني إن فكرت في أحد طوال الوقت واحتجت

له ولم أرد أن يبتعد عني أكون أحبه"

قالت " ممكن"

قلت مباشرة " وكيف أتأكد"

قالت بمكر " عن ماذا ستتأكدين"

شعرت بالارتباك وقلت " سمعت صديقتاي في المدرسة يتحدثان عن

رجل تحبه إحدهما وآخر صديقها وخفت أن أسأل وتضحكان علي"

قال " لا عليك يا سما أنا أشرح لك كل ما تريدي فليس من العيب أن

تحب الفتاة العيب أن تخطأ وتبيع نفسها لشاب لا يستحقها ويخسرهما  
الكثير"

قلت باستغراب " كيف يُخسر الشاب الفتاة أنا حقا كالحمقاء التي لا تفهم  
شيئا"

ربتت بيدها على سريرها وقالت " تعالي واجلسي هنا عليك معرفة كل

هذا يا سما كي لا تتعلميه من صديقاتك أو تعلمي عنه بعد فوات الأوان"

توجهت نحوها وجلست بجانبها فبدأت تحكي لي بصوت منخفض

وعيناي مفتوحتان على اتساعهما حتى انتهت فنظرت لها وقلت

بصدمة " ماذا تعني بأنه لا يحدث إلا بين الرجل وزوجته"

قالت " أعني كما قلتيه الآن ، فكوني حذرة دائما يا سما واعلمي

أنه لا تُسلم المرأة نفسها إلا لزوجها"

وقفت وقلت " لا لن أتزوج أبدا"

ضحكت وقالت " بلى وستنجبن أبناء جميلين ومؤدبين مثلك

تلك هي سنة الحياة وفطرة البشر"

هزرت رأسي بلا غير مستوعبة فقالت بضحكة

" حينما ستحبين أحدهم ستريدين ذلك بنفسك"

شعرت بجسمي كله ارتجف من الإحراج وقلت وعياني

أرضا " مستحيل"

وصلني صوتها قائلة " لما سنستبق الأحداث فستجربين بنفسك

وستعلمين أن هذا شيء تشعرين به اتجاه شخص واحد دون البقية

كما في مشاعر الحب لا تكون إلا لشخص واحد ولن تشعري بها

اتجاه غيره ، أي البقية كلهم في كفة وهو وحده في كفة"

أمسكت قلبي بيدي وتذكرت كل تلك الأشياء التي أشعر بها

اتجاه نزار ، مثلا أنني لا أريد إغضابه ولا أن أخرج من حياته

ولا أن يرجعني حتى لأهلي وأن أراه كل يوم ، تراحمت في رأسي

الأفكار فهزرت رأسي أنفض كل تلك الأفكار منه قبل أن أفكر في  
الأمور المحرجة التي حكتها لي خالتي وأتخيلها معه ثم نظرت لها  
وقلت " وهل من ضمنها أن لا تحبي أن تقترب منه امرأة أخرى "

قالت بابتسامة " تلك اسمها الغيرة ويسمونها ملح

الحب فمن لا يغار لا يحب "

قلت " كيف تكون "

قالت " أن تري أي رجل يقف مع فتاة أو يبتسم لها فلا يعنيك ذلك  
لكن الشخص الذي تحبينه سيزعجك فعله لها جدا حد أن تتألومي في

قلبك وتبكي وقد تخاصميه أيضا وتغضبي منه لفعلته تلك "

قلت بصدمة " وهل قلت أنه من لا يغار لا يحب "

هزت رأسها بنعم وقالت " نعم ومن يغار على شخص فهو يحبه "

جلست على الكرسي بذهن شارذ فوصلني صوتها قائلة

" ألن تحكي لي الآن سبب كل هذه الأسئلة بعدما أجبتك عليها جميعها "

نظرت لها وقلت " بقي سؤال آخر "

قالت من فورها " عليك به إذا لأجيبك عليه"

قلت بعد تردد " ماذا أفعل إن أحببت يوما شخصا"

نظرت لي نظرة غريبة ثم قالت

"تعالى وأخبريني عنه لنجهز عليه وأزوجك به"

هزرت رأسي بلا مصدومة فضحكت كثيرا ثم قالت " لا تخافي من

الأمر هكذا يا سما انظري الكثيرات متزوجات وسعيدات أيضا"

أمسكت الرواية وقلت " لنقرأ روايتنا وننسى كل ذلك"

ضحكت واكتفت بالصمت فقرأت رغم أنني بنصف تركيز أو أحاول

الهرب من أن أفكر في شيء (( في اليوم التالي وتحديدا عند الصباح

كان أشرف في انتظاري في الخارج لأخذي للسوق طبعاً كما وعد

ولم يخبرني ما يريد مني كمقابل ، خرجت أركض مسرعة وأعدل

حجابي ففتح بابه قائلاً " ساعة لتخرجي يا مستهترة"

فتحت الباب وركبت قائلة " صبرك قليلاً أنت قلت سنخرج

عند العشرة وهي لم تأتي بعد"

انطلقنا وهو يقول " في المرة القادمة أقول العاشرة يعني

تكونين جاهزة عند التاسعة مفهوم"

ضحكت وقلت " يعني يوجد مرات قادمة"

ضحك كثيرا ثم قال " حسب تعاونك معي طبعاً"

نظرت له باستغراب فنظر لي وقال

" لا شيء بالمجان يا زوجة والدي العزيزة"

قلت ببرود " يالك من مبتز لا تفعل شيئاً لوجه الله أبداً"

قال ببرود " لا شيء بدون مقابل هذه الأيام"

وقفنا حينها عند إحدى الإشارات وكان في السيارة التي بجانبنا

فتاتان ففتح أشرف نافذته ورمى لهما من نافذة سيارتهما ورقة

صغيرة مطوية فنظرت له الفتاة بابتسامة ولوح لها وانطلق على

ضوء الإشارة الخضراء فقلت " ماذا رميت لهما"

قال ونظره على الطريق " لا تتدخل في ما لا يعنيك يا فتاة"

قلت ببرود " خفت فقط أنك تتاجر في المخدرات ويمسكوك وأنا

معك ، أنا صغيرة ولم أعش حياتي بعد"

ضحك كثيرا ثم قال " أفضل شيء فعله والدي أن تزوج بك "

قلت بضيق " لا تسخر مني أو ألغيت الاتفاق "

قال بلا مبالاة " أنتي الخاسرة "

حركت كتفي بلامبالاة أيضا ولم أجب عليه ، وصلنا عندها

لمجمع للتسوق أوقف السيارة عند المواقف المخصصة وقال

" وصلنا يا أم لسان ، هيا تشرف المكان بمعرفتك "

ضحكت وقلت " شكرا يا أبو عينين زائعتين وتشرف المكان بطلتك "

نزلت واقفة خارج السيارة فنزل هوا أيضا ونظر لي وقال

" احترميني يا طفلة أنا أكبر منك وابن زوجك إن نسيتي "

ضحكت ضحكة ساخرة وقلت " جيد كنت سأنسى يا ابن زوجي

فتذكر أنت أني زوجة والدك وأنني صغيرة فأرفق بي "

أغلق بابه قائلا " من يراك وأنتي صامتة يقول لنفسه ما هذه

الملاك برب الكون فإن سمعك كره جمالك الخداع "

ضربت باب سيارته بكل ما أوتيت من قوة فأنا أعرف أن هذا أكثر

ما يؤدي الرجال فصرخ بغضب " إن كررتها ثانيًا لن تركيبها تفهمي "

سرت جهة الدخول للمجمع التجاري قائلة ببرود " أنت الخاسر حينها"

سمعت صوته ورائي يتمم بغيض " إن لم يربيك فراس فسأربيك أنا"

وقفت والتفت له وقلت " أنا متربية وأحسن تربية

لن يربيني فراس ولا غيره"

اجتازني قائلا بسخرية " سنرى يا ابنة الحسب إن لم يجعلك

تخافين من ظله لا أكون أشرف ابن رياض"

سرت خلفه ولم أبالي بكل ما قال فلن يخيفني فراس ولا أنت

صحيح أنه مخيف لكني لن أخاف منه مادام والدهم خلف ظهري

وكما في البارحة حين زارني في غرفتي يقول بكل وقاحة لننهي

حديثنا وما أن مر والده أمام غرفتي قائلا ( لغرفتك يا فراس)

حتى غادر من فوره منصاعا ولو مكرها

دخلنا وقال " اذهبي تسكعي كما تريدين سأكون في المطعم في

الطابق الثالث ، أمامك ساعتين ثم أجدك أمامي هناك لنكمل

الاتفاق أو أبقيتك هنا وغادرت"

غادر بعدها على الفور فأخرجت لساني له وغادرت لأجد شابا

يضحك على حركتي ثم حياني بيده فتجاهلته وتابعت طريقي

تجولت كثيرا واشترت ما أريد لأن عمي رياض أعطاني

مالا يكفيني بزيادة ثم صعدت للطابق الثالث ، ساعتين قليل لقد

كنت أركض ركضا لأدرك كل شيء الفستان والإكسسوارات والهدايا

ولم أشتري الماكياج لأن الوقت لم يكفيني ، وصلت عنده وقلت

بضيق " لم أكمل تسوقي بعد فساعتان قليل جدا"

قال ببرود " اجلسي هيا يكفيك طمع"

جلست متضايقه فقال " علينا أن نتم الاتفاق الآن"

قلت بنفاد صبر " نعم أسمعك"

قال بصوت منخفض " ثمة فتاة سأقابلها هنا بعد ربع ساعة

وستقولين لها أنك شقيقتي وكل ما سأطلبه منك"

نظرت له بصدمة وقلت

"ماذا !! هل ستختطفها أم ستخدعها وتأخذها لشقة"

قال بحدة " أخفضي صوتك يا غبية ماذا أختطفها وأخذها لشقة لسنا

في فيلم يا مجنونة فقط هي صدعت لي رأسي تزوجني وتعالى لخطبتي

فستخبرينها أنك شقيقتي وأني قلت لكم أنني سوف أخطبها قريباً

نظرت له بنصف عين وقلت " هكذا إذا أنت تخدع الفتيات ومغازل أيضاً "

قال بعد ضحكة صغيرة " بل أتسلى قليلاً قبل أن أتزوج

وأرتبط من عنقي فلا شيء في هذا "

قلت ببرود " بل مخادع وتخدع الفتيات "

قال بلامبالاة " أنا لم أخدعهن هن يصدقن أنفسهن "

قلت " وما الذي تريدني أن أقوله للفتاة إن كنت

لست تخدعهن يا نبيه "

اتكأ على ظهر الكرسي وقال " تلك شيء آخر غيرها حين

تقول تعال لخطبتي أطردها من حياتي نهائياً "

قلت " آه فهمت هذه لا تريد طردها "

قال " نعم يا ذكية "

قلت بمكر " ولما يا ذكي "

قال بعد ضحكة " تعجبني قليلا ولكن ليس زواج ووجع رأس أريدها

هكذا نتحدث عبر الهاتف وملتقي في أماكن عامة فقط "

تململت في جلستي وقلت " أنا جائعة ولم أكمل تسوقي

أو لن ننهي الاتفاق "

اقترب وقال بغيض " لا تستغليني يا رُدين خيرا لك "

قلت بعد ضحكة رقيقة " سأخبرها أنني خطيبتك إذا "

تأفف وقال " قابلها أولا ثم سأفعل ما تريد "

قلت ببرود " لا تفكر في خداعي "

قال بهمس " أش أش ها هي قادمة "

وصلت حينها لطاولتنا فتاة طويلة وممشوقة القوام بملامح جذابة

وبدون حجاب بشعر أسود فاحم وناعم يغطي كتفيها ، ألقط علينا

التحية وجلست بكل وقاحة فابتسم لها هذا الخبيث وقال

"مرحبا بجوجو حبيبتى "

قالت مبتسمة " استحي من شقيقتك يا أشرف "

ثم نظرت لي وقالت " سررت بمعرفتك يا رُدين "

نظرت له بصدمة ، وأخبرها باسمي أيضا !! ماذا لو علم أنني

في مخطط مع والده ليزوجني لأحدهم ، قلت بابتسامة

"وأنا كذلك يا جوجو"

ضحكت وقالت " يبدو أن أشرف لم يخبرك باسمي رغم

أنه قال لي انه حكا لك عني كثيرا "

نظرت له بشماتة فهددني بعينيه فقلت مبتسمة

"نعم ولكني أحب طريقته في مناداتك "

ثم أخرجت هاتفي وقلت " أريد رقم هاتفك لأنني أحببتك

من قبل أن تصبحي زوجة شقيقي "

ثم نظرت له بمكر كي لا يفكر في خداعي لأنني سأفسد عليه كل

شيء حينها فنظر لي بغل وتجاهلته ناظرة لها وهي تسجل رقمها

لدي ثم أخذت هاتفي منها ووقفت وقلت " لدي مشوار لأحد المحال

انتظرنني حتى أعود يا أشرف ولا تنسى أنا أحب الدجاج المشوي

مع الأرز بالخضار ومشروبي الكولا "

ثم غادرت من عندهم ضاحكة وأنهيت تسوقي وعلى مهل  
ولم أفكر في الجالس ينتظرني في الأعلى وبعدها انتهيت  
عدت له فكان جالسا مكانه مكتفا يداه لصدرة وأمامه الطعام

الذي طلبته فجلست وقلت " رائع أنا أشعر بالجوع حقا"

قال ببرود " كلي بسرعة علينا المغادرة وإن

أحضرتك ثانيا اقطعي لي ساقى"

قلت بمكر " ولا من أجل جوجو"

نظر لي بضيق فقلت بضحكة " ما هذا الذوق الذي لديك

تبدوا كعارضات الأزياء وأكبر منك أيضا"

قال بذات بروده " لا شأن لك ، كلي بسرعة وبدون كلام"

رمى يدي باتجاهه بلا مبالاة وقلت " مهلك علينا لما أنت

منزعج من أجلها كثيرا ، ظننتك لا تحبها كما قلت"

قال بابتسامة ساخرة " هل تغارين منها"

ضحكت كثيرا ثم قلت " ولما سأغار منها يا غبي لا هي

أجمل ولا أصغر مني ثم أنت ابن زوجي فلما سأغار"

قال ببرود " لا يعينني لما فما أعرفه أنكن تغرن بدون

سبب وحتى الأم قد تغار من زوجة ابنها"

وقفت وقلت " لقد سددت لي نفسي هيا لنعود للمنزل بسرعة"

وقف وقال من بين أسنانه " آه لو لم يتزوجك والدي فقط "

وضعت يداي وسط جسدي وقلت " لكنت لعبت بي مثلهن أليس كذلك"

ضحك وقال مغادرا أمامي " بل لكنت تزوجتك أنتي وتسليت معهن"

حملت أكياسى وسرت خلفه وقلت بضيق

"لا أحسد المسكينة التي ستتزوجك"

قال بلامبالاة رافعا كتفيه " ومن قال لها أن تتزوجني ثم أغبى الرجال

من يربط نفسه بواحدة ، لما خلق الله الكثير من النساء"

تأففت وأنهيت الحديث بصمتي ، هذا يبدو صعلوكا وإن اخترته

هوا سيكون عليا إصلاحه أولا وهذا إن صلح ، ضننت لو هلة

أنه أفضل إخوته لكنني أخطأت ، كانت فكرة عمي رياض جيدة

في أن أعيش معهم وأعرفهم عن قرب ، وصلنا السيارة وركبت

قائلة بضيق " عديم ذوق أنت الرجل تسير أمامي خالي

اليدين وأنا أحمل الأكياس "

انطلق قائلا " أكياسك وليست أكياسي يا سيدة الحسن "

رن حينها هاتفه فأجاب عليه قائلا " مرحبا مرمر حبيبتي "

سكت قليلا ثم قال وهو ينظر في مرآته الجانبية

" حقا خلفنا لم انتبه لك يا ملاكي "

جميل وهذه جديدة غير جوجو ، قال بعد ضحكة " هل تغارين

يا قطتي هذه شقيقتي هل أعطيها لك تكلمها لتصدقي "

هددته بيدي أنني سأريه ولن أكلها فأخذ صندوق نظارته الشمسية

وضربني به على رأسي فنظرت له بكره ثم ملت جفته وقلت بصوت

عالي ورقيق " أشرف حبيبي هل هذه التي تقول عنها مزعجة "

أغلق الخط بسرعة ونظر لي بحقد فتجاهلته ونظرت جهة النافذة

ووصلنا حينها للمنزل ونزلت على توعده أنها آخر مرة يأخذني

فيها فسرت متجاهلة له وعندما وصلت الباب التفت له وهو

يقف أمام سيارته وقلت ويدي وسط جسدي والأكياس في الأخرى

"بل أنا التي لن تذهب معك ثانيًا فراس وثقل دمه أرحم منك"

قال بابتسامة جانبية " لو سمعك لقطع لسانك"

قلت بعد ضحكة ساخرة " ومن سيخبره ؟ لا تفكر بها فلن

يصدقك لأنني سأنكر ذلك يا قيس النساء"

قال بابتسامته الجانبية ذاتها " وماذا إن أخبرته أنك قتلي عنه كونان"

قلت بسخرية " وهل يطال أن يكون كونان على الأقل

ذاك صغير بعقل كبير وتأتي منه المنافع"

ضحك وغمز بعينه لشخص ما خلفي فالتفت بريبة لأجد فراس

واقفا مستندا بالباب المفتوح وينظر لي فشهقت بذعر وقال هوا

بغل من بين أسنانه وبنظرة حارقة

" أفهم من كلامك أنني كبير بعقل صغير ولا نفع مني )) "

رفعت نظري لها وقلت " سيربها على ما قالته"

ضحكت خالتي وقالت

"طويلة لسان وإن كان ثمة من سيربها فسيكون فراس"

قلت بهدوء ونظري على الرواية

"أشعر وكأني لم أقرأ شيئا فلم أركز أبدا"

وصلني صوتها قائلة " هذا لأن بالك مشغول بما تحدثنا عنه"

رفعت نظري لها وقلت " لكن أشرف كان سيئا يخدع الفتيات

تماما كما قلتي ، هوا يتلاعب بمشاعرهن"

هزت رأسها بنعم وقالت

"وهذا أطفهم لأنه لا يستغل الأمر ليخسرها براءتها"

قلت بحيرة " وكيف تعلم الفتاة أن الرجل يتلاعب بها"

قالت بابتسامة " لابد وأن تكتشفه يوما لكن المشكلة أن تكون أحبته"

تنهدت وقلت " والحل يا خالتي"

قالت من فورها " الحل في ماذا يا سما"

قلت بضيق " في كل هذه الأمور المعقدة فيبدووا كما

قالت بتول لا حب إلا بعد الزواج"

قالت مبتسمة " كما أخبرتك يا سما ليس عيبا أن تحب الفتاة لأن

الحب إن دق بابها لن يسألها أبداً فهوا شعور يفرض نفسه

لكن الخطأ أن تحب من لا يستحق"

وقفت حاضنة للرواية في صمت فقالت

"ماذا عن الهدية التي حدثني عنها ألن تريني إياها"

هزرت رأسي بنعم مبتسمة وقلت

"بالتأكيد مادام نزار نائماً كي لا يراها قبل الغد"

لأنت بالصمت مبتسمة فنظرت للأرض وقلت بحيرة

"تري هل ستعجبه"

وصلني صوتها قائلة " بالتأكيد يكفي تعبك لشرائها"

نظرت لها مبتسمة ثم وضعت الرواية بجانبها وخرجت من

عندها وصعدت السلالم لأحضرها لها ففوجئت بنزار خارج

من غرفته وما أن وقعت عينا في عينيه حتى شعرت بقلبي

يخفق بشدة وكأن كل كلام خالتي مر أمامي حينها فأنزلت نظري

واجتازني قائلاً " سأخرج قليلاً يا سما خليل جارنا ابنه مريض

سنأخذه للمستشفى فأخبري والدتي كي لا تقلق"

ثم نزل السلالم مسرعا ونظري يتبعه حتى اختفى فضربت

قلبي ضربات خفيفة وهمست " اهدأ ما بك جنت هكذا "

ثم دخلت الغرفة أخرجت المجسم ونزلت أريته لخالتي فأعجبها

كثير واثنت على اختياري وقالت أن نسخته الأصلية في الأسواق

باهظة الثمن كما قالت مروى فأعدته سريعا لغرفتي ونمت أتجنب

التفكير ودون جدوى والسؤال الوحيد الذي يدور في دماغي

(هل أنا أحب نزار فعلا)

في اليوم التالي أحضر نزار شخصا غير قفل الباب وقال أنه

لن يعطي نسخة عن المفتاح إلا لصديقه جابر و أمضيت أنا

أغلب الوقت في إعداد قالب كعك من أجل نزار ، هذه الكعكة

لم أعدها هنا قبلا ولم نكن نعداها أنا ووالدتي إلا في أعياد الميلاد

وبما أن اليوم إجازة ولا مدرسة لدي فتركمت لها كل وقتي لتكون

جميلة وكما أريد ، وعند مقربة المساء أدخلت الطاولة لغرفة

خالتي أجرها وحدي حتى أوصلتها وأخرجت المفروش المخصص

للأعياد وغطيتها به وجهزت كل شيء .... الكعك والعصير

والحلويات وأحضرت المجسم ووضعته عند طرف الطاولة

وبدون تغليف طبعاً لأنه لا نقود لدي لأشتري غلافاً وبعد وقت

طويل سمعنا باب المنزل يفتح وعاد نزار أخيراً ، وقف عند

الباب ونظر للكعكة مباشرة دون أن ينتبه للمجسم وقال مبتسماً

"ما سر هذا الاحتفال"

ضحكت خالتي وقالت

"عيد ميلادك يا غبي ألا ترى الكعك وهدية سما يا أعمى"

نظر للمجسم حينها ثم نظر لي نظرة بلا أي تعبير ثم دخل

مقترباً منه ووقف عنده وقال " من أين اشتريته يا سما بل بماذا"

فتحت فمي لأتحدث فسبقتني قائلاً بلهجة قاسية لم أعرفها منه

سابقاً " أهذا أردت المال من القبو ، لتصرفيه علي وتشتري

هذا الشيء المكلف ، وتعدينني وتخلفين وأنا من وتقت في

وعدك لي ، هل أخرجتهم لتتصدقني بهم علينا"

امتلت عيناى بالدموع وعجز لساني عن قول أي شيء من

الصدمة وقالت خالتي بحدة " نزار يكفي هل جنت "

تأفف وغادر لتعلق مفاتيحه في خيوط مفرش الطاولة

فسحبها بقوة وسحبه معه ليقع المجسم أرضا ويتحول لقطع

أمام عيناى المصدومتان لأنه تقليد وإن وقع سيتفتت بالتأكيد

ثم خرج دون حتى أن يلتفت لما أحدثه من ضجيج بتحطمه

\*\*\*\*\*

فتحت جريدته الصباحية التي تركها على الطاولة لأتسلى بها

قليلا فوجدت صورته فيها يقف في مكان أرتعش له كل جسدي

من الدماء المنتشرة فيه والخبر تحت عنوان ( سلسلة جرائم المصانع)

نزلت للخبر وقرأته كان يتحدث عن جرائم متسلسلة تمر بها البلاد

وهذه الجريدة أول من حصل على صورة لمسرح أحد الجرائم وأبشعها

ولفت انتبهي عبارة في المقال تقول ( الجرائم التي أعجزت رئيس

الشرطة الجنائية جابر حلمي من عُرف بأنه لا جريمة في البلاد

تصمد أمامه ) ثم انتقلت لآخر المقال وفيه ( فمتى سيتحول اللواء

جابر الحلمي لهدف لهم وهم يرونه يلاحق جرائمهم ويربط ليله بالنهار)

عدت بعدها لصورته وشعرت بغصة في صدري وألم في قلبي

حين فكرت أن يقتلوه ويتركوني وأبنائه ، صحيح أني كنت أعيش

وهم معي من دونه لكن الآن وهنا لا يمكننا ذلك من غير وجوده

وصحيح أني لم أجتز مسافة كبيرة معه ولم أغير فيه شيء بعد

فلم يحبني ولم يقل لي ولا حتى كلمة غرامية ولم تتغير أوقات

عمله المزدحمة وها قد علمت لما ، لكنني أشعر بالاحتياج له حقا

ولازالت تدور في عقلي كلماته لي البارحة حين كنت في

حضنه وهمس وشفته تلامس شفتي

"كم أصبحت حياتي هنا هادئة بعدك يا أرجوان"

كورت الجريدة بين يداي ورميتها في سلة المهملات في ردهة

الجناح ، لا بارك الله في أخباركم ولا تساؤلاتكم ولا جريدتكم

خرجت بعدها من جناحي وتوجهت لغرفة الفتاتين لأنه من

الغريب أن لا تزورني ترف حتى الآن ! دخلت ووجدتها وسيلا

تلعبان لعبتها المفضلة فابتسمت بعفوية ، مسكينة هذه الخادمة

ستصيبها بالجنون قبل وقتها ، دخلت لداخل الغرفة فقفزت

ترف لي واحتضنتني قائلة " صباح الخير ماما"

قبلت خدنها وقلت " صباح الخير يا حبيبة ماما ، أين

أنتي لم تزوريني اليوم"

ابتعدت عن حضني وقالت " سيلا لم تتركني"

نظرت لها فقالت من فورها " أوامر السيد جابر سيدتي"

نظرت لترف وقلت " بابا لا يريد حبيبتي"

مدت شفاتها مستاءة فضحكت وقلت

"ستعلق شفتك هكذا ويبقيان ممدودتان دائما"

ضحكت وقالت " لكن بابا سمح لي أن أجلس بجوارك

على طاولة الطعام كي لا أذهب لغرفتيكما صباحا"

قلت بابتسامة " لأجل هذا إذا"

قالت بعبوس " لكني أريدهما كلاهما ، لما لم نعد ننام معا كالسابق"

خرجت حينها سيلا وقلت " لا يمكن حبيبتي"

قالت باستياء " لماذا "

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " لأنني أصبحت مثلك في السابق "

نظرت لي باستغراب فحضنت وجهها الصغير الجميل بيدي

وقلت مبتسمة " أنتي أصبحت كبيرة الآن أليس كذلك "

هزت رأسها بنعم فقلت " والكبار لا يحتاجون لحظن أحدهم

ليناموا فيه بنيتي إلا إن ابتلوا بذلك "

لوت شفتيها غير مقتنعة فقلت " ما رأيك لو دخلنا نلعب بالقلعة

قليلا دون علم أمجد وبيسان ويكون سرنا "

قفزت موافقة بمرح وتوجهنا كلينا للغرفة وبدأت هي باللعب والتحدث

دون توقف عما تفعل الآن وأنا سافرت بذهني للبعيد ، عليا البدء

في الخطوة التالية وهي والدته العزيزة ، جولة له وجولة لها كي لا

يتشاجرا على الدور ، ضحكت ضحكة صغيرة فقالت ترف

"لما تضحكين وحدك ماما"

نظرت لها وقلت بابتسامة " جننت بنيتي ، ومن يعرفه ولا يجن "

"ومن يكون هذا"

التفت للخلف مصدومة بالواقف أمام الباب ينظر لي بابتسامة

سخرية فأمسكت المشبك من شعري وأخرجته ورمىته بعيدا ثم

عدت بوجهي أماما حيث ترف وقلت مبتسمة من حركتي

"شخص لا تعرفه طبعاً"

توجه نحونا ونزل يلعب بإحدى الدمي بين يديه واقفا بجانبني

وقال ونظره عليها " خيانة في وضح النهار سيدة أرجوان"

عدلت شعري منزلة له لينساب على ظهري مغطيا له وقلت بمكر

"من يترك زوجته طوال النهار دون أن يراقبها يستحق"

اقترب مني وهمس في أذني قائلا

"لم أعلم أنها لن تكون على قياسك لما كنت اشتريتها"

نظرت له بصدمة توقفت معها أنفاسي ، كيف علم أنني قستها

اليوم وأنها ليست على مقاسي ! قلت بصدمة " تراقبني" !

ضحك وقال " ليس دائما لكنك اكتشفت مكانك ليلة الأشياء تلك"

نظرت له بضيق فقال " ترف نادي لي سيلا من جناحي"

وقفت وخرجت من فورها قائلة " حاضر بابا"

ونظرت أنا له وقلت " ظننتك تعمل وليس تراقبنا"

غرس يده في شعري وقال وعيناه في عيناى

"القصر مزود بجهاز مراقبة للحماية وأنتى حين رميته

مغتاظة فتح جهاز الإنذار والمراقبة يا ذكية"

أبعدت يده عني وقلت بضيق " جابر لا تسخر منى"

جلس بجوارى على الأرض وأخذ إحدى الدمى ورمها على

فتأففت فى صمت فشدنى له حتى بات وجهى فى وجهه وقال

"ضننت أنني تئين وليس جابر"

نظرت له نظرة عابثة ثم قلت بهمس " أنت قلت ذلك يا تئينى ولا

ترمينى بشيء ثانيتا يا جابر خيرا لك فلست ندا لى"

ضحك بصوت عالى فادعيت الإغماء على كتفه وقلت وعيناى

مغمضتان " ما هذه الضحكة الرائعة التى لا نسمعها إلا نادرا"

أمسك وجهى بيديه وقابله لوجهه وقال بابتسامة جانبية

"أخبريني كيف أتعامل معك أنتي ومع مزاجك المتقلب"

قلت بابتسامة " جابر لا تنسى أن ابنتك ستدخل علينا في أي

وقت ، وبسرعة لعمك يا سيد مشغول"

قرب وجهه مني أكثر وقال " اثبتني على شيء تنين أم مشغول"

غمزت له بعيني وعضضت شفتي ثم ابتسمت وقلت

"بل تنين مشغول"

ابتسم واقترب ليقبلني على صوت شهقة ترف التي تعرف دائما

متى تظهر فاخترت خلف ظهره وظهري عليه جالسان على

الأرض ليصبح هوا مقابلا لها وحده فسمعت صوتها المصدوم

وهي تقول " ماذا تفعلان"

ضحكت بصمت واتكأت برأسي على قفا عنقه وقلت بهمس

"جد لك حلا الآن ولا تنسى أنني حذرتك"

قال بغيض هامسا من بين أسنانه

"بل أنتي تخرجينا منها بسرعة أو أريتك حسابك"

قالت ترف بضيق " ماما ألم تقولي سابقا حين رأيناهم مرة

في التلفاز أنهم سيئين ولا يفعل الجيدون ذلك"

عدت للضحك في صمت فوكزني جابر بمرفقه لأتكلم فقلت

"نعم حبيبتي لكن نحن لا بأس لأننا متزوجان"

قالت ضاربة بحدائها الأرض " بل سيئان أنتما الاثين "

قال جابر بحدة " ترف "

فغادرت باكية وابتعد واقفا وقال بضيق

"ولما تتركين الأولاد يرون هذا في التلفاز يا فاضلة"

وقفت ونظرت له وقلت ويدي وسط جسدي

"أخبرتك منذ البداية أن تكون حذرا ثم أنا لم أكن أشاهد

هذا ليشاهدوه وحدث الأمر بالخطأ في منزل جارة

لي وكان مرة ولم يتكرر"

سمعنا حينها صوت إحدى الخاديات تقول من

الخارج " سيد جابر "

نظر جهة الباب وقال " تعالي "

وقفت عند الباب وقالت " السيدة الكبيرة تريدك في المجلس العائلي "

توجه نحو الباب مغادرا وهي غادرت أمامه فتبعته للممر وأمسكت

يده قائلة " انتظر لن تذهب قبل أن نصلح الأمر "

ثم سحبته نحو غرفة الفتاتين ودخلنا وكانت ترف مرتمية على

السرير تخفي وجهها في ذراعيها وتبكي فقلت بهدوء

" ترف حبيبتي انظري إلي "

نظرت لنا ثم عادت كما كانت فقلت " هل يرضيك أن أغضب منك "

جلست ونظرت لنا بعبوس فابتسمت وقلت " ترف ألسنا متزوجان "

هزت رأسها بعم فقلت " والمتزوجان لا بأس أن يفعلا هذا وغيرهم لا "

نظرت لي بصمت وتشكك فنظرت جهة جابر ورفعت جسدي على

رؤوس أصابعي وقبلت خده من الأسفل ثم نظرت لها وقلت

" فقط لأننا متزوجان هذا عادي جدا حبيبتي لكنه لم يحصل أمامكم "

هزت رأسها بحسنا فابتسمت لها ومددت يداي قائلة

" إذا تعالي لحضن ماما "

نزلت من السرير راکضة نحوي وخرج جابر في صمت

احتضنتها مطولا ثم قبلت خدها وقلت

"وكما علمتكم دائما حبيبتي ما نراه لا نقوله لأحد"

قالت بهمس " حسناً"

أبعدتها عن حضني وقلت " سننزل قليلا الآن وستسبقيني

للمطبخ حتى ألحق بك حبيبتي حسناً"

هزت رأسها بالموافقة وخرجت ويدها في يدي حتى وصلنا للأسفل

وتوجهت هي للمطبخ وسرت أنا نحو غرفة الجلوس التي نزل لها جابر

طرقت الباب ودخلت فكاتنا معا كما تمنيت ، ألقىت التحية وتوجهت

نحوه جلست على الأريكة بجانبه مقابلة له ، ساق على الأرض

والأخرى تحتي وهمست في أذنه وأصابعي تلعب على ظهر كفه أمام

مرأى من والدته " أريد زيارة سوسن أنا والأبناء ، نسيت أن

أخبرك فوق ولا أريد إزعاجك في عملك"

نظر لي بصمت ثم هز رأسه بحسنا دون كلام فابتسمت له وقبلت

خده وانتقلت لأذنه مباشرة وهمست له مجددا " شكرا يا تيني"

ثم نظرت لعيناه فضحك ضحكة صغيرة غلبته ووقفت

من فوري وغادرت قائلة " آسفة على مقاطعتي لكما"

ثم خرجت ولم أغلق الباب وبقيت واقفة بجانبه فسمعت

والدته تقول بضيق " لكل شيء حدوده وهناك أمور اسمها حياء"

وقف وقال " سأحدث مع رضا في الأمر ونرى ما سنفعل"

فابتعدت بسرعة حين سمعت خطواته تقترب ، رائع نجحت

في الخطوة الأولى ولن يقول لي شيئاً طبعاً ، أولاً لأنه لا يريد

التدخل بيننا كما قال وها هو ينفذ ذلك حتى أنه لم يعلق بشيء

على ما قالت ، وثانياً لن يستطيع قول شيء بعدما فعلتها أمام

ابنته ولم يتكلم ، هذه البداية وانتظري الخطوة الثانية يا عجوز

النار ، توجهت حينها للمطبخ وانشغلت مع ترف في إعداد

شطيرة إفطارنا المعتادة

\*

\*

دخلت القصر أحمل الكيس الصغير في يدي ، هوا لم يأتي منذ أيام ولن

يأتي الآن بالتأكيد إلا إن جلبه حضي التعيس كل مرة ، تسللت لغرفته

وفعلت ما جئت لأجله ووضعت السلسال الذي يضم حرفا الباء والميم

بالإنجليزية وكنت أضن أنه حرفي وحرف والدي واستغربت أساسا

كيف لذوق والدي أن يتغير هكذا فجأة ويحضر لي سلسالا جميلا هكذا

تركت له أيضا ما يعدل مزاجه كما قال وتوجهت لغرفة الأطفال

دخلت وقلت " مرحبا لابد وأنك أرجوان "

التفتت لي الجالسة تعطيني ظهرها وقالت ترف بمرح " بتووول "

ثم انطلق نحوي فحملتها وقبلتها ووقفت أرجوان وقالت مبتسمة

" مرحبا يا بتول وأخيرا تعرفت عليك ، ترف تتحدث عنك دائما "

قبلت ترف وقلت " كنت مشغولة قليلا بدراستي "

وطبعا أنا لم أزر القصر بعد ذلك اليوم الذي قص فيه شعري

سوى تلك المرة التي أخذني فيها لتلك الغرفة وكاد يقتلني بالخوف

أنزلت ترف على دخول بيسان وأمجد الذي قال من فوره

" أين عمر ومصعب "

ضحكت وقلت " يالك من رجل عديم ذوق سلم عليا أولا "

رمى بيده بلامبالاة وغادر لغرفته على ضحكتي وأرجوان  
ثم جلست معها نتحدث قليلا ونتعارف وبيسان دخلت الحمام  
لتستحم بمرافقة ترف طبعا فهي لا تفوت فرصة يمتلئ فيها  
حوض الاستحمام ولا تكون أول داخله ، بعد قليل دخلت

علينا الخادمة وقالت " سيدتي السيد معتصم هنا"

تبيس جسدي وقالت أرجوان " حسنا شكرا لك"

وقفت من فوري فقالت " مابك يا بتول وقفتي"

قلت باستعجال " سأتي بعد قليل لقد نسيت شيئا ، وداعا الآن"

وغادرت مسرعة وأسرعت أكثر وأنا أجتاز غرفته التي

كان بابها مفتوحا ومؤكدا هوا بدخلها الآن ، ولم استطع

التنفس بارتياح إلا حين صرت أمام باب منزلنا

دخلت وصعدت لغرفتي ووقفت عند النافذة أراقب

الطريق لأرى سيارته حين تمر مغادرة لأرجع لأرجوان

\*

\*

دخلت غرفتي ليلفت انتباهي كتابة حمراء على مرآة الخزانة

اقتربت منها ووقفت أمامها فكان مرسوم بأحمر شفاه وجه

دائري بعينان وفم مبتسم يخرج لسانه وتحتة مكتوب

(تسلم عليك أجمل علكة بالفراولة وتركت لك أمانتك)

نظرت للغرفة باستغراب فكان ثمة كيس صغير عند طاولة

السرير فتوجهت نحوه وحملته وأخرجت ما يحوي فكانت باقي

نقودي التي أعطيتها لها وهي خمس وأربعون والسلسال أيضا

فأعدتهم للكيس وخرجت من الغرفة من فوري ومن القصر أيضا

وتوجهت لمنزلهم ، طرقت الباب ففتحت لي والدتها فقلت

"أين هي بتول"

قالت بحيرة " في غرفتها ، عادت من قصركم للتو"

قلت ونظري جهة السلالم " هل لي أن أصعد لها"

قالت مغادرة " بالتأكيد بني لا يحتاج أن تسأل"

غادرت هي مبتعدة وصعدت أنا من فوري لغرفتها وفتحت

الباب فكانت واقفة عند طرف النافذة وتنظر للخارج ولم تنتبه

أنه أنا من دخل فلوحت لي بيدها قائلة " لم أكلمها يا أمي سأعود ما

أن يغادر معتصم , لا أعلم أي حظ تعيس يجلبه كلما ذهبت "

قلت بسخرية " حظك تعني أم حظي أنا "

نظرت لي بسرعة وشهقت بصدمة وتوجهت من فورها

للسرير وصعدت فوقه فقلت بضيق

" لن تهربي مني ولو تسلقت الخزانة "

قالت مشيرة بسبابتها للباب " أخرج من غرفتي يا وقح "

توجهت نحوها وأمسكت بساقها قبل أن تقفز من السرير

وأسقطتها عليه وتبت كتفيها على السرير وقلت صارخا

في وجهها " متى سيتوقف لعب الأطفال "

قالت بضيق وهي تحاول أن تبتعد

" باقي نقودك وسلسالك أنا لم أفعل شيئا خاطئا "

ضغطت على كتفيها أكثر وقلت بغضب " لم أعطيك النقود

ولا السلسال لترجعهم يا بتول فهل أخبرك عقلك الصغير

أنها إهانة لا يقبلها أي رجل في الوجود "

ثم ابتعدت عنها وأخرجت الكيس من جيبى ورميته على

صدرها وقلت بحزم " إن كنتي تريدين رؤية معتصم جديد

فلا أرى السلسال في عنقك يا بتول"

ثم غادرت من عندها ومن المدينة بأكملها

\*

\*

دخلت القصر متوجها لجناحي فعليا أخذ القرصين والأوراق

والتحدث مع رضا أيضا قبل أن أغادر لأنى لن أرجع قبل الغد

دخلت غرفة النوم وأخذت الأوراق والقرصين من الخزانة هناك

ثم ضغط زر الهاتف وقلت " أخبري أرجوان تأتيني للجناح"

وقفت أفتش في الأوراق حتى دخلت فنظرت لها وقلت

"سأغادر ولن أرجع قبل الغد والدتي لديها مجمع

نساء الليلة وتريدك معها"

لأنت بالصمت فقلت " أرجوان عليكما التغاضي عن

مشاكلكما أمام الناس على الأقل"

بقيت على صمتها فقلت " أريد سماع رأيك"

قالت حينها " لم أرد إدخالك في مشاكلنا كما طلبت

مني سابقا لذلك لن أتكلم"

قلت وقد عدت بنظري للأوراق " تكلمي وسأستمع فقط"

عادت للصمت فنظرت لها وقلت " أرجوان ليس ورائي أنتي فقط"

امتلات عيناها بالدموع دون كلام ، أي سياسة تتبعها هذه المرأة

أعترف بأني بت لا أفهمها أحيانا ، اقتربت منها حتى وقفت أمامها

مباشرة وقلت " تكلمي يا أرجوان وسأنصفك إن كان الحق معك"

نزلت دمعها فمسحتها وقالت " هذه فتاة يتيمة تزوجها جابر لأنه

رأف لحالها ، كنت أريد أن أزوجه ابنة راضية لكن الأعرج يسبق

العداء أحيانا ، لولا الأولاد ما كان تزوجها من أساسه ، لا ليست ابنة

حسب ولا عز وقد أجرها الله على اعتنائها بالأبناء بأن انتشلها

جابر من الفقر وأحضرها هنا"

ثم سكتت وأنزلت رأسها أرضا فقلت " هل قالت لك هذا"

قالت ورأسها لازال أرضا " بل قالته كتعريف لي لبعضهن وأمامي"

تنفست بقوة واستغفرت الله ثم قلت " إذا لا تنزلي لضيوفها"

رفعت نظرها لي وقد عادت لصمتها وكأنها تخبرني أنها عند

اتفاقنا وأنها تكتم وجعها لأنه لا أحد لها فتنهدت وقلت " أعلم أن أمي

تخطأ أحيانا لكنها والدتي وعليها على الأقل أن لا أتناول عليها بلساني"

ابتسمت من بين حزنها وقالت " أريد أن يصبح أمجد مثلك أنت حين

يكبر لذلك يعجبني برك بوالدتك ولا أنتقدك فقد ينصفني هوا حينها"

ابتسمت ابتسامة جانبية وقلت " هل أخبرك سرا صغيرا"

نظرت لي بحيرة فقلت وأنا العب بخصلة من غرتها بين أصابعي

"أحيانا أعب مع عقلي لعبة صغيرة بأن أتوقع ما ستقولين"

بقيت تنظر لي باستغراب فقلت مارا بإبهامي على بقايا دمعها

"ولما أمجد وليس ابنك أنتي مني"

شئت نظرها بعيدا عني وقالت

"هوا ابني أيضا إلا إن كنت لا تعتبره هكذا"

أمسكت ذقنها وأعدت نظرها لي وقلت

"بالتأكيد ابنك ، وما تريدان أيضا أن يكون فيه مثلي"

أشارت بإصبعها على الشارات في بذلتي وقالت ونظرها

عليه " هذا"

ثم انتقلت لكتفي وقالت " وهذا"

ثم لرأسي وقالت " وهذا"

ثم وضعت إصبعها على قلبي ولاذت بالصمت فقلت

"وماذا عنه"

هزت رأسها بلا ثم نظرت لعيناي وقالت " ليس كهذا طبعاً

لأنه خالي وأنا أريد أن أكون فيه عند أمجد"

بقيت أنظر لها بحيرة متنقلاً بنظري بين عينيها ثم فتحت فمي

لأتحدث فوضعت أصابعها على شففتاي مسكته لي وقالت

"لا تتحدث عن هذه النقطة الآن يا جابر ولا تغضب مني"

ثم أزالتي أصابعها وقبلتهم قبلة صغيرة وغادرت من أمامي قائلة

"سأنزل الليلة من أجلك أنت ومن أجل مكانتها لديك"

أوقفتها منادياً لها فالتفتت لي فقلت

"إن كان من أجلي فاتزلي أو لا"

التفتت مجددا وضنت أنها ستغادر لكنها توجهت لأدراج

طاولة التزيين ونزلت للدرج السفلي فتحتته وأخرجت منه

شيئا وعادت ناحيتي ثم أمسكت بيدي ووضعته فيها وقالت

"لاحظتك هنا دائما تقرأ في المصحف بعد أن تصلي الفجر

اشتريت لك هذا المصحف الصغير لتأخذه معك حين

تبات خارجا كي لا تترك وردك اليومي"

ثم نظرت لعيناي وقالت " اعطني بنفسك من أجلنا يا جابر أرجوك"

قبضت على المصحف بقوة ثم ضممتها لصدري وقبلت رأسها

وأخرجت من عندها في صمتي لأنني لا أريد قول شيء وليس

لأنني لم أجد ما أقول ، وصلت للأسفل وقابلتني الخادمة قائلة

"السيد رضا ينتظرك في المجلس"

قلت متوجها نحوه " أخبرني ( أي ) لتخبر زهور تنزل لي هناك"

ثم دخلت للمجلس فوقف من فوره وقال " وأخيرا ألقى القبض عليك"

صافحته بقوة وقلت ضاحكا

"بل أنا من سيلقي القبض عليك ويرميك في السجن لأرتاح منك"

ثم جلست وقلت " أجلس لأنها تريد قول شروطها لك بنفسها وفي  
حضوري "

\*

\*

جلست مصدوما ولم أستوعب ما قال ، لما تطلب أن تقولها هي

ولما بوجود جابر وليس والدتها أو حتى معتصم أو عمها

بقيت جالسا بتوجس أحاول توقع ما ستشترط حتى انفتح

باب المجلس ببطء ودخلت منه ترتدي حجابا أبيضاً يكشف

زرقة عينيها ويزيد بشرتها الثلجية توهجا ، أخفضت نظرها

ما أن وقع علي وأغلقت الباب وبقيت واقفة مكانها فقال جابر

"تعالى أجلسى يا زهور"

قالت بشبه همس ونظرها لازال أرضا " مرتاحة هكذا"

قلت أنا من فوري " قولى شروطك يا زهور واعلمي أنى

موافق عليها من قبل أن تقولها"

رفعت نظرها لي ثم نظرت لجابر ثم عادت به للأرض وقالت

"شقتك وسيارتك وحسابك في المصرف كلها تنتقل لي وباسمي

كتابك الذي ستشره بعد أربعة أشهر ثمن كل طبعاته مهري

وقبل ذلك لن أخرج معك من هنا"

وقف جابر وقال " زهور هل جننتي"

وقفت ووضعت يدي على كتفه وقلت بهدوء " أنا موافق"

نظر لي جابر بصدمة وكان سيتحدث فقلت

"الزواج يكون الآن ولن آخذها قبل أن تأخذ مهرها"

خرجت حينها زهور في صمت ونظر لي جابر وقال بضيق

"هل جننت يا أحمق ستضع نفسك على الحديد"

قلت بابتسامة صغيرة " كل ذلك لن يوفي شيئاً"

نظر لي باستغراب ثم قال " ما الذي بينك وبين زهور يا رضا"

قلت بابتسامة " لا شيء لكنها لن تتق في رجل بسهولة

بعد زواجها الأول يا جابر"

بقي ينظر لي بحيرة فقلت مغادرا

"بعد أن ترجع نحدد وقت عقد القران"

نهاية الفصل ..... و متم في حفظ الله جميعا

الفصل السابع عشر

عدت حينها بنظري عليها مصدومة ، إذا هذه هي وسن وهذا

هوا سر تلك النظرة ، لم أتوقع أن تكون قريبته هي نفسها وسن

غادرت حينها من أمامنا واختفت في طرفة عين وقالت عمتي

"أسفون يا ابنتي وسن تتحسس كثيرا من هذه المسألة"

قلت بابتسامة " لا عليك يا عمة أنا أعذرها"

تحرك حينها نواس وخرج من الغرفة ويبدوا من المنزل بأكمله

تلك إذا وسنك يا نواس تبدوا الأمور بينهما سيئة جدا ومطربة

أعادني من أفكاري صوت والدته قائلة

"اجلسي يا مي لما أنتي واقفة"

جلست وانخرطنا في بعض المواضيع وتعارفنا وبالي كله كان

مع نواس وابنة خالته كما فهمت من والدته ، أنا لا ألومها على

موقفها مني فلو كنت مكانها لفعلت نفس الشيء بل لن أقبل بزوجة

الرجل الذي أحب أن تكون معه أمامي ، كانت عمتي متوترة طوال

الوقت وتتصل بأحدهم ولا يجيب عليها ثم قالت لي

"مي هلا أسديت لي معروفا"

قلت من فوري " بكل سرور"

قالت " المطبخ في نهاية الممر على يسار باب الصالة

نادي لي على فتحية من هناك"

وقفت من فوري وذهبت حيث قالت توجد المسماة فتحية

وتبدوا الخادمة ، وصلت معها للغرفة فقالت لها عمتي

" اذهبي لوسن في غرفتها"

أشارت لها برأسها بحسنا دون حتى أن تخبرها لما تريد منها

الذهاب لها ، غابت للحظات ثم عادت وقالت " لم تفتح لي"

تنهدت بضيق وقالت " شكرا لك يا فتحية يمكنك المغادرة"

أجرت بعدها مكالمة وقالت " مرحبا فرح يا ابنتي"

"بخير اتصلي بوسن هي لا تجيب علي وكما تعلمي لا

يمكنني الذهاب لها والممرضة خرجت للصيدلية منذ وقت

ولم ترجع وفتحية لم تفتح لها الباب"

سكتت لوقت ثم قالت

"تحدثي معها أخاف أن تمرض ولا نعلم عنها"

غريب ما بها وما الذي يتعبها دائما !! مهلا هي مرضت ليلة

أحضرنني نواس إلى المزرعة والرسالة التي وصلته وتوتره

حينها كله كان من أجلها والآن يخافون أن تعود لها ذات الحالة

عجيب ما الذي جعلهما يفترقان وهما يحبان بعضهما هكذا!!

كم أشعر بأن وضعي سخي ، تماما كالثوكة في حلقوم الجميع

ليتك لم تتزوجني يا نواس ، ليتك تركتني للسب والمهانة

والضرب عند إخوتي ولم تجعلني جدارا بينكما

أنهت عمتي مكالمتها ولم أسالها عن شيء فوعدي لنواس تلك

الليلة أن لا أتحدث عما حدث يمنعني ، رن حينها هاتفني

ونظرت للمتصل فكان نواس ، أجبت فقال من فوره

"أنتظر في السيارة"

قلت بهدوء " سأخرج حالا"

سلمت على والدته وخرجت بعدما انتهت الزيارة القصيرة المملوءة  
بالشحنات السالبة والأجواء المتوترة ، ركبت السيارة ولم ينطق أي

منا بحرف طوال الطريق ولم أرغب في أن أفتح معه الموضوع

وعند منتصف الطريق أجاب نواس على هاتفه الذي كان يرن

طوال الوقت ولا يجيب عليه ، وضع السماعة في أذنه وفتح

الخط قائلا " نعم يا أمي"

سكت قليلا ثم قال بحدة " لا .... وأفهمي ابنة شقيقتك ذلك

جيذا وما قلته سيحدث رغما عن أنفها"

تأفف بعدها وقال بضيق " أمي يكفي تدليلا لها لتكف عن

هذا الجنون يكفي ما قالته لمي وهي لا ذنب لها"

سكت يستمع لوقت طويل ثم قال بغضب " أقسم يا أمي وها قد أقسمت

وأنتي تعرفيني ولن يحدث إلا ما قلت فلتترك الجامعة هي الخاسرة

لكن تلك المهزلة لن تستمر وموضوع سليمان لي حديث معها فيه"

قال بعدها بضيق " انتهى يا أمي وداعا"

ثم استل السماعه من أذنه بغيض ورمها بعيدا عنه وتابعا

الطريق يتأفف بغضب كل حين ، وبالنسبة لي لم أجد غير

الصمت فأخاف أن أتحدث فأزيد الأمور سوءا خصوصا أنني

لاحظت على نواس أنه لا يحب التكلم ولا حتى إجابة الأسئلة

حين يكون متضايقا ، عجيب أمره من يراه لا يصدق أنه يحبها

كل ذاك الحب ! صدقت جدتي رحمها الله حين كانت تقول

(لا تصدقوا من كلام العشاق شيئا وهم غاضبون)

وكانت ترددها كلما تشاجر أحد أبنائها مع زوجته وأصبح

يزمجر ويتوعد فيها وفي النهاية كما قالت يعودان لبعض وكأن

شيء لم يكن ، ساد الصمت بعدها حتى وصلنا للمزرعة وأنزلني

أمام باب المنزل وغادر من فوره ولم يرجع إلا المساء

\*

\*

سجنت وسن نفسها في غرفتها ولم تخرج منها طوال نهار أمس

حتى اتصلت بنواس فهوا حلي الوحيد ليري إن كانت حية أم ميتة  
فأنا لم أنسى بعد تلك الليلة حين أحضر مي للمزرعة وخفت الآن  
أن تموت ولا نعلم عنها ونلوم أنفسنا حينها ، جاء نواس وكسر  
عليها الباب ولم أسمع سوى صراخهما وبكائها ولم أعلم أو أسمع ما  
حدث بينهما سوى صوته الغاضب خارجا من عندها وهوا يقول  
"متشردة ومتسولة وعالة افهميها كما تشائي وسليمان ذاك  
لن تتزوجيه ولا غيره إلا حين أقرر أنا"  
ثم سمعت ضربته القوية للباب التي كادت تحطم الجدران  
هذا الباب المسكين لن يعيش طويلا بسببهما ، يبدوا من كلام  
نواس أنه لن يزوجها بسليمان يعني أنه اختار الخيار الثاني وهوا  
تزوجها لنفسه ، هوا حلها الوحيد لأنهما بعيدان عن بعض لن  
يرتاحا ولن يعيشا حياة طبيعية مهما طالت بهم السنين فيكونان  
معا حتى تعيسان أفضل بكثير من أي حل آخر

صحيح أننا سنظلم مي بهذا والله أعلم متى سيقدر نواس الزواج  
بوسن وهي لازالت عروس لكن لا حل آخر ولو كان هناك غيره

لأسرعت له ، ثم أنا أعرف نواس جيدا قادر على العدل بينهما

ولو في المعاملة فقط أما الحب فمستحيل وهذا ما

سيتعبه هوا وليس هما

بقيت وسن بعدها ليومين سجيئة غرفتها ولم تخرج ولا حتى

للجامعة ولم يؤثر كسر نواس للباب شيئا سوا زيادة الأمر سوءا

\*

\*

بقيت داخل الغرفة بقلب مكسور كبابها وحلم أسود كجدرانها

الغامقة وروح فارغة كفراغها المميت ونصب عيني كلماته الغاضبة

وهوا يقول " لا دخل لمي فيما بيننا يا وسن فلا تسيني لها رجاء"

كانت كلماته كالسم على أحشائي وكالنار على قلبي ، نعم لا يتحمل

جرح مشاعرها أما أنا فبلى ولا يهم إن مت من قهري وحزني

طرقت الممرضة الباب ودخلت قائلة " خالتك تسأل عنك وتريد

مغادرة السرير ، صحتها لا تعجبني هذه الأيام فاخرجي لها يا وسن"

غادرت السرير قائلة بهمس " حسنا"

رتبت شعري ولبست حجابي تحسبا لقدوم ابنها وخرجت

توجهت لغرفتها من فوري وما أن دخلت حتى مدت لي

بيدها قائلة " تعالي يا ابنتي لما تحبين أن تشغلي بالي عليك"

وصلت عندها وجلست أمامها وقلت بابتسامة حزينة

"من لا يموت يعيش في كل الأحوال والضربة التي

لا تقتل تقوي يا خالتي"

تنهدت بتعب فقلت وعيناي على ملامحها

"تبدوا صحتك ليست بخير"

قالت بابتسامة متعبة " تعب معتاد وسيغادر بعد أيام ، ماذا

عن جامعتك يا وسن ، إن كان لي رجاء لديك لا تتركها"

نظرت للأسفل وقلت " لا تخافي يا خالتي لن أتركها فلن يكون

لي مستقبلا غيرها ولن أعيش عائلة على ابنك طوال العمر"

قالت بعتب " ما هذا الذي تقولينه يا وسن كيف

تكونين عائلة عليه فهو ابن خالتك"

نظرت لها وقلت بقهر " ليس شقيقي ولا والدي لا عمي

ولا خالي ولا حتى زوجي فبأي صفة أقبل ماله ، أجل

عالة ومتسولة يتصدق عليها وسيأتي اليوم الذي أسدد له

كل هذا ولن أرتاح قبل أن يحدث ذلك"

تنهدت وقالت " يستحيل أن يكون كل أولئك سوى

الزوج فهل تقبلي ماله حينها"

قلت بضيق " لا ..... لن يكون زوجي ولن أكون له"

نزلت دمعة من عيني فمسحتها وتابعت بألم

"كما تعلمي يا خالتي فطوال سنين خطوبتنا لم يتحدث معي

نواس سوى بكلمات عادية ورسمية جدا والجملة الوحيدة

التي قالها لي وعاشت في قلبي طوال تلك السنوات وفي

كل مرة أتذكرها تكون وكأنها اليوم"

ضممت يدي لحضني وقلت بدمعة حسرة " قال لن تسكن هذا

الحضن غيرك يا وسن أقسم لن يعرف أن يحتضن غيرك ، وأخلف

يا خالتي ... أخلف بوعده وسكنته غيري ، إذا لا مكان لي فيه"

## اتكأت للخلف وقالت

"المهم الآن عودي لجامعتك ولنترك الباقي لوقته"

\*

\*

عليا أن أضحي وللنهاية ومن أجلها فقط فيكفيها ما

أتاها مني ، عليك أن تستحمل نارك التي كويت بها نفسك يا

وليد وأنت تستحقها ، لكن ما يحيرني كيف لم يخبرها نواس بأني

من يعيش معه ! ألا يتحدثان أبدا ! كم تنتابني من شكوك حيال

الأمر وأخشى أن يظلمها فوق ما رأته من ظلم

"النشارة جاهزة أستاذ وليد هل نبدأ"

نظرت له وقلت " نعم فبالكاد يكفيننا النهار"

أحسست بيد أحدهم على كتفي فنظرت جانبا فكان معتصم

نظرت لملامحه مطولا وهو ينظر للعمال وقلت

"ما بك عابس هكذا منذ أتيت"

نظر لي ثم عاد بنظره عليهم وقال ببرود " لا شيء مهم"

ضحكت وقلت " أقسم أنها الزوجة العزيزة وراء هذا"

قال بذات بروده " ولید لست بمزاج لك تفهم"

قلت بابتسامة " لا أحد ليس لديه هموم يا صديقي"

تأفف وقال " النساء .... لا أعلم أي نقمة ابتلينا بها"

قلت بعد ضحكة صغيرة

"نحن جلبناه لأنفسنا هم لم يجرونا من شعورنا"

قال بضيق " أنت لم تجرب فلا تتحدث"

نظرت للبعيد مبتسما بألم ثم قلت " الخطأ عليك لما تزوجتها"

قال بتذمر " نفس الجملة تكررونها لي كلما تكلمت ، لما

تزوجتها ولما ولما ، أحبها يا رجل بأي لغة أشرحها لكم"

ضربته على كتفه وقلت مغادرا

"تحمل إذا أو جد لك أسلوب آخر معها فثمة حل بالتأكيد"

توجهت للمنزل ودخلت لغرفتي أخرجت الحاسبة وبعض

الأوراق وخرجت على دخول نواس دون أن ينتبه لي

ما به هذا الرجل حتى منزله لم يعد يبقى فيه وكأنه ليس متزوج

ومزاجه مشتعل كالنار ، لابد تشاجر مع ابنة خالته ككل مرة  
وكالعادة ، توجهت للمطبخ بدلا من أن أخرج ووقفت عند الباب  
وقلت " راضية هل لي بسؤال تجيبي عليه وليس ككل مرة"

نظرت لي ثم عادت بنظرها لما في يديها وقالت ببرود

"ابتعد عن نواس وزوجته واسأل"

تأففت وقلت " وما في الأمر إن سألت هوا صديقي وهي

ابنة خالتي وأراه طوال الوقت خارج المزرعة أو في

مكتبه وهي مسجونة في الأعلى"

لم تجب طبعا فقلت بضيق " أجيبني أو أشعلت النار في ثيابك"

ضحكت بضحكة غلبتها ثم قالت

"ستعيش في تائب الضمير طوال حياتك"

قلت ببرود " لا أضن"

نظرت لي وقالت " أخبرني لما كل هذا الإصرار والاهتمام

بل والتدخل وسأخبرك بأكثر مما تريد"

نظرت لها بحيرة وقلت " ما قصدك بأكثر مما تريد"

رفعت كتفها بلامبالاة وقالت " أجب أولا"

قلت بعد صمت " أخبرتك لأنه صـ" ....

قاطعتني قائلة وقد عادت تشغل نفسها بما تفعل

"صديقي وابنة خالتي حفظتها ولم تقنعي بها"

قلت بصدمة " ما قصدك بهذا"

قالت " لا شيء"

خرجت وتركتها فكم أبدوا أحمقا والفت الانتباه لي كثيرا

بتصرفاتي فما علاقتي بهما مادامت مي لم تطلب مني

مساعدتها فأنا ابن خالتها وإن كان لديها مشكلة لقات

لي إن كانت تريد القول

\*

\*

قربت رأسي من رأسها وقلت بهمس " وسن أنظري لذاك الشاب

هناك ينظر جهتنا من مدة ، لم أره سابقا في الجامعة"

نظرت جهته ثم قالت " وما علاقتنا به قد يكون معجبا بالأشجار خلفنا"

ضحكت كثيرا ثم قلت " ألم يجد غير هذه الأشجار ليعجب بها

ما رأيك أن نجلس مبتعدتان عن بعض لنعلم لمن ينظر فينا"

نظرت لي بضيق وقالت " ملاك هل تعلمي أنك فقدتِ

عقلك بسبب برنامجك السخيف ذاك"

قلت ببرود " سخيفة أنتي"

ثم قلت بسعادة ويدي تلعب في الهواء

"أهدى الأغنية في الحلقة الماضية لي وكان عنوانها أنتي ملاكي"

ثم أمسكت قميصها جهة ذراعها وهزتها وقلت

"قال الأغنية القادمة أهديتها لملاك ياااي كدت أموت من الفرح"

هزت رأسها بيأس ثم قالت " لو يراك هكذا مجنونة سيغير رأيه

في تفاهاتك التي تقولينها في ذاك البرنامج"

ضربتها بخفة وقلت باستياء

"صديقتي وتقولين هكذا ماذا تركتي للذين يكرهونني"

نظرت لي وقالت " بربك ملاك كم مرة تستمعي

لذاك البرنامج أسبوعيا"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " البرنامج يعرض ثلاث أيام

أسبوعيا والإعادة مرتين أي تسع مرات كل حلقة مع إعادتين "

فتحت عيناها من الصدمة وقالت " تستمعين للإعادتين أيضا "

هزرت رأسي بنعم فقالت بدهشة " وكل حلقة ساعتين متواصلتين

أي ثماني عشرة ساعة تضيع منك أسبوعيا هباءً منثورا "

وقفت وقلت ويدياي وسط جسدي " ليس هباء ولا منثورا

دعيني أجرب حضي في الحب مرة "

دخل علينا حينها صوت رجولي قائلا

" من هذا التعيس الذي ستجربين فيه الحب "

نظرنا له فكان طلال قالها ومر متابعا طريقه فتجاهلته

ونظرت لوسن وقلت " حلقة الليلة سيسأل كل متصل سوألا

يجيب عليه الآخر الذي يتصل بعده ، لن تفوتني حلقة اليوم

إلا مية وكل ما أخشاه أن لا يتصل أحزان السنين "

وقفت وقالت " لا أحزان سنين غيرك أنتي وأنا قبلك طبعاً

بسرعة ها هوا الدكتور عادل جاء"

مر حينها بجوارنا قائلا دون أن ينظر إلينا

"ملاك تأخير هذه المرة طرد لأول مرة في تاريخي"

تأفقت وقلت " ليخبرني أحدهم لما يكرهني هذا الرجل"

سحبتني وسن معها دون كلام حتى وصلنا القاعة ودخلنا

جلسنا ودخل دكتور المادة وبدأ بشرحه الطويل وسافرت أنا

بنظري جهة النافذة أشاهد أشياء لا يمكنني رؤيتها بوضوح

بسبب نوع الزجاج وبالي مع حلقة الليلة من البرنامج

لا أعلم لما يسيطر على أفكاري كل حين ، كم أتمنى أن أراه

فقط مرة ولو من بعيد بل أتمنى أن أعلم بمشاعره نحوي أم

أني كما قالت وسن أخدع نفسي فقط بالأوهام ، سافرت بي

الأفكار في كل ما يخصه حتى أيقضني من شرودي صوت

الدكتور عادل قائلا بصوت مرتفع " الذي يرى المحاضرة مملة

ولا تعجبه ليس مجبرا على الحضور ، من الأفضل له أن

يخرج ليشاهد السماء مباشرة دون عوائق"

نظرت له بصدمة فكان ينظر لي ، لما أنا من بين الجميع!

ألا يوجد أحد غيري يسرح والجميع في دفعتنا يقولون أن مادته

مملة ولا يمضونها سوى بالسرحان عما يقول كي لا يموتوا قهرا

لا أعلم كيف يكون شابا بهذا الأسلوب أعان الله زوجته عليه

علمت الآن لما هي في المستشفى منذ أسبوعان ولن تخرج أبدا

أنهيت محاضراتي و عملنا على رسالة تخرجنا لأنها ستكون

عملية ونظرية ولم أرجع للمنزل إلا بعد العصر ، فتحت الباب

ودخلت ثم قلت بمفاجأة " إيمان متى رجعت!! "

قالت بابتسامة " يبدوا لا مفر لي منكم "

أغلقت الباب ودخلت قائلة " لا تقولي أنك عدت لوحدك "

قالت بابتسامة " أبدا هوا من ذهب لإرضائي وإحضاري "

ضحكت وقلت " وكان يتبجح وينفخ رؤوسنا أنه لن يعيدك "

" عمتي ملاك تعالي وانظري في التلفاز "

نظرت جهته وقلت بضيق

"أنا لست عمك ، والدتك أكبر مني وتناديها إيمان"

ضحكت إيمان وقالت " لم يتوقف عن التحدث عنك طفيلة

الأيام الماضية أنما عدوان هنا فقط"

ضحكت ونظرت جهة باب المطبخ وقلت

"يوجد طعام هناك أليس كذلك"

قالت مبتسمة " غداك في المطبخ ينتظرك"

توجهت نحوه قائلة " آه يا إيمان لا أحد هنا يعرف قيمتك غيري"

دخلت المطبخ فتحت القدر واستنشقت الرائحة ، آه وأخيرا وجبة

دسمة طفيلة الأيام الماضية كنت أعد وجبات خفيفة بسبب جامعتي

توجهت لغرفتي استحممت وتناولت غدائي صليت المغرب

ونمت كعادتي حتى صلاة العشاء ثم قمت وصليت وتعشيت

و درست حتى وقت برنامجي الذي بت مدمنة عليه فقفزت على

سريري ووضعت السماعات في أذناي وشغلت الراديو انتظر

حتى ابتداء البرنامج وفي حلقة اليوم طبعا سيتحدث كل واحد عن

السؤال الذي وجهه له المتصل الذي قبله حتى كانت مداخلة أحزان

السنين وخان توقعاتي ولم يهرب من الحلقة لكن السؤال كان

سخيفا ولم أتمنى أن يكون كذلك ، تكلم بصوته الهادئ قائلا

"إذا لم يكن السؤال ورطة كما قال البعض في حلقة اليوم عن

أسئلتهم التي وجهت لهم ، بالنسبة لأصعب موقف مررت به

في حياتي كان وفاة والدي فموت السند أمر متعب للرجل

أكثر حتى من المرأة ، كنت مراهقا ووالدي رفعت الحمل

بادئ الأمر حتى صرت يعتمد علي واهتمت بشقيقتاي حتى

تزوجتا ، لا أنكر أنني كنت أحتاجه في كل وقت ليس لعجزي

عن تأدية واجبي ناحية والدي وشقيقتاي لكنه كان والدا رائعا

وخسارته ليست سهلة على جميعنا وخصوصا والدي"

قاطع المذيع كعادته وقال " بالفعل الأبناء يتزوجوا

ويسعدوا والأم وحدها تبقى الخاسر في النهاية"

قال بصوت مبتسم " هي تحب برنامجك وتتابعه

فأحييها على تضحيتها لأجلنا"

قال المذيع " ونحييها جميعا وها قد حضينا بمعرفة أشياء عنك"

قال " سررت جدا بالتحدث إليكم خصوصا هذه الحلقة وتبقى العقبات

طوال ما عاش الإنسان ولا أحزن كلما سرقت أفراحي السنين"

قال المذيع " السؤال أخي لا تنسى"

قال ضاحكا " كدت أنسى ، أسأل المتصل بعدي لمن

تهدي كلمة أشتاق إليك"

تنهدت بحسرة وقلت " لو كنت أنا لقلت أنت طبعاً"

بعد قليل اتصلت كي لا أكون أنا من هربت من الحلقة وكانت

المداخلة قبلي لم تنتهي فسألت الفتاة قبل أن تنهي مكالمتها قائلة

"أسأل المتصل بعدي كيف تصف ترابطك الأسري"

ففتحت عيناى عل اتساعهما من الصدمة ، قطع الله لسانك يا

حمقاء ، كنت سأوقف الاتصال لكن المذيع ذكر اسمي وقال أن

المداخلة الجديدة لي ولم يكن أمامي من مفر فقلت بعدما فتحوا لي

الخط " مساء الخير جميعكم حلقة اليوم مميزة جدا ولا تفوت

مشكلتي لم أعرف سؤالي إلا وأنا في الانتظار"

ضحك المذيع وقال " إذا كنتي تنوين الهرب منه"

قلت بعد ضحكة " أكذب لو أنكرت ذلك ، بالنسبة لي لم أنعم بشيء

اسمه ترابط أسري فوالداي انفصلا وأنا صغيرة وتزوج والدي

بأخرى ووالدي كذلك وعشت مع والدي لأنه صارم قليلا ويرفض

فكرة أن أعيش مع زوج والدي وعندما أكملت المرحلة الإعدادية

وافق والدي أن أعيش مع جدتي والدة أمي وابنها وأدرس الثانوية

والجامعة في العاصمة لأن حياتي مع والدي كانت ستجعل مني

ابنة فاشلة فحتى دراستي تراجعت فيها كثيرا بسبب زوجته

لم أحب التحدث عن كل هذا لكني احترم برنامجكم وصراحة

كل المتصلين فلست بأفضل منهم ولن أكذب عليكم فمن ينعم

بنعمة الأبوين والاستقرار معهما أو حتى مع أحدهما فلا

يحزن أبدا لأنه اكتسب كل شيء وعمتم مساء"

\*

\*

كنت أمسح على وجه الوسن وألعب بشعرها وهي تستنشق

ثيابي ووجهي وهذا طبعها كلما غبت عنها لأيام فيبدوا تشتاق لي

وتفتقدني عكس سميتها التي تكره رؤيتي ، قربت شفطاي من أذنيها

فتبثت مكانها فابتسمت لأنها اعتادت على هذه الحركة مني وباتت تفهم

أن معناها حديث خاص بيننا ، حضنت وجهها بذراعي وهمست لها

"والدي تقول لي تزوجها ، صدقي يا الوسن أتزوجها وأنا مجروح

منها حد الألم وهي تكره حتى رؤيتي وتكره مي والمزرعة ، هل

تريدي رؤيتها يا الوسن ؟ هل تريدي رؤية فارستك ، هل توافقي أنتي"

بقيت ثابتة على حالها رغم أن كلامي انتهى وأني أبعدت رأسي

عنها وكأنها تنتظر المزيد فابتسمت وقلت بصوت منخفض

وأنا أمسح على شعرها الأسود " يبدوا أنك موافقة لكن لعلمك

ستكرهك أنتي أيضا لأنك تخصيني"

رن حينها هاتفني في جيبني فأنزلت الوسن رأسها له وبدأت

تحرك سترتي بفمها جهة الجيب الذي فيه الهاتف في حركة

لأول مرة تفعلها فابتعدت عنها وأخرجت الهاتف لأصدم بالاسم

في الشاشة ... وسن تتصل بي أنا نواس وفي وقت جامعتها!!

\*\*\*\*\* \*\*

خرج نزار وترك دمارا خلفه ليس على الأرض فقط بل وفي

عينا سما الدمعتان ونظراتها المصدومة على المجسم الذي تحول

لقطع على الأرض ثم سرعان ما بدأت دموعها تتساقط عليه

الواحدة بعد الأخرى فقلت بهدوء

"سما لا تغضبي منه فهوا فهم الأمر بشكل خاطئ"

قالت ونظرها لازال حيث هديتها المتحطمة " انكسر يا خالتي

رفض هديتي وكسرها وصرخ بي أيضا ، أقسم لم أشتريه

بنقودي وكنت عند وعدي له"

تتهدت وقلت " أعلم يا ابنتي ونزار الأحق سيعلم بخطئه"

غادرت من فورها مسرعة ولم أسمع سوى خطواتها الراكضة

تصعد السلالم ، أمسكت بهاتفني واتصلت به كثيرا ولا يجيب

اتصلت بسما أيضا وبالتأكيد لن تجيب علي ولم يرجع نزار

حتى وقت متأخر والحال هنا كما هوا عليه الزجاج وقطع

المجسم في كل مكان والكعك والحلويات مكانها لم يقربها

أحد ، بعد منتصف الليل سمعت صوت باب المنزل انفتح

وخطواته تتوجه جهة السلام فقلت " نزار تعال لا تصعد"

وقف عند الباب ونظر للأرض حيث حطام المجسم ثم نظر

لي فقلت بضيق " ما هذا الذي فعلته يا نزار"

أشاح بوجهه للجانب الآخر متضايقا ولم يتحدث فقلت بحدة

" هل هذا ما تستحقه منك وهي التي تعبت لتحصل على الهدية

ووقفت طوال اليوم تعمل في المطبخ لأجل حفل بسيط لك ولم

يتذكرك غيرها أحد ، هل هذا جزائها لأنها جمعت مصروفها

وحرمت نفسها منه واستلقت من صديقتها لتشتري لك

الهدية دون أن تخلف بوعداها لك"

نظر لي وقال بضيق مشيرا بإصبعه على حطام المجسم

" هل تعلمي كم ثمن هذا يا أمي أي صديقة ستستلف منها ثمنه"

قلت بجدية " نزار سما لا تكذب وأنت تعلم ذلك جيدا"

فتح فمه ليتحدث فقلت بضيق " مالا تعلمه يا حضرة

المهندس أن هذا المجسم تقليد عن الأصل وثمانه لم يتجاوز

المئة ثم هي أموالها ومن المفترض أن لا يحاسبها عليها

أحد ورغم ذلك احترمت وعدّها لك"

غادر متضايقاً فقلت منادية " انتظر"

التفت لي فقلت " لا تتحدث معها الآن"

قال " لن أتحدث معها أبداً فمهما كان ما كان عليها

أن لا تمد يدها لأحد"

قلت بضيق " نزار ما بك وكأنك تبحث لها عن الزلة ، ثم لا

تنسى أنها تمد يدها لك أيضاً رغم أنها تملك أموالاً تكفيها لباقي

حياتها ويزيد فلما أنت لا بأس وغيرك لا وبأي صفة وهل

بضنك وحدك لديك كرامة وعزة نفس"

قال بضيق أكبر " أمي لاحظي أنك بتنتقدينني في كل

شيء أفعله أو أقوله يخص سما"

قلت ببرود " لا تتهرب من خطأك في حقها واعترف

ولو بينك وبين نفسك"

غادر دون كلام فقلت بصوت مرتفع ليسمعي

"نزار لا تتحدث معها عن أي شيء وأي كان"

ثم اتكأت على السرير بعدما انتهى الحفل الذي لم يكن مخططا  
له هكذا أبدا ولم يطفئ أحد حتى النور ، بعد وقت غلبنى النعاس  
واستيقظت على صوت حركة في الغرفة ففتحت عياني فكان نزار  
يجمع قطع المجسم من الأرض ويضعها على القاعدة الخشبية  
المخصصة له فقلت بهدوء " أتعلم كم مرة سألتني سما بالأمس  
قائلة : ترى هل ستعجب هديتي نزار"

وقف ينظر لي بصمت فقلت " لقد جرحتها بما فعلت ، لا

وصرخت بها واتهمتها بالكذب وإخلاف الوعد وبأنها تتصدق

بأموالها علينا ، لو كنت مكانها لما سكت لك وقتها ولقلت

لك بصحة وجه : ولما تتصدق عليا أنت بمالك"

عاد منحنيا للأرض يجمع باقي القطع وقال ببرود

"أخطأت يا أمي وإن كنت مخطأ في حقها فهي أخطأت أيضا"

قلت بضيق " نعم أخطأت في أن تذكرتك في عيد ميلادك"

حمل حطام المجسم خارجا به بصمت فقلت

" خذ الكعكة للثلاجة فلا أحد سيأكلها وأطفأ النور"

غادر به ثم عاد وحمل الكعك والحلويات والكؤوس وكل ما كان  
على الطاولة وأطفأ النور وغادر دون حتى أن يقول لي تصبحين  
على خير ، ثمة أمر ما يضايق نزار هذه الأيام وها هو نفت كل  
ضيقه في المسكينة سما ، كل ما أخشاه أن تصدق ظنوني حيالها  
فهوا لا يكن لها أكثر من شعور المسئول عنها

\*

\*

سجنت نفسي في غرفتي ولا شيء سوى البكاء ولست أعلم

أبكي هديتي التي تحطمت أم تعبي من أجل الحصول عليها أم

جرحه لي بما فعل ، لما لا أتقبل هذا منه ! لما حين كان يصرخ

بي مدير المدرسة أو حتى جابر ذاك اليوم لم أشعر بهذا الكم من

الحزن والألم ! هل صحيح ما قالت خالتي وأن من يحب شخصا

لا يحتمل منه الجرح وسيكون مختلفا عن غيره في كل شيء!

لا أعلم كم ساعة بكيت الليلة ، كل ما أعرفه أنني بكيت لوقت

طويل جدا كبكائي ليلة نمت في منزلنا وحيدة ، بكيت بحرقة أذس

وجهي في الوسادة حتى نمت ولا أعرف كيف ولا متى واستيقظت

وقت الفجر ورأسي يؤلمني بشدة من كثرة بكائي وأشعر بمعدتي

تؤلمني أيضا ، صليت بصعوبة ثم عدت للسرير ولم أنم بعدها

أبدا وفات وقت المدرسة ولم أغانر سريري ، إنه موعد دورتي

الشهرية وحين أكون منزعجة أتألم منها كثيرا ، غادرت السرير

دخلت الحمام وعدت له من جديد وعند العاشرة سمعت طرقا

على الباب فاخترت تحت اللحاف ولم أجب ، تكرر الطرق عدة

مرات ثم انفتح الباب وبعد لحظة وصلني صوت نزار قائلا

"سما المدرسة لا ذنب لها"

نزلت دمعتي ولم أتكلم فقال

"والدتي منشغلة عليك ، على الأقل انزلي لتطمئن"

قلت من تحت اللحاف " متعبة قليلا "

لأذ بالصمت لوقت ثم قال " هل آخذك للمستشفى "

قلت بهمس " لا "

لم اسمع بعدها سوى الباب يغلق وعدت لبكائي من جديد

يبدووا مستاء مني من نبرة صوته فما ذنبي أنا وما الذي فعلته

أستحق عليه كل هذا ، كنت أتألم كثيرا ولم أستطع مغادرة

السريير لأعد الطعام كي لا يعتقد أحد منهما أنني أتعمد ذلك فقط

لأنني غاضبة وكأني أمن عليهم بخدمتي لهم ، بعد وقت سمعت

الباب ينفتح من جديد ثم صوت عجلات كرسي خالتي المتحرك

يقترّب مني وصوتها الحنون يقول " سما هل أنتي مستيقظة "

أبعدت اللحاف وجلست وجمعت شعري المفتوح جانبا ، كانت

أمام سريري بكرسيها المتحرك ونزار يقف خلفه ، نظرت ليدي

في حجري وقلت " أسفة خالتي كنت متعبة ولم أستطع النزول لك "

أمسكت يدي وقالت " وجهك متعب جدا ما الذي تشعرين به "

نظرت لها ونزلت دموعي من فورها ودون شعور

فمسحتها وقلت " معدتي تؤلمني كثيرا "

مسحت بظهر أصابعها على خدي وقالت

"ومن معدته تؤلمه يبكي هكذا" !!

خرج حينها نزار وتركنا لتنزل دموعي مجددا وأمسحها

بسرعة فتنهدت وقالت " متعبة أم غاضبة منه "

نظرت لها ثم نظرت للأسفل وقلت بصوت منخفض

" هذا موعد دورتي الشهرية وتؤلمني كثيرا ونزار

يبدوا هوا الغاضب وليس أنا "

قالت بضيق " ليس غاضبا هوا فقط لا يريد أن يعترف بخطئه "

عدت بنظري لها وقلت " هل أخطأت حقا يا خالتي ، قولي أنتي "

قالت بهدوء " لو فعلت كما ضن تكونين مخطأة "

نظرت لها بعينان دامعتان وقلت " لكني لم أفعل ذلك أقسم لك "

هزت رأسها بنعم وقالت " أعلم وأخبرته أيضا فتحول لومه

على أن تطلبي النقود من صديقتك "

قلت بحزن " لكني لم أطلب منها بل هي من عرضت علي

مساعدتها وأخبرتها أنني سأعيدهم لها من مصروفي"

تنهدت وقالت " نزار يبدووا مستاء ويتضايق من كل شيء

لا تغضبي منه سيعود لطبيعته ويدرك خطأه"

رفعت شعري خلف أذني وقلت " لست غاضبة منه"

قالت مبتسمة " اتصلت بدعاء ستأتي لتراك هي ممرضة لكنها جيدة"

هزرت رأسي بلا وقلت " لا أريد خالتي لا أريدها"

قالت باستغراب " ولما يا سما ! ستكتب لك اسم علاج يفيدك"

قلت بتذمر " لا أريد لا ، ثم هي ممرضة ما سيفهمها في الأدوية"

مسحت على يدي وقالت " حسنا لن تأتي مادمت لا تريدين أسأئها

عن شيء ينفع وأوصي نزار يحضره من الصيدلية"

عدت للإضجاع على السرير وغطيت رأسي بالحاف أبكي فسمعتها

تقول " سما يكفي بكاء هل تريدي أن تقلقيني عليك"

جاء حينها صوت نزار قائلا " هيا يا أمي سأنزلك لغرفتك

وسما تجهز نفسها لآخذها للمستشفى"

قلت من تحت اللحاف " لا أريد سأكون بخير"

قال بضيق " لست غاضبا منك يا سما سنذهب أو سأغضب حقاً"

ثم لم أسمع سوى صوت عجلات الكرسي خارجا به

إذا كان هنا ويستمع لكل ما نقول ، جيد أنني لم أخبر خالتي

عما كان يزعجه لسمعتني ووجد شيئا جديدا يلومني عليه

وأكون أستحق حينها فتلك أمور تخصه لا يحق لي قولها

غادرت السرير غيرت ثيابي ولبست حجابي الأبيض ونزلت

للأسفل فوجدته ينتظرني أمام غرفة والدته عند أول السلام

فأرخيت نظري ونزلت دون أن أنظر إليه وسار هوا قبلي

جهة الباب وخرج وأنا أتبعه ، ركبنا السيارة وأنطلق ونحن

في صمتنا سوى من الأوجاع التي تزداد علي ، لاحظت

بعدها أنه زاد السرعة فيبدووا لاحظ أنني أتألم كثيرا

وصلنا المستشفى ونزلنا ودخل وأنا أتبعه ودخلت لحجرة

الطبيب وحدي ، وصف لي علاجا وحقنني بالمسكن فشعرت

بعدها بالراحة كثيرا ومن ثم خرجت فكان نزار يقف بعيدا

ودعاء معه ، كان يتحدث بضيق فاقتربت وهما لا يشعران

بي لكني لم أستمع سوى لبعض الكلمات وهو يقول لها

"لا أريد أن أراها ولا أسمع صوتها فأخبريها أنتي أن كل

ما بيننا انتهى فيبدووا لا تريد أن تفهم مني"

نظرت حينها دعاء ناحيتي فالتفت لي نزار وقال

"هل تغادر"

هزرت رأسي بنعم دون كلام فتحرك قائلا

"وداعا يا دعاء وشكرا لك"

سار معطيا ظهره لنا فنظرت لها فكانت تنظر لي نظرة

غريبة لم أفهمها ثم ابتسمت بسخرية وغادرت في صمت

لحقت بنزار مسرعة لأدركه وتركت ترجمة تصرفات المدعوة

دعاء فلازلت مؤمنة بكلام والدتي حين كانت تقول لي دائما أن

الأخبار يدافع الله عنهم وأن الأشرار هم من يخسرون في النهاية

ومهما طال الزمن ، أجل الآن فقط فهمت ما كانت تقصده من

كلامها معي سابقا ، هي تخاف أن يحبني نزار وتبدوا تحبه

لكن ترى ما علاقتها بخطيبته السابقة فيبدووا كانا يتحدثان عنها

وصلنا السيارة ركب وركبت بعده وانطلقنا عاندين وبعد

مسافة قليلة نزل للصيدلية وأخذ لي العلاج ثم عاد للسيارة

ركب ووضع الكيس في حجري ثم انطلقنا وقال بعد قليل

ونظره على الطريق " كان يفترض بك أن تخبريني أنا

أنك تريدني نقودا يا سما"

أنزلت رأسي وقلت بحزن " كنت سأخذها منك على أية حال

فأنا كنت سأرجعها لها من مصروفي الذي تعطيه أنت لي"

سكت قليلا ثم قال " أنا آسف كنت منزعج من بعض

الأمور وأزعجتني كثيرا بما فعلته"

نظرت جهة النافذة وقلت " لم يكن أمامي وقت أجمع فيه

المال وأردت أن أشعر أنني أنا من اشتريتها لك وليس من مالك

أردت شكرك ولو مرة واحدة على ما تفعله من أجلي"

قال بانزعاج " مالا تعلميه يا سما أني أنا من يلزمه شكرك

على كل ما تفعليه من أجلي ووالدي "

نظرت له وقلت " هذا يجرحني أيضا كما يجرحك أن

أدفع من مالي عليك "

أوقف السيارة أمام المنزل ونظر لي وقال بابتسامة صغيرة

" إذا لنتفق أن لا يجرح أحد منا الآخر في هذان الأمران "

هزرت رأسي بحسنا مبتسمة ونزلت من السيارة ودخلنا

المنزل معا ، ترى هل من علامات الحب أيضا أنك لا تستطيع

أن تغضب ممن تحب وتسامحه بسهولة ما أن يعتذر منك!!

دخلت وتوجهت لغرفة خالتي فورا فمدت يدها لي مبتسمة

فاقتربت منها وجلست بجوارها فاحتضنت كتفي وقالت

" كيف تشعرين الآن "

قلت بهمس " جيدة "

وقف نزار عند الباب وقال " سأخرج من العاصمة لأزور الشركة

التي يعمل فيها حسام لآخذ لهم الخرائط التي رسمتها"

قالت خالتي مبتسمة " وفقك الله بني "

قال مغادرا " لا تفتحي الباب لغير جابر يا سما وكان من يكون "

نظرت لي خالتي وقالت " يبدوا تصافت الأمور "

هزرت رأسي بنعم ثم قلت " ما قصة الخرائط "

قالت " حسام تحدث مع صاحب الشركة فهو والد صديقه

وسيتعاملون مع نزار ليرسم لهم لو أعجبهم أدائه لذلك

هو يعمل عليها منذ أيام "

قلت بهدوء " لكنه ذهب دون أن يتناول غدائه وأنا لم أعد شيئا "

قالت مبتسمة " لا تقلقي عليه سيأكل في الخارج "

وقفت وقلت " إذا ساعد الطعام لنا وأنظف المنزل "

أمسكت يدي وقالت

" اذهبي لغرفتك لتنامي وترتاحي فلازلت متعبة "

قلت مبتسمة " لم أعد متعبة سأطهو الطعام حالا "

خرجت من عندها أعددت الغداء ثم بدأت بتنظيف المنزل

نظفت الصلاة والحمام ثم صعدت للأعلى رتبت غرفتي ثم دخلت  
لغرفة نزار وفوجئت بالمجسم قد أعاد تركيبه كما كان فقط بدون  
الزجاج فوقه ، اقتربت منه ولمسته فكان ثابتا تماما فيبدو أنه  
أصقه بالغراء ، لفت انتباهي صندوق بجانبه فتحته فكان فيه  
ساعة رجالية ، قلبت الصندوق كثيرا ولم يكن مكتوبا عليه  
شيء وحين أعدته مكانه لاحظت البطاقة المقلوبة في  
مكانه على الطاولة فرفعتها فكان مكتوبا فيها  
(كل عام وأنت بخير يا نزار ..... دعاء)  
شعرت برغبة كبيرة في تحطيمها ورميها في القمامة لكنه  
سيعلم أنها أنا لكنت فعلتها دون تردد ، نظفت بعدها الغرفة  
وكويت له ثيابه ورتبتها في الخزانة وجمعت الأوراق من  
الأرض لأضعها في سلة المهملات ففوجئت بهدية مغلقة  
لم يفتحها مرمية بداخلها فرفعتها أنظر لها باستغراب  
ترى من أهداها له ولما يرميها دون حتى أن يفتحها!

فتشت في السلة فوجدت بطاقة صغيرة ممزقة لأربع أجزاء

أخرجتها وتوجهت بها للطاولة جمعتها فكان مكتوبا فيها

(كل عام وأنت بخير يا نزار ومن أجلي وحدي فقط)

جمعتهم من جديد ورميتها في السلة وقلت بضيق

" غبية ، من أجلك أنتي فقط يكون بخير يا وقحة "

خرجت من الغرفة ونزلت لخالتي تناولنا الغداء معا ثم

قلت " لما لا نقرأ قليلا في الرواية أنا متحمسة لها كثيرا "

قالت بعد ضحكة " هذا سيكون جزء الليل ولن نقرأ الليلة "

قلت بابتسامة " ندعه لليل إذا "

رن حينها هاتفها فكانت بتول فأجبت عليها فقالت من

فورها " مرحبا سما أين أنتي لم تأتي اليوم "

قلت " كنت متعبة قليلا وأنا الآن أفضل "

قالت بصوت مبتسم " حمدا لله على سلامتكم إذا "

ظننت صاحب الهدية قتلك "

قلت بابتسامة صغيرة " من أين تأتيين بهذه الأفكار "

قالت ضاحكة " اعنتي بها جيدا وأوصيه عليها

فلست تعلمي ما عانيته بسببها"

قلت بإحراج " أنا آسفة حقا يا بتول إن سببت لك مشكلات"

قال مباشرة " أبدا لا تفكري في الأمر ووداعا الآن ونلتقي بعد غد"

قلت بهمس " وداعا"

\*

\*

"ماذا تعني بهذا يا دعاء"

غيرت الهاتف لأذني الأخرى وقلت " أعني ما فهمته جيدا

قال ما بيننا انتهى منذ سنوات ولا أريد تجريحها أكثر

فلتبتعد بصمت كما في المرة الأولى"

قالت بضيق " هل أحبها لهذا الحد وأفقدته عقله تلك الطفلة"

قلت بتذمر " رهام لما لا تتوقفي عن ذكرها دائما ، هوا كان

بين يديك ويحبك بصدق لكنك أضعته"

قالت ببرود " أنتي صديقتي لما تقولين هذا ثم كان يفترض

بك مساعدتي كما وعدتني"

قلت بابتسامة جانبية " فعلت ما في وسعي ولم يبقى سوى الترجي لم

أترجاه لكنه بالفعل طوى صفحة الماضي يا رهام"

قالت بضيق " لن تأخذه تلك ولا غيرها نزار لي وسيعود لي كما كان"

لذت بالصمت وما يصبرني أنها لن تستطيع إرجاعه لها مهما

حاولت ، قد تتمكن فقط من إبعاد سما عنه لكن أن يعود لها

ويحبها كما كان فمن سابع المستحيلات ، قالت بهدوء

" أحمد شقيقي سألني عنك بالأمس وقال أن لديه ما يود قوله لك"

قلت من فوري " مشغولة هذه الفترة ولا وقت لدي وداعا

الآن هذه أمي تناديني"

ثم أنهيت الاتصال معها وخرجت من المنزل وتوجهت لمنزل

نزار طرقت الباب وقرعت الجرس عدة مرات ولم يفتح لي أحد

سيارة نزار ليست في الخارج يعني أنه ليس هنا وتلك الطفلة

مؤكد رأيتني من عين الباب ولم تفتح لي والمفتاح لم يعد موجودا

تحت الدواسة ومؤكد بمخطط منها ، أخرجت هاتفي واتصلت

بوالدته وهاتفها مقفل ، تبذوا تلعبها جيدا سما تلك وأخطر مما توقعت

\*

\*

عند المساء عاد نزار ودخل عليا وخالتي الغرفة وفي

يده أكياس كثيرة وقال مبتسما " أعجبتهم جميع رسوماتي

وأعطوني فيها ثمنا جيدا وسأتعامل معهم بوقت و عدد

محددين وسأجني منه قدرا لا بأس به من المال "

ابتسمت أنا له وقالت خالتي بسعادة

"حمدا لله بني ، الله لا يضيع تعب من اجتهد"

مد لي بالأكياس التي في يده اليمنى وقال " خديها للمطبخ يا

سما فبعضها أغراض من أجل المطبخ والباقي أحضريه

لنا مع كعكتك التي في الثلاجة "

وقفت وأخذت منه الأكياس وقلت بحزن

" الكعكة لم تعد صالحة للأكل "

قال باستغراب " ولما " !!

نظرت لخالتي ثم للأرض وقلت " لأن بها قطع كثيرة من  
الفواكه ومر عليها أغلب الليل خارج الثلاجة ففسد طعامها"  
ثم خرجت من فوري وتوجهت للمطبخ رتبت الحاجيات التي  
أحضرها ووضعت الحلويات في طبق وأخذتها معي للغرفة  
كانت خالتي تقلب فستانا جميلا بين يديها أحضره لها فدخلت  
ووضعت الصينية وقلت بابتسامة " كم هوا جميل"  
نظرت لي وقالت مبتسمة " نعم ويبدووا ثمنه مرتفع"  
فتح نزار الكيس الآخر وهو يقول  
"لا تفكري في شيء سوى أن يكون على مقاسك"  
أخرج من الكيس صندوقا جلديا فتحه وقال  
"أتمنى أن تعجبك يا سما"  
مده لي فكان به عدة كاملة من الأمشاط الخشبية  
المزينة بالفصوص ، أخذته منه وقلت  
" هذا كثير ، لدي ذاك الذي جلبته لي"

وضع باقي الكيس بجانبه وقال

" هذا فيه ثياب لك أتمنى أن أكون أصبت في مقاسك "

ثم قال مغادرا " سأصعد لأصلي العشاء وأنام اشعر

بالتعب في كل جسمي "

ثم غادر من فوره دون أن ينتظر حتى أن أشكره

نظرت لخالتي من فوري فقالت بابتسامه

" يبدوا خشي أن تردي عليه هديته كما فعل معك "

نظرت للصندوق في يدي وقلت بحيرة

" وجدته جمع أجزاء المجسم وأعاده كما كان "

وصلني صوتها قائلة " أخبرتك أنه كان متضايقا قليلا فقط ثم

الرجال يا سما والكرماء منهم خصوصا لا يحبون أن يظهروا

بمظهر العاجزين عن دفع المال للمرأة ولا أن تصرف عليهم

من مالها ، الله خلقهم هكذا يا ابنتي والمرأة الغبية فقط من تقتل

في الرجل هذه الخصلة التي جبله الله عليها فيتحول الرجل

لوحش يأكل مالها ولحمها وتكون هي السبب "

نظرت لها بحيرة فضحكت وقالت " ستفهمين ما أقول يوماً

هيا أرني ما جلب لك من ثياب وهرب كي لا نراهم أمامه"

فتحت الكيس وأخرجت ما به ، كانت بيجامة نوم بيضاء برسوم

صغيرة تملأها وبنطلون من الجينز وقميص ، كانت كلها جميلة

وألوانها رائعة ثم نظرت لآخر ما في الكيس وبعدها نظرت

لخالتي فقالت " ماذا هناك غيرهم ؟ لما لم تخرجيه"

أغلقت الكيس وقلت بحياء " ملابس داخلية ، كم هذا محرج"

ضحكت وقالت " محرج له أكثر منك لكنه يعلم جيداً أنك

ستحتاجينها ولا امرأة غيري هنا وحالي تعلمين به"

ثم مدت لي باقي الثياب وقالت

"ضعيهم في الكيس وخذيهم لغرفتك وتعالين لنقرأ روايتنا"

ابتسمت لها وأخذت الأغراض فقالت بضحكة " أحضر لي فستاناً

فقط ولك كيساً مليئاً ، يبدووا هذه طريقته في الاعتذار"

قلت مبتسمة " قد يكون لأنك لن تحتاجي إلا الفستان"

قالت بابتسامة مماثلة " ممكن "

أعدت الأغراض للكيس وصندوق الأمشاط وصعدت به

لغرفتي ، دخلت ووضعتهم في الخزانة ثم لفت انتباهي ورقة

على الطاولة فتوجهت نحوها وفتحتها فكان فيها نقودا ، قرأت

ما في الورقة فكان ( أعيدي لصديقتك نقودها يا سما وآسف

مرة أخرى ولا تغضبي مني فقط لا أريدك أن تعتمد علي

غيري وأنا موجود ولا حتى أموالك أنتي ، حتى أعيدك

لأهل والدك فكوني متفهمة لموقفي حتى أعيد لهم

أمانتهم التي وضعت في عنقي)

حضنت الورقة ونزلت دمعتي فرحا بكلماته واعتذاره وحزنا

على نظرتة لي كمسئولية وأمانة سيعيدها لأصحابها ثم مسحت

دموعي ونزلت لغرفة خالتي ، عليا أن أحاول إبعاد هذه الأفكار

من رأسي وألتفت لدراستي ، وصلت الغرفة أخذت الرواية

وجلست وقلت " سنرى اليوم ما سيفعل لها فراس "

قالت ضاحكة " قد تحبه هوا في النهاية ويحبها "

قلت بصدمة " هل تحبه وهو يعاملها هكذا " !!

قالت بابتسامة " الحب لا يسأل يا سما فكم من بشر

أحبوا أبغض أعدائهم "

قلت بهدوء حزين " ولما لا يسأل ! ألا يحق لنا أن نختار من نحب "

قالت " بلى يكون باختيار قلبك ولن يحب قلبك عبثا لأنه مثلك "

قلت بعد صمت " هل أخبرك إن أحببت شخصا يوما ما "

قالت مبتسمة " إن أردت ذلك يا ابنتي سأكون سعيدة به "

قلت باستغراب " ولن يزعجك أبدا "

هزت رأسها بلا ثم قالت بضحكة

" إلا إن كان مجرما أو خريج سجون فلن أكون سعيدة "

ضحكت وقلت " ولما أحب مجرما "

قالت مباشرة " لنذع الأمر لوقته وهيا إقراي بتركيز

هذه المرة وليس كسابقتهما "

ضحكت ثم فتحتها حيث وصلنا وقرأت

((تلعثمت ولم أعرف ما أقول فابتسمت له وقلت

"لم أقصد ما فهمت"

قال ببرود " ما قصدت إذا يا حية"

سكت بعدها ونظر لأحدهم خلفي فالتفت له فكان ويالا

سعادة حظي عمي رياض ، نظر لي وقال

"ماذا حدث معك يا رُدين كيف كان مشوار السوق"

نظرت لأشرف خلفه عند سيارته ثم نظرت له وقلت

"كان رائعا ولن أخرج للسوق مع غيره"

ثم نظرت له فكان يتوعدني ويمرر يده على عنقه بمعنى سأقتلك

فسمعت ضحكة من خلفي فالتفت مصدومة بفراس يضحك

ودخل عمي رياض قائلا " المهم أن تكوني اشتريت ما تريدين"

التفت جهة أشرف ونظرت له بشماتة فقال " سأريك يا حية يا رقطاع"

أخرجت له لساني ودخلت لأشعر بيد تسحبني جهة المجلس

وكانت لفراس طبعا ، دخل بي هناك وأغلق الباب وأجلسني

مرغمة على الأريكة ووقف أمامي واضعا يديه وسط جسده

وقال ونظره في عياني " ألن تقولي الحقيقة "

أزلت حجابي ورميته بعيدا وقلت " أي حقيقة "

قال ببرود " صبري سيكون معك أطول مما تتصور يا رُدين "

وضعت ساق على الأخرى وقلت " وأنا ليس ورائي غيرك أنت "

فاجلس نمضي الوقت نتسامر قليلا يا ابن زوجي "

أمسك خصلة من شعري وقال وهو يبرمها بين أصابعه

" كيف عرفك والدي ومن أين أتيت "

استللت الخصلة من بين أصابعه بقوة وقلت

" ابنة صديقه كما أخبركم ووالدي توفي وعمرى سبعة أعوام

ووضعت عمي رياض في مدرسة داخلية سنوية حتى وقت

العطلات لا أخرج منها وبعدها أنهيت المرحلة الثانوية

أخرجني وها قد جلبني هنا وانتهى يا حضرة المحقق "

سند قدمه على حافة الأريكة بجانبى تماما واستند بمرفقه على

ركبته وقرب وجهه من وجهي وقال " وكيف وافقته على

هذه اللعبة السخيفة يتزوجك ليزوجك لغيره"

رفعت كتفي بلامبالاة وقلت ونظري في نظره " لا يهم عندي

فلن يفعل عمي رياض شيئا ليس فيه مصلحتي ، ثم هوا تزوجني

ولا تحترمونني ولا تتقبلونني وأنا فتاة يتيمة لا أحد لها غيركم

فكيف إن جلبني دون أن يتزوج بي"

قال بنظرة ثابتة على عياني لم تتغير

"ولما لم يختصر الطريق ويزوجك بأحد أبنائه"

نظرت بعيدا عن عينيه وقلت

"لا يحق لي أن أسأله وكل ما يريد سافعله ولن أناقشه"

أمسك ذقني بأصابعه وأعاد وجهي أمام وجهه ونظري

لنظره وقال ولا يزال ممسكا بذقني " الحقيقة يا رُدين"

أبعدت يده ووقفت وقلت بضيق " لا تمارس عمل المحققين علي

وأخبرتكم مرارا إن كان لديك شيء قل له لوالدك واسأله عنه"

أبعد قدمه عن الأريكة منزلا لها للأرض واستقام في وقفته

وقال واضعا يديه في جيوبه " لم أقتنع بكلامه ولا جوابه"

قلت مغادرة جهة الباب " ليست مشكلتي "

أمسك ذراعي مجددا وأعادني ناحيته قائلا

"ولكنها مشكلتي فأحضري لي عقد الزواج أراه بعيني لأقتنع"

أبعدت يده عني بالقوة وقلت

"لديه هوا فاطلبه منه بنفسك ألا لسان لديك"

قال مغادرا الغرفة " حسنا إذا "

خرجت من الغرفة وتذكرت أن أحد الأكياس وبه الثوب بقي في

سيارة أشرف فخرجت للخارج فلم أجده ، قيس النساء ذاك فعلها

وأخذ الثوب ولن يعيده لي بالتأكد حتى يمر اليوم ، دخلت للداخل

وبحثت عن عمي رياض حتى وجدته وطلبت منه أن يتصل به

ليحضر أغراضي فلن يقدر عليهم إلا والدهم وبالفعل بعد قليل دخلت

الخدمة وقد أحضرته وقالت أنه تركه عند الباب وقال لها تأخذه

لي فأخذت الكيس وخرجت من عنده على صوت رسالة وصلت لها في

فكانت من رقم مجهول وفيها ( سأنتقم منك بغيرها يا حية يا رقطاع )

الرسالة منه إذا ، أرسلت له ( لا حية سوى جوجو خاصتك

عمود النور تلك يا قيس النساء)

ثم أغلقت هاتفي نهائيا وصعدت لغرفتي وعند مقربة المساء

كنت جاهزة لأغادر مع عمتي سعاد لحفل الزواج ، لبست عباةتي

فوق الفستان وحدائي وأخذت حقيبتي وخرجت أركض على

صوت منبه السيارة في الخارج يملأ الدنيا بضجيجه ، مؤكد ليس

عمي رياض أبدا ، وصلت للخارج وأنا ألف حجابي فكان فراس

واقفا خارج السيارة ويده داخلها ووالدته جالسة في المقعد الأمامي

اقتربت منه بخطوات عادية ، لو كنت اعلم انه هوا ما نزلت الآن

فتح بابه وقال بضيق " ساعة لتخرجي يا سيدة الحسن"

فتحت باب السيارة وقلت وأنا أركبها " ألا يعجبك حسني"

انطلقنا قائلا " أمي أخبري هذه التي جلبتها معك أن

تحفظ لسانها خيرا لها"

قلت ويدي وسط جسدي " ومن بدأ أليس أنت"

قالت والدته بضيق " يكفي وأنتم كالأطفال ، وارحموا الفتاة كلكم عليها"

تجاهلها وفتح مسجل السيارة على أغنية غربية يردد كلماتها مع

المغنية ، جميل ظننته لا يعرف حتى أنه توجد أغاني في الحياة

أخرجت عدة الماكياج من حقيبتي والمرآة وبدأت أعدل

زينتي فأطفأ عليا الإنارة في سقف السيارة فتأففت وشغلته

فأمسك السرعة فجأة لتسقط جميع القطع من حجري في مكان

القدمين في الأسفل وبدأت أتلمس في الظلام لأجدها وقلت بضيق

" انظري ما يفعله ابنك بي عمتي سعاد ، يكرهني دون سبب "

قالت بهدوء " أمرك لله يا ابنتي اصبري قليلا حتى

يزوجك عمك رياض وترتاحي منهم "

قال بسخرية " قد تعجبه يا أمي وترميك خارج منزلك غير مبالية بك "

لم استطع احتمال تلك الكلمات منه رغم أنني ضد الإهانات

وأتحمل كل شيء لكن كلامه هذا كان جارحا جدا فبدأت

بالبكاء دون شعور وقلت بعبارة " أعدني للمنزل حالا

ولن أبقى فيه بعد اليوم "

قال بسخرية " نعم ستطلبين منزلا لك وحدك"

قالت والدته بحدة " فراس أسكت حالا وتوقف عن إهانتها تفهم"

تأفف ولاذ بالصمت فوصلنا حينها ونزلت قبل حتى أن تتوقف

السيارة جيدا وسبقت عمتي للداخل رغم أنني لا أعرف المكان

ولم أزره قبلا ، كان الحفل في منزل العائلة لكنه كان واسعا

جدا ، جلست بجوار عمتي طوال الوقت ومزاجي سيء جدا

لقد أفسد عليا ذلك المعتوه سليط اللسان ، كانت العروس جميلة

أو من تأثير المساحيق لا أعلم وكانت تبدو سعيدة ومعها حق

تسعد فهي تتزوج بمن تحب كما فهمت من الجالسة بجواري

ما به حضي أنا هكذا عليا أن أتزوج واحد من أولئك الثلاثة

الذين يكرهونني حد الموت ولن أستطيع خذل عمي رياض

في أن أتركهم ثلاثتهم أمامي وأتزوج من غيرهم رغم أنه

لن يمانع ، لكن لن تطاوعني نفسي وهوا من اهتم بي كل

حياتي وكان يتمنى أن أكون زوجة لأحد أبنائه

بعد قليل دخل عريسها وجلس بجوارها ووجهه في

وجهها يضحكان طوال الوقت ويتهامسان

أما أنا فكنت كبطاقة التعريف فالجميع يأتي ويسأل عمتي

من هذه التي معك ؟ هل زوجت أحد أبنائك ولا نعلم ؟

وكل واحدة تقول وجدت عروسا لأحدهم وكادت تقتلني تلك

التي قالت ( كم هي جميلة ابنة صديق زوجك وتليق بفراس

وكأنها له ) حتى أنني كدت أقفز عليها وأخنقها وأفقأ عينيها

وبعدما انتهى الحفل ورقص جميع الفتيات عداي رغم أنني كنت

قد قررت أن أرقص الليلة حتى تتعب قدمي لكنني عفت هذا

كنت واقفة بتململ وعمتي تقول " استهدي بالله يا رُدين

وعودي معه وأعدك لن يتكرر ما قاله "

قلت بضيق " قلت لا يعني لا وليأتي عمي رياض أو أشرف

أو حتى وائل لأخذي ولن أركب معه أبد الدهر ما حييت "

استغفرت بهمس ثم قالت " سيغضب عمك إن علم بذلك "

نظرت لها وقلت بعبرة " أهانني يا عمتي وجرح كرامتي

استحملت منهم كل شيء إلا هذه"

ربتت على كتفي ولأنت بالصمت وما هي إلا لحظات ورن

هاتفها فقالت " هذا فراس قد جاء ألن تخرجي لنغادر"

قلت بإصرار " لا"

قالت وهي تفتح الباب لتخرج " أخبرته أن لا يأتي هوا

ولكنه أصر على غير عاداته ، ما أحبكم للمشاكل"

ثم خرجت هي للخارج تاركة الباب مفتوحا ولم أتحرك

أنا من مكاني في الممر الذي يوجد به الباب منعزلا عن

باقي المنزل وبعد لحظات انفتح الباب فكان هوا أمامي

تراجعت لأدخل للداخل لكنه أمسك بيدي وسحبني للخارج

حتى وصلنا السيارة فاستللت يدي من يده وقلت بغضب

" أتركني ، قلت لا أريد الركوب معك ألا تفهم"

قال بغضب " اركبي ولا تفضحينا أمام الناس"

بقيت أنظر له فتأفف وقال ببعض الهدوء

" اركبي يا رُدين"

قلت بحزن " إلا على موتي "

هز رأسه بيأس ثم فتح لي الباب وقال بهدوء

" أنا آسف على كل ما قلته لك )) "

أغلقت الرواية وقلت " جيد أنه اعتذر منها لقد أهانها كثيرا بما قال "

قالت بابتسامة " ألا تري أنه اكتشف لعبتهم "

قلت بحيرة " كيف علمت "

قالت بذات ابتسامتها " كلامه الآن تغير كثيرا حتى إصراره

على المجيء بنفسه رغم أن والدته طلبت منه أن لا يأتي

ولكنه على غير عادته أصر على المجيء "

قلت بحيرة اكبر " وكيف علم ! هل حكا له والده أم اكتشف

ذلك من تهريبهم من حكاية عقد الزواج "

رفعت كتفيها وقالت بهدوء

" لا أعلم وستكشف لنا باقي الرواية حقيقة ما حدث "

وقفت وقلت " كل مرة أزيد تشويقا أكثر لمعرفة ما سيجري "

قالت بعد ضحكة صغيرة " وهذه هي المتعة فيها ، هيا

تصبحين على خير فوراك مدرسة غدا"

ابتسمت لها وقبلت خدها وقلت

"تصبحين على خير وغدا يوم الجمعة إن نسيتي"

ضحكت وقالت " بالفعل نسيت إذا هوا يوم إجازة"

هزرت رأسي بنعم ثم أطفأت نور غرفتها وصعدت لغرفتي

وعند الصباح استيقظت ونزلت للأسفل فكان نزار غير موجود

وقالت خالتي أنه خرج مبكرا ، أعددت الإفطار لنا ثم سمعت قرعا

لجرس الباب فخرجت له ونظرت من عينه فكانت فتاة لا أعرفها

وأراها للمرة الأولى ، عادت لقرع الجرس مجددا ففتحت لها

وقلت " مرحبا بما أخدمك يا آنسة"

نظرت لي نظرة غريبة ثم تجمدت نظرتها على السلسال

في عنقي وكان السلسال الذي أهدها لي نزار سابقا

\*\*\*\*\* \*\*

خرج جابر من عندي ولم اشعر بخيبة الأمل لأنه لم يقل سأحدث  
معها عما تقوله عنك ، فعليا أن أكون صبورة فلن أحصل على كل  
شيء مرة واحدة فيكفي أنه على الأقل سألني عما يزعجني منها  
شغلت نفسي باقي النهار مع الأولاد ثم اتصلت بمصففة شعر  
وخبيرة ماكياج للمجيء فمن حقي أن أظهر بأحسن مظهر  
مادامت إحدى بطاقات جابر تحت يدي وتصرفي  
وعند أول الليل نزلت رغم أنني أعلم أن والدته ستعدها  
انتصارا علي لاعتقادها أنه جابر من أرغمني على هذا  
توجهت نحو الضيوف وسلم الجميع علي وكنت أتجنبها  
طوال الوقت كي لا تتعمد إهانتني بما تقول ، وقفت مع اثنتين  
لوقت كانتا لبقتين وأعجبني حديثهما كثيرا فاقتربت عمتي  
وكانها تتعمد هذا ووقفت معنا فقالت لها إحداهما " لقد أحسن  
جابر الاختيار ، أين كنتي تخفين زوجة ابنك الجميلة عنا"  
قالت ببرود " البركة في مساحيق التجميل والنقود والمزينين"

لذت بالصمت ولم أجب عليها وكنت سأغادر حين قالت

"مبارك زواج ابنك يا عائشة ، عرف بمن يتزوج وعافاه الله

من بنات المجرمين خريجين السجون خطاف البشر"

كنت سأرد على كلماتها ولكني تذكرت كلام جابر حين قال

انزلي من أجلي فتركتهم وصعدت للأعلى لأن هذا كان فوق

احتمالي ، توجهت لغرفة الفتاتين وفتحتها فنظرتا لي باستغراب

فاقتربت منهم وجثوت أرضا أبكي بمرارة فاقتربتا مني

وقالتا معا " ما بك ماما"

فتحت ذراعاي لهما فأسرعتا لحظني وحضنتهما بقوة

كل ما كنت أريده أن أذكر نفسي أنني هنا من أجلهم وأني

أحتمل كل هذا وأكثر من أجلهم هم ، كنت أحضنهما بقوة

وابكي وهما تبكيان معي ثم أبعدهما عني ومسحت دموعي

فقلت بيسان بشهقة " ما بك ماما هل بابا مات"

حضنتها وقلت " لا حبيبتي لا قدر الله ذلك هوا بخير"

قالت ترف " ما الذي يبكيك إذا"

وقفت وقلت " لا شيء فقط كنت متضايقه قليلا ثم

أليس هذا وقت نومكم بسرعة لأسرتكم"

توجهتا لسريريها وقالت ترف " ماما نامي معي"

مددت يداي لهما وقلت " تعاليا لتناما معي كليكما"

قفزتا من سريريها فرحتان وتوجهنا لجناحي ونمت وهما

في حضني وقد نامتا سريعا وبقيت أبكي طوال الليل وقد

فارق النوم عيني ، غادرت بعدها السرير وغطيت الفتاتين

جيذا وغادرت الجناح ولا أعلم أين ولا لما فقط كنت أريد أن

أخرج من كل هذا المكان ، نزلت للأسفل فسمعت موسيقى

تأتي من مكان ما يبدووا بعيدا وخلف باب مغلق أو شبه مغلق

بحثت قليلا عن مصدرها فكانت من غرفة عند آخر أحد الممرات

فاقتربت ونظرت لمن في الداخل لأفاجئ بفتاة بشعر أشقر تجلس

على بيانو وتعزف بحركة انسيابية لأناملها ورأسها كان للأسفل

ولم أتبين ملامحها ، كانت الموسيقى حزينة جدا وكأني سمعتها

قبلا ثم فجأة رفعت رأسها للأعلى لتبتعد خصلات شعرها  
الذهبية عن وجهها ففتحت عيناها من الصدمة ، ما أجملها من  
امرأة والأعجب تشبه بيسان نعم وكأنها ابنتها ، علمت الآن  
من أين اكتسبت بيسان ذاك الحسن أكثر حتى من شقيقها  
هوا من عمته إذا التي هي هذه بالتأكيد ، توقعت أن شقيقة  
جابر ومعتصم لن تقل جمالا عنهما لكني لم أتخيلها هكذا  
هذه هي زهور إذا ، اسمها مثلها هي زهرة حقا لكنها زهرة  
حزينة فلامحها تحمل كل معاني الحزن مجتمعة ، كنت سأغادر  
قبل أن تراني فوقفت مكاني حين بدأت بالغناء بصوت عذب  
لا أجمل منه سوى وجهها الفاتن ، كانت عيناها مغمضتان وتغني  
مع الموسيقى بحزن ، نعم إنها أغنية أحزان الشتاء المشهورة  
في العشر سنوات الماضية أذكر جيدا حين صدرت كنت تقريبا  
في الرابعة عشرة أو يزيد قليلا ، بقيت مكاني استمتع بالحسن  
والصوت ، غبي هذا الذي طلقك يا زهور لو كنت مكانه لتمسكت  
بك ولو من أجل جمالك وصوتك ، توقفت بعدها عن العزف

وأنزلت رأسها للأسفل لتصعقتي بمفاجأة جديدة حين بدأت بالبكاء  
جمدت مكاني وأنا أراها تحضن وجهها بكفيها ناصعتان البياض  
وتبكي بحرقة وكأنه مات لها أحد وسمعت خبره للتو ، تراجعت  
حينها عائدة للأعلى بل ولجناعي ، ما قصتها يا ترى وما سبب  
كل هذا الحزن والدموع ، ما فهمته من كلام جابر ووالدته حين  
دخلت عليهم المجلس أنه خطبها أحدهم وهي وافقت عليه فلما  
البكاء والحزن إذا ، يبداوا لست وحدي من بكت هنا الليلة فثمة  
من شاركني في حزني وبكائي وإن كان لأسباب مختلفة

\*

\*

جلست على السرير ونظري للسقف متكأ للخلف ونظرة

الحزن والخذلان في عينيها اليوم لم تفارق خيالي أبدا

تطلبين كل ما أملك ثمنا لك يا زهور أقسم أن روحي لا تغلا

عليك ، أعلم فيما تفكرين تريدين الانتقام مني لا بأس فما أن

تصيري لي سأرجعك حبيبتي السابقة كما كنا وإن لم أنجح

في ذلك أكون أستحق أن ترميني للشارع بلا مسكن ولا

سيارة ولا مال لأنني أستحق أن أدفع ثمن ما حدث لك

أغمضت عيناى بشدة وأنا أتذكر ذاك المشهد وهي واقفة

تبكي وتتألم والدم ملاً فستانها وأنا أحاول فقط طمأنتها أن كل

شيء سيكون على ما يرام وأن لا تخف ، اعتقدت أنها تفهم الأمر

وتعلم بما حدث ، كنت سأتزوجها ويموت ذاك الحادث معنا ولم

أتخيل أن تتزوج بغيري وهي تعلم أنها لم تعد عذراء

كان حادثاً أقسم لم أقصده وما كنت لأؤذيها بشيء وهي عيناى

التي أرى بهما ، سمعت طرقات خفيفة على الباب أعادتني

من شرودي فنظرت له وقلت " تفضل "

انفتح الباب فكانت بتول ، نظرت لي بابتسامة وقالت

"مرحبا بخالي الحبيب"

عدلت جلستي وقلت

"تعالى يا مشاغبة حتى الليل لتسلمى على"

دخلت واقتربت مني وقبلت خدي وجلست بجواري وقالت

"ظننتك ستغادر سريعا ككل مرة وأنا كنت أدرس في غرفتي"

قلت بابتسامة " كيف هي الدراسة معك"

قالت بضيق " سيئة لا أعلم متى ستنتهي"

ثم قابلتني وقالت بحماس " لكن لي صديقة جديدة ذكية

جدا وباتت تساعدني كثيرا وسأجتاز هذا العام"

ابتسمت لها وهزرت رأسي بحسنا فقالت

"أمي تقول بأنك ستتزوج وأراها مستاءة فلما"

نظرت للفراغ وقلت " لأن العروس تكون زهور"

قالت بدهشة " زهور ابنة عمي"

هزرت رأسي بنعم دون كلام فوصلني صوتها قائلة

"يا عيني لهذا لم تتزوج حتى الآن"

نظرت لها بصدمة وقلت

"وقحة أنا خالك فاحترميني وأخجلي قليلا"

ضحكت وقالت " أخبرني منذ متى تحبها"

ضربتها بالوسادة فوقفت وقالت بغنج " ويلكم منا أنتم الرجال نلعب

بكم بسهولة وتشيوخون لأجلنا ولا تتزوجوا بسبب واحدة فقط"

عدت متكأ على ظهر السرير وقلت ببرود " أنا لم أشيخ وأنتي

سيأتي اليوم الذي أشمت فيك به يا طويلة اللسان"

قالت مغادرة " هذا إن تزوجت من أساسه ومبارك لك يا

خالي الحبيب ولا تكثرث لوالدتي"

ثم وقفت عند الباب وقالت بخبث قبل أن تخرج

"معك حق تنتظرها كل هذا العمر"

ثم هربت ضاحكة لترتسم الابتسامة على شفطاي بسببها

ككل مرة ، لو تعلمي ما يخبئونه لك يا بتول يا من لا

تريدين الزواج وستري ما سأفعله بك حينها ، عدت

بنظري للسقف ليسافر بي الليل الطويل مكاني وعلى

حالي ، لا صبر لدي حتى يأتي جابر وتكون زوجتي

لن أرتاح حتى يحدث ذلك

\*

\*

ضرب بيده على الطاولة وقال بغيض " سحقا نظارده طوال

الليل ويموت في النهاية ، كيف حدث ذلك يا جابر"

قلت ورأسي بين يداي مستندا على الطاولة

"كان يحاول التسلل خارج البلاد ولم نمسكه سوا في ساعة متأخرة

وكان يدا قوية تدعمه وكاد أن يفلت من قبضتنا وأمضينا باقي

الليل في التحقيق معه لثلاث ساعات خر بعدها ميتا مباشرة

لنكتشف أنه محقون بمادة سامة قبل قبضنا عليه بدقائق"

قال بغيض " إذا هذه هي سياستهم نهربك أو نقتلك"

رفعت رأسي وقلت بهدوء " لم أخرج منه بالكثير كان

خيطا مهما في القضية وفقدناه"

قال بهدوء مماثل " وما أخبار زوجته المدعوة عفراء"

وقفت وقلت " ما تزال في المستشفى ، عليا العودة للمنزل الآن

فلم يعد لبقائنا جدوى سأصلي الفجر وأغادر ، أنام قليلا ثم نلتقي"

ضربني بكفه على كتفي وقال " نعم فعليك أن ترتاح قليلا"

فتحت الباب وخرجت دون كلام ، مررت بالمسجد وصليت

الفجر ثم خرجت وأخرجت هاتفي واتصلت بأرجوان فلا

أريد أن أجدها نائمة وأفقد أعصابي لتكون متنفسا لغضبي

دون سبب ، اتصلت كثيرا فانفتح الخط وجاءني

صوت طفولي قائلا " من أنت"

عقدت حاجبائي وقلت وأنا اركب السيارة

"أنتي بيسان أم ترف"

قالت من فورها " أنا بيسان"

قلت " أين والدتك"

قالت " في الحمام هل أنت بابا"

قلت وأنا أنطلق بالسيارة

"نعم وما أخذك أنتي لغرفتها هذا الوقت"

قالت " ماما تركتنا ننام معها كانت تبكي كثيرا

وبكت البارحة في السرير أيضا"

قلت باستغراب " وما الذي أبكاها" !!

قالت من فورها " لم نغضبها بابا أقسم لك"

تنهدت بضيق وحركت المقود يسارا لألف بالسيارة وقلت

" هل نزلت للأسفل للضيوف"

قالت " نعم"

قلت " حين تخرج من الحمام أخبريها تتصل

بي ولا تخبريها عما قلته لي حسنا"

قالت " حاضر"

أغلقت الهاتف ورميته بعيدا ، إذا سأجد أمامي سيلا من

الدموع والشكاوي وأنا لست بمزاج له فلو تنام يكون أفضل

بعد قليل رن هاتفي وكانت هي فأجبت عليها قائلا

"أنا في الطريق"

قال مباشرة وبقلق " هل أنت بخير صوتك ليس طبيعيا"

قلت " بخير متعب فقط ، أعيدي الفتاتان لغرفتيهما وجهزي

لي الحمام وثياب النوم سأنام قليلا وأغادر"

قالت من فورها " حسنا في الحال"

أنهيت المكالمة ووصلت القصر بعد قليل ، دخلت وصعدت

من فوري وصلت الجناح فتحته ودخلت الغرفة ، كانت أرجوان

تغلق الستائر فالتفتت لي وقالت " حمدا لله على سلامتك"

دخلت وقلت وأنا انزع السترة " سلمك الله"

نزعتها مني ففتحتُ أزرار القميص ونزعته وأعطيته لها

أيضا مع ربطة العنق وأخذت المنشفة ودخلت الحمام في صمت

جيد لم تنفجر القنبلة الموقوتة بعد لكن الغريب أن الفتاتان لم

تذكرا أنها بكت سابقا رغم أن هذه ليست الأولى ، استحمت

سريعا وخرجت بالمنشفة وجلست على السرير أحرك كتفائي

بتعب وأحضرت أرجوان تسط صغير ووضعته عند قدمائي

وسكبت فيه ماء من الإبريق وملح ثم قالت

"ضع قدميك فيه ستشعر بالراحة"

انصعت لها فورا فبدأت بتدليكهما بالماء وقالت ونظرها عليهما

"تبدوا متعبا جدا ، انظر لأصابعك كيف متورمة ، حتى رحلتك

تلك للجنوب لم ترجع منها بهذه الحالة ، ارحم نفسك يا جابر

فمثلما الوطن يحتاجك أنت تحتاج صحتك ونحن نحتاج إليك"

اضطجعت على السرير مرتما عليه للخلف وقدماي لازالا

مكائهما ينعمان بنعومة يديها وإحساس رائع بالراحة فيهما

ولم تزد هي حرفا على ما قالت ولم أتكلم أنا حتى غلبنى

النعاس وأنا على حالتي ، بعد وقت استيقظت فوجدت

نفسي نائما كما كنت والأريكة عند طرف السرير وساقاي

عليها فيبدووا سحبتهما لترفعهما لها ، كانت تنام بجانبي ويدها

على صدري العاري فأمسكتها وقبلتها ثم أعدتها عليه ووضعت

يدي فوقها وشعوري بالنوم لازال قويا فاستسلمت له فورا

استيقظت بعدها على صوت رنين الهاتف فجلست ورفعته

وفتحت الخط على جلوس أرجوان وقلت

"نعم يا أسعد هل من جديد"

قال من فوره " إنها عفراء "

قلت بصدمة " لا تقل قتلوها أيضا "

قال " لا ... كادوا يفعلونها "

قلت بضيق " وما تفعلون أنتم لقد اعتمدت على رجالك "

كثفوا الحراسة عليها أكثر نريدها حية فقد نحصل منها "

على شيء ولو بسيط "

قال " لا تقلق سأقوم بالمطلوب "

قلت " أنا قادم بعد قليل وداعا "

وقفت خارج السرير فأمسكت أرجوان يدي ونظرها لي للأعلى "

وقالت " أنت لم تنم سوى ثلاث ساعات فقط "

نظرت لها بضيق وقلت بتذمر " أرجوااان "

وقفت وأحاطت خصري بذراعيها وكأنها تمسكني مكاني واتكأت "

برأسها على صدري وقالت " لست أرجوان من قال لك أنني هي "

قلت بابتسامة جانبية " اتركي عنك مشاغبتك المعتادة فليس وقتها "

نظرت لي بعبوس فنظرت بعيدا عنها وتنفست بضيق فصعدت  
على قدمي ووقفت على رؤوس أصابعها وقبلت ذقني وابتعدت  
في صمت وتوجهت للخزانة فوضعت يداي وسط

جسدي وقلت " وما افهمه من هذه القبلة "

التفتت لي ومدت لي ملابسني الداخلية وقالت

" معناها حسنا فقط لا تغضب مني "

تركنتي حتى لبستهم ثم اقتربت مني وقالت وهي تلبسني القميص

" هل ثمة أمل أن يصبح يوما ما لديك وقت فراغ نراك فيه "

قلت وأنا أغلق أزرار القميص " نعم "

ربطت لي ربطة العنق وقالت " حسنا علينا بالصبر إذا "

ثم مدت لي البنطلون فأخذته منها وقلت وأنا ألبسه

" هل تعلمي ما سبب دمار زوجي السابق "

هزت رأسها بنعم وقالت " كثرة الشكوى "

قلت بابتسامة " إذا تجنبي ذلك "

رفعت كتفيها وقالت وهي تلبسني السترة

"فرق كبير بين الشكوى والسؤال وأنا قلت لك

سأصبر مادام الجواب نعم"

ثم وقفت أمامي وقالت

"وهل تعلم أنت سبب ترك حناء البلاد بأكملها"

دسست مسدسي في الحزام وقلت

"غبية ولم تعرف كيف تفكر"

هزت رأسها بلا ، إن كان جوابها عيبا بي أنا تكون جنت على

نفسها وخاتها ذكائها الدائم ، رفعت نظرها لي وحضنت وجهي

بكفيها وقالت بابتسامة " لأنها لم تعرف قيمة ما لديها

وخسرته منذ البداية"

ابتسمت لها رغما عني أحببت إظهار ذلك أم لا ثم أمسكت

بوجهها أيضا وقلت " ويبقى الجواب واحدا .... غبية"

وضعت كفيها على يداي وقالت وعيناها في عيناي

"بل لم تعرف قيمة ما لديها"

قربت وجهي منها وحضنت شفتيها بشفتاي في قبلة طويلة

ثم خرجت من عندها ككل مرة وأنا أتعمد الصمت

تبدوا على اتفاقنا حقا ولم تتكلم ولا مجرد تلميح عما حدث

البارحة معها رغم أن والدتي لا تترك شيء في نفسها

ولا تخبرني عنه رغم علمها أنني لن أتدخل بينهم أبدا

تتبعين سياسة غريبة يا أرجوان لا أعلم احتراما لاتفاقنا

أم لغرض ما تصبوا إليه والمهم أنها تصرفت بحكمة

وصلت العاصمة وتوجهت لمكتب أسعد دخلت من

فوري وقلت " إن قتلوها قتلتك"

ضحك وقال " وقتلوا زوجها وهوا بين يديك

فمن حاسبك أو قتلتك"

وضعت يداي على طاولة مكتبه وقربت وجهي منه

وقلت بجدية " ذاك كان ميت قبل أن يصلنا ، هذه إن

ماتت لدينا نكون فاشلين بالضعفين"

وقف وقال " لا تخف الحراسة عليها مشددة ونراقب

حتى الأطباء الذين يدخلون لها ونخضعهم للتفتيش أيضا"  
عدلت وقفتي ونظرت جهته وقلت " وكيف هي حالتها الآن"  
قال " أوقفوا النزيف لكن ما تزال في حالة سيئة ولا يمكنك

استجوابها قبل وقت يا جابر"

قلت مغادرا مكتبه " المهم أن تبقى على قيد الحياة"

\*

\*

أمضيت وقت الظهيرة وما قبلها في غرفة أمجد أدرسه لأن  
لديه اختباران غدا ولم أترك حتى بيسان وترف يدخلان معنا  
وعند وقت الغداء طلبت من الخادمت إحضاره لنا في الغرفة  
لأن عيني لم تغب عليه لحظة وأتابع دراسته بالدرس كي لا  
يقول أنه درس كل شيء ثم أكتشف العكس وبقينا على حالنا  
حتى مقربة العصر حتى تأكدت انه درس جيدا ثم فتحت الباب  
وخرجت لأجد ترف تجلس عند الجدار المقابل ونائمة فابتسمت

على شكلها وتوجهت نحوها من فوري وحملتها بين ذراعي

فاستيقظت فمسحت على وجهها وقلت

"ترف ماذا تفعلين نائمة هنا"

اتكأت برأسها على كتفي وقالت بعينان مغمضتان

"كنت أنتظر أن تخرجا"

ضحكت وقبلتها وقلت " لم تغيري عاداتك أبدا تموتين

فضولا لو أغلقوا الباب وأنتي لست معهم"

تعلقت بعنقي تخبي وجهها فيه فقلت وأنا أسير بها

لغرفتيهما " وأين بيسان"

قالت " مع مصعب وعمر وسيلا في الشرفة"

خرجت بها حيث البقية وقلت

" عمر يمكنك اللعب مع أمجد بعدما انتهت دروسه"

نزل من فوره مسرعا وقال مصعب الذي تمسكه الخادمة

"ترف صغيرة ثبتي"

قالت ترف بغيض " بل أنت الصغير أنا كبيرة ولا أبكي "

أنزلتها وقلت " عيب لا تتشاجرا "

نظرت لي للأعلى وقالت " رأيته كيف يقول "

ثم بدأت تقلد طريقته في الكلام فقال وهو يحرك ساقيه

" انذليني أنذليني "

أنزلته سيلا فأمسك ترف من شعرها لتقلب الدنيا بصراخها

ولم نخرج أصابعه من شعرها إلا بصعوبة لتلطمه على وجهه

فقلت بحدة ممسكة يدها ومبعدة لها " ترف ما هذا الذي تفعلينه "

قالت ببكاء " ضربني ماما ألم تريه "

جمعت لها شعرها المبعثر وقلت بضيق

" هوا أصغر منك وأنتي سخرت منه "

قالت من بين شهقاتها " وهوا سخر مني أولا ، أنا لم أكلمه "

حملت مصعب من الأرض باكيا وقلت وأنا أمسح دموعه

" يكفي بني أنت رجل والرجال لا يبكون سأطلب من والدك

أن لا يتركك تأتي هنا ولن تجد ترف مع من تلعب "

قال بعبرة " بل أليد المذيء "

ضحكت وقلت " علينا أن نعاقبها لأنها ضربتك "

شعرت بشي شد فستاني فنظرت جانباً فكانت سيلاً تشير لي

على الداخل فنظرت هناك فكانت ترف متكورة أمام السرير

تلك الأنانية الغيورة ، قلت لمصعب " ولما تشد لها شعرها

هكذا وتقول عنها تبكي ، لن أتركك تلعب معها بعد اليوم "

هز رأسه بلا فقلت مبتسمة " إذا نذهب لها وتعذر منها "

هز رأسه بلا بقوة فضحكت وأنزلته على الأرض وقلت

" هيا يا بيسان سندخل .... بسرعة للداخل "

نزلت ودخلنا جميعاً وأغلقت باب الشرفة وقلت

" يمينك الذهاب لترتاحي يا سيلاً شكراً لك "

غادرت من فورها وانتقلاً بيسان ومصعب للعب بالمكعبات

وترف على حالها متكورة على الأرض ، توجهت نحوها

وجلست على السرير فوقها وقلت " ترف انظري إلي "

لكنها لم تتحرك طبعاً فقلت

"ترف أنا أكلمك هل تريدي أن أغضب منك"

ولا فائدة ترجى من كل هذا وتبدوا غاضبة حقاً أو أنها

نامت من جديد ، انفتح الباب حينها فكان جابر واقفاً أمامه

ألقي السلام فرددت عليه ووقفت ترف من فورها متوجهة

نحوه وحضنت ساقيه وبدأت بالبكاء فحملها وقال

"مابك تبكي من ضربك"

تعلقت بعنقه وقالت بعبرة " ماما تحب مصعب أكثر

مني لقد ضربني وأسكته ووبختني "

نظر لي وقال " وما نفع لها لنعاقبها"

نظرت له بضيق وقالت ترف " لا اعلم"

قال بابتسامة جانبية ونظره لازال علي

"سنتركها تنام في الحديقة وحدها الليلة"

وقفت واضعة يداي وسط جسدي ، ما هذا الذي يعلمه للأطفال

اقترب مني مصعب وقال " أنا أبأث معت لن تخافي"

نظرت له ترف وقالت بحدة " لن تبات مع ماما لديك والدتك"

قلت بضيق " بل أنا من ستذهب مع مصعب وأعيش

معه وتبقيا أنتما هنا"

نظر لي مصعب وقال " ليث لدينا ثرير لك"

ضحك حينها جابر فنظرت للجانب الآخر متضايقه

فأنزل ترف وقال " لا سرير لها إلا هنا"

ثم قال مغادرا " تعالي يا أرجوان"

غادر الغرفة ونظرت أنا لترف فقالت بشفتان

ممدودتان " أنا غاضبة منك ماما"

لم استطع إمساك ضحكتي فبدأت بالبكاء فاقتربت منها

ونزلت عندها وحضنتها وهمست لها " أنتي أكثر من أحب أنتي

ابنتي ومصعب لا ، هوا فقط صغير وكان يبكي وعلينا

أن نسكت الأطفال الصغار كما علمتكم"

حضنتني بيداها وقالت بحزن " لا تحبيه أكثر مني ماما لا أريد"

أبعدتها عن حضني ونظرت لوجهها وقلت " ترف لا أريد أن

أغضب منك وتعرفيني حين أغضب فلا أريد ما يحدث مع

أوجد أن يتكرر مع مصعب ، أنا أحبك أنتي بنيتي حسنا"

قبلت خدي وقالت " نعم ماما سألعب معه"

ثم وقفت ونظرت لبيسان فكانت منشغلة بالمكعبات ومن

الجيد أنها لم تركز على حديثنا لصرنا في مشكلة جديدة

خرجت من غرفتهم وتوجهت لجناحي ، دخلته ودخلت لغرفة

النوم فكانت ثيابه مرمية على الأرض وهو يبدوا يستحم

جمعت ثيابه ووضعتها في سلة الغسيل في غرفة الملابس وأخذت

لي فستانا قصيرا ولبسته على عجل ، مؤكدا سيغادر فورا فلا

حاجة لأكثر من هذا ، خرجت بعدها للغرفة فتحت شعري

ووضعت كحلا في عيناى ، هذا الرجل لا يعطيك وقتا حتى

لتنزيني له فيه ، دائما غير موجود وإن جاء يكون في وقت

لا تتوقعينه ، حتى في الليل يرجع متأخرا ويتصل بي وهو

بالمقربة من هنا وأكون حينها نائمة ومتعبة ، جمعت شعري

كله للامام على غير العادة وانفتح حينها باب الحمام وخرج  
منه بمنشفته وكالعادة شعره يقطر بالماء وتوجه لغرفة الملابس  
فأطفأت التكييف ، خرج بعد قليل لأصدم به مرتدي بنطلون  
رياضي وقميص قطني أسود بكتابة فضية عند الصدر وتوجه  
من فوره للخزانة دون أن ينظر لي وأنا أتبعه بنظري  
عجيب لابد وأن جنيا سكنه ، هذه المرة الأولى أراه بهذا  
اللباس فقد اعتدت على رؤيته إما بالبذلة الرسمية السوداء أو  
بذلة الشرطة أو بيجامة النوم ، توجه نحو السرير وأنا أسير  
معه بعيناي حتى جلس عليه ونظر ناحيتي فوقفت وقلت بمكر  
"لقد أخطأت في الغرفة يا سيد زوجي أعرفه أين يكون الآن"  
قال بنصف عين " أرجوان أخبرتك أن لا تلعبى معى هذه اللعبة"

رمى شعري للخلف وقلت بغنج

"أنا حرة أقول ما أريد ومتى أريد"

أشار لي بإصبعه على المكان بجانبه دون كلام فهزرت كتفي

ولم أتحرك من مكاني فقال " أرجوان لا تلعبى معى فستكونين الخاسرة "

توجهت للأريكة ووقفت فوقها حافية وقلت " أنا لا أعب معك "

قال بابتسامة " وما سر الوقوف هناك "

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت وأنا أحرك شعري بيدي

" وما أدراني أنك زوجي دعني أتأكد أولا "

غادر السرير وتوجه نحوي وأمسكني من خصري

وأنزلني للأرض ثم أمسك وجهي بيديه وقربه من وجهه

وقال بهمس " ليس من مصلحتك أن أتبت لك أنى هوا "

تركته وتوجهت للسرير جلست حيث أشار سابقا وقلت

" لقد تأكدت الآن تعال هيا "

هز رأسه مبتسما ثم اقترب وجلس بجانبى شبه مضجع

ومستندا بمرفقه على الوسادة ومقابلا لي فاخترت فى حضنه

وقلت بهمس " ما سر هذا التغيير الرائع حضرة المحقق "

قال بهدوء شبه هامس " تصمتى أو غادرت الآن "

مررت يدي على عضلات صدره البارزة وقلت ونظري

عليها " توبة لن أعيدها"

أمسك بيدي من على صدره ورفعها له وقبلها وقال ونظره

عليها " هل نزلت للضيوف البارحة"

كنت أنظر له باستغراب كانت المرة الأولى التي يُقبل يدي

ويسألني عن أمر أقوم به أو فعلته فلم يكن يهتم بشيء ، لا

كثرة حديث ولا كثرة استماع ، قلت بهدوء " نعم ومن أجلك"

نظر لعيناي وقال " فقط"

اتكأت على صدره وقلت " أقسم على ذلك"

رفع وجهي له من ذقني وقال " إذا انتهينا من هذه المشكلة"

هزرت رأسي بلا وقلت " لن أنزل مجددا ولا تربط

الأمر بمكانتك لدي يا جابر كي لا أجبر نفسي"

مسح بإبهامه على خدي وقال

"إذاً تكرر ما يحدث في السابق"

دسست وجهي في صدره مجددا ولم أتكلم فقال

"ماذا قالت عنك"

أحطت خصره بذراعي وغمرت وجهي في صدره أكثر

ونزلت دموعي دون شعور فمسح على ظهري وقال

"أرجوان هل أفهم من صمتك التزامك بشرط زواجنا

أم لأنك لا ترين أنني سأكون منصفاً لك"

قلت وأنا لازلت أتمسك به بقوة " أنت تنصف كل المظلومين

فلن تعجز عن إنصافي ولأجل الاثنين أنا أصمت"

قال بهدوء " أريد إجابة واضحة والآن"

رفعت رأسي ونظرت له وقلت " أجبني أنت عن سؤالي أولاً"

تنقل بنظره بين عيني ثم قال " أي سؤال"

عدت للاتكاء على صدره وقلت

"أنت وضعت لنفسك حداً بيننا فلما تسألني الآن"

دسني هوا في حضنه هذه المرة وقال

"لما كنتي تبكي طوال الليل"

ابتعدت عنه وجلست ونظرت لعينييه وقلت

"لا تقل أنك تراقب الغرفة لأنها كانت مظلمة"

مد يده وأشار لي دون كلام أن أعود لحضنه فقلت

"كيف علمت يا جابر"

أعاد الإشارة مرة أخرى في صمت فاقتربت منه مجددا

فقال وهو يمسح على شعري " علمت وانتهى ولا يهم

كيف وسأتحدث مع والدتي في الأمر ولن يتكرر مجددا"

ابتعدت عنه ونظرت لعينيه وقلت بدهشة " أقسم على ذلك"

نظر لي بضيق وقال " أرجواااان"

ابتسمت وقبلت خده وعدت لحضنه فوصلني صوته مبتسما

" هل أفهم من هذه القبلة أيضا أنك أسفة وأن لا اغضب"

قلت بهمس " نعم"

\*

\*

"بتول توقي عن كثرة الأسئلة"

وقفت ووضعت يداي وسط جسدي وقلت بضيق

"بلى أريد أن أفهم لما أحضرت لي السلسال ولم تقل

أن معتصم من اشتراه ولما تسكتون عن تصرفاته معي

حتى أنه يراني بالبيجامة القصيرة وبدون حجاب وكان شيء

لم يكن بالنسبة لكم ، يومها دخل عليا لغرفتي ولم يستحي

على نفسه ولم يمنعه أحد ولما يرفض الآن وما علاقته بي"

تأفف وقال " اذهبي واسأليه بنفسك"

ضربت بقدمي الأرض وقلت بتذمر " لما تتركوه يهينني دائما

والأسوأ يراني هكذا وكأني شيء يخصه ، لا هوا شقيقي ولا

زوجي لا خالي ولا عمي ، أنا لم أعد صغيرة لما أصبح

هكذا وقحا فجأة"

وقف وقال " هوا أمامك في قصرهم فاسأليه لما هوا وقح معك

ولما يرفض تغيير دراستك فإن كان لديه جواب سيقوله لك

ثم هوا ابن عمك ويفكر في مصلحتك"

ثم غادر وتركني أنظر له بضيق ، لا يتصرفون بشكل طبيعي أبدا

من المفترض به أن يغضب لمعرفته بكل هذا لا أن يتصرف ببرود  
لبست عباةتي وحجابي وخرجت من المنزل قاصدة قصر عائلة عمي

\*

\*

دخلت القصر منذ قليل بعدما تقابلت وعمي منصور في الخارج  
ليخبرني أن بتول تريد الذهاب مع خالها رضا لتدرس هناك  
وتغير كل سير دراستها ، ما هذا الهراء والتسيب والعقل الصغير  
وعمي يدلها زيادة عن اللزوم ولا يرفض لها طلبا ، دخلت غرفتي  
متضايقا وكل مناي أن أغادر قبل أن أراها لأنني لا اعلم ما  
سأفعل لها ، فتحت الخزانة وأخرجت عدة الرسم الجديدة  
ووضعتها في كيس وجمعت بعض مذكراتي على  
صوت طرق على الباب فقلت " تفضل "

انفتح الباب ولم يتحدث من فتحه فالتفت له فإذا بها بتول تقف  
أمامه ويدها وسط جسدها ومتضايقة أيضا فعدت لما كنت أفعل  
وقلت ببرود " اشترى سلامتك مني يا بتول واختفي من أمامي "

قالت بضيق " بل تقول الآن بأي صفة تتحكم بي "

نظرت للأعلى وقلت بنفاذ صبر " إن لم تغادري الآن يا

بتول ستسمعين مني كلاما لن يعجبك "

قالت بحدة " قلّه وأرحني "

التفت لها وقلت بغضب " لن تغيري دراستك ولن تغادري

من هنا رغما عن أنفك وأحب من أحب وكره من كره "

قالت بغضب أكبر " بأي حق أخبرني حتى جابر لا يتحكم بي مثلك

وهوا أكبر منك ثم أنا والذي على قيد الحياة وبعده خالي ثم أنتما "

اقتربت منها وأمسكت ذراعها وقت من بين أسناني

" لا تضعيني بعدهما تفهمي "

قالت بضيق " ولما وبأي صفة "

هزرتها وقلت بحدة " لأنك زوجتي تفهمي ... زوجتي "

